محمد أحمد الخيـــاط

الحياة الروحية اليهودية

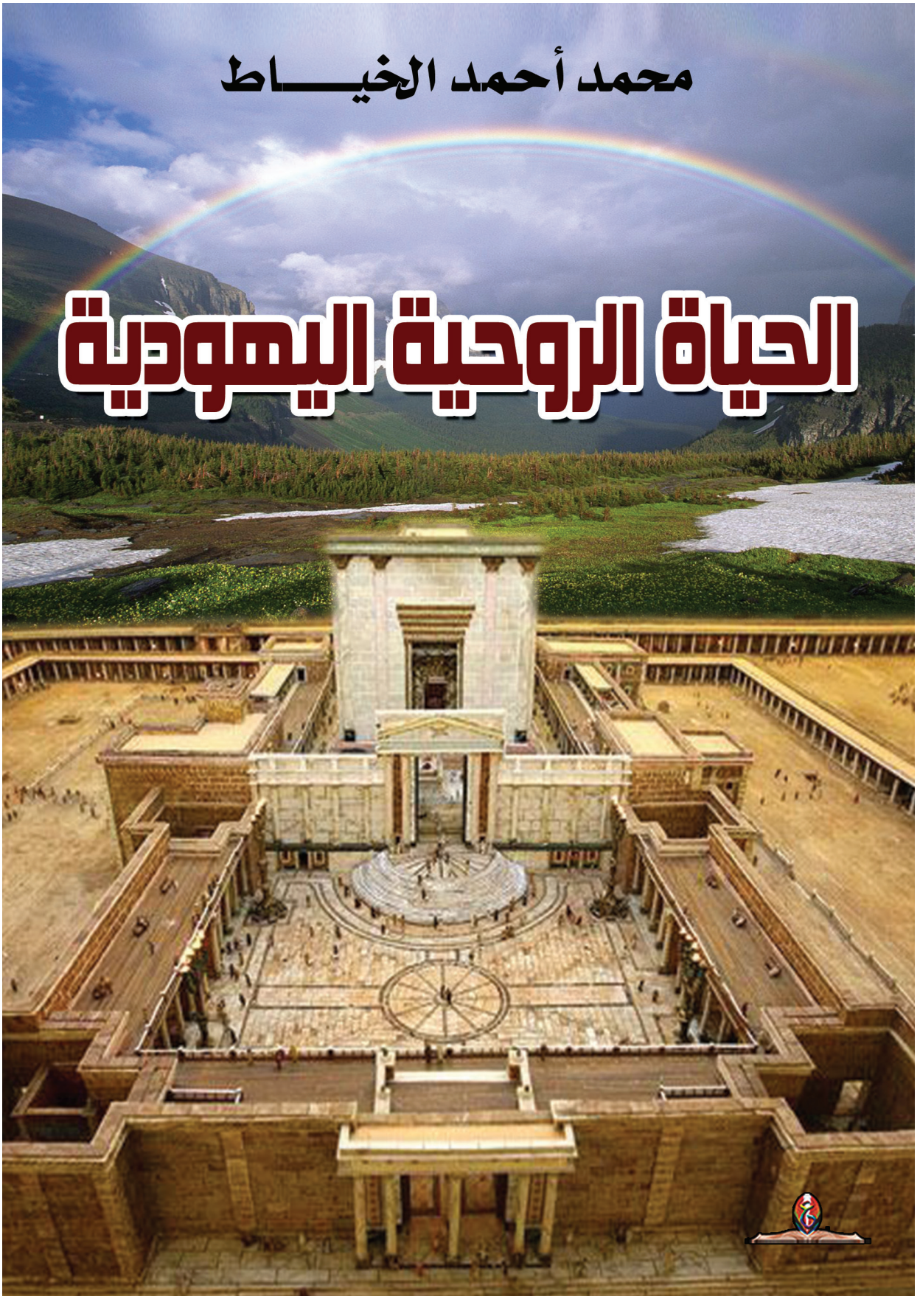

الحيـاة الروحيـة اليهوديـة

محمـد أحمـد الخيـــاط

حقـــوق الطبـــع محفوظة للمؤلف

2014
رقم الإيـــداع بدار الكتب (405)

تصميم وإخراج: عزيـز غالب

المحتويات

المقدمة 11

الفصل الأول: الشريعـــة المكتوبة (التـــوراة)

- تمهيد 17
- ماهية وتعريف التوراة 22
- تقسيمات التوراة 27
- كتبة التوراة 29
- لغة كتابة التوراة 31
- ترجمة التوراة 34
- صحة التوراة 37
- أسفار التوراة 40

أولاً. أسفار موسى 41

- سفر التكوين 41
- سفر الخروج 45
- سفر اللاويين 56
- سفر العدد 61
- سفر التثنية 64

ثانياً. الأسفار المتبقية 68

الفصل الثاني: الشريعـــة الشفهية (التلمـــود)

- المشناه 73
- مشروع تدوين المشناه 75
- محتوى المشناه 83
- طبيعة المشناه 84
- الجمارا 85
- التلمود 90
- خصائص وصفات التلمود 91
- منهجية التفسير 94
- أهمية التلمود 95
- العداء للتلمود 96

- طباعة التلمود 97
- التكوين الداخلي والخارجي للتلمود 98
- الهالاخاه والهداداه 98
- صفحة التلمود 101

الفصل الثالث: الأدوار الدينيـــــة

- الأنبياء 105
- النبوة 107
- النبي 112
- أنبياء الصنف الأول 119
- أنبياء الصنف الثاني 119
- أنبياء قبل السبي 120
- إشعياء 125
- إرميا 127
- حزقيال 129
- عوبيديا 131
- الكهنة 132
- تكريس الكهنة 133
- تجهيز الكهنة 133
- الرداء 134
- الصدرة 134
- جبة الرداء 135
- صفيحة الذهب 136
- مراسيم التقديس 137
- الكاهن الأعظم 137
- مهامه وواجباته 138
- شروط الكهانة 139
- شرائع الكهنة 140
- حقوق الكهنة 141
- الكهنة اليوم 144
- القراءة العلنية للتوراة 145

- اللاويون 146
■ إصطفاء اللاويين 146
■ تقديس اللاويين 146
■ مواقعهم من المسكن 147
■ مهام اللاويين 148
- خدام المعبد 149
- الحاخامات 150
■ تنصيب الحاخامات 151
- الكتاب والمعلمون 153

الفصل الرابع: العبـــــادات

❖ التوحيد 157
❖ الصلاة 159
■ أنواع الصلاة 164
■ الصلاة المفروضة 164
■ الصلاة المستحبة 166
■ شروط الصلاة 167
● الطهارة 168
● الوضوء 170
● الثياب 171
● التمائم 172
○ الطاليت 172
○ التفلين 176
صناعة التفلين 179
● الطاقية 180
■ مكان الصلاة 182
■ شروط قبول الصلاة 183
■ النصاب في صلاة الجماعة 183
■ النداء للصلاة 184
■ إمامة الصلاة 185
■ صلاة المرأة 186

- صلاة الآباء 187
  - إبراهيم 187
  - سليمان 187
  - إلياء 188
  - عزرا 188
  - دانيال 188
- لغة الصلاة وكتبها 189

❖ نموذج أولي للصلاة اليومية 191

- صلاة افتتاح أيام الأسبوع 191
- صلاة قبل الذهاب إلى الكنيس 201

1. صلاة الاستيثاظ 201
2. بركات الاستحمام 201
3. صلاة قبل دخول الكنيس 202
4. بركات تعلم التوراة 202
5. بركات الصباح 202
6. ذبح إسحاق 203
7. تبجيل الرب 203

- آيات الحمد 203
- النداء للصلاة 203
- ختام الصلاة 208
- صلاة صبح يوم السبت 209
- صلاة ختام يوم السبت 209
- صلاة بعد الظهر 211
- صلاة المساء 211
- صلاة قبل النوم 212
- الصوم 213

1. ماهية الصوم 213
2. تشريع الصوم 213
3. أنواع الصوم 214
4. الصوم المضاف 216

- الحج 217

- تشريع الحج 217
- الزكاة 219

الفصل الخامس: المناسبـــات والأعيـــاد

- السبت 223
- الاحتفال بالسبت 230
- إشعال الشمع 232
- بركة الأطفال 233
- قدح النبيذ 234
- غسل اليدين 235
- إزاحة غطاء الرغيفين 235
- صلوات يوم السبت 235
- مراسيم وداع السبت 236
- عيد الفصح 237
- عيد الأسابيع 244
- مراسيم عيد الأسابيع 246
- عيد المظال 249
- مراسيم عيد المظال 253
- السكن في المظال 255
- العيد والسيناجوج 257
- عيد الشميني عتسيريت والسمحات توراه 259
- عيد رأس السنة 262
- مراسيم عيد رأس السنة 266
- أيام الخشية 269
- يوم كيبور 270
5. مراسيم يوم كيبور 273
- عيد القمر الجديد 279
1. مراسيم عيد القمر الجديد 282
- مراسيم المعبد 284
- عيد البوريم 285
- عيد حنوخا 288

1. مراسيم عيد حنوخا 290
- عيد لاج باعومر 292
- عيد التاسع من آف 295
- عيد العاشر من شفاط 297
- عيد رأس السنة للأشجار 297

الفصل السادس: دورة الحيـــــاة

1. الولادة 299
2. الختان 302
- مراسيم الختان 303
3. تسمية الطفل 307
- مرحلة الشباب
1. سن التكليف ..... 309.
- مراسيم سن التكليف 311
2. الزواج 314
- مراسيم الزواج 318
- الخطوبة 319
- مراسيم الخطوبة 321
- الزفاف 321
- مراسيم الزفاف 322
- القبول الزفاف 323
- الغماق 323
- الخيمة 323
- عقد الزواج 326
- البركات السبع 327
- كسر الزجاج 328
- الخلوة 328
3. الطلاق 329
- أسباب الطلاق 331
- إجراءات الطلاق 332
- وثيقة الطلاق وشروطها 333

- الوفاة 335
1. مراسيم الوفاة 338
2. ساعة الوفاة 339
3. الغسل والتكفين 343
4. الجنازة 344
5. الدفن 345
6. الحداد 348
- فترة الحداد 351
- مراحل الحداد 351

الفصل السابع: التقليـــد القانوني اليهـــودي

- مراحل التقليد القانوني اليهودي 361
1. الفترة التوراتية 363
- التوراة (البنتاتوك) 366
- الخطيئة 371
- إجراءات التقاضي 390
2. الفترة التلمودية 396
- الأدب التلمودي 398
  - فترة التناعيم 398
  - فترة الأمورايم 400
  - فترة السافورايم 401
3. الفترة ما بعد التلمودية 403
- أدب التقنين 403
  - فترة اجاؤونيم 403
  - فترة الريشونيم 405
  - فترة الأحارونيم 408
4. النظم والتشريعات الحاخامية 408
- المنهاج 409
- الرسبونسا 409
- التوسيفتا 410
- المراجع ..... 411 - 447

المقدمة

بعد أن فرغت من إصدار كتابي الأول، «نشأة دولة إسرائيل الثانية»، هالني وجود الكم الهائل من المعرفة، المتعلقة باليهود واليهودية، في كل جوانب الحياة: التاريخية، والدينية، والسياسية، والاجتماعية. دفعني هذا الثراء العلمي والمعرفي عنهم، إلى القيام، وعلى عجالة، بمقارنة بين ما يتضمنه الأدب، عن هؤلاء القوم (اليهود)، وبين ما هو متاح أو متوفر للقارئ اليمني، على وجه التحديد، فوجدت أن ما تعرضه المكتبات الأهلية من أعمال عنهم، لا يكاد يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة، ناهيك عن الفقر الملحوظ، في محتوى ما هو معروض. أما فيما يتعلق بالمكتبات العامة، ومكتبات الجامعات تحديداً، وما تعرضه من أعمال عنهم، فإنها تكاد تخلوا تماماً من أية أعمال. وفي اعتقادي، أن ظاهرة عدم الاهتمام باليهود واليهودية (العدو المزعوم) ترجع إلى عوامل التنشئة الدينية والاجتماعية والسياسية غير الموضوعية، التي خضع لها اليمنيون، خلال عدة أجيال، وربما كان آخرها جيل مؤلف هذا العمل. التنشئة غير الموضوعية هذه، أفرزت أجيالاً بعداء سطحي لليهود واليهودية، وبنفور شديد من الاطلاع عما تزخر به بطون الكتب، وخاصة الموضوعي منها، وهذا ما كشفته دراسات، خبير الدراسات اليهودية، الأستاذ الدكتور أمة السلام محمد جحاف، وخاصة ما تضمنه أحد كتبها بعنوان «أوراق يهودية».

وبالإضافة إلى عامل فقر المكتبة اليمنية، وجدت نفسي مدفوعاً بعامل آخر، لمواصلة الكتابة عن اليهود واليهودية، هذا العامل هو ما أفرزته ثورة المعلومات والاتصالات، من رغبة وتعطش حقيقيين للمعرفة، لدى الأجيال الشابة، تحت سن الثلاثين، فكان القرار، الذي اتخذته هو مواصلة البحث والدراسة عنهم، فكانت الخطوة الأولى، في هذا المشوار العلمي، البدء بدراسة حياتهم الروحية. فإذا كنا نجهل تماماً، كل ما يتعلق باليهود واليهودية، فإن ما يجب البدء به هو تقديم صورة موضوعية، عن كل جانب من جوانب حياتهم، المحكومة دينياً.

وقد يقول قائل، جيد الإطلاع والثقافة، بأن الحياة الروحية -عنوان الدراسة التي بين أيدينا- لا تقتصر فقط على الأمور المحكومة دينياً، بل تتجاوزها إلى ما هو غير ديني. هذا صحيح، وأكد ذلك Young و Koopsen (2006: 4)، ولكنه يصدق على تناول الموضوع في المراحل الحديثة والمعاصرة، وهذا ما سيلاحظه القارئ العزيز، أثناء تصفحه للكتاب. ويمكننا القول، هنا، بأن عنوان الكتاب وُضع تماشياً مع المفهوم الديني والعلمي التقليدي، الذي كان شائعاً لمفهوم الروحي. وعلى الرغم من أن الروح كلمة قديمة الاستخدام، كما هو واضح من ظهورها في آيات كثيرة، في عدد من أسفار التوراة: مزمور (51: 11)، وسفر إشعياء (63: 10و 11)، وسفر صموئيل (16: 13)، وكل ما ينسب إليها، بغرض الوصف، هو صفةً لشئ روحي.

ويختلف المفكرون والعلماء المعاصرون، تبعاً لتوجههم الفلسفي، في تحديد ما هية أو

جوهر الإنسان، فهناك من يرى بأنه كائن مادي، بينما يرى آخرون بأنه كائن روحاني. وبين الطرفين المتعارضين، هناك من المفكرين من يؤكد بأنه يجمع بين الجانب الروحي والجانب المادي، ولا يستقيم أحد الجانبين بدون الجانب الآخر، فهو كل متكامل. واميل، أنا شخصياً، إلى الرأي الوسطي، الذي يجمع بين المادية والروحية، في الإنسان، وفي نفس الوقت، أُغلب الجانب الروحي على الجانب المادي. وبهذا الصدد، هناك تعبير لطيف كتبه Pierre Teilhard de Chardan، ونصه: "إننا لسنا كائنات بشرية في رحلة روحية، ولكننا كائنات روحية في رحلة بشرية» (Young and Koopsen 2006: 3).

وأي ما كان التوجه الفلسفي، فإن هذا الإنسان، الروحي المادي، يتكون من ثلاثة جوانب متداخلة وغير منفصلة، وهي: الجانب الفيزيقي (الجسماني)، والجانب السيكولوجي (النفسي)، والجانب الاجتماعي. ويمكن إدراك هذه الجوانب من خلال: الرؤية المباشرة (الجسماني)، وإدراك السلوك، للجانبين النفسي والاجتماعي، اما الجانب الروحي فيظل مخفياً، ويعد مكوناً جوهرياً في الجوانب الثلاثة (Greenstreet 2006: 8).

ولو تأملنا المكونات الثلاثة السابقة للإنسان، في علاقات التداخل القائمة بينها، لتبين لنا، وبوضوح تام، أن الجانب الروحي وموقعه فيها غير واضح. ولإبراز علاقة التداخل هذه، والموقع الرفيع للجانب الروحي فيها، وضعت (Greenstreet 2006: 9) شكلاً يوضح تلك العلاقة، وذلك الموقع، كما هو مبين في الشكل التالي رقم (1):

الشكل رقم (1)

يبين الشكل موقع الجانب الروحي في مكونات الإنسان

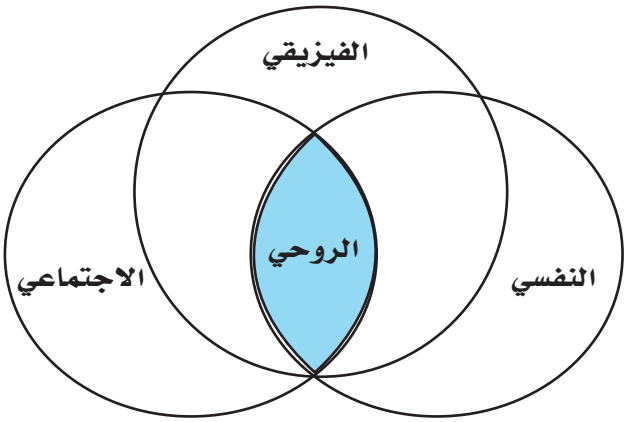

وإذا كانت وظيفة الجانب أو البعد الفيزقي تتمثل في علاقة الإنسان بعالمه الطبيعي، ووظيفة البعد السيكولوجي تتمثل في التفاعل الإنساني، والبعد الاجتماعي يتمثل في العلاقات الاجتماعية، فإن البعد أو الجانب الروحي هو القوة الموحدة داخل الإنسان، والمكملة والمتجاوزة لكل الأبعاد الأخرى. كما يُوصف الجانب الروحي أيضاً، بالوعي بالرب، والاهتمام بمعنى

الحياة، وعلاقة الفرد بالوجود الكلي (Koopsen and Young 2006: 5). وعلاقة الإنسان بربه، هي جوهر الحياة الروحية، فكل ما يقوم به الإنسان، من خلال مكوناته الثلاثة، متعلق وموجه ومحكوم باوامر الرب. وقد لخص Milgram (2004: xy) الحياة الروحية اليهودية، في شكل أكثر تعقيد من الشكل السابق، يتكون من سبع دوائر متداخلة بشكل عمودي، ويحتل مركزها يهوه (الرب)، وذلك على النحو التالي:

- الدائرتان الأولى: كُتب على الدائرة اليمنى: ألسبت الاستراحة المقدسة، وكُتب على الدائرة المجاورة لها: الأيام المقدسة الموسمية.
- الدائرتان التاليتان: كُتب على اليمنى: قراءة التوراة، وعلى الأخرى: العبرية اللغة المقدسة.
- الدائرتان التاليتان، وفي تداخل مع الدائرتين السابقتين: كُتب على اليمنى: إبراز صلوات قلبك، وعلى المجاورة: الوصايا، والعيش بحب واع.
- الدائرة النهائية: وبتداخل مع الدائرتين السابقتين: كُتب في الجهة اليمنى: إحياء العديد من شعائر دورة الحياة، وعلى الجهة الأخرى: أخلاقنا ومعاييرنا المتطورة. أما في ألجزء السفلي من الدائرة، فقد كُتب: نحن شعب ودود.

نظراً لهذا التداخل المعقد للجانب الروحي، وما يقوم به من وظائف، فقد أصبح من الصعب الوصول إلى تعريف واحد له، خاصة أنه، ومنذ مطلع القرن الماضي، قد حظي باهتمام بالغ على المستويين العام والمهني، وتناولته علوم مختلفة (Holmes 2009: 24 و Koopsen and Young 2006: 3). وأكتفت القواميس بوصف المفهوم، بدلاً من تعريفه، وذكرت بأنه كلمة اشتقاقية ذات علاقة بالروح الإنسانية، أو المؤثرة فيها، مقابل الأشياء المادية، أو ذات العلاقة بالدين أو بالاعتقادات الدينية (Greenstreet 2006: 7).

وينبغي الإشارة إلى أن ما أوردته القواميس من وصف لمفهوم الروحي، يخلق مشكلة الثنائية، القائمة على العالم الروحي مقابل العالم المادي، وهي ثنائية تجاوزتها الدراسات الفلسفية، وخاصة فيما يتعلق بالإنسان، وبالحياة الروحية على وجه التحديد. فالحياة الروحية تقوم على عدم التعارض مع الحياة المادية، فمثل هذا الثنائية؛ روحي ومادي، مقدس وعلماني، شخصي واجتماعي، حياة دينية وحياة يومية ليست مقبولة، فالحياة كلها روحية، ولكنها ذات بعدين: مادي وغير مادي، سمات موضوعية وسمات شخصية، عقلاني وباطني أو ديني صوفي (Westerhoff 1994: 2).

ولم تكن هذه الثنائية قائمة في التاريخ اليهودي القديم، ولم تكن قائمة أيضاً، في القرن الخامس للميلاد، الذي برز فيه مفهوم "الروحي" لأول مرة (Ponnumuthan 1996: 47). فقد كانت دلالة هذا المفهوم ذات صلة وثيقة بالدين، ولم تتجاوزه إلى غيره من الممارسات أو الأنشطة. ومع الزمن، تغيرت دلالته، وأصبحت لصيقة بالممارسات أو

الخبرات الروحية، لدى الاتجاه الصوفي القبالي اليهودي، في العصور الوسطى، فظهرت الفروق بين ما هو ديني وما هو روحي، بحيث أصبح هناك من يردد عبارة: أنا روحاني، ولكني لست متديناً.

ولو قمنا بفحص ما ورد في الأدب عن الممارسات الروحية، فإننا سنجدها تتمحور حول مواضيع كثيرة، أبرزها: الصلاة، والمعبد، والثقة بالرب، حب الآخرين، الأكل والوجبة المقدسة، والوصايا، والعهود والمواثيق، والتوبة، والتوراة، والتأمل والتفكير، والسبت، والبركات، تكرار ذكر العبارات المقدسة، والصدقات، واللطف، والاستحمام، والنوم وما يسبقه من صلوات، والطهارة، والزواج، والولادة، والختان، وذكر أورشليم، ومواضيع أخرى كثيرة. وهذه كلها تشبع جوانب الإنسان الثلاثة، المفضية إلى تجسيد علاقة الإنسان بربه، أو البعد الروحي، وهي ما عبر عنه الحاخام Milgram (2004: xii) بالروحانية التطبيقية، التي تجمع بين الروحي والمادي. والنظام الديني الصحي، في رأيه، يدعم الحياة، ويبث فيها المعنى، والكرامة، والمتعة، ويقدم ممارسات اليوم المقدس، وممارسات كل يوم، كما هو مدون في سفر التثنية (6: 7). ويشارك الحاخام Milgram كل من Buxnaum 1996)، الذي يعتبر الصلاة ممارسة روحية، و Strassfeld (2006)، الذي يعتبر اعتناق اليهودية، ممارسة الروحية.

أرجو أن أكون قد وفقت في بيان المقصود بالحياة الروحية، حتى لا يبقى القارئ العزيز حائراً، في تقرير المنظومة الفكرية، التي تعينه على متابعة ما يتضمنه هذا الكتاب. يحتوي الكتاب على سبعة فصول: الفصل الأول، مكرس للحديث عن الشريعة المكتوبة (التوراة)، وعرض مختصر لمكوناتها، وما ورد فيها من تشريعات. وتم في الفصل الثاني، الحديث عن الشريعة الشفهية (التلمود)، التي يعدها اليهود في نفس المكانة المقدسة للتوراة. وتم في هذا الفصل بيان المراحل التي مر بها التلمود حتى اتخذ شكله النهائي، المتداول حاليا.

ولما كانت الديانة أية ديانة، لا تستقيم ولا تكتمل إلا من خلال ما يقوم به الأنبياء والعلماء من أدوار في بيانها وتفسيرها، فقد تم تخصيص الفصول (الثالث والرابع والخامس)، للحديث عن الأدوار الدينية لكل من الأنبياء والكهنة واللاويين وغيرهم. ثم الحديث عن مجمل العبادات؛ من صلاة، وصيام، وحج، وزكاة، وهي لا شك، غاية في الأهمية، وذلك لأنها تعد جوهر الدين والتدين.

وقد تم تكريس الفصل السادس بجزئيه (1، 2) للحديث عن المناسبات والأعياد التي يحتفل بها اليهود ويولونها أهمية عظيمة في حياتهم، ويعرض الفصل السابع دورة حياة اليهودي منذ ولادته حتى وفاته، بينما المراسيم والطقوس لكل مرحلة عمرية يمر بها. أما الفصل الأخير فيتناول بشيء من التفصيل الجوانب القانونية والقضائية، التي تعالج العلاقات البينية وما ينتج عنها من استحقاقات.

أخيراً، أرجو أن أكون قد وفقت، في كتابي هذا، بإعطاء الصورة الدقيقة والموضوعية

للحياة الروحية اليهودية، ودون إسفاف أو تجني. كما آمل أن يسهم، هذا العمل، في تغطية جزء من النقص الموجود في المكتبة اليمنية. وأتوجه، صادقاً ومخلصاً، في خاتمة هذه السطور، بالشكر الجزيل، سلفاً، لكل القراء الكرام، الذين وقع هذا العمل في أيديهم، راجياً منهم، ألا يبخلوا عليَّ بأية ملاحظة، أو تصحيح، أو تعليق، أو اقتراح، أو إضافة، تمخضت عن قراءتهم له، وأن يرسلوها على البريد الإلكتروني، المدون في نهاية الكتاب.

محمد أحمد الخياط

2014م

صنعاء / الجمهورية اليمنية

الفصل الأول
الشـريعة المكتـوبة (التوراة)

تمهيد

استأثرت دراسة بني إسرائيل، خاصة من بعد بعثة سيدنا موسى عليه السلام، باهتمام كثير من المؤرخين ورواة السير. ليس هذا فقط، بل إنهم كانوا محور اهتمام الكتابات البشرية، وشغلوا حيزاً كبيراً من الكتابات السماوية. والملاحظ، أن الاهتمام بهم وبكافة جوانب حياتهم، يزداد قوةً وتركيزاً كلما تقدمت السنون، وكان من المفترض، أن يقل هذا الاهتمام أو يتضاءل مع الزمن.

ولا نعتقد أن إعمال الفكر، والبحث عن الأسباب التي أفضت إلى ظاهرة الاهتمام بهم، من الأمور، التي قد يكون لها التأثير العلمي المطلوب. وما يمكن قوله هو أن بني إسرائيل (تجاوزاً) كانوا، ولا يزالون، يشغلون موقع القلب من دائرة الأحداث الإنسانية. وها هم اليوم يستأثرون ببقعة الضوء، حتى أن عالم اليوم لا يُعرف إلا من خلال ارتباطه أو عدم ارتباطه بهم. فإذا كان هذا هو حال هؤلاء القوم، فهم بالفعل جديرون بالمعرفة، والدراسات العلمية هي الوسيلة المثلى، لتحقيق تلك المعرفة. والمهتم بالدراسات الخاصة باليهود، يجد كماً هائلاً من الدراسات والأبحاث، يعجز عن الوقوف على آخرها. ومع ذلك، وعلى الرغم من هذه الكثرة والتعدد، إلا أن هناك جوانب، حتى وإن كُتب عنها الكثير، فإن المزيد من الكتابة فيها، يُلقي الضوء على أجزاء لم تُكشف بعد، أو أنها لم تقدم الواقع كما هو، دون تدخل من الباحث في تكييف الأحداث، وفقاً لمقتضيات الواقع السياسي؛ سواءً بالمدح أو القدح.

وانظلاقاً من القناعة الكاملة، في الابتعاد عن معادلة المدح والقدح هذه، فإن هذه الدراسة، سوف تقدم الحياة الروحية لبني إسرائيل (اليهود) في ضوء نصوص الشريعة الموسوية، التي يؤمنون بها، وهذا هو بيت القصيد. أما فيما يتعلق، بمدى ممارستهم لها والتزامهم بها، فهذا أمر آخر، وموضوع آخر، يمكن للمهتمين به تناوله إن أحبوا ذلك.

وحتى يمكن للقارئ المتابعة، فإن عليه، وهو يتصفح أوراق هذه الدراسة، العلم بأمرين، : الأمر الأول، يتمثل في أن التوراة تعتبر من بين المصادر، التي عادةً ما يرجع إليها مؤرخو التاريخ القديم. الأمر الثاني، أن هذه الدراسة ستكتب بالمفاهيم أو المصطلحات الشائعة في الأدب الإسرائيلي واليهودي. وتم إيراد هذين الأمرين، حتى نوفر على القارئ مؤونة التساؤل حول، أو التعجب من عدم استخدام الكاتب للمفاهيم أو الكلمات المتداولة في الأدب اليهودي، أو الاستشهاد بالمصادر الدينية الأخرى (غير اليهودية).

وسوف تسير هذه الدراسة، من حيث تناول المواضيع، وفقاً للمألوف في دراسة الحياة

الروحية لأي مجتمع أو أية جماعة، والتي عادة ما تبدأ بالكتاب، والرسول، وحياة ذلك المجتمع أو تلك الجماعة، وفقاً لما أمر به الإله، وسُطر في الكتاب. وسنتناول في دراستنا هذه، التوراة، وتفسيرها (التلمود) فقط، ولن نتعرض لباقي الكتب، التي أنتجها فقهاء وأعلام الدين اليهودي.

وتشكل الأوامر الإلهية، القاعدة أو الأرضية الأساسية، التي تقام عليها الحياة الروحية. وحتى نصل بالحديث إلى هذه الأوامر، كان لا بد من الحديث أولاً عن الإله، ثم عن الرسول، الذي اختاره وأرسله الإله، ثم عن الكتاب، الذي يتضمن ما أراد الإله نقله، إلى من اختارهم لتلقي رسالته. والإله، في هذه الدراسة، هو إله سيدنا موسى، والرسول المختار، هو سيدنا موسى (عليه السلام)، والكتاب هو التوراة، والقوم هم قوم موسى (بنو إسرائيل).

ويعجب المرء كثيراً، عندما يقع في يده كتاباً، ويقرأ فيه كلاماً كثيراً عن إله بني إسرائيل، ويعجب أكثر، عندما يجد الكاتب يتناول هذا الموضوع، بعيداً عما ذُكر في الأسفار المقدسة، ويدعي أن ما كُتب خارج الأسفار هو الكلام الفصل. ونحن هنا، قد استبعدنا هذا النهج، وركزنا الحديث عنه (الإله)، من خلال كلامه هو عن نفسه، أو ما تحدث به نبيه عنه، وهذا هو القول الفصل، ولا يُعتد أو يوثق بغير ذلك. فإله موسى، كما تحدث هو عن نفسه، في كتابه التوراة، هو: الإله، الواحد، الخالق لكل شيء، الملك على كل شيء، المحيي، المميت، وغير ذلك من الصفات والأسماء التي أضفاها على نفسه.

أما الرسول فهو سيدنا موسى (عليه السلام)، رسول الله لقومه، بنو إسرائيل، وسوف يأتي الحديث عنه، وبإيجاز فيما بعد. والكتاب هو التوراة، موضوع هذا الجزء من الدراسة. أما القوم فهم بنو إسرائيل، الذين ينتسبون لسيدنا إبراهيم عليه السلام الموحد لربه، وانتسابهم هذا، يجعل حياتهم الروحية امتداداً طبيعياً، لما كان عليه إبراهيم عليه السلام، وهذا ما سنحاول تتبعه.

إن الله الواحد الأحد، لم يترك الإنسان قط، دون أن يأخذ بيده لمعرفته، حتى يتمكن من تقديم الشكر والعرفان اللائقين به. وتمثلت محبته للإنسان في اختياره لرسل وأنبياء لتبليغه أوامره. وأوامر الله هذه واحدة، لم تتغير ولم تتبدل عبر السنين؛ فكان آدم (عليه السلام) أول المبلغين لأوامر الله، وأوامر الله التي أعطاها آدم هي:

1. لا تتخذ إلهاً غير الرب.
2. لا تقتل.
3. لا تسرق.
4. لا تزن.
5. لا تجدف اسم الرب.
6. لا تأكل لحماً من حيوان على قيد الحياة.

وكان ما كان من قصة سيدنا آدم، المعلومة للجميع. وبعد أن خرج من الجنة واستعمر الأرض، كانت هذه الأوامر، هي الفارق بين المتقين الذين عاشوا وفقاً لها، والمارقين الذين عاشوا خلافاً لمقتضياتها. وبتقادم السنون، عم الفساد الأرض، وكثرت الرذيلة، فغضب الله من مخالفة الناس لأوامره، فقرر إهلاك من على الأرض. ولما كان سيدنا نوح (عليه السلام)، وهو الجيل التاسع بعد آدم، حاضراً وعاملاً بأوامر الله، اختاره الله، وأعطاه سبعة أوامر لهداية الناس، وهذه الأوامر هي:

1. لا تتخذ إلهاً غيري.
2. لا تقتل.
3. لا تسرق.
4. لا تزن.
5. لا تجدف اسم الرب.
6. لا تأكل لحماً من حيوان على قيد الحياة.
7. أقم سلطة عادلة لتطبق القوانين الستة السابقة.

والأوامر السبعة السابقة، هي نفس الأوامر المعطاة لسيدنا آدم، مع إضافة أمر سابع، والذي يقضي، كما هو واضح من سياقه، بإقامة هيئة عادلة تضمن تطبيق أوامر الله. ونظراً لجحود الناس وعدم طاعتهم والتزامهم بأوامره، التي أعطاها لسيدنا نوح، كان أن حق عليهم الهلاك، فأهلكهم الله ومن على الأرض بالطوفان، وقصة الطوفان معلومة للجميع.

وظل سيدنا نوح عليه السلام يعمل بهذه الأوامر، طيلة حياته المديدة، التي بلغت تسعمائة وخمسين عاماً، وحرص على أن يُلزم بها أهله والناس أجمعين. إلا أن العصيان والفساد والجحود والخروج عن تعاليم الله، عاود للظهور من جديد، حتى بلغ ذروته زمن النمرود؛ ملك الدولة السومرية، الذي اعتبر من أوائل البشر، الذين أوجدوا الأوثان، وعملوا على عبادتها. والنمرود هذا، وغيره أمثال تارح والد سيدنا إبراهيم (عليه السلام)، من نسل حام بن نوح. وكان تارح من سكان الدولة السومرية، ومن حاشية النمرود الملكية، وكبيركهنة الدولة، وأعظمهم شأناً ومقاما. كما كان أمهر نحاتي زمانه؛ فقد كان أمهرهم في صناعة الأوثان أو الأصنام، على وجه الخصوص. رزق تارح بمولود، هو سيدنا إبراهيم عليه السلام. لم يعش سيدنا إبراهيم في موطن والده، المليئ بعبادة الأوثان، كثيراً، بل تركه في باكر أيامه. ثم عاد إليه وهو في العقد الخامس من العمر. وحدثت، بعد عودته إلى مملكة النمرود، قصته المشهورة مع الأصنام، ومع النمرود، وخروجه بأهله إلى كنعان تنفيذاً لأمر الله.

ولما كان هَمُّنا، هنا، هو تتبع نواحي العبادة، قبل بعثة سيدنا موسى عليه السلام، فإننا لن نخوض كثيراً في تفاصيل حياة سيدنا إبراهيم، وذلك لذيوعها ومعرفة وإلمام القراء الأكيدة بها. رزق سيدنا إبراهيم بالذرية، التي كان من بينهم سيدنا يعقوب (إسرائيل) عليه السلام.

وظلت الدعوة لنبذ عبادة غير الله، والعمل بما جاء في الأوامر السبعة، السابقة الذكر، قائمة فيهم، ليس هذا فحسب، بل كانت هذه الأوامر متضمنة في الصحف، التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله؛ فقد "أنزل على آدم عشر صحائف، وعلى شيس خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف (المحامي 2003: 21 - 22).

وحمل الأمانة، من بعد سيدنا إبراهيم، ولده سيدنا يعقوب، الذي عمل على إقامة دعوة الله بين أهله وأبنائه الإثنى عشر (بنو إسرائيل)، الذين كان من بينهم يوسف عليه السلام -وقصة يوسف معلومة أيضاً للجميع- الذي انتقلت إليه أمانة إقامة شرع الله. وبعد موت سيدنا يوسف،

> آل الأمر إلى الأسباط، كثروا، ونموا، وظهر فيهم ملوك فغيروا سيرتهم، وأفسدوا في الأرض، وفشا فيهم السحر، والكهانة. فبعث الله تعالى إليهم موسى بن ميشا رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله، وأداء فرائضه، وإطاعة أوامره وإقامة شرائعه ... فأطاعه قوم منهم وعصاه آخرون (المحامي 2003: 62 - 63).

واستمرت أحوال بني إسرائيل ما يقرب من مائتي عام، تتأرجح بين عصيان بعضهم، والتزام البعض الآخر، بما أمر به الله في الصحف المنزلة إلى أنبيائه ورسله، وعلى وجه الخصوص، صحف إبراهيم عليه السلام. وكانت حياتهم، في مصر الفرعونية، تتحكم بها أهواء الوزراء ونوابهم، فلما

> هلك "بلاطس" الوزير، وقام من بعده في الوزارة كاهن يقال له: "أملاد" فأمر بإفراد بني إسرائيل ناحية في البلد .. بحيث لا يختلط بهم غيرهم. فأقطعوا موضعاً في قبلي مدينة "منف" صاروا إليه، وبنوا فيه معبداً كانوا يتلون به صحف إبراهيم عليه السلام (المقريزي 1997: 59).

ومع ذلك، فقد عاشوا، تحت حكم الفرعون، حياة انتزعت فيها عزتهم، وأهدرت فيها كرامتهم، وأُذلوا واستُعبدوا حتى بلغوا أقصى مراحل الذل والاستعباد. هذه كانت هي الفترة الزمنية، التي صدقت عليها نبوءة سيدنا يوسف عليه السلام، فهي الفترة المبشرة بالخلاص، الفترة المبشرة بمجيء النبي، الذي سيخلص بني إسرائيل من هول ما هم فيه. وحدث في هذه الفترة، أن وُلد سيدنا موسى عليه السلام، وتحققت بمولده نبوءة سيدنا يوسف عليه السلام، التي أخبر بها قبل وفاته، عندما

> جمع إليه قومه من بني إسرائيل وهم ثمانون رجلاً، وأعلمهم بحضور أجله، ونزول أمر الله تعالى به، فقالوا: يا نبي الله نحب أن تعرفنا كيف تتصرف الأحوال بعد خروجك من بين أظهرنا، وإلى ما يؤول

إليه أمرنا وديننا وملتنا ؟ فقال: لهم إن أمركم يستقيم على ما أنتم عليه، وتستقيمون على دينكم، إلى أن يبعث رجل جبار عات من القبط يدعي الربوبية، فيقهركم، ويذبح أبناءكم، ويستحي نساؤكم، ويسومكم سوء العذاب، فتمر أيامه مدة مديدة. ثم يخرج من بني إسرائيل من ولد لاوي بن يعقوب رجل اسمه موسى بن عمران، رجل طويل أجعد الشعر، أدم اللون، فينجيكم اللّٰه من أيدي القبط على يده (المحامي 2003: 61).

شكل مولد موسى عليه السلام فزعاً مزدوجاً، عليه ومنه؛ فزعاً من جهة أمه وأهله عليه، وفزعاً منه في قصر الفرعون، حيث بدأت حياته ونشأته. وقصته (سلام اللّٰه عليه) معلومة للجميع، فقد بدأت بالتبني، وانتهت بالمواجهة بينه وبين فرعون، حتى أخرج قومه من مصر، وسار بهم في اتجاه الأرض المقدسة، التي لم يبلغها. وفي طريقه إلى الأرض المقدسة، كانت هناك معالم ومواضع دينية فارقة في تاريخ بني إسرائيل. وأبرز هذه المعالم والمواضع هي سيناء، التي تسلم فيها سيدنا موسى، توراة اللّٰه ووصاياه العشر، في اللوحين المقدسين. من هنا، ومن سيناء، بدأت الحياة الروحية لبني إسرائيل، تتشكل و تتحدد وتتضح ملامحها. وأول ملمح من ملامح هذه الحياة، هو وجود الإطار المقدس، الذي يجمع بين بني إسرائيل، ليس باعتبارهم جماعة عرقية، ينتمون إلى جد واحد فقط، هو إسرائيل، بل إضافة إلى ذلك، باعتبار إنهم كلهم ينتمون إلى شريعة واحدة، تُعرف بهم ويُعرفون بها؛ إنها شريعة موسى عليه السلام، القائمة على ما أوحى به اللّٰه إليه (التوراة)، وحياته بينهم، التي تعينهم على فهم ذلك الوحي.

وتعتبر شريعة موسى، من أقدم الشرائع السماوية ذات الكتاب، ولذا سُمي أتباعها أهل كتاب، ومعنى ذلك، أن أخلاقهم، العامة والخاصة على السواء، ينبغي أن تكون وفقاً لما نص عليه كتابهم، ولما صدر عن نبيهم، ولما علمه واستنبطه فقهاؤهم وعلماؤهم. وبناء عليه، فكل ما يصدر عنهم يحكَّمُ من قبل هذا الكتاب (التوراة)، فإن تطابق معه، شُهد لهم بالتقوى، وإن شذ عنه، وُصفوا بالمارقين المنحرفين. والتوراة، التي تقوم على أساسها الشريعة، هي أيضاً، مصدر هام للوعي الديني لديهم (عبد المقصود 2002: 13). وقبل الخوض في طبيعة التوراة ومحتواها وتنزيلها، وما شابه ذلك من الأمور، فإنه لا بد من الوقوف، على ماهيتها ومعناها.

التـــــوراة

ماهية التوراة

تعتبر التوراة، في نظر اليهود، أول مخلوق خلقه الله، وهي وسيلته في خلق الكون، فقد كان "(عقيبا) يقول: إن أداة الله في خلق العالم هي التوراة، أو أسفار موسى الخمسة، وأن لكل كلمة ولكل حرف من هذه الأسفار المقدسة معنى (خفيا)، وقوة خفية"، (سعفان 2000: 43)، ومن أجلها خلق الله الدنيا (عبد المقصود 2002: 13). وقد تمت الإشارة سابقاً، إلى أن الله قد أرسل رسله وأنبياءه إلى الناس، كي يبعدهم عن عبادة سواه، ويجنبهم عبادة الأوثان، وهذا هو مضمون التوراة، التي أنزلها على موسى، فهي تقوم في الأساس، "على جوهر فكرة وحدانية الرب، ورفض عبادة الأصنام، أو أي أرباب أخرى"، (عثمان 2002: 61).

معنى وتسمية التوراة

يجد المتتبع لمعنى التوراة، أن لها معان كثيرة ومتعددة، وهي وإن بدت مختلفة ظاهرياً، فإنها تصب في بوتقة واحدة. ويرجع الاختلاف الظاهري لمعانيها، في الأساس، إلى اختلاف رؤى وخلفيات وتوجهات، وصلة أو عدم صلة من يقوم بتعريفها بالتوراة ذاتها؛ فمنهم من يعطيها معنىً حرفياً ولغوياً، ومنهم من يعطيها معنىً اصطلاحيا، ومنهم من يمنحها معنىً دلاليا، وهناك من يجمع بين ذلك كله. وفي السطور القليلة التالية، سنقف على بعضٍ من تلك المعاني أو التسميات.

اقتضت العادة العلمية، أن يبدأ الباحث بتعريف المفاهيم والمصطلحات، التي سيستخدمها في دراسته، ليسهل تواصله مع القارئ، حتى وإن كان الباحث يعتقد، أن ما يريد تقديمه من مفاهيم ومصطلحات معلومة. وفيما يتعلق باليهودية عامة، وبما تتضمنه من مفاهيم ومصطلحات، وإن كان البعض يعتقد بأنها معلومة، إلا أن الواقع يؤكد عكس ذلك، فالكثير من القراء يجهلون، لسبب أو لآخر، الكثير عن هذه الديانة. لذا كان التعريف بمفاهيمها ومصطلحاتها، من الأمور التي تفرضها، ليس الضرورة المنهجية فقط، بل والضرورة المعرفية.

والمهمة الأولى في تحديد المعاني، كما عُرف في الأدب، هو ذكر المعنى اللغوي، ثم المعنى الاصطلاحي، لأي موضوع يستدعي التعريف. والمعنى اللغوي للتوراة (أسفار موسى الخمسة) يتضح تماماً إذا ما عدنا إلى جذر الكلمة (توراة)، وهذا ما ذكره Jacobs (1984: 19) بقوله:

> إن جذر الكلمة هو يارا (yara)، وتعني "يرمي"... عندما يرمي المرء نحو الهدف، فإنه يحاول توجيه السهم، وهكذا، فإن معنى جذر كلمة توراة هو "الاتجاه الصحيح"، ومن ثم فمعنى الكلمة هو "تعليم" أو "نظرية" أو "قانون".

ومعنى التوراة، هنا، لا تعني كل الأسفار، بل تقتصر على أسفار موسى الخمسة، وهذا ما أكده Scharfstein (1999 : 144) بقوله: "التوراة هي الاسم العبراني للأسفار الخمسة الأولى من التوراة، وتعني بالعبرانية "التعليم" و "القانون""، ويطلق اليهود على أسفار موسى كلمة خمسة، "إذ أن أي كتاب يحتوي فقط على التوراة يطلق عليه أحياناً خمسة" (Segal 2008 : 21). وتسمية التوراة بالخمسة، له علاقة بالنور الذي خلقه الله، "فقد جاءت هذه التسمية استناداً إلى ظهور كلمة "نور" خمس مرات في سفر التكوين (قال الله ليكن نور فكان نور)، (ورأى النور انه حسن، وفصل الله بين النور والظلام) (وسمى الله النور نهاراً)" (كوهن 2005 : 2003).

أما معنى التوراة بكل أسفارها، والتي تحتوي على أربعة وعشرين سفراً، بما في ذلك أسفار موسى الخمسة الأولى (التوراة)، هو ما يطلق عليه اليهود التاناخ (Perlman 2008 : 11). والتاناخ هي الأحرف الأولى لأجزاء التوراة العبرانية، حيث "يطلق على التوراة العبرانية تاناخ، المأخوذة من الأحرف الأولى للأسماء العبرانية، المحددة لأجزائها الرئيسية الثلاثة : توراة (القانون) الأنبياء (Nevi'm) والكتابات (Ketubim)" (Mansoor 1991 : 33). واليهود لا يفضلون تسمية توراتهم بأية تسمية أخرى؛ كالكتاب المقدس، مثلاً (Bible) لأنها أتت من اللغة اليونانية (biblia) بمعنى الكتب (Schreiber 1998 : 49)، ولا تعبر بدقة عن توراتهم. ومن الكلمات التي تطلق على التوراة، مثلاً : البنتاتوك (Pentatichues) وهو مصطلح إنجليزي، قائم على الكلمة اليونانية، الدالة على الخزانة المحتوية على خمسة كتب (Sperling 1998 : 2)، ولكنها، أيضاً، لا تعبر بدقة عن التوراة.

أما من الناحية الاصطلاحية، فهناك معان وتسميات عديدة للتوراة، تعطي بعداً أوسع للمعنى اللغوي السابق، ومن الكتَّاب من عمل على بيان معناها، من خلال وضع عبارات مختصرة، تعبر بصدق عنها، ومنهم من أسهب في تفصيل ما يقدمه من تعريف، كما سيتضح. ومن المعاني، التي وُضعت على شكل عبارات مختصرة للتوراة، يمدنا Silver (1990 : 4)بستة معان منها، وهي:

- المطويات.
- كتب موسى الخمسة.
- جزء من التوراة.
- تاريخ شعبنا.
- القانون اليهودي.
- دليل للحياة اليهودية.
- وصايا الرب.
- شجرة الحياة.

وهي أيضاً:

- الهداية والإرشاد.
- ميثاق الله على بني إسرائيل، (واين 2004: 9 و الموسوعة الفلسطينية 1984: 589 و عرابي 2004: 321).

ويذكر Schreiber (1998: 49) أيضاً، أن التوراة تسمى بأسماء مختلفة، ومن هذه الأسماء: النصوص المقدسة، وكتاب الكتب، والتوراة، والوحي الإلهي. ومن بين الأسماء التي ذكرها Schreiber للتوراة، العهد القديم، وهي التسمية التي أطلقها لأول مرة بولص الرسول، في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس (الموحي 2007: 97). واليهود لا يقبلون بأن تسمى التوراة بهذا الاسم، لأن ذلك يعني، أن هناك عهد جديد، جاء بعد توراتهم، فتجاوزها أو أضاف إليها، وهذا ما لا يؤمنون به، فتوراتهم خالدة أبدية، وليست بحاجة إلى تعديل أو إضافة.

أما الجهود الأخرى، لعلماء ومفكرين آخرين، في تعريف التوراة تعريفاً اصطلاحياً، فتتركز في قولهم، مثلاً: بأنها التوجيه والإرشاد، أو المخزون المعرفي، أو نبع المعرفة، أو التاريخ المقدس، أو تعليم الحكمة الإلهية، أو مسئولية اليهود في تنفيذ كلمة الرب. ومن يطلع على الأدب اليهودي، سيلمس بأن المعنى الكلي للتوراة، يختزل في أمر واحد، غاية في البساطة والتعقيد في آن واحد، وهو العمل على ضبط السلوك العام والخاص، وفقاً لمقتضيات الإرادة الإلهية، وإن تعددت وتنوعت المعاني المعطاة. وكلما تقادم باليهود الزمن، كلما كانت حاجتهم أكثر لجهود العلماء والفقهاء، في بيان كلمة الرب المضمنة في التوراة. فقديماً كانت التوراة، في الحياة العامة، تُفهم بأنها الموجه اليومي المباشر لسلوك الأفراد، صغاراً وكبارا؛ فقد كانت

> تعني التعاليم المعطاة من الأم (أمثال1: 8 و 6: 20 و 31: 26) والأب... لأبنائهما لتوجيههم لأمور العيش ولتحذيرهم من المواقف الخطرة القاتلة ... إن كلمة التوراة تتضمن المعلومة، والنصيحة، والتوجيه، وتحديد المعايير، والطلب والتشجيع، والوصية مع بيان الفائدة (Crusemann 1996: 1).

ولا يعني هذا، أن التوراة قد فقدت معناها المباشر، بل إن تراكم الأحداث وتغير الظروف والأحوال، عبر مراحل تاريخية مختلفة، قد زاد في تعقيد الحياة، الأمر الذي أدى إلى ظهور مستجدات كثيرة، كان لا بد فيها من رؤى فقهية معاصرة. فتضاعفت جهود العلماء والفقهاء، من أجل استنباط ما يتوافق مع تلك المستجدات، فأصبح لديهم (اليهود) كماً فقهياً ضخماً، يوجه ويحكم سلوك الأفراد والجماعات، دون إلغاء أو التقليل من أهمية وقدسية التوراة، فهي، عندهم، نبع المعرفة (Amram 2009: 11)، ومخزون الحكمة الذي لا ينضب.

ووفقاً لمجريات الأحداث التاريخية، أصبحت التوراة تعني مجمل التاريخ المقدس، لبني إسرائيل عامة واليهود خاصة، وما بني عليه من شروح ونقاشات وأحكام وتعليقات، من يوم بعثة سيدنا موسى، وحتى يومنا هذا، باعتباره (التوراة) نسقاً مفتوحاً قابل للإضافة والمراجعة. ومن هذا المنطلق، تصبح مسألة إعطاء التوراة معنىً محدداً، مسألة تفتقر إلى الكثير من الوضوح والكمال، بل والموضوعية أيضاً. وإجمالاً يمكن القول، "إن التوراة لا يمكن تعريفها بعبارة مختصرة" (Lazowski 2004: 26). وعلينا الابتعاد ما أمكن، عن كل ما يساهم في إعطاء صورة غير دقيقة لها، واليهود عندما يريدون تعريف التوراة بمعناها الواسع، فإن ما يطرحونه من تعريف "يشير إلى مجمل المعرفة اليهودية المقدسة، المتجذرة في التوراة "(Sperling 1998: 11). ولا يقصد بالتوراة، هنا، الأجزاء الثلاثة المدونة فقط، بل يضاف إليها التراث الشفوي، الذي سنتحدث عنه لاحقاً، لأنه جزء هام في بيان وإيضاح كلمة الرب، "إنها تشير، إلى كل شروح وإضافات وتطبيقات التوراة، التي حدثت عبر القرون ... إنها تشير إلى أي تعليم للحكمة الإلهية، وكل ما يمكن أن يكون مستخلصاً من كلمة الرب (Wylen 2000: 16). وهذا عين ما أكده Pasachoff (1986: V) بقوله: "إن التوراة هي كلمة الرب الأولى والأخيرة ... إنها القوة الدافعة لكل من التقليد المستمر للنص المقدس وشرحه، والقانون، والرسبونسا، والحكايات والأمثال المتواصلة حتى يومنا هذا".

ولما كان الكون، عندهم، يقوم على ثلاثة أعمدة، فإن معنى التوراة، هو أيضاً ثلاثي الأبعاد، ومفاده: الإيمان بالوحي، والاسترشاد به، والمهمة الملقاة على عاتق اليهود. ويتضح ذلك جلياً من خلال ما أعطاه Neusner (1974: 27) من معنى للتوراة، فهو يقول:

> إن التوراة تعني ثلاثة أشياء: الأول، الإيمان الكامل بالتماثل بين الوحي الإلهي والحياة الدنيوية، وبين السماء والأرض. والثاني، التأكيد على استمرار دراسة الوحي كوسائل لفهم كل ما يحدث، ودليل لكل ما يجب فعله. الثالث، الثقة بأنه ومن خلال الثقة المطلقة بالتوراة ينفذ اليهود إرادة الرب وهدف كل من الطبيعة والتاريخ.

وعليه، فلا تزال التوراة، كما كانت في العصور القديمة، تقوم بنفس الدور من الإرشاد والتوجيه للسلوك، وهو الجزء الثاني من تعريف Neusner السابق الذكر. كما تعتبر السجل القديم، الذي يمكن لرجال القانون العودة إليه (Amram 2009: 11). وبعبارة أخيرة وموجزة، التوراة هي: "كلمة متعددة الأبعاد والدلالات والمعاني، فهي تشتمل على التعاليم والأحكام الدينية، كما تشتمل أيضا، على قواعد السلوك بين الناس، وعلى مجموعة من القوانين وأنماط الحياة، كما أنها أيضا، كتاب التشريع والأناشيد". (عبد المقصود 2002: 13).

كيفية تلقي موسى للوصايا العشر وللتوراة

لقد كرم الرب سيدنا موسى عليه السلام بحمل الرسالة، واصطفاه من بين بني إسرائيل لإنقاذهم وهدايتهم. واقتضت إرادة الله، أن تتضمن هذه الرسالة محتوىً مكتوباً، فكان أن استدعى الله موسى، للصعود إلى جبل سيناء، وهناك أعطاه الوصايا العشر، في لوحين حجريين، وكان ذلك في الشهر الثالث، من زمن خروجه ببني إسرائيل من مصر. ويطلق على هذين اللوحين اسم "لوحا الشهادة". وعندما رجع موسى إلى قومه، وجدهم قد ضلوا، وذلك بأن صنعوا صنماً (عجلاً) بأيديهم وعبدوه، فتملكه الغضب من فعلتهم تلك، فرمى اللوحين من يده، فتحطما، والقصة معلومة للجميع. وكان أن أعطاه الله لوحين آخرين، بدلاً عنهما. والوصايا العشر المدونة في لوحي الشهادة هي:

1. أنا هو الرب إلهك. لا يكن لك آلهة أخرى تجاهي.
2. لا تحلف باسم الرب إلهك باطلاً.
3. أذكر يوم السبت لتقدسه.
4. أكرم أباك وأمك.
5. لا تقتل.
6. لا تزن.
7. لا تسرق.
8. لا تشهد على قريبك شهادة زور.
9. لا تشتهي امرأة قريبك.
10. لا تشتهي مقتنى قريبك.

وبقراءة الوصايا العشر، يصل المرء إلى نتيجة واحدة، مؤداها: أن هذه الوصايا تمثل جوهر الإيمان، ويلاحظ من تسلسلها أنها، من حيث تحديد علاقة الإنسان بخالقه وبمن حوله، تتخذ شكلاً هرمياً غاية في الدقة والإتقان، فتبدأ بتحديد علاقة الإنسان بخالقه، ثم علاقته بأقرب الناس إليه، وأخيراً علاقته بالمجتمع. ولهذا، فإنها توصف، بأنها درة التاج في تكوين الشخصية الإسرائيلية، وأن صياغتها بضمير المخاطب، يكسبها قوة إلزامية عالية (عبد المقصود 2002: 14). وليس هناك خلاف في الرؤى أو الاعتقادات، حول طبيعة هذه الوصايا العشر، بين رجال الدين، أو بين المفكرين الدينيين. كما أن المتأمل لمحتواها، يجد أنها امتداداً طبيعياً لقوانين نوح وصحف إبراهيم، فقد تضمنت بالفعل خمسة من تلك القوانين.

كان ذلك فيما يتعلق بالألواح الحجرية (لوحا الشهادة)، أما فيما يتعلق بالتوراة وكيفية تلقي موسى لها، فالموقف مختلف تمام الاختلاف، وفيه جدل كبير بين الحاخامات، وكذا بين المفكرين الدينيين، فهناك من يقول، بأن التوراة قد أُنزلت جملة واحدة، وهناك من يقول،

بأنها لم تنزل جملة واحدة، وإنما أُعطيت، في البداية، على شكل لفائف منفصلة، تم جمعها في كتاب واحد، دون إخلال أو إيجاز في النص (كوهن 2005: 204)، وأن سيدنا موسى كان يكتبها اولاً بأول. وعلى الرغم من أن هذا الخلاف حقيقي وقائم، إلا أن التلمود قد حسم هذا الخلاف، فبين أن سيدنا موسى تسلم التوراة في السماء وليس في الأرض،

> يروي التلمود أنه عندما صعد موسى إلى السماء لتسلم التوراة، تضرع الملائكة لربهم: "لا تُعطي التوراة للفانين، إنهم غير قادرين على الالتزام به، دعه هنا عندنا".
>
> فسأل الرب موسى "أيمكنك دحض حجتهم ؟"
>
> فكان جوابه، بأن سأل الملائكة: "يقول التوراة 'لا تشتهي زوجة جارك' هل هذا ينطبق عليكم ؟"
>
> أجاب الملائكة "لا".
>
> استمر موسى قائلاً: "يقول التوراة، 'لا تسرق هل ينطبق هذا عليكم ؟"
>
> أجاب الملائكة "لا".
>
> وبإيضاحه للملائكة بأن قوانين التوراة لا يمكن أن تنطبق عليهم، تمكن موسى من أن يجلب معه التوراة إلى الأرض (Twerski 2009: 13).

محاولات تصنيف التوراة

رأينا عند عرضنا لمعنى التوراة، أن هذا الكتاب المقدس يتكون من ثلاثة أجزاء، هي: التوراة، والأنبياء، والكتابات. وهو التقسيم الأبرز والأكثر تداولاً، إلا أن هناك من الكتَّاب من يحاول إعادة التقسيم، ليكسب الكتاب، تقريباً، مظهراً جديداً، أو ما شابه ذلك. منهم من أفلح في تقسيمه، ومنهم من وصل إلى نفس التقسيم الشائع، ولكن بعد جهد. ويمكن أن نعرض في السطور القليلة التالية بعضاً من هذه المحاولات.

عند رجاء عرابي (2004: 322- 324)

تتألف التوراة من تسعة وثلاثين سفراً، مقسمة إلى ثلاثة أقسام (حسب الترجمة البروتستانتية)، وذلك على النحو التالي:

القسم الأول: ويتألف من خمسة أسفار هي:

سفر التكوين Genesis، سفر الخروج Exodus، سفر اللاويين Leviticus، سفر العدد Numbers، سفر التثنية Deuteronmpne وقد أطلق على هذه الأسفار الخمسة الأولى، اسم كتب موسى الخمسة، وهذه الأسفار تعود إلى عهد النبي موسى عليه السلام.

القسم الثاني: يسمى هذا القسم الأنبياء، وينقسم بدوره إلى مجموعتين:

- المجموعة الأولى: الأنبياء المتقدمين، وتحتوي على ثمانية أسفار؛ وتبدأ هذه الفترة من دخول يوشع فلسطين حتى تدمير المعبد.

- المجموعة الثانية: الأنبياء المتأخرين، وتحتوي على أربعة عشر سفراً.

القسم الثالث: ويسمى الكتابات والأشعار، ويتألف من اثني عشر سفراً.

في قاموس الكتاب المقدس (2005: 468)

قسم اليهود أسفار التوراة إلى ثلاثة أقسام:

(أ) التوراة أو الناموس، وهي أسفار موسى الخمسة.

(ب) الأنبياء، وينقسمون إلى قسمين: الأنبياء المتقدمين، وهي أسفار يشوع والقضاة، وسفرا صموئيل، وسفرا الملوك (وكل من الأخيرين اعتبرا سفراً واحداً)، ثم الأنبياء المتأخرون، وهم: اشعياء وارميا وحزقيال، والأنبياء الاثنا عشر الصغار (وقد اعتبرت أسفارهم سفراً واحداً)، ومجموع عدد هذه الأسفار ثمانية.

(ج) والقسم الثالث هو الكتب. وعدد أسفاره أحد عشر سفراً وهي المزامير والأمثال وأيوب والنشيد والجامعة وراعوث والمراثي واستير، ودانيال ثم عزرا ونحميا كسفر واحد، وسفرا الأخبار كسفر واحد. ومجموع عدد هذه الأسفار أربعة وعشرون سفراً. ثم عاد اليهود وأضافوا سفر راعوث إلى القضاة، ومراثي ارميا إلى سفر ارميا، فصار عدد الأسفار القانونية 22 سفراً فقط، بعدد حروف الأبجدية العبرية. ويؤكد كوهن (2005: 203) أن يشوع يوافق على هذا التعداد للأسفار، التي تشكل في مجموعها التوراة.

عند عجاج نويهض (1990: 319- 327)

عرض نويهض تقسيم أسفار التوراة، التي سماها أسفار التوراة، في ثلاثة أقسام:

- الأسفار التاريخية: وتتكون من سبعة عشر سفراً، تبدأ بسفر التكوين، وتنتهي بسفر استير.

- الأسفار الشعرية: وتتكون من خمسة أسفار، تبدأ بسفر أيوب، وتنتهي بسفر نشيد الإنشاد.

- أسفار الأنبياء: وتتكون من سبعة عشر سفراً، تبدأ بسفر إشعياء، وتنتهي بسفر ملاخي.

وهناك أسفار لم تضمن في التوراة، وهي ما يطلق عليها بالأسفار المخفية، وهذا ما أشار إليه وافي (2004: 24) بقوله:

وبجانب الأسفار التي يتألف منها التوراة في نظر اليهود، توجد أسفار يهودية قديمة أخرى لم يدخلها اليهود في أسفار هذا العهد. ويطلقون عليها اسم "الأسفار الخفية" وبعض الأسفار الخفية غير مقدس ولا معتمد في نظر اليهود، بينما بعضها الآخر مقدس أي معترف بأنه موحى به ومعتمد في نظرهم، ولكن رأى أحبارهم وجوب إخفائه، وقرروا أنه لا يجوز أن يقف عليه الجمهور ولا أن يدرج في التوراة.

عند ريجسكي (2002: 8)

يجري تقسيم الكتب في التوراة إلى ثلاث فئات:

- الشريعة.
- الأنبياء (نابييم). يندرج فيه ستة عشر كتاباً يفترض أن مؤلفيها ستة عشر من الأنبياء القدامى، ضمن هذا الباب أيضاً، يندرج ما يسمى بالكتب التاريخية (وهي كتب القضاة وكتب الملوك وعددها أربعة، وكتابا أخبار الأيام، وكتاب عزرا، وكتاب نحميا.
- الأسفار (كتوبيم). يضم هذا الجزء بقية كتب التوراة، وهي ذات مضمون متنوع.

كتبة التوراة

إن الاختلاف بين الجماعات اليهودية شديد للغاية، فيما يتعلق بعدد الأسفار المقدسة، وكذا بكيفية النظر إلى آياتها، فمنهم من يقرها كاملة، دون أي استثناء يذكر، ومنهم من لا يعترف سوى بالأسفار الخمسة الأولى (أسفار موسى الخمسة) فقط، ولكل جانب مبرراته، التي يسوقها ليدعم موقفه. وبغض النظر عن الاختلافات القائمة، فإننا سنعرض هنا، الموضوع كما هو، دون إغفال لذكر مواطن الاختلاف والاتفاق. فمن المعلوم أن الله قد بعث في بني إسرائيل أنبياء كثر، وذلك لكثرة العصيان والزيغ فيهم، كما تقول التوراة. وانطلاقاً من تلك الرؤيا، فإن من هؤلاء الأنبياء من جاء بأسفار، ومنهم من لم يأت بأسفار، كما سيتضح ذلك فيما بعد، وعليه، فإن كتابة التوراة لم ينفرد بها نبي واحد، بل توزعت بين كثير من الأنبياء.

ولما كان سيدنا موسى عليه السلام، أول أنبياء بني إسرائيل العظام، الذي اختاره الله واصطفاه لإنقاذ بني إسرائيل، وهو الذي كرمه الله بكلامه ورسالته، وأعطاه الألواح والتوراة، فهو أول من قام بكتابة؛ الأسفار الخمسة الأولى، وهذا ما أكدته التوراة (تث 31: 24- 26) ونص الآية هو:

﴿(24) فعندما كمَّل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها، (25) أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلاً:

(26) خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم، ليكون هناك شاهداً عليكم.﴾

وبعد أن أتم سيدنا موسى عليه السلام كتابة التوراة، نسخ منها اثنتي عشر نسخة. أكد ذلك المقريزي (1997، 23) بقوله:

> وموسى (عليه السلام)، لما أعطاه الله التوراة موعظة وتفصيلاً لكل شيء، أفرز "سبط لاوي" الذي هو منهم لحمل التوراة، يَعرفونها، ويُعَرِّفونها. وكتب منها ثلاث عشرة نسخة، وضع نسخة في التابوت، وسلم لكل سبط نسخة للتذكر.

ومن بعد سيدنا موسى، مرت كتابة التوراة بمراحل كثيرة، تعدد وتنوع فيها الكتبة، فقد "بلغ عدد الكتاب الملهمين، الذين كتبوا الكتاب المقدس، أربعين كاتباً. وهم من جميع طبقات البشر، بينهم الراعي والصياد وجابي الضرائب والقائد والنبي والسياسي والملك" (قاموس الكتاب المقدس 2005، 762).

ويفصل كوهن (2005، 205) كتبة التوراة، تفصيلاً دقيقاً، بحيث بين كاتب كل كتاب من كتب التوراة، وذلك على النحو الآتي:

1. موسى: كتب كتابه، الرواية المتعلقة ببلعام، وأيوب.
2. يشوع: كتب كتابه، والآيات الثماني الأخيرة من سفر تثنية الاشتراع (موت موسى).
3. صموئيل: كتب التقاة، وسفر راعوث.
4. داود: كتب المزامير بالتعاون مع عشرة من القدماء وهم:
   - آدم (المزمور 139).
   - ملك صادق (المزمور 110).
   - إبراهيم (المزمور 89).
   - موسى، وهامان (مزمور 88).
   - يدوتون (مزمور 39، 62).
   - عساف (مزمور 73، 83).
   - أبناء (كوري) الثلاثة (مزمور 42، 49).
   - إرميا (ألف الملوك والموائي).
   - إشعيا (الحكمة، ونشيد الإنشاد، وسفر الجامعة).
   - رجال الكنيس الصغير (حزقيال، الاثنى عشر، دانيال، إستير).
   - عزرا (حوليات الأنساب) ولم ينته منه وأنهاه نحميا.

ويمكن تصنيف كتبة التوراة أو أسفار التوراة (كما يرى لورانس) في أربع فئات، وذلك وفقاً لما أجمع عليه النقاد، منذ عهد استروك، وهو أن هذه الأسفار كتبت من قبل أربع فئات

معينة، لكل منها مدرستها وعصرها، وقد أطلق على كل منها، تسمية تميزها عن سوها؛ وهي:
الفئة الأولى: سميت باليهوائية، لاصطلاحها على تسمية الخالق "يهوه"، وزعمها أن كائناً يدعى كذلك منذ القدم، ويوافق ظهورها القرن التاسع قبل الميلاد، وينسب إليها سير الأنبياء.
الفئة الثانية: سُميت بالألوهيمية، لزعمها أن الخالق كان يدعى قبل عهد موسى "أُلهيم"، وظهرت للوجود بعد زمن قصير من ظهور "اليهُويست" أي اليهوائية السابقة، واختصت – أيضا- بسير الأنبياء الأولين.
الفئة الثالثة: تسمى بالتثنوية، نسبة إلى سفر التثنية، والذي اختصت بكتابته، ولها آثار ظاهرة، في عمليات التصليح والتنقيح في الأسفار الأخرى، وساهم أفرادها في الإصلاحات، التي أدخلت على الديانة اليهودية في عهد "يوشيا". وظهرت للوجود عام 622 ق.م.
الفئة الرابعة: تسمى بمدرسة الكهنوت، وهي التي أوجدت ما يسمى بقوانين الكهنوت، تحت إشراف النبي حزقيال. (عرابي 2004: 335).

وتم جمع أسفار التوراة (التوراة) بكاملها، وتمت صياغتها الصياغة النهائية، بعد فترة السبي البابلي، أي مع بداية القرن الخامس قبل الميلاد، وقد قام بجمعها على هيئتها الحاضرة عزرا الكاتب، وعاونه في مهمته هذه رجال المجمع الكبير (قاموس الكتاب المقدس 2005: 467، وعثمان 2002: 198)، إلا أن Perlman (2008: 11) يقول: "يخبرنا العلم بأن التوراة قد جمعت بشكلها الحالي، في القرن الرابع قبل الميلاد".

وينبغي الإشارة إلى أن عدداً كبيراً، من بني إسرائيل، قد شارك في كتابة التوراة، وأنهم لا ينتمون إلى فئة أو جماعة بعينها، بل يتوزعون على مختلف الفئات والطبقات الاجتماعية، ويذكر قاموس الكتاب المقدس (2005: 762) هذا الأمر، بشيء من التفصيل، فقد جاء فيه:

> ويبلغ عدد الكتاب الملهمين الذين كتبوا الكتاب المقدس أربعين كاتباً.
> وهم من جميع طبقات البشر بينهم الراعي والصياد وجابي الضرائب
> والقائد والنبي والسياسي والملك الخ ... واستغرقت مدة كتابتهم ألفاً
> وست مئة سنة وكان جميع هؤلاء الكتاب من الأمة اليهودية.

لغة كتابة التوراة

إن الحديث عن التوراة كثير ومتعدد، يجده المرء في كثير من الكتابات القديمة والحديثة، وهناك متخصصون فيها، وفي لغتها، وتركيب تلك اللغة، وما شابه ذلك من القضايا المتعلقة بالتوراة. إلا أن الملاحظ، أن اللغة التي كتب بها سيدنا موسى الأسفار الخمسة الأولى للتوراة، غير معلومة، وليس هناك من تحدث أو أشار إليها، بشكل يجعلنا خارج دائرة الشك ،في قبول ما يقوله الكتاب بهذا الصدد، كالقول بأن لغة التوراة كانت العربية الفصحى، أو لغة القرآن الكريم. إن الخوض في مسألة لغة التوراة، من الأمور التي لا يجب الخوض فيها، دون

بحث جاد وعميق، ولكن دعونا، ولو لبرهة يسيرة، نستخدم ترف المنطق، وإعمال العقل، من الواقع المكتبي وليس الميداني. منطلق حديثنا أو نقاشنا ، هنا، هو أن هناك أقوال كثيرة، حول لغة التوراة القديمة (لغة توراة سيدنا موسى)؛ فهناك من يرى، بأنها كُتبت بالآرامية، وهناك من يرى، بأنها كُتبت بالعبرية، وهناك من يرى، بأنها كُتبت بالعربية. وكل هذه الآراء تحاول جاهدة، أن تقدم الحجج لدعم موقفها، وهي كلها محاطة بالشك، ولم يستطع أصحابها رفع يقين القارئ.

إننا نعلم بأن سيدنا موسى، عليه السلام، ولد ونشأ في مصر الفرعونية، ليس هذا فحسب، بل إنه نشأ في البلاط الفرعوني، ولم يمكث بين اهله طويلاً، حتى يتمكن من لغتهم. ولنسلم جدلاً، أن فترة إقامته بين أهله، قد مكنته من تعلم لغتهم، إلا أن لغة أهله لم تكن اللغة العبرية، ويشاركنا قناعتنا هذه حامد (2009: 23) بقوله:

> لسنا نشك أن "بني إسرائيل" لم يتحدثوا اللغة العبرية إبان إقامتهم في أرض مصر، فهذا أمر يكاد يجمع عليه الباحثون. لأن معرفة بني إسرائيل بهذه اللغة يؤرخ لما بعد الخروج من مصر وإبان استقرارهم في أرض فلسطين (كنعان).

أي أنهم كانوا يتحدثون باللغة الهيروغليفية، لغة المصريين. وسيدنا موسى، الذي نشأ في بلاط الفرعون، "لا جدال أنه كان يتحدث لغة المصريين بطلاقة، رغم أصله العبراني" (حامد 2009: 24). وهذا يجعلنا أمام عدد من الفرضيات، وهي:

1. أن سيدنا موسى قد تلقى الألواح والتوراة باللغة المصرية القديمة.
2. أن سيدنا موسى قد تلقى الألواح والتوراة باللغة العبرية.
3. أن سيدنا موسى قد تلقى الألواح والتوراة باللغة الآرامية.
4. أن سيدنا موسى قد تلقى الألواح والتوراة باللغة العربية.

والآن دعونا نناقش، وبطريقة أكاديمية، هذه الفرضيات. مؤدى الفرض الأول: هو أن سيدنا موسى، عليه السلام، قد تلقى الألواح والتوراة باللغة المصرية القديمة. وهذا الافتراض يمكن أن يكون مقبولاً، والسبب في ذلك يعود إلى ما بيناه سابقاً، والدال على إمكانية تحدث بني إسرائيل، باللغة المصرية القديمة. وعليه تصبح وسيلة نقل الرسالة السماوية إليهم (اللغة المصرية القديمة)، مفهومة ولا تحتاج إلى مجهود إضافي.

أما الافتراض الثاني فمؤداه: أن سيدنا موسى، عليه السلام، قد تلقى الألواح والتوراة باللغة العبرية. ومساحة الشك في هذا الافتراض كبيرة الاتساع؛ خاصة إذا ما علمنا أن بني إسرائيل لم يتحدثوا باللغة العبرية، إلا في فترة متأخرة، واللغة العبرية لم تظهر بهذا الاسم، إلا بعد السبي البابلي (ولفنسون : 78). ويؤكد ذلك سوسة (611) بقوله:

> يتفق الباحثون على أن الموسويين بعد أن استقروا في أرض كنعان

> في القرن الثالث عشر قبل الميلاد أخذوا بالثقافة الكنعانية وبحضارتها بما في ذلك اللغة الكنعانية التي كان يتكلم بها أهل البلاد ولم تكن قد تكونت لغة عبرية بعد. ولا شك أن لغة هؤلاء الموسويين عندما جاؤوا إلى كنعان كانت اللغة المصرية.

وعليه فلا يمكن أن تكون اللغة العبرية لغة التوراة، الموحى بها لموسى.

الافتراض الثالث، هو أن اللغة التي كُتب بها أصل التوراة كانت الارامية. هذا الافتراض غير مقبول من حيث المبدأ، والسبب في ذلك بسيط للغاية، وهو أنه عندما تقرر ترجمة التوراة، فإن ترجمتها كانت إلى عدد من اللغات، من بينها كانت اللغة الآرامية. فإذا سلمنا جدلاً بأن أصل التوراة قد كُتب بالآرامية، فما الداعي لترجمتها إلى اللغة الآرامية. وعليه، فلا يمكن أن تكون اللغة الآرامية هي لغة التوراة الأولى.

الافتراض الرابع والأخير هو: أن سيدنا موسى، عليه السلام، تلقى الألواح والتوراة باللغة العربية. إن تلقي سيدنا موسى للألواح وللتوراة باللغة العربية أمر ممكن، وذلك لأنه تلقاها من الخالق العظيم، الذي إن شاء، فليس لإرادته حدود. ولكن الأمر القابل للنقاش والجدل هو إن كان سيدنا موسى قد تلقى بالفعل الألواح والتوراة باللغة العربية، فهل كتبها باللغة العربية ؟، وليس هناك من الدراسات ما يؤكد هذا. وإذا كان قد كتبها باللغة العربية، فكيف يمكن لقومه أن يعلموها، وهم لا يتحدثونها ؟. إذن، إن إمكانية أن تكون اللغة العربية هي لغة التوراة الأولى، أمر مستبعد كذلك، وذلك لأن "أول ترجمة إلى العربية، جرت بعد انتشار الإسلام، في العصر العباسي الأول، أو عند منصرم الفترة الأموية، ولا توجد قرائن عن وجود ترجمة عربية للتوراة سابقة للإسلام" (ديب 1985 : 26).

وبعد استعراض ومناقشة الافتراضات السابقة، لا بد من الإشارة، إلى أن لغة كتابة أصل التوراة غير معلومة بدقة، وما يقرأُه أبناء الديانة اليهودية في توراتهم، مأخوذ عن نسخ من الأصل، وليس الأصل. وقد جاء في قاموس الكتاب المقدس (2005 : 763) ما نصه :

> أوحى الله بكلمته إلى أنبياء. ورسل نطقوا بها حسب اصطلاح اللغات البشرية. فكان الكاتب الملهم إما أن يكتب بنفسه ما يوحى به إليه وإما أن يمليه على كاتب يكتبه له. إلا أنه لم يصل إلينا بعد شيء من النسخ الأصلية التي كتبها هؤلاء الملهمون أو كتابهم. وكل ما وصل إلينا هو نسخ مأخوذة من ذلك الأصل.

إذن، ليس أمامنا بد، من تجاوز الحديث في هذا الموضوع، وقبول التوراة بأول لغة معلومة كُتبت بها.

لقد تمت الإشارة سابقاً، إلى أن اكتمال كتابة وصياغة التوراة، قد حدث بعد السبي البابلي، وعلى يد عزرا الكاتب، وباللغة العبرية. ويؤكد هالي، بأن أسفار التوراة (التوراة) قد

كُتبت بالعبرية، ما عدا شيئاً قليلاً، من سفري عزرا ودانيال قد كُتب بالآرامية، وكانت الكتابة بخط اليد (نويهض 1996 : 332)، ويؤكد Mansoor (1991 : 33) ما أورده هالي بقوله :

> إن اللغة التي كتبت بها التوراة (عدا أجزاء دانيال وعزرا التي كتبت بالآرامية) هي اللغة العبرانية التقليدية، والآرامية القديمة، المنتمية إلى نفس العائلة، كاللغة العربية والآرامية والسيريالية Syriac والأُجارتية Ugaritic. وهذه اللغة كانت لغة حديث أفراد النخبة حتى القرن الثالث قبل الميلاد، ومن بعد ذلك اقتصر استخدامها على الصلاة والأعمال الأدبية.

ويوافق قاموس الكتاب المقدس (2005 : 763) على هذا الرأي. ثم كُتبت التوراة بأكملها باللغة العبرية. وترجع أقدم المخطوطات للتوراة باللغة العبرية، إلى القرن العاشر الميلادي، وبقيت واحدة من هذه المخطوطات، في حلب، لفترة طويلة من الزمن، كما توجد مخطوطة أخرى، في لينجراد، وهي باقية هناك حتى يومنا هذا.

وفيما يتعلق بالتوراة الحالية المتداولة بين اليهود، فهي مأخوذة من النسخة الماسورية؛ والنسخة الماسورية هذه، قد تم إعدادها من قبل جماعة من علماء اليهود في طبرية، ابتداءً من القرن السادس، إلى القرن الثاني عشر للميلاد (قاموس الكتاب المقدس 2005 : 763).

إذن، لدينا الآن، مجموعة من الحقائق الخاصة بالتوراة، وهذه الحقائق، نستنبطها مما تم استعراضه في السطور القليلة السابقة، وهي:

1. أن هناك عدد من كتبة التوراة.
2. أن اللغة، التي كُتب بها أصل التوراة (أسفار موسى الخمسة) غير معلومة، على وجه اليقين.
3. أن التوراة قد كُتبت باللغتين العبرية والآرامية.
4. أن جمع وتصنيف التوراة، قد تم في عصر متأخر نوعاً ما، بعد السبي البابلي.

وعلى الرغم من قلة عدد هذه الحقائق، إلا أنها قد تدفع البعض إما إلى التساؤل عن مدى صحة نقل آيات التوراة كما أنزلت، وإما التشكيك المباشر في صحتها.

ترجمة التوراة

أدى توراي اللغة العبرية عن الاستخدام في الحياة اليومية، خاصة بالنسبة لعامة اليهود، الذين كانوا يتعاملون بلغة القوم، الذين حلوا بينهم، إلى ضرورة ترجمة التوراة، إلى لغات تلك الأقوام. فتم ترجمتها إلى عدد من اللغات، أبرزها اللغة اليونانية. ولم تتوقف ترجمة التوراة، بل استمرت لفترة طويلة من الزمن، تجاوزت ألألفين وخمسين سنة. "والتوراة من أكثر الكتب المعروفة ترجمة إلى لغات أخرى، فقد ترجمت بكاملها إلى 253 لغة مختلفة،

بينما ترجمت بشكل جزئي إلى 1457 لغة أخرى" (ديب 1985: 5). وسوف نشير إلى بعض من هذه الترجمات، وذلك على النحو التالي:

الترجمة الأولى (الترجمة السبعينية) .. تُرجمت التوراة، لأول مرة، من اللغة العبرية إلى اللغةالإغريقية، وذلك في القرن الثالث قبل الميلاد، في الإسكندرية، أيام حكم بطليموس الثاني، الذي وجه بترجمتها، وشكل لهذا الغرض لجنة، مكونة من اثنين وسبعين عضواً، من مشائخ وعلماء وفقهاء اليهود الملمين باللغتين الآرامية والإغريقية -ولا يعني هذا أن التوراة قد كُتبت بالآرامية، بل كُتبت بالعبرية، وقليل منها بالآرامية- وحدد عددهم على أساس، ستة فقهاء من كل سبط، من أسباط اليهود الاثنى عشر (وافي 2004: 19). فقامت هذه اللجنة بترجمة التوراة إلى اللغة الإغريقية، وسُميت هذه الترجمة بالترجمة السبعينية، نسبة إلى عدد مترجميها. "ويوجد منها اليوم أجزاء تبلغ 200 مخطوطة، في مختلف متاحف العالم" (ديب 1985: 23).

ويبدو أن الترجمة السبعينية هذه قد تمت على مرحلتين: الأولى، كانت ترجمة أسفار موسى فقط. والثانية، أسفار التاناخ كلها. وهذا ماأشار إليه Mansoor (1991: 25- 35)، في معرض حديثه عن ترجمة التوراة، حيث ذكر بأن العلماء اليهود، الذين تم استدعاؤهم لترجمة التوراة العبرية، قاموا فقط، بترجمة التوراة (القانون)، التي تم ترجمتها إلى اللاتينية (nitaL). أما أسفار الأنبياء والكتابات، فقد تُرجمت إلى الإغريقية. ويستشهد بالمشناه، بقوله: "يقول مبحث الكتبة 1: 7 في المشناه، أن الترجمة السبعينية هي عمل خمسة مترجمين؛ عمل كل واحد منهم، على ترجمة سفر واحد من البنتاتوك (القانون)".

الترجمة الثانية (الترجمة البابلية) .. تمت ترجمة التوراة في بابل، ولهذا سميت بالترجمة البابلية، وقام بالترجمة أونكلوس (Onkelos) من العبرية إلى الآرامية، وقد قبله اليهود هناك لترجمة البنتاتوك فقط (Mansoor 1991: 58).

الترجمة الثالثة (الترجمة الفلسطينية) .. تمت ترجمة التوراة من العبرية إلى الآرامية في فلسطين، بعد مرحلة السبي البابلي، حيث بدأت شفوية، ثم تلى ذلك الترجمة المكتوبة، والتي يُعتقد بأنها كانت في القرن الأول للميلاد (roosnaM 1991: 75).

الترجمة الرابعة (الترجمة السداسية) .. وهي الترجمة، التي قام بها عالم لاهوتي من الاسكندرية، اسمه أوريجين (Origen)، في حوالي العام 230 للميلاد، وكان يعمل في مدينة قيصرية في فلسطين، إذ حاول،بمفرده،أن يفصل في أمر تعدد النصوص والترجمات والاختلافات

بينها، فكتب خلال عشر سنوات التوراة بكاملها، على أوراق كبيرة، تحمل ستة أعمدة متقابلة (وقد أطلق عليها اسم هيكزابلا (Hexapla) أي السداسية)، وفيها على التوالي، وبشكل متقابل، النص العبري، ثم النص العبري نفسه، لكن بالأحرف اليونانية، محاولة منه المحافظة على طريقة النطق بالعبرية، ثم ترجمتان معمول بهما في ذلك الزمن، ثم الترجمة السبعينية، ثم ترجمة أخرى، من وضعه هو (ديب 1985 : 25).

الترجمة الخامسة (الترجمة السيرايكية) .. في منطقة سيراي (Syria)، الواقعة في الجزء الشمالي الغربي للعراق، وهي منطقة متهودة، تم في القرن الأول الميلادي ترجمة التوراة، إما من العبرية أو السبعينية. وقد أصبحت التوراة بهذه الترجمة، هي التوراة الرسمية للمسيحيين المتحدثين بالسيرايكية، وكذلك للنسطوريين في العراق وفارس (Mansoor 1991 : 59).

الترجمة السادسة (ترجمة بعض المتهودين) .. قام كل من أكويلا (Aquila) وثيودوتيان (Theodotian)، في القرن الثاني الميلادي، بترجمة التوراة من الأصل العبراني، بدلاً عن الترجمة السبعينية. وكانت ترجمتهما ترجمة حرفية، ولكن الأخير تميز بجودة عالية. ثم قام سيماخوس (Symmachus)، مع نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث، بترجمة التوراة من الإغريقية، وذلك لأن لغته الإغريقية كانت جيدة (Mansoor 1991 : 55).

الترجمة السابعة (الترجمة اللاتينية) .. كانت الترجمة إلى اللاتينية، في القرن الثاني للميلاد، في البداية، شفوية، ثم أصبحت في القرن الثالث مكتوبة (Mansoor 1991 : 60-61).

الترجمة الثامنة (الترجمة العربية) .. إن أقدم ترجمة للتوراة إلى اللغة العربية، كانت إبان حكم هارون الرشيد. "فقد ذكر ابن النديم أن أحمد بن عبد الله بن سلام الإنجيلي، هو" الذي ترجم التوراة، من اللغة الآرامية إلى اللغة العربية، وكانت هذه الترجمة ترجمة حرفية. ونقلاً عن المسعودي، فهناك ثلاث ترجمات للتوراة إلى اللغة العربية: قام بالترجمة الأولى حنين بن اسحاق النسطوري، الذي ترجمها من اليونانية. وقام بالترجمتين الأخريتين كل من: " أبو كثير المتوفى عام 932م، ويوسف الفيومي المتوفى عام 943م" (عرابي 2004: 329 - 330)، "ثم قام بعده "يافث بن علي"، وهو يهودي من القرائين، بترجمته إلى العربية في القرن العاشر للميلاد، وبعدهما قام "أبو سعيد أبو البركات" بترجمته إلى العربية في القرن الثالث عشر للميلاد" (ديب 1985 : 26).

الترجمة التاسعة (الترجمة البروتستانتية والترجمة الكاثوليكية (عرابي 2004: 330).. وهاتان الترجمتان، هما للتاناخ العبراني والإنجيل معاً. قام بالترجمة الأولى (البروتستانتية الأمريكانية)، في بيروت، لجنة مكونة من ستة أعضاء، برئاسة جورج بوست. وأصدرت اللجنة التوراة عام 1865. وقام بالترجمة الثانية (الكاثوليكية)، في بيروت، الآباء اليسوعيين. وتم إصدار التوراة عام 1880. وتعتبر هاتان الترجمتان،الأكثر تداولاً بين المسيحيين العرب. وتُرجمتا عن اللغات اليونانية والكلدانية والآرامية. وهناك ترجمة ثالثة، قام بها فارس شديقان عام 1851، ولكنها مُنعت من التداول، نتيجة اعتناق المترجم للإسلام.

وينبغي، في ختام هذا الجزء من الدراسة، التنويه إلى أن ترتيب الترجمات من الأولى إلى السابعة، لا يعني ترتيباً زمنياً، بأي حال من الأحوال، بقدر ما هو ترتيب توضيحي لا أكثر.

صحة التوراة

إن تاريخ بني إسرائيل تاريخ طويل، وكثير التعقيد، وطبيعة تعقيده تكمن في أمور كثيرة، منها: قساوة الظروف والمحن، التي تعرضوا لها، وكثرة الأنبياء، الذين ظهروا فيهم، وظهور أنبياء كذبة، وتعرض التوراة نفسها للضياع، والاعتماد، ولفترة طويلة من الزمن، على الترديد الشفوي للأسفار، ووجود الخلاف بين بني إسرائيل أنفسهم، حول أي الأسفار الواجبة الاتباع والتصديق، وكذا تعدد الترجمات، والاعتماد على نسخ، وليس على الأصل، الذي كان يكتبه الكتاب، ويؤكد ذلك، ما ورد في قاموس الكتاب المقدس (2005: 763)، القائل:

> كان الكاتب الملهم إما أن يكتب بنفسه ما يوحي به الله وإما أن يمليه على كاتب يكتبه له. إلا أنه لم يصل إلينا بعد شيء من النسخ الأصلية التي كتبها هؤلاء الملهمون أو كُتابهم. وكل ما وصل إلينا هو نسخ عن ذلك الأصل. ومع أن النساخ قد اعتنوا بهذه النسخ اعتناء عظيماً فقد كان لا بد من تسرب بعض السهوات الإملائية الطفيفة جداً إليها.

كل هذا، يجعل من الوقوف على صحة التوراة، أمراً غاية في الأهمية والحيوية.

وينبغي ألتنويه، إلى أن الخوض في مسألة صحة التوراة، ليس عملاً تتفرد به هذه الدراسة، بل على العكس من ذلك تماماً، فهناك دراسات كثيرة، تناولت هذا الموضوع، إلا أن كثيراً من هذا الكثير، قد ذهب بعيداً، ولم يتمتع بالموضوعية والإنصاف، بالحد الكافي. فهناك من الكتاب من يؤكد على صحة مجمل التوراة، وأن التحريف أو التزوير لم يصل إليها. ومن الكتاب من يرى أو يقول بصحة التوراة، التي كُتبت في بابل، وعلى وجه التحديد الخمسة الأسفار الأولى (أسفار موسى)، ومع ذلك، فهم يرون، أن من قام بكتابة التوراة، لم يكن أميناً في الكتابة، ووظفها لخدمة أغراض معينة، وذلك حين راجعوا صياغتها، بحيث تتضمن تعاليمهم الجديدة

(عثمان 2002: 198). ومن الكتاب أيضاً، من يعتقد، أن التوراة كلها ليس لها علاقة بالدين، ناهيك عن الحديث، عن مدى التحريف أو التزوير فيها.

ويدعم المقريزي (1997 :110) موقف النوع الأول من الكتاب، الذين يقولون بصحة التوراة وعدم تحريفها، إذ يرى، بأن التحريف حدث في التلمود، عندما قام أكابر بني إسرائيل، بتفسير المشنا كما يرون هم، وذلك بقوله:

> قام طائفة من اليهود يقال لهم: "السنهدرين" ومعنى ذلك: الأكابر. وتصرفوا في تفسير هذا المشنا برأيهم، وعملوا عليه كتاباً اسمه "التلمود" أخفوا فيه كثيراً مما كان في ذلك المشنا وزادوا فيه أحكاماً من رأيهم ... وصاروا منذ وضع هذا "التلمود" الذي كتبوه بأيديهم، وضمنوه ما هو من رأيهم ينسبون ما فيه إلى الله تعالى، ولذلك ذمهم الله في القرآن الكريم في الآية (79) من سورة البقرة.

ولنا رأي في ما ذهب إليه المقريزي بشأن المشناه، سيدركه القارئ أثناء قراءته.

وإذا ما حاولنا، أن نجمع الكتَّاب والمفكرين والعلماء، الذين أكدوا عدم أمانة كتبة التوراة، فإنهم وبالإجماع، لا يدعمون دعواهم تلك، بأية إشارة، إلى النسخة الأصلية للتوراة، أو للنص الذي وقع عليه التغيير، أو أغفله الكتبة أو تعمدوا إخفاءه، أو تزويره، بتعبيرهم، وهذا ما دعا العلامة عبد الصبور شاهين، في كتابه (أبي آدم)، إلى مطالبتهم بإبراز الأصل، أصل التوراة، حتى تتأكد عملية التزوير. كما نجد، أن هناك من المفكرين من يرى، بأن التحريف كان جزئياً، فعبد الواحد وافي (2004: 19) عند حديثه عن ترجمة التوراة (الترجمة السبعينية)، لم يذكر أن التحريف قد مس الأسفار الخمسة الأولى (أسفار موسى)، التي يجمع عليها كل اليهود، وإنما ذكر أن هناك غياب لبعض الأجزاء، من الأسفار الأخرى، وذلك بقوله: "وتشتمل الترجمة السبعينية على أربعة عشر سفراً، لا توجد في الأصل العبري، الذي وصل إلينا". كما حدد هذه الأسفار، بأنها تبدأ بسفر طوبيا، وتنتهي بسفر بل والتنين، مع وجود بعض الزيادات (وافي 2004 :20). ليس هذا فحسب، بل إنه لم يشر قط، إلى أن الترجمة الثانية (اللاتينية)، قد أظهرت تحريفاً أو زيادة أو نقصان للأسفار الخمسة الأولى، بل تحدث عن أسفار أخرى غيرها، وهذا هو النوع الثاني من الكتاب.

أما النوع الثالث من الكتاب، فهم الذين يؤكدون، بأن التوراة، التي بين أيدينا اليوم، ليست كتاباً دينياً، وليست كتاباً سماوياً، ولكنه كتاب، وُضعت فيه خلاصة القهر والاضطهاد والمعاناة، التي تعرض لها المسبيين في بابل، وخاصة رجال الدين، الذين قاموا بكتابته بأيديهم، و نسبوه إلى موسى، لإعطائه صفات القدسية، والتسليم المطلق لأوامره، التي هي في الحقيقة أوامرهم هم ورغباتهم، لذا، فقد أتت معبرة عن هدفين أساسيين:

1. ربط هذه المجموعة من الناس، بغاية وهدف هو أرض فلسطين، ومن هنا، جاءت الأحداث كلها، تدور حول هذا المحور.
2. التأكيد على نقاء هذه المجموعة، ولتكون أطروحاتهم منسجمة مع ظروف السبي، وأكثر قبولاً اعتبروا أنفسهم "شعب الله المختار" فسنوا القوانين والتشريعات، القاضية بالحفاظ على هذا "النقاء" خاصة بالابتعاد عن الزواج من الأجنبيات. (السعيد 1988، ط2: 36).

ويقول ديب (1985: 4)، الذي ينتمي إلى القائلين، بأن التوراة ليست كتاباً دينياً، بل كتاباً تاريخياً، ما نصه:

> أما التوراة، الذي نعرفه باسم التوراة، أي الكتاب المقدس اليهودي، فهو بالواقع كتاب تاريخ يشمل فترة لا تقل عن ألفي سنة سبقت الميلاد ونشوء المسيحية، ومؤلفوه مجهولون في أغلب الأحيان وهم موضوع تخمين يفتقر إلى التوثيق الأكيد والنهائي وقد حرِّر في معظمه بعد سنوات عديدة، قد تبلغ مئات السنين، بعد وقوع الأحداث الموصوفة فيه.

وظل الخلاف والتشكيك محتدماً، بين الفرق القائلة بالتحريف، وتلك التي تنفي التحريف، وكان العثور على مخطوطات البحر الميت، بمثابة الفرج المنتظر، لبيان صحة ما ينسب إلى التوراة من تحريف، خاصة وأن هذه المخطوطات نتاج جماعة منشقة عن غالبية اليهود، في حينه. وهناك أخبار تؤكد، بأن الحكومة الإسرائيلية استطاعت، أن تحصل على كل هذه المخطوطات، بعد أن كانت تحت السيطرة العربية. كما أن هذه المخطوطات وترجمتها، قد أصبحت بحكم المحظور نشره وتداوله. ويفاجأ المرء، عندما يطلع على تحليل المفكر والمؤرخ الكبير أحمد عثمان (2002: 71- 72)، بأن هذه المخطوطات تتطابق في بعض منها مع ما هو مكتوب في التوراة، وذلك عندما قال: وُجد أن هذه النصوص تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

> 1. كتب توراتية تتضمن نسخاً من جميع كتب التوراة –عدا سفر أستير- يتفق بعضها مع النص العبري المازوري الذي كُتب في بابل، وتستخدم ترجمته الآن لدى جميع الطوائف اليهودية ومعظم الطوائف المسيحية، ويتفق البعض الآخر مع الترجمة اليونانية المعروفة بـ"النص السبعيني" الذي كتب في الإسكندرية واستعمله يهود المهجر وجميع الكنائس المسيحية حتى القرن العاشر الميلادي، بينما يختلف البعض الآخر مع هذين النصين كليهم. ووجد بينها ما يتفق مع التوراة التي يستخدمها أهل السامرة،

وهكذا تبين أنه –خلال القرن الثاني قبل الميلاد- كان هناك أكثر من روايتين لكتب التوراة، وإن كانت غالبية الخلافات الموجودة بين هذه النصوص ما هي إلا خلافات شكلية بسيطة، إلا أن هناك بعض الخلافات الجوهرية وبعض الزيادات أحيان.

أما القسمين الأخيرين فليسا بالأهمية ذاتها، وهما: 1) كتب دينية قصصية. 2) كتب عن حياة جماعة كهوف قمران.

ويمكننا، أن نقرأ من النص السابق، أن هناك نوعان من الاختلاف، حول مدى يقينية نصوص التوراة: النوع الأول، إجماع اليهود على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم وطوائفهم، على دقة النص التوراتي، وإن وجد اختلاف فيه، فإن هذا الاختلاف شكلي وبسيط. النوع الثاني، أن الاختلافات الجوهرية لا تكمن في النصوص التوراتية، بل في تفسير الكهنة لهذه النصوص. وقد اعتبر يهود قمران، الذين لهم تفسيراتهم الخاصة، هؤلاء الكهنة فاسقين ومزورين، وهذا ما أكده عثمان (2002: 72) بقوله: "وواضح أن تفسيراتهم لكتب التوراة، وحتى لكتب توراة موسى الخمسة نفسها، تختلف اختلافاً جوهرياً، في بعض الحالات، عن تفسيرات الكهنة اليهود".

أسفار التــوراة

تم، في الصفحات السابقة، استعراض جانبٍ من الحياة الروحية لبني إسرائيل، قبل بعثة سيدنا موسى عليه السلام، ثم بعضاً من جوانب التوراة، الكتاب المقدس، الذي أُوحي به إلى سيدنا موسى. ونظراً لما للتوراة من أهمية بالغة في ذاتها، ككتاب مقدس، ولضرورة معرفة بعض القراء، الذين لا يمكنهم الإطلاع على محتوياتها، حتى يتمكنوا من تكوين صورة عامة ودقيقة، للحياة الروحية لليهود، كان لا بد من تخصيص جزء من الدراسة، بغرض عرض محتوياتها.

ولما كان الهدف هو إعطاء صورة عامة، فسوف يتم استعراض أسفار التوراة، وبشيء من الإيجاز الشديد، وبوضوح كاف، للجوانب التشريعية، الواردة في كل سفر، على اعتبار، أن هذه التشريعات تشكل المرجعية، التي تسير الحياة الروحية لليهود وفقاً لها.

وقبل البدء باستعراض أسفار التوراة، كان لا بد من وضع بعض الحقائق عنها، وذلك على النحو التالي:

1. تتكون التوراة من تسعة وثلاثين سفراً، كما سبق ذكره.
2. إجمالي عدد إصحاحات أسفار موسى الخمسة الأولى هو 187 إصحاحاً.
3. عدد إصحاحات باقي الأسفار هو 589 إصحاحاً.
4. أسفار موسى الخمسة هي الوحيدة المحتوية على التشريعات.

5. يبلغ عدد مزامير أيوب 150 مزموراً.
6. نبوءة عن أدوم.
7. يبلغ عدد آيات التوراة 300.000 آية.

وبعد إبراز هذه الحقائق، دعونا نعرض ما في متن أسفار وإصحاحات وآيات هذا الكتاب، معتمدين في ذلك، على النسخة العربية، الصادرة عن دار الكتاب المقدس، الطبعة الثالثة، لعام 2005م، وذلك على النحو التالي، مع العلم، أن ما سيتم عرضه، لا يغني قط عن النص الأصلي:

أولاً.. أسفار موسى الخمسة

قد يقول قائل، لم يستعرض الكاتب هذه الأسفار، وهي موجودة في التوراة، ومن أراد الاطلاع عليها فاليفعل. التساؤل مشروع وطيب، ولكن ما دعاني لهذا الاستعراض، هو أن قراءة المسلم العادي (غير الباحث)، لم يجزه كثير من العلماء، وقصروا الاطلاع على التوراة للباحثين فقط، من هذا المنطلق، كان لابد للكاتب من الاستعراض الموجز لها.

تسمى أسفار التوراة تسميات متعددة، وفقاً للغة المستخدمة، فتسميتها باللغة العبرية مثلاً هي: السفر الأول، بِرِشت، وتعني "في البداية"؛ والسفر الثاني، شيموت، وتعني "الأسماء"؛ والسفر الثالث، فايكرا، وتعني "الرب ينادي"؛ والسفر الرابع، بمدبار، وتعني "في الصحراء"؛ والسفر الخامس، دفاريم، وتعني "الكلمات" (Segal 2008: 22- 23). أما تسميتها المتداولة حالياً فهي: سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاويين، وسفر العدد، وسفر التثنية، وهذه التسميات أتت من الترجمة اليونانية، المسماة بالترجمة السبعينية (Wylen 2000: 16). وسوف يتم استعراضها بصورة مختصرة- كما تمت الإشارة إلى ذلك مسبقاً- وبأسمائها الأخيرة، وذلك على النحو التالي:

السفر الأول .. سفر التكوين

يروي سفر التكوين قصة خلق الله للكون، ويبين تفاصيل الأحداث التي جرت فيه، منذ أن خلق الله آدم عليه السلام، وأسكنه الجنة، حتى سيدنا إبراهيم، مروراً بسيدنا نوح وقصة الطوفان، وهذا ما سيتم بيانه، في السطور التالية.

يبدأ الخالق القدير هذا السفر، ببيان قدرته لبني إسرائيل، على خلق الكون، بما فيه ومن فيه، في ستة أيام؛ خلق السماوات والأرض، خلق الليل والنهار، فصل السماء عن الأرض، قدر في الأرض أقواتها، خلق الزمن: أياماً وشهوراً وسنينا، خلق النفس الحية في البحار والمحيطات، خلق النفس الحية في اليابسة، ثم خلق الإنسان.

وأشار هذا السفر إلى اليوم السابع، الذي فرغ فيه الخالق من خلق الكون واستراح. ثم كان خلق آدم من تراب، وإيجاد الجنة، ووضع آدم فيها، وخلق له زوجه من ضلعه. وكانت

في الجنة شجرتان: شجرة الحياة، وشجرة معرفة الخير والشر. نهى الرب آدم عن الأكل، من شجرة معرفة الخير والشر. إلا أن آدم خالف أمر ربه، وأكل منها، والقصة معلومة للجميع. ثم تمت تسمية الأشياء.

ولما كانت مخالفة آدم لربه عظيمة، فقد أفرد لها الرب أربعة وعشرين آية، تتحدث كلها عن مخالفة آدم للنهي الإلهي، وظهور عورته هو وزوجه، واستحقاقهما للعقاب والطرد من الجنة.

وبعد أن أُخرج آدم من الجنة ووضع في الأرض، وسارت به الحياة، حدث أن شجاراً نشب بين ولديه: هابين وقابين، وقد بين الله قصتهما، حيث قدما قرباناً لله، وتقبل الله قربان هابين ولم يتقبل قربان قابين، وكيف قتل قابين هابين. وبموت هابين انقطع ذكره، وبقي قابين. لذا تحدث السفر عن نسله كثيراً، وبين تحديد وتوزيع المهن والحرف بينهم، وذلك على النحو التالي:

- ابال: الذي كان أباً للبدو ورعاة الماشية.
- يوبال: الذي كان أباً لكل ضارب بالعود والمزمار.
- نوبال قابين الضارب كل آلة نحاس وحديد.

يلي الحديث عن نسل قابين، الحديث عن نسل آدم عليه السلام، الذي تعمر تسعمائة سنة، وعاش حتى زمن نوح عليه السلام، الذي خلَّف ثلاثة أبناء، هم: سام وحام ويافث، ومات والد نوح (لامك) وعمره خمسمائة عام. وشهدت الأرض انتشار الفساد، فلم يكن هناك سوى إهلاك الله كل من على الأرض. ولكي لا يهلك نوح عليه السلام مع الفاسدين، الذين سيهلكهم الطوفان علمه الله كيف يصنع الفلك، وحدد له أطواله، وأمره أن يحمل من كل زوجين اثنين.

وبعد أن فرغ سيدنا نوح من صناعة الفلك، حدث الطوفان. ولو لم يكن الطوفان عظيماً ومخيفاً، لما ذكره الله في أربع وعشرين آية. وعندما حدث الطوفان، كان عمر سيدنا نوح ستمائة سنة. وقد سبق الطوفان هطول المياه، الذي استمر مدة أربعين يوماً وأربعين ليلة. واستمرت المياه تملأ الأرض، مدة مئة وخمسين يوماً. وبعد انتهاء تلك الفترة، التي ظلت فيها المياه في الأرض، قام سيدنا نوح بمحاولات عديدة، للتأكد من انتهاء الطوفان، وخلو الأرض من المياه، حتى أمره الله بالخروج ومن معه. وبعد أن خرج واستقر هو ومن معه، بنى للرب مذبحاً وقدم له القرابين.

التشريع في سفر التكوين

بدأ أول ذكر للتشريع، في الإصحاح التاسع من هذا السفر، وذلك في أمرين اثنين:

الأول، ما يحل وما لا يحل من الأكل، يقول الرب:

﴿كل دابة حية تكون لكم طعاماً، كالعشب الأخضر دفَعتُ إليكم الجميع﴾ (9: 3 - 4).

الثاني، القصاص في بني البشر، يقول الرب:

﴿سافك دم الإنسان بالإنسان يُسفكُ دمه. لأن الله على صورته عمل الإنسان﴾ (9: 6)

كما تم ذكر أمرين لهما تأثير كبير في قابل الأيام:

الأول، الميثاق، الذي يتمثل في رحمة الله بالإنسان، فقد اقتضت مشيئة الرب، ألا تهلك الأرض بطوفان آخر مدى الحياة (وهذا هو الميثاق بين الرب وخلقه)، وقوس قزح هو علامة ذلكم لميثاق.

الثاني، يتمثل في سوء تصرف حام مع والده، فما كان من سيدنا نوح، إلا أن دعا عليه، بأن يكون عبداً لأخوته.

ونظراً لأهمية السلالات البشرية، في مضمار النبوة والرسالات السماوية، فقد تم ذكر سلالات أبناء سيدنا نوح الثلاثة: يافث وحام وسام، وتوزعهم على الأرض. وكذا، بيان سلالة سام حتى سيدنا إبراهيم، الذي عاش شطراً من حياته في بابل، وتم بيان سبب تسمية بابل ببابل، وكذا البداية الأولى في تعدد اللغات بين البشر. ثم جاء أمر الرب لإبراهيم بالخروج إلى أرض كنعان، وقصة ذهابه إلى مصر. ويذكر هذا السفر أيضاً، قصة سيدنا إبراهيم ولوط، وخروجهما من مصر، ونزولهما في كنعان، والأسباب التي أدت إلى انفصالهما عن بعضهما؛ حيث نزل لوط، إثر ذلك، في الأردن، ونزل إبراهيم في كنعان. وأخيراً، وعد الرب لسيدنا إبراهيم بأن يورثه ونسله من بعده أرض كنعان.

ويستمر الحديث المقدس حول أسر سيدنا لوط، وكيف تمكن سيدنا إبراهيم من تخليصه من أسره. ثم ابتهال سيدنا إبراهيم لله طالباً الخلفة، وتأتيه علامات الميثاق، ويتسلم الوعيد بذل نسله، وتكرار الوعد بأرض كنعان؛ وتأتيه وأهل بيته البشارات، والمتمثلة في: استجابة الله له بالخلفة، ولهاجر بأنه سيرزقها بإسماعيل، وبأن الله سيورثه ونسله الأرض. أما العلامات، فتتمثل في قصة تقطيع الطيور، وجعل كل جزء منها في جهة، ثم التحامها من جديد كعلامة تحقق وعد الرب له. أما بالنسبة للوعيد بذُل نسله، فقد سمع إبراهيم توعد الرب لنسله، بأنهم سيذلون وسيستعبدون في أرض غربتهم، مدة أربعمائة سنة، ثم سيعيد لهم الكرة. ويغير الله اسم إبراهيم (من إبرام) وسارة (من سارای)، وتبشر سارة بأنها سترزق بمولود اسمه إسحاق.

وتتوالى الآيات المقدسة، لتروي قصة الزوار الثلاثة (الملائكة الثلاثة)، الذين أتوا إلى سيدنا إبراهيم، بغرض إهلاك سدوم على خطاياهم، وكيف استقبلهم سيدنا إبراهيم وتقديمه لهم العجل ليأكلوه، وبشارتهم له بمولود، وضحك سارة واستغرابها، كونها وزوجها

شيخين كبيرين. ثم ذهاب الملكان إلى سيدنا لوط، ودخولهم عليه. وكيف احتشد قوم لوط على بابه طلباً للفاحشة بضيفيه. ثم إنجاب ابنتا لوط لولدين من أبيهما: أحدهما أبو الموآبيين، والآخر أبو العمونيين. كما تروي الآيات المقدسة، قصة ادعاء إبراهيم، بأن سارة أخته، وليست زوجه، خوفاً من بطش الملك أبيمالك، فأعاد الله لإبراهيم زوجه، وجعل الملك يباركه.

ويرزق سيدنا إبراهيم بإسحاق من زوجه سارة، وطلبها منه، بأن يبعد هاجر وابنها إسماعيل، ففعل بعد أن أمره الله بإبعادهما، ثم كان الأمر الإلهي لسيدنا إبراهيم بذبح ابنه إسحاق، وعندما هم بذلك، افتدى الرب إسحاق بكبش، وكافأ إبراهيم على طاعته بأن يكثر نسله.

وتموت سارة وعمرها مئة وعشرين سنة. ودفنها إبراهيم في بني حث، في الحقل الذي اشتراه، واشترى بجانبه المغارة. وعندما حان وقت زواج إسحاق، أمر سيدنا إبراهيم عبده، بأن يذهب بابنه إسحاق إلى بلده، ويزوجه بامرأة منها، وليس من بنات كنعان. وتوفي الله سيدنا إبراهيم وعمره مئة وخمس وسبعين عاماً، ودفن في عفرون، بجانب سارة، في الحقل الذي اشتراه. ومات إسماعيل وعمره مئة وثلاثين عاما، ودفن بجانب أبيه هو وأبناؤه من بعده. ورزق إسحاق بعد يأس بولدين: يعقوب وعيسو. وتكرر الوعد الإلهي لإسحاق، بأن يعطيه ونسله أرض كنعان وبدهاء زوجه رفقه بارك إسحاق ولده يعقوب، بدلاً من أخيه عيسو، وكرر إسحاق وصية إبراهيم بالزواج الداخلي، وذلك عندما أوصى ولده يعقوب، بألا يتزوج من بنات الكنعانيين، وأن يتزوج من بنات خاله لابان (في آرام). وتزوج عيسو بابنة إسماعيل. وحلم يعقوب حلماً بأن الرب سيورثه ونسله أرض كنعان.

وينفذ يعقوب وصية أبيه، ويسافر إلى فدان آرام بلد أخواله، ليتزوج من بنات خاله لابان، فتزوج باثنتين من بنات خاله: راحيل وليئة. وبعد أن خدم خاله سبع سنين، ورزق بأولاد من ليئة (التي لم يكن يحبها كراحيل) وهم: رأوين وشمعون ولاوي ويهوذا. ثم رزق مرة أخرى بأولاد من راحيل وجاريتها وجارية ليئة. وكان آخر ولد له هو يوسف عليه السلام.

وببقاء يعقوب في بلد أخواله، ازدادت ثروته وتوسعت، فحدث خلاف بينه وبين خاله، فهرب بماله، وحماه الله من تعقب خاله له. وفي طريق هروبه تصارع مع الله، فسمي باسم إسرائيل، بدلاً من يعقوب. وهناك أمر هام، وهو تحريم بني إسرائيل على أنفسهم، أكل عِرْق النسا -الذي على حُق الفخذ، لأن يعقوب ضُرب عليه- من ذلك اليوم إلى يومنا هذا.

وصل إسرائيل إلى شكيم وأقام فيها، وهنا نجس شكيم بن حمور، رئيس الأرض، دينة ابنة يعقوب، فثأر أخواها لعرضهما، بأن قتلا كل ذكر من شكيم. وتلقى إسرائيل أمر الله، بالعودة إلى بيت إيل، وبناء مذبحاً لله فيها. وتكرر الوعد الإلهي لإسرائيل، بأن يورثه ونسله أرض كنعان. وماتت راحيل وهي تلد بنيامين. وتم دفنها في بيت لحم، وأقام يعقوب على قبرها عموداً، سمي عمود قبر راحيل حتى يومنا هذا. ومات إسحاق وعمره مئة وثمانين سنة. وبعدها

يأتي ذكر ذرية عيسو، وخروجه من كنعان بماله وأولاده.

وتتحدث الآيات المقدسة، في سفر التكوين أيضاً، عن حلم سيدنا يوسف بسجود الشمس والقمر له، وكيد أخوته له، وبيعهم إياه. ثم تذكر الآيات زواج يهوذا بامرأة من كنعان، وما رُزق به من البنين، الذين كان منهم عير -الشرير في عيني الرب- بكر أبيه. زوّج يهوذا ابنه عير، الذي مات قبل أن يرزق بالذرية. "هنا أتى التشريع، الذي ينص على أن من واجب أخ الميت، أن يتزوج بزوجة أخيه، كي ينجب له أولاداً، فلم يستحسن أونان، افو عير ذلك، فغضب عليه الرب وأماته"، ثم قصة ارتزاق يهوذا بتوأمين من كنته.

وتعود الآيات إلى ذكر سيدنا يوسف، وقصته مع امرأة سيده فوطيفار، الذي اشتراه من إخوته. وكذا قصة حلم نزيلا السجن معه، وتفسيره لحلمهما؛ بأن يرفع الساقي ويقتل الخباز. كما تروي قصة حلم فرعون بالسبع البقرات السمان، اللاتي تأكلهن سبع عجاف، وسبع سنبلات خضر، تأكلهن سبع سنبلات يابسات. ثم عهد فرعون ليوسف بولاية مصر، وزواجه، وارتزاقه بولدين: منس وأفرايم. وتأتي سني المجاعة التي حلت بمصر، ويأتي على أثرها إخوة يوسف إلى مصر للتجارة، وتعرفه عليهم، وعدم معرفتهم له. وطلب إليهم أن يأتوا بأخيه الشقيق بنيامين، فأتوا به في زيارتهم الثانية، فوضع كأس الفضة في رحله، واتهمهم بالسرقة حتى يأخذ أخيه، إلى نهاية القصة، حيث كشف يوسف عن شخصيته لإخوته. وبعد ذلك، تروي الآيات مجيء يعقوب إلى مصر، هو وسبعين فرداً من أهله، واستقبال يوسف لهم، وطلب إليهم بأن يقولوا لفرعون بأنهم رعاة ماشية، حتى ينزلهم في منطقة معينة، وذلك لأن الرعاة رجس للمصريين. وهنا تتبين الرغبة في الاعتزال عن السكان الأصليين. ومات يعقوب وعمره مئة وسبع وأربعين سنة، وعند موته أوصى يوسف بأن يدفنه بجوار آبائه.

وقبل أن يموت يعقوب، قام بأمرين: مباركته لحفيده أفرايم، على الرغم من أن منس هو الأكبر سناً. وجمعه أبناءه وإخبارهم بطبيعة حياة كل منهم، في مستقبل الأيام، ثم أوصاهم بأن يدفنوه مع آبائه. وبعد موته قام يوسف بتحنيط جثمان أبيه، ودفنه حيث أوصى. حزن يوسف على أبيه حزناً كبيراً، دام أربعين يوماً. وقبل موت يوسف، أوصى هو الاخر، بأن تنقل رفاته إلى أرض كنعان، وبشر إخوته بأن الله سيكون معهم، وأنه سيعيدهم إلى الأرض التي أعطاها لآبائهم من قبل. ويختم سفر التكوين آياته بموت يوسف عليه السلام.

السفر الثاني .. سفر الخروج

تروي الآيات المقدسة، في هذا السفر، قصة حياة بني إسرائيل في مصر، حتى بُعث فيهم نبي الله موسى، الذي خرج بهم من مصر، قاصداً الأرض المقدسة.

عاش بنو إسرائيل في مصر تحت حكم فرعونها، الذي خشي من تكاثرهم وغلبتهم، فما كان منه، إلا أن أمر بإذلالهم وقهرهم. ووقع أسيراً لتنجيم المنجمين، الذين فسروا له رؤياه

قائلين له: بأن تدمير ملكه، سيكون على يد واحد من أطفالهم، فأمر بأن يقتل كل مولود ذكر منهم.

وفي العام الذي ولد فيه سيدنا موسى، وضعته أمه قرب النهر، خوفاً عليه من القتل، وعندما وجدته إحدى إماء ابنة فرعون، حملته إلى سيدتها، فتقدمت منها أخت موسى ودلتها على من يتكفل بإرضاعه لها. فرجع موسى إلى أمه، التي قامت بإرضاعه، ثم أعادته إلى ابنة فرعون، وسمي موسى.

نشأ موسى في بلاط فرعون، وبلغ أشده فيه. وفي يوم رأى موسى رجلين يتعاركان، فاستنصره الذي هو من قومه على المصري، فنصره وقتل خصمه. بلغ الأمر فرعون فأرسل في طلبه، لأنه محقوق الدم، ففر متجهاً إلى مديان. وفي طريقه إليها وجد سبع فتيات يردن أن يسقين، ولكن الرعاة يمنعوهن، فسقى لهن بعد أن طرد الرعاة. فقصصن القصة لأبيهن، كاهن مديان، الذي خرج في طلبه، وزوجه بإحدى بناته.

وبعد أن مكث سيدنا موسى في مديان فترة من الزمن، خرج هو وأهله منها، متجهاً إلى مصر، وفي الطريق، وفي الوادي المقدس، ومن وسط العليقة المشتعلة، سمع موسى نداء الرب له. تلقى موسى أمر ربه، بأن يُخرج بني إسرائيل من مصر. وحتى تصبح رسالته أكيدة وموثوق بها، أعطاه الله علامات ودلالات كثيرة؛ كالحية والعصا. واستجاب الله لطلب موسى وأرسل إلى هارون. ثم توجه موسى إلى مصر للقاء فرعون.

وفي مصر، طلب موسى وهارون من فرعون، إطلاق بني إسرائيل، إلا أن فرعون تكبر وزاد في إذلالهم وتعذيبهم. فتوسل موسى مبتهلاً لله، بأن يعجل بخلاص بني إسرائيل، فوعد الرب بخلاصهم. وذكر الرب موسى بأنه أعطى آباءه أرض كنعان، وقام موسى في بني إسرائيل محدثاً، فلم يسمعوا له.

وأخبر الرب موسى، بأن محاولاته مع فرعون ستفشل، وأمره بأن يكلم فرعون في أمر إطلاق بني إسرائيل، فلم يستجيب فرعون له، فوعد الرب موسى، بأنه سيظهر آياته للمصريين، حتى يعرفوا أنه الرب القادر على إخراج بني إسرائيل. ومن آيات الله للمصريين: عصا هارون (الثعبان)، وتحويل الماء إلى دم، والضفادع، والبعوض، والذبان، وإهلاك مواشي المصريين، والدمامل، والبرد، والجراد، والظلام، وموت أبكار المصريين.

وفي الإصحاح الثاني عشر، جاء تشريع الخروج، وفيه أمر الرب أن يكون هذا الشهر رأس الشهور(أبيب)، وذكر ما يجب القيام فيه، وأشار إلى عيد الفصح: في العاشر منه، وفيه يضحي كل بيت من بيوت بني إسرائيل، وذكر شروط الأضحية:

شاة ذكر صحيحة ابن سنة (من الخرفان أو الماعز).

1. يحفظ حتى اليوم الرابع عشر.
2. يذبح في العشية.

3. يأخذون من الدم، ويجعلونه على القائمتين والعتبة، في البيوت التي يأكلون فيها.
4. يأكلون اللحم تلك الليلة مشوية (غير مطبوخة ولا مسلوقة) مع الفطير على أعشاب مرة.
5. يؤكل كله، رأسه وأكاريعه وجوفه.
6. لا يبقى منه شيء إلى الصباح.
7. إذا تبقى تحرقونه بالنار.

وحدد طريقة أكله، على النحو التالي:

تأكلونه أحفاؤكم مشدودة، وأحذيتكم في أرجلكم، وعصيكم في أيديكم وتأكلونه بعجلة، هو فصح للرب. ثم أتت الآيات المقدسة بتفصيل لما ورد أعلاه، على النحو التالي:

1. الدم الذي على القائمتين والعتبة العليا علامة، لأن الرب سيهلك تلك الليلة، كل ذكر حي في مصر، والبيوت التي عليها الدم لا يصيبها شيء.
2. يصبح هذا اليوم تذكاراً لبني إسرائيل يعيدونه عيداً للرب في أجيالكم، تتعبدون فريضة أبدية.
3. سبعة أيام تأكلون فطيراً؛ اليوم الأول تستبعدون الخميرة من البيوت.
4. كل من أكل فطيراً في السبعة الأيام، تقطع تلك النفس من إسرائيل.
5. يكون في اليوم الأول محفل مقدس، وكذلك في اليوم السابع، لا يعمل فيها أي عمل.
6. يجب أن تحفظوا الفطير فريضة أبدية، ذكرى للخروج من مصر.

جمع موسى شيوخ بني إسرائيل، وأبلغهم بأوامر الرب، فامتثلوا وفعلوا.

فرائض الفصح

1. لا يأكل الابن الغريب منه.
2. العبد المبتاع بفضة يختن ثم يأكل.
3. النزيل والأجير لا يأكلا منه.
4. يؤكل في البيت ولا يخرج منه شيء.
5. لا يكسر منه عظماً.
6. مفروض على كل جماعة إسرائيل.
7. لا يصنع الفصح إلا مختون.

وأتي بعد التشريع السابق، تشريع البكورة، حيث أمر الرب موسى، أن يكون يوم الخروج يوماً مقدساً، وأمر موسى شعبه، أن يقدسوا للرب كل بكر من بني إسرائيل ومن البهائم و:

1. أن يذكروا هذا اليوم في موطنهم الموعود أرض كنعان.
2. إذا كان البكر حماراً يفتدى بشاه.

3. والبكر من الأولاد تفديه.
4. أن يعلم الأبناء قدسية هذا اليوم.

ثم خرج موسى ببني إسرائيل، فتبعهم فرعون، وكان من أمر غرق فرعون ما كان. آمن بنوا إسرائيل بعد أن رأوا معجزة البحر. وبعد نجاة موسى وبني إسرائيل، ترنم موسى وشعب إسرائيل وسبحوا الله طويلا. وبعد خروجهم واستقرارهم في برية سيناء، لم يستمر إيمانهم كما كان، فتذمروا من الجوع ، فأنزل الله لهم المن والسلوى، وأمرهم أن يضاعفوا الأخذ منها في اليوم السادس، حتى يستريحوا في اليوم السابع، فمنهم من امتثل ومنهم من عصى. ثم استمروا في الترحال، فأصابهم الضمأ، فضرب موسى الحجر فانفجر منه الماء. وفي طريقهم حاربوا العماليق وهزموهم، وبنى موسى في رفيديم (منطقة العماليق) مذبحا.

وبينما سيدنا موسى في برية سيناء، قدم إليه الكاهن يثرون، عمه مصطحباً ابنته (زوجة سيدنا موسى) ووالداه. رأى يثرون الكاهن موسى واقفاً، وجميع شعب إسرائيل، وهو يقضي بينهم، ليعلمهم الفروض والشرائع، فنصحه يثرون، أن يختار من بين شعب إسرائيل أفراداً ليعاونوه في ذلك، ممن يتصفون بالتالي:

1) القدرة.
2) الخوف من الله.
3) الأمانة.
4) كراهية الرشوة.

ويقيمهم عليهم، على النحو التالي:

1) رؤساء ألوف.
2) رؤساء مئات.
3) رؤساء خماسين.
4) رؤساء عشرات.

يقضون في القضايا الصغيرة، والكبيرة يرجعون فيها إليه. سمع موسى النصيحة وعمل بها.

وفي الشهر الثالث، وصل موسى ومن معه إلى سيناء. وخاطب الرب شعب إسرائيل، وقال: ﴿فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب﴾. وتسلم موسى من ربه اللوحين، وفيهما الوصايا العشر. وأمر الرب موسى أن يبني مذبحاً، من تراب، وليس من حجر منحوت، ولا يكون فيه درج.

ويحتوي الإصحاح العشرين، من سفر الخروج، على تشريع ينظم مسألة استعباد العبرانيين، وكذا جريمة القتل، على النحو التالي:

1. إذا اشتريت عبداً عبرانياً، يخدم ست سنوات، ثم يحرر مجاناً.
2. إذا دخل وحده يخرج وحده، إذا كان زوجاً يخرج وزوجته.

3. إذا أعطاه سيده امرأة فولدت له، فهي وأبنائها لسيده، ويخرج وحده، وإذا أراد البقاء، يقدمه سيده للّٰه، ويثقب أذنه، ويخدم إلى الأبد.
4. إذا باع رجل ابنته أمة، لا تخرج كما يخرج العبيد.
5. إذا قبحت في عيني سيدها، الذي خطبها لنفسه، يدعها تفك. وليس له سلطان أن يبيعها لقوم أجانب لغدره بها، وإن خطبها لابنه نبحسب حق البنات يفعل بها، إن اتخذ لنفسه أخرى، لا ينقص طعامها وكسوتها ومعاشرتها، وإن لم يفعل لها هذه الثلاث، تخرج مجاناً بلا ثمن.

أما فيما يتعلق بالغدر، والقتل، والسرقة، والعقوق، فقد تم تنظيمها على النحو التالي:

1. القتل العمد جزاؤه القتل.
2. جزاء الغدر بقصد القتل القتل.
3. من ضرب أمه وأباه يقتل.
4. من سرق إنساناً لبيعه أو وجد في يده يقتل.
5. من سب أباه أو أمه يقتل.
6. إذا ضرب إنسان آخر بحجر، أو ما شابهها، ولم يمت، فعليه تعويضه والإنفاق على شفائه.
7. إذا ضرب إنسان عبده أو أمته، فمات تحت يده على الفور، ينتقم منه، أما إذا مات بعد يوم أو يومين، فلا إثم عليه لأنه ماله.
8. إذا تخاصم رجال وصدموا امرأة حبلى، فسقط الجنين: إذا لم يحصل ضرر، يغرم بحسب تقدير زوج المرأة، وإذا حصلت أذية، فالنفس بالنفس، والعين بالعين، والسن بالسن، ويداً بيد، ورجلاً برجل.
9. إذا ضرب إنسان عين عبده فأتلفها، يطلقه حراً.
10. إذا نطح ثور إنساناً وأماته؛ فإن كان الثور غير نطاح، فصاحبه بريء، ويرجم الثور حتى الموت، ولا يؤكل لحمه. أما إذا كان الثور نطاحاً ومعروف بذلك، يرجم الثور ويقتل صاحبه، وإذا حكم عليه بالدية، يدفع كل ما يقال له. وإذا كان المنطوح عبداً، يعوض صاحبه بعشرين شاقل.

ثم ورد تشريع حماية الأملاك، وتضمن السرقة والمسؤولية الاجتماعية، وذلك على النحو التالي:

1. إذا سرق إنسان ثور أو شاة، فذبحه وباعه، يدفع تعويضاً عن الثور بخمسة، وعن الشاة بأربعة غنم، وإذا وجد بيده قبل الذبح، فيعوض باثنين.
2. في الرعي في زرع آخر التعويض.
3. في الأمانة اليمين أو التعويض إذا أخل بها.

4. إذا اضطجع رجل مع عذراء، يتزوجها ويمهرها مهر العذراء.
5. الساحرة تقتل.
6. كل من اضطجع مع بهيمة يقتل.
7. من ذبح لغير الله يقتل.
8. لا تضطهد الغريب ولا تضايقه.
9. لا تسيء إلى أرملة أو يتيم.
10. لا يُقرض اليهودي بربا.
11. لا تسب الرب، ولا تلعن رئيساً في شعبك.
12. إذا ارتهنت ثوب صاحبك، إلى غروب الشمس ترده، لأنه غطاؤه.
13. البكر من البقر والغنم يقدم لله في اليوم الثامن من ولادته.
14. لا يؤكل لحم فريسة الصحراء، بل للطلاب يترك.

ثم ذكرت الآيات المقدسة، من نفس السفر، ما يستحب وما لا يستحب من الأعمال والحث على فعل الخير والابتعاد عن الشر؛ كالكذب والظلم والقتل وأخذ الرشوة.

فرائض السبت والأعياد السنوية الثلاثة

وكذلك ذكرت الأعياد والفرائض اللازمة فيها، وذلك على النحو التالي:

1. تزرع ست سنين وتترك زراعة الأرض.
2. تعمل ستة أيام وفي اليوم السابع تستريح.
3. لا تذكروا آلهة أخرى.
4. تقام الأعياد لله ثلاث مرات في السنة: عيد الفطير (يؤكل الفطير سبعة أيام). عيد الحصاد (أبكار الغلال). وعيد الجمع (في نهاية السنة عندما تجمع الغلال).

في هذه المناسبات الثلاث يجتمع كل ذكور بني إسرائيل أمام الرب عند المعبد.

5. لا تذبح على خميرة دم ذبيحتي.
6. لا تطبخ جدياً بلبن أمه.

وأبرز ما في هذا الإصحاح هو الأمر الإلهي بأن لا يسكن مع موسى في أرض كنعان غير شعبه. وأمر الله موسى ببناء المعبد المقدس (خيمة الاجتماع) وملحقاته، وحدد له طبيعة البناء، ومواده، وأبعاده، ومن مال من يتم تمويل هذا العمل، وذلك على النحو التالي:

1. أن يؤخذ المال من المتقين من كل الكنوز: الذهب والفضة والنحاس والأرجوان والجلد والخشب.

2. أن يصنع التابوت (تابوت العهد)، من مواد عدة وأولها الذهب النقي، وبداخله توضع الشهادة، التي أعطاها الرب لموسى. أن يصنع غطاءً للتابوت، وحدد شكله ورسوماته، ومنه سيتكلم الرب مع موسى.
3. أن تصنع مائدة خبز الوجوه.
4. أن تصنع المنارة، كما أراها لموسى فوق الجبل، وحدد مكوناتها، ومادتها، وشكلها، وملحقاتها.
5. إقامة سكن (خيمة الاجتماع)، وجعل موسى ينظر إليه ليكون مثله، ومواصفاته هي:

- عشر شقق؛ طول الشقة (28 ذراع)، والعرض (4 أذرع) خمس شقق مع بعض، وست مع بعض، على أن تكون السادسة في وجه الخيمة. وهناك وصف دقيق لموادها ومكوناتها.
- وتصنع حجاباً، وتجعله على أربعة أعمدة، على أربع قواعد من الفضة:
  - تجعل الحجاب تحت الأشظة.
  - تدخل التابوت (تابوت الشهادة) إلى داخل الحجاب.
  - يتصل الحجاب بين القدس وقدس الأقداس.
  - تجعل الغطاء على تابوت الشهادة في قدس الأقداس.
  - تضع المائدة خارج الحجاب.
  - تجعل المنارة مقابل المائدة على جانب السكن نحو اليمين، والمائدة على جانب الشمال.
  - وتصنع سجفاً لمدخل الخيمة، وتصنع للسجف خمسة أعمدة بقواعد من نحاس.
- وتصنع مذبح المحرقة: طوله (5 أذرع)، وعرضه (5 أذرع) وارتفاعه (3 أذرع).
  - وتضع فُروَته على زواياه الأربع.
  - وتصنع قدوره لرفع الرماد، ورَفُوشه ومراكنه ومناشله ومجامره، كلها تصنع من نحاس.
  - وتصنع له شباكه بأربع حلقات، وتجعلها تحت حاجب المذبح من أسفل، وتكون الشباكة إلى نصف المذبح، وأمور أخرى. هكذا يصنعون المذبح كما أراك في الجبل.
- الدار الخارجية: الطول 100 ذراع. العرض 50 ذراع. الارتفاع 5 أذرع.
  - وتصنع دار المسكن إلى جهة الجنوب، نحو التيمن للدار أستار: الجنوب طول 100 ذراع بعشرين عموداً، والجهة المقابلة (الشمال) طول 100 ذراع بعشرين عموداً. في الغرب؛ أستار عرض 50 ذراعاً بعشرة أعمدة. في الشرق؛ عرض 50 ذراعاً، 15 ذراعاً من الأستار بثلاثة أعمدة، والجانب الثاني 15 ذراعاً بثلاثة أعمدة.

- لباب الدار سجف؛ 20 ذراعاً بأربعة أعمدة وبأربعة قواعد.

- زيت المنارة:
  - على بني إسرائيل تقديم الزيت (زيت زيتون نقي)، لإضاءة خيمة الاجتماع.
  - يرتبها هارون وبنوه، من المساء إلى الصباح، أمام الرب فريضة دهرية، في أجيالهم من بني إسرائيل.

وبعد أوامر الرب ببناء البيت وملحقاته، أمر الرب بأن يكون هارون وأبناؤه كهنة البيت، وأمر بأن تُصنع ثياب مقدسة لهارون للمجد والبهاء، وهي:

- صُدرَة. – رداء. – جبة. - قميص مخرم. - عمامة. - منطَقة.

تصنع الثياب المقدسة لهارون وبنيه.

- الرداء: أمر الرب بصنع الرداء، ووصفه وحدد مكوناته (الكل من الذهب والإسمانجوني).
  - تأخذ حجري جَزع وتنقش عليهما أسماء بني إسرائيل؛ ستة من أسمائهم على الحجر الواحد، مرتبة حسب مولدهم.
  - تضع الحجرين على كتفي الرداء.
- الصدرة: أمر الرب أن تصنع صدرة قضاء (بيد صانع حاذق) كصنعة الرداء. تكون مربعة مثنية؛ الطول شبر والعرض شبر، وترصع بالحجر الكريم، على النحو التالي:
  - أربعة صفوف: صف عقيق أحمر وياقوت أصفر وزمرد.
  - الصف الثاني، يهرمان وياقوت أزرق وعقيق أبيض.
  - الصف الثالث، عين الهر ويشم وجمشت.
  - الصف الرابع، زبرجد وجزع ويشب، وتكون كلها مطوقة بذهب.
  - وتكون الحجارة على أسماء بني إسرائيل (الإثنى عشر سبط، كل واحد على اسمه).
  - وتُصنع للصدرة سلاسل وحلق وضفائر، وتجعلها على طرفي الصدرة، ثم على كتفي الرداء.
  - يحمل هارون الصدرة على قلبه، عند دخوله إلى القدس للتذكار أمام الرب.
- جبة الرداء: أمر الرب أن تصنع جبة الرداء وحدد مادتها وشكلها وفتحاتها وما يعلق على أطرافها.
- صفيحة الذهب والقميص والعمامة: أمر الرب أن تصنع صفيحة الذهب، وتوضع على العمامة، وحدد مكانها في الرأس وميلانها في جبهة هارون، ووصف كذلك صناعة

القميص والعمامة ومادتهما.

- أمر الرب، أن تُصنع لهارون وبنيه، أقمصة ومناطق وقلانس وسراويل، تكون على هارون وبنيه، عند دخولهم الخيمة، أو اقترابهم من المذبح للخدمة في القدس، فريضة أبدية له ولبنيه من بعده.
- حدد العورة: من الحقو إلى الفخذ.
- تكريس الكهنة: وحتى يصبح هارون وبنيه كهنة للرب، أمر الرب موسى أن يأخذ: - ثوراً واحداً، - كبشين صحيحين، - خبز وفطير، - أقراص فطير ملتوتة بالزبيب، - رقاق فطير مدهونة بزيت.
  - تجعل كل الفطير في سلة واحدة، وتقدمها مع الثور والكبشين.
  - تقدم هارون وبنيه إلى باب الخيمة، وتغسلهم بماء.
  - تأخذ الثياب وتلبس هارون كل ما سبق، - تجعل الإكليل المقدس على العمامة،
  - تأخذ دهن المسحة وتسكبه على رأسه وتمسحه، - تلبس بني هارون،
  - تقدم الثور إلى أمام الخيمة، - يضع هارون وبنيه أيديهم على رأس الثور،
  - تذبح الثور أمام الرب عند باب الخيمة، - وتأخذ من دم الثور وتجعله على المذبح بأصبعك، وسائر الدم تصبه إلى أسفل المذبح،
  - وتأخذ كل الشحم الذي يغشي الجوف، وكذلك الكبد والكليتين والشحم الذي عليهما وتوقدها على المذبح. وأما لحم الثور وجلده وفرثه، فتحرقها بنار خارج المحلة،
  - وتأخذ الكبش (واحد فقط) فيضع هارون وبنوه أيديهم على رأسه،
  - وتذبح الكبش، وتأخذ دمه وترشه على المذبح، من كل ناحية، - تقطع الكبش إلى قطع،
  - ونغسل جوفه وأكارعه وتجعلها على قِطَعِه وعلى رأسه،
  - وتوقد كل الكبش على المذبح هو محرقة للرب،
  - وتأخذ الكبش الثاني، فيضع هارون وبنوه أيديهم على رأسه،
  - فتذبح الكبش وتأخذ من دمه وتجعل على شحمة أذن هارون وعلى شحمة آذان بنيه اليمنى، وعلى أباهم أيديهم اليمنى، وعلى أباهم أرجلهم اليمنى،
  - وترش الدم على المذبح من كل ناحية،
  - وتأخذ من الدم الذي على المذبح، ومن دهن المسحة وتنضح على هارون وثيابه وعلى بنيه وثيابهم، فيقدس هو وبنيه وثيابهم.
  - ثم تأخذ من الكبش الشحم والإلية، والشحم الذي يغشي الجوف، وزيادة الكبد والكليتين والشحم الذي عليهما والساق اليمنى ورغيفاً واحداً من الخبز، وقرصاً

واحداً من الخبز بزيت، ورقاقة واحدة من سلة الفطير التي أمام الرب، وتضع الجميع في يدي هارون وأيدي بنيه، وترددها ترديداً أمام الرب، ثم تأخذها من أيديهم وتوقدها على المذبح فوق المحرقة،

- ثم تأخذ القص من الكبش الذي لهارون، وتردده ترديداً أمام الرب فيكون لك نصيباً،
- وتقدس قص الترديد، وساق الرفيعة الذي ردد، والذي رفع من كبش الملء مما لهارون ولبنيه، فيكونان لهارون وبنيه فريضة أبدية من بني إسرائيل،
- والثياب المقدسة التي لهارون، تكون لبنيه بعده، ليُمسَحوا فيها،
- سبعة أيام يلبسها الكاهن، الذي هو عوض عنه، من بنيه الذي يدخل الخيمة، ليخدم في القدس،
- وأما كبش الملء (الثاني)، فتأخذه وتطبخ لحمه في مكان مقدس، فيأكل هارون وبنوه لحمه، والخبز الذي في السلة، - ويأكل منها الذي كفَّر بها عنهم بمقدار ملء أيديهم لتقديسهم، وإذا بقي شيء من اللحم حتى الصباح فتحرق بالنار، أما القربان فلا يأكلون منها.

- **كفارة الخطيئة :**
  - ثور كل يوم؛ سبعة أيام تملأ أيديهم، سبعة أيام تكفر على المذبح فيكون مقدساً،
  - ذلك رائحة سرور وقود للرب، محرقة دائمة في أجيالكم عند باب الخيمة، أمام الرب، حيث اجتمع بكم لأكلمكم هناك.

مذبح البخور

أمر الرب لموسى بأن:

- يصنع مذبحاً لإيقاد البخور على شكل مربع: طوله (ذراع) وعرضه (ذراع) وارتفاعه ذراعان
- بإكليل وحلقتين، ووصف مادته وشكله.
- مكانه: تضعه قدام الحجاب، الذي أمام تابوت الشهادة. قدام الغطاء الذي على الشهادة،
- يُوقد عليه هارون بخوراً عطراً كل صباح، حين يُصلح السُّرُج يوقده وحين يُصعد هارون في العشية يُوقده بخوراً دائماً أمام الرب في أجيالكم،
- لا يصعدوا عليه بخوراً غريباً، ولا محرَقة أو تقدمه، ولا تسكبوا عليه سكباً،
- ويضع هارون كفارة على قُرونه، مرة في السنة، من دم ذبيحة الخطيئة،

- الفدية: حدد الفدية المطلوبة على بني إسرائيل، ممن بلغ عشرين سنة فما فوق، عندما يقوم موسى بعدهم نصف شاقل تقدمة للرب، على الغني والفقير على السواء.

مرحضة الاغتسال

أمر الرب موسى أن يصنعها من النحاس.

- مكانها: بين الخيمة والمذبح، وتجعل فيها ماء.

- يغسل هارون وبنوه أيديهم وأرجلهم منها، عند دخول الخيمة، أو عند اقترابهم من المذبح للخدمة فريضة أبدية له ولنسله.

زيت المسحة

أمر الرب موسى، بأن يأخذ عدداً من المقادير، مقدرة بالمال، ويخلط هذه المقادير ويصنعه دهناً يمسح به:

- الخيمة - التابوت - المائدة وكل آليتها - المنارة - مذبح البخور- مذبح المحرقة وآنيتها

- المرحضة وقاعدتها - تمسح هارون وبنيه.

أمر الرب موسى، بأن يكلم بني إسرائيل، بأن هذا الخليط مقدس، لا يُعمل مثله، ولا يسكب على أي إنسان، لأنه للرب مقدس (دهناً مقدساً للمسحة في أجيالكم)، من صنع مثله وجعل منه على أجنبي يقطع من شعبه.

البخور

أمر الرب موسى أن يصنع بخوراً، وعلمه كيفية صناعته.

- مكانه: أمر الرب موسى، أن يجعل منه قدام الشهادة في الخيمة، حيث يجتمع الرب به (لا يصنع منه للشم، لأنه مقدس).

وكلم الرب موسى، بأنه قد اختار اثنين من بني إسرائيل: بَصَلئيل من سبط يهوذا، وأُهُوليآب من سبط دان، وأعطاهما الحكمة والمعرفة، وزودهما بالاستعداد لعمل كل شيء يخص المعبد وملحقاته ومتطلباته، بدءً بصياغة الذهب، إلى النسيج والتجارة، ليصنعا كل ما أمر به الرب.

وبينما موسى في حضرة رب العزة، أخبره الرب بأن بني إسرائيل قد ضلوا وعبدوا العجل الذهبي، وعندما عاد موسى إليهم، أمر بني لاوي، الذين أجابوه، بأن يقتلوا كل المنحرفين، ففعلوا. ومن شدة الغضب كسر اللوحين الحجريين.

وأمر الرب موسى بأن يخرج بالشعب إلى أرض الميعاد. نصب موسى خيمة الاجتماع خارج المحلة (المنطقة)، وطلب موسى أن يرى وجه الله، فلم يجبه إلى طلبه. وأمره الرب بأن:

- يصعد إلى الجبل بمفرده. - يحطم كل الأصنام.

- يحفظ ما هو موصيه به، وأنه سيريه وشعب إسرائيل عجائب (طرد الأموريين والكنعانيين من أمامه. ثم أعطاه لوحين عوضاً عن اللوحين المكسورين. وأمره بالوصايا العشر التالية:

1. لا تصنع لنفسك آلهة مسبوكة.
2. احفظ عيد الفطير.
3. لي كل فاتح رحم، وكل ذكر من مواشيك، ماعدا ذكر الحمار تفديه بشاة، وكل بكر من بنيك تفديه.
4. ست أيام تعمل والسابع تستريح فيه.
5. تصنع لنفسك عيد الأسابيع: أبكار حصاد الحنطة وعيد الجمع آخر السنة.
6. ثلاث مرات في العام يظهر ذكورك أمام السيد الرب.
7. لا تذبح على خميرردم ذبيحتي.
8. لا تبت إلى الغد ذبيحة عيد الفصح.
9. أول أبكار أرضك للرب.
10. لا تطبخ جدياً بلبن أمه.

وقام بنوا إسرائيل ببناء البيت وكل ملحقاته، كما أمر الرب، وتفحص كل ذلك موسى، فوجده كما أمر الرب فباركهم. ثم تأكد من صناعة الثياب الكهنوتية التي أمر بها الرب، فوجدها كما أمر الرب، فباركهم. وفي نهاية هذا السفر، وفي الإصحاح الأربعين منه، أمر الرب موسى بإقامة الخيمة، وأن يرتب كل شيء فيها. فاستجاب موسى لأمر ربه، وأقام الخيمة في اليوم الأول، من الشهر الأول، من السنة الثانية.

السفر الثالث .. سفر اللاويين

يتناول سفر اللاويين قضيتين، هما:

1. القرابين والذبائح والكفارات عن: اليمين الكاذب، وكتمان الشهادة، ولمس النجاسات، وخيانة الأمانة.
2. تشريع الطعام الحلال، والطهارة، وهي على أنواع. كما تم في هذا السفر، تحريم أكل الشحم والدم.

القربان: القربان يكون من البقر والغنم واليمام والحمام ذكر صحيح، وحدد موقع كل واحد، وأن يذبح على يد الكاهن. وحدد مواد التقدمات، سواءً دقيق أو فطير مخبوز بالزبيب (غير مخمر). وذبيحة السلامة تكون من البقر أو الغنم ذكراً أو أنثى، وحدد كيفية الذبح، والمراسيم والطقوس المتبعة، محرقة للرب. أما ذبيحة الخطيئة، فهي للخطأ سهواً، أو كتمان الشهادة، أو لمس النجاسة ... الخ، يقرب ثوراً. وكفارة الإثم (الخيانة) كبش صحيح.

تشريع (الحلال والحرام) من البهائم والطيور

أولاً .. ما يؤكل

1. كلما شق ظلفاً وقسمه ظلفين.
2. ما يجتر من البهائم.
3. جميع ما في المياه: ماله زعانف وخرشف.
4. من الطير، ومن دبيب الطير الماشي على أربع.
5. ما له كراعان فوق رجليه: الجراد على أجناسه، الدبًا، الخرجوان، والجندب.

ثانياً .. ما لا يؤكل

1. كلما يجتر ولا يشق ظلفين: - الجمل، الوبر، الأرنب، والخنزير.
2. ما ليس له زعانف وخرشف.
3. النسر، الأنوق، العقاب، الحدأة، الباشق على أجناسه، الغراب على أجناسه، النعامة، الظليم، السأف، الباز على أجناسه، البوم، الغواصن الكركي، البجع، الفوق، الرخم، اللقلق، الببغا على أجناسه، الهدهد، والخفاش.
4. كل ما يمشي من الحيوانات على كفوفه: ابن عرس، الفأر، الضب، الجرذون، الورل، الوزعة، العظابة، الحرباء (تنجس كل شيء وقفت عليه إلا العين والنبع فهما طاهران).
5. كل ما يمشي على بطنه، وما له أرجل كثيرة.

تشريع الطهارة ومدة النجاسة /عند الولادة

- إذا كان المولود ذكراً، فمدة النجاسة للمولود سبعة أيام ثم يختن في اليوم السابع، وللأم 33 يوماً، لا تلمس شيء مقدس.
- إذا كان المولود أنثى، فمدة النجاسة مضاعفة للمولود وللأم. تطهر بعدها بخروف حولي، وفرخ حمام أو يمام محرقة.

ثم تشريع الطهارة ومدة النجاسة، في الأمراض الجلدية كالبرص؛ برص الإنسان، وبرص البيوت، ومن يحكم بنجاستها، وكيفية التطهر منها. وكذلك شريعة ما يفرزه الجسد: القيح نجاسة، وصاحبه نجس، وما يلمسه أو يجلس عليه نجس، ومن لمس ذو النجاسة نجس حتى المساء وإن اغتسل. الجماع نجاسة، الحيض سبعة أيام.

تشريع ليوم التكفير

أمر الرب هارون:

- بأن لا يدخل في كل وقت إلى القدس داخل الحجاب أمام الغطاء الذي على التابوت.
- بماذا يدخل هارون من البهائم قرباناً.
- وماذا يأخذ من بني إسرائيل.
- كيف يهيئ نفسه للدخول، ليكفر عن نفسه وعن بيته وعن بني إسرائيل ،فريضة دهرية.
- في العاشر من الشهر السابع تذللون أنفسكم، ولا تعملون شيئاً، لأنه يوم التكفير، يطهركم الرب، وتكون فريضة دهرية، مرة في السنة.

تشريع من يحرم الزواج بهن

أمر الرب:

- لا تكشف عورة والديك، وعورة امرأة أبيك، وأختك لأمك ولأبيك، عورة ابنة ابنك أو ابنة بنتك، عورة ابنة امرأة أبيك، عورة أخت أبيك، عورة أخت أمك، عورة أخي أبيك وإلى امرأته لا تقترب، عورة كنتك، عورة امرأة أخيك.
- لا تأخذ عورة امرأة وبنتها، ولا تأخذ ابنة ابنها أو ابنة بنتها.
- لا تأخذ امرأة على أختها في حياتها.
- لا تقف امرأة أمام بهيمة لنزائها.
- لا تقترب من الحائض. - لا تضاجع ذكراً. - لا تضاجع بهيمة.

عقوبة المخالف: النفس التي تعمل هذه الأرجاس تقطع (تعدم) من شعبها.

تشريع شرائع متعددة

أمر الرب بني إسرائيل بالتالي:

- حفظ السبوت.
- ما يجب في القربان والحصاد.
- لا تغدر.
- لا تسلب.
- لا تشتم الأصم، ولا تعثر الأعمى.
- لا تحقر المسكين، ولا تبجل الكبير ظلماً.
- لا تسعى في النميمة.
- لا تنتقم ولا تحقد على أبناء شعبك.
- الابتعاد عن الأوثان.
- لا تسرق. - لا تكذب.
- لا تحلف كذباً. - لا تغضب قريبك.
- لا تؤجل أجرة الأجير إلى الغد.
- لا ترتكبوا جوراً في القضاء.
- بالعدل تحكم لقريبك.
- لا تبغض أخاك في قلبك.
- أحب قريبك كنفسك.

- لا تزرع حقلك صنفين. - لا تلبس ثوب مصنف من صنفين.
- لا تتفاءلوا ولا تعيفوا. - لا تقصر رأسك مستديراً. - لا تجرحوا أجسادكم لميت.
- لا تلتفتوا إلى الجان ولا تطلبوا التوابع. - من أمام الأشيب تقوم وتحترم الشيخ.
- تخشى إلهك، ولا تظلم في القياس والوزن والكيل.

تشريع الحدود والعقوبات

تحددت الخطايا وعقوباتها على بني إسرائيل، وعلى الغريب النازل بينهم، وهي:

- من أعطى من زرعه لِمَولَك (الزنى) يقتل رجماً بالحجارة.
- من سب والديه يقتل.
- الزاني مع زوجة أبيه أو قريبه أو زوجة ولده أو ذكر، يقتل هو ومن زنى به.
- إذا جمع الرجل امرأة وأمها يحرقوا جميعاً.
- من أتى بهيمة يقتل.
- إذا رأى رجل عورة أخته لأبيه أو لأمه ورأت عورته يقتلان.
- الرجل أو المرأة الذي/التي به/بها جان أو تابعة يقتل رجماً بالحجارة.

شرائع الكهنة

أمر الرب بواجبات على الكهنة القيام بها، وهي:

- لا يتنجس أحدكم لميت من قومه إلا لأقرب المقربين: الأم، الأب، الابن، البنت، الأخ، الأخت العذراء.
- لا يجعلوا فرْعَة في رؤوسهم.
- لا يحلقوا عوارض لحاهم.
- لا يجرحوا أجسادهم.
- لا يأخذوا لأنفسهم زانية ولا مطلقة.
- إذا زنت ابنة الكاهن تحرق بالنار.
- الكاهن الأعظم فيهم لا يكشف رأسه، ولا يشق ثيابه، ولا يأتي إلى نفس ميتة؛ لا يتنجس لأمه وأبيه، ولا يخرج من المقدس، ولا يأخذ إلا عذراء.

وتكرر ذكر المناسبات وما يجب القيام به، في كل منها، وذلك على النحو التالي:

المناسبات الفصح والفطير: وتأتي في الرابع عشر من الشهر الأول (14 /1)، ومدتها بين العشائين. ويجب فيها تقديم فصح للرب.

<u>مناسبة عيد الفطير:</u> وتاتي في الخامس عشر من الشهر الأول (15 /1)، ومدتها سبعة أيام. ويجب على اليهود فيها القيام بالتالي:

- في اليوم الأول يكون لكم محفل مقدس (عطلة).
- 7 أيام تقربون وقوداً للرب.
- في اليوم السابع محفل مقدس لا عمل فيه.

مناسبة باكورة الثمار: وموعدها، بعد عام من دخول أرض الميعاد، في نفس يوم الدخول، ومدتها يوم،

غد السبت، ويجب على اليهود فيها عمل التالي:

- تقدم حزمة من باكورة الحصاد إلى الكاهن يرددها أمام الرب، ليرضى عنكم.
- تعملون تقدمة: خروفاً صحيحاً حولياً محرقة للرب، ووقوداً من الدقيق المخلوط.

مناسبة عيد الخمسين: وتأتي بعد غد سبت حزمة الترديد، ومدتها يوم واحد فقط، وعلى اليهود القيام بالتالي:

- أمر الرب أن تعد من بعد سبت حزمة الترديد 7 أسابيع، ومن بعد غد السبت السابع تحسبون خمسين يوماً، ثم تقربون تقدمة جديدة، وبيَّن ماهيتها وكميتها وكيفية أداؤها.

مناسبة عيد الأبواق: وتأتي في الأول من الشهر السابع (1/ 7)، ومدتها يوماً واحداً، ويجب على اليهود فيها القيام بالتالي:

- يكون لكم محفلاً مقدساً (عطلة).
- تذللون أنفسكم وتقربون قرباناً للرب.
- أي نفس لا تذلل تقتل، ومن يعمل يقتل.

مناسبة يوم الكفارة: وتأتي في العاشر من الشهر السابع (10/ 7)، ومدتها يوماً واحداً، وعليهم القيام بالتالي:

- يكون لكم محفلاً مقدساً (عطلة).
- تذللون أنفسكم وتقربون قرباناً للرب.
- أي نفس لا تذلل تقتل، ومن يعمل يقتل.

مناسبة عيد المظال: وتأتي في الخامس عشر من الشهر السابع (15/ 7)، ومدتها سبعة أيام، وعليهم القيام بالتالي:

- اليوم الأول محفل مقدس.
- سبعة أيام تقربون وقوداً للرب.
- في اليوم الثامن محفل مقدس تقربون وقوداً للرب (يوم اعتكاف).
- سبعة أيام تسكنون في المظال. (ذكرى الخروج).
- سبعة أيام في السنة فريضة دهرية.

واجبات في أرض الميعاد

ويأمر الرب بني إسرائيل عندما يصلوا إلى أرض الميعاد بالتالي:

- أن يزرعوا 6 سنوات، والسنة السابعة لا يزرعوا فيها (سبت الأرض).
- سنة اليوبل: تَعُد سبعة سبوت (كل سبع سنوات) 49 سنة، وفي العاشر من الشهر السابع تُعَير بوق الهتاف؛ يوم الكفارة في جميع أرضكم.
- تقدسون السنة الخمسين: - لا تزرع فيها ولا تحصد. - فيها كل يعود إلى مُلكه وعشيرته.
- لا ربا ولا مرابحة. - تكون سنة العتق. - لا يُغبن أحدكم أخاه.
- الأرض لا تباع بتة، وإن باع أحدكم ففيها فكاك، ومن لم يجد في سنة اليوبل يعود إلى مُلكه.
- لا تستعبد أخيك.

وتبين الآيات المقدسة جزاء الطاعة والعصيان:

مكافأة الطاعة: يشبعهم من جوع، ويؤمنهم من خوف، ويكون معهم.

عقوبة العصيان: يذلهم ويخزيهم ويفقرهم ويذريهم بين الأمم.

وفي حالة النذور للرب، أمر الرب موسى أن يكلم بني إسرائيل، فيما يتعلق بالنذر له، وكيف تكون عملية الافتداء؛ الذكر ضعف الأنثى، والكبير ضعف الصغير، وهكذا.

السفر الرابع .. سفر العدد

لسفر العدد دلالته الخاصة، فهو أساساً، مكرس لتصوير رحلة بني إسرائيل، منذ أن خرجوا من مصر، وحتى دخولهم أرض كنعان. وأبرز قضايا هذا السفر تتحدد في:

- تعداد الأسباط بعد الخروج من مصر.
- تعيين مهام سبط لاوي بخدمة المعبد.
- ترتيب الأسباط حول الخيمة.
- إحصاء كل سبط وتحديد واجباتهم ورئيسهم.
- نفي الأبرص وذو السبيل والمتنجس إلى خارج المحلة.
- اللعان على يد الكاهن (يشرب ماء اللعنة).
- وجوب الوفاء بالنذر للرب، وما الكفارة الواجبة في الخطيئة.
- مدة الخدمة في الخيمة: من سن خمسة وعشرين سنة وحتى خمسين سنة.
- بقاء ورحيل بني إسرائيل مقرون بالسحاب: فعندما تكون السحاب فوق الخيمة يقيمون، وعندما ترتفع يرتحلون.
- أمر الرب بصناعة بوقين من الفضة، وحدد وظيفتهما: يُضرب بالبوقين في السلم والحرب وفي المناسبات الاجتماعية والدينية، وتحديد عدد الضربات، وإن كانت مصحوبة بهتاف

أم لا.

- كثرة شكوى بني إسرائيل وغضب الرب عليهم، فاشتعلت فيهم النار، ولم تخمد حتى صلى موسى للرب.
- أمر الرب بدخول أرض (كنعان)، فاستجاب الكثير لأمر الرب، إلا أن بعضهم قال بأنه لا طاقة لهم، لأن السكان أقوياء وعمالقة.
- بيان الرب لأنواع التقدمات الطوعية، ومتى يتم تقديمها، وذلك عند مجيئهم إلى الأرض.
- أمر الرب بني إسرائيل، بأن يعملوا لهم أهدابا ًفي أذيال ثيابهم من اسمانجوني، لتذكرهم بوصايا الرب.
- واجبات الكهنة واللاويين.
- نصيب الكهنة واللاويين من التقدمات، وحدد ما لهارون وما لباقي خدمة البيت.
- إجراءات التطهر التي أمر بها.
- وأمره بأن يأخذوا بقرة حمراء صحيحة، وحدد لم تقدم وأين يتم ذبحها، وما يفعله الكاهن بدمها.
- وحدد أن مس الميت يجعل المرء نجساً سبعة أيام، يتطهر في الثالثة، والسابعة، وإن لم يتطهر في الثالثة، فلا يطهر في السابعة، ويظل نجساً.
- وبين أن من دخل الخيمة وهو نجس فعقوبته القتل.
- ضرب موسى للصخرة وخروج الماء منها، ليشرب كل الأسباط.
- موت سيدنا هارون في جبل هور، ومسح ابنه اليعازر خلفاً له.
- نتيجة عصيان بني إسرائيل، أرسل الرب عليهم حيات تلدغهم، فمات منهم الكثير، ثم استجاب الرب لدعاء موسى، ورفع ذلك عنهم.
- فساد بني إسرائيل عندما اختلطوا بالموآبيين، فغضب الرب عليهم وأمر بقتلهم، وأصيبوا بالأمراض.
- عفو الرب عن بني إسرائيل، عندما قام فنحاس بن أليعازر بن هارون، بقتل الإسرائيليين والميدانيين غيرة للرب، فأمر الرب موسى، بجعل الكهانة فيه وفي نسلة.
- التشريع في الوراثة : جاء حكم الرب، بأن ينقل ملك الأب إلى بناته، إن لم يكن له ولد، ثم الأقرب فالأقرب.
- وموت سيدنا موسى؛ أمر الرب موسى، أن يصعد إلى جبل عباريم، حتى يضمه كما ضم هارون من قبل.
- أوكل الرب أمر بني إسرائيل إلى يشوع بن نون.
- تشريع التقدمات اليومية، وتقدمة السبت، والتقدمة الشهرية، وتقدمات الأعياد، كما أوصى بها الرب:

- خروفين حوليين صحيحين، لكل يوم محرقة دائمة: واحد في الصباح، والآخر بين العشائين، مع توابعهما، فريضة دهرية.
- تقدمة السبت: خروفان حوليان صحيحان، وعشران دقيق دون الإخلال بالتقدمة اليومية.
- التقدمة الشهرية: في رأس كل شهر ثورين، وكبشاً واحداً، وسبعة خراف حولية صحيحة، مع توابعها.
- تقدمة عيد الفصح: ثورين وكبشاً واحداً، وسبعة خراف وتيساً، مع توابعها. وحدد الأوقات، دون إخلال بالتقدمات اليومية.
- تقدمة عيد الأسابيع (الباكورة): ثورين، وكبشاً، وسبعة خراف، وتيساً، وتقدمتهن.

- ذكر الأعياد والمناسبات الدينية، وبيان أيامها، وما يجب تقديمه من تقدمات، كما أوصى الرب موسى:
  - عيد الأبواق: في اليوم الأول من الشهر السابع (محفل مقدس)، يوم هتاف بوق يكون لكم.
  - القربان: ثور واحد، وكبشاً واحداً، وسبعة خراف حولية صحيحة، وتيساً، وتقدمتهن.
  - يوم الكفارة: في اليوم العاشر من الشهر السابع (محفل مقدس).
  - القربان: ثور واحد، وكبشاً واحداً، وسبعة خراف حولية، وتقدمتهن، وتيساً (ذبيحة خطيئة)
  - عيد المظال: في يوم 15 من الشهر السابع (محفل مقدس)، وتعيدون سبعة أيام.
  - القربان: في اليوم الأول: 13 ثوراً وكبشين، و أربعة عشر خروفاً، وتقدمتهن، وتيساً (ذبيحة خطيئة). وفي اليوم الثاني، والثالث، والرابع، والخامس، والسادس، والسابع؛ يتناقص عدد الأثوار واحداً كل يوم، وتبقى أعداد الكباش الخرفان والتيوس كما هي، مع تقدمتهن.
  - في اليوم الثامن: يوم اعتكاف (لا عمل)، والقربان: ثوراً واحداً، وكبشاً واحداً، وسبعة خراف وتقدمتهن، وتيساً واحدا.
- حكم النذر والقسم، وأن الوفاء بهما واجبة على الرجال والنساء، وبيَّن حكم ذلك، على الصبية والزوجة في بيت أبيها وزوجها، وعلى المطلقة والأرملة.
- أمر الرب أن يدخلوا أرض كنعان، ويقسمونها بين الأسباط بالقرعة، وبيّن أن من بقي من الكنعانيين في الأرض، سيكونون مصدر ألم وإزعاج شديد لهم.

وتختم آيات هذا السفر، في الإصحاح (36)، الحديث عن أن فتيات كل سبط، يتزوجن من بني عشيرتهن، حتى لا يذهب ميراثهن لسبط آخر.

السفر الخامس .. سفر التثنيـة

يتكون سفر التثنية، من أربعة وثلاثين إصحاحاً، يأتي في كثير منها، تذكير لما جاء في الأسفار السابقة، وينتهي بالإصحاح الرابع والثلاثين، الذي يتحدث عن موت سيدنا موسى عليه السلام. ونظراً لما جاء في هذا السفر من تكرار، فسوف نعرض أهم ما فيه.

بعد أن أمر الرب موسى بالتوجه إلى كنعان، فقام موسى بتعيين قادة (قضاة) على بني إسرائيل، وحدث قومه عن حياتهم في التيه، وأخبرهم بأن رحيلهم استمر ثمانية وثلاثين عاماً، حتى فني الجيل الأول، الذين كتب عليهم التيه. ونهى الرب بني إسرائيل، عن الاستيلاء على أراض محددة. كما أمر موسى بأن لا يثر على موآب، ولا يأخذ من أرضهم شيء، لأنه أعطاها لبني لوط.

وحرم الرب على موسى دخول الأرض (بل يشوع يدخلها). وعمل على تحديد ثلاث مدن للملجأ، التي ورد فيها تشريع خاص بها وبشهود القتل؛ اجعل لك من الأرض، التي أعطاك الرب، ثلاث مدن ملجأ، كي يهرب إليها القاتل غير المتعمد. وعندما تتسع الأرض، اجعل لك ثلاث مدن ملجأ أخرى. أما القاتل العمد، فيرسل إليه الشيوخ ويأخذوه منها، ويسلموه لولي الدم فيقتله، لا ترحمه. وفيما يتعلق بالشهود: يجب أن يزيد الشهود على واحد: إثنان أو ثلاثة، ومن شهد زوراً يفعل به، كما أراد أن يفعل بالآخر.

وعند دخول الأرض (كنعان) فقد كان أمر الرب محدداً، حيث جاء: متى أتيت الأرض وطرد الرب من أمامك سكانها، فلا:

- تقطع لهم عهداً. - لا تشفق عليهم. - لا تصاهرهم.

كما أمر بأن: يحرقوا كل ما أتوا عليه. وتذكر الآيات قصة اختياربني إسرائيل وتفضيلهم، لأنهم شعب مقدس. ووعد الرب موسى بأنه سيتكفل بالشعوب التي أمامه، فهو سيفنيهم ويطردهم من أمامه. ووصية الرب لبني إسرائيل، بأن لا ينسوا ذكره في كل حين، في السراء والضراء.

ويحذر الرب شعب إسرائيل، عندما يدخلوا الأرض، وينتصروا على أهلها، بأن لا يقولوا لبرهم كان ذلك، بل لآثام أهل الأرض، طردهم الرب منها وأسكنهم. كما أمرهم بتذكر العجل الذهبي، وبالآثام التي عملوها فأسخطوا الرب بذلك، و أمرهم بالتقوى وحبه وطاعته وتجنب معصيته، وأوصاهم بحفظ الشريعة. كما أمر الرب بمكان واحد للعبادة، سيختاره هو لهم.

وتذكر الآيات المقدسة التوجيهات القضائية والسياسية، التي تنظم حياة بني إسرائيل، فقد ورد أن القاتل يقتل بشهادة اثنين أو أكثر. وفيما يصعب من المسائل القضائية، يستشار فيها اللاويون. ولا يجب أن يملك على بني إسرائيل أجنبي، والملك يختاره الرب من

وسطهم. ويجب أن لا يكون للملك مالاً كثيراً، حتى لا يتكبر على إخوته، ويكتب ذلك اللاويون له.

ويحذر الرب شعب إسرائيل قائلاً: إذا دخلت أرض الميعاد، لا تفعل مثلما يفعلون، محرم السحر والعرافة، وسؤال الجان والتابعة، واستشارة الموتى، والرقيا. ووعدهم بأن يجعل لهم أنبياء من وسطهم، فيتكلمون بما يوحي به الرب، ومن خالف يموت.

وكما كان لحياة السلم تشريعاً، فإن للحرب وظروفها تشريعاً، فقد أوصى الرب، بعدم الخوف من الحرب، وحدد دور كلاً من الكاهن والعرفاء. وأمر أن يستثنى من الخروج إلى الحرب:

- الذي بنى بيتاً جديداً ولم يسكنه.
- الذي غرس كرماً ولم يبتكره.
- الذي خطب امرأة ولم يدخل بها.
- الخائف والضعيف.

وأوضحت الآيات طرق التعامل مع المدن المحاربة، فقد ذكرت الآيات، أن هناك إجراءات ينبغي اتخاذها، عند الاقتراب من مدينة للحرب، وهذه الإجراءات لا تزيد عن خيارين اثنين:

أولاً، تدعى للصلح، فإن استجابت يستعبد أهلها.

ثانياً، إن لم تستجب تحاصر، وعند فتحها يقتل كل ذكر فيها، أما النساء والأطفال والبهائم فغنيمة.

ويأتي تشريع آخر، يوضح حكم القتل المجهول، والزواج بأسيرة الحرب، وحق الولد البكر، وكذا القاتل المعلق على الخشب:

- ذبيحة القتيل المجهول: يخرج الشيوخ والقضاة ويأخذوا عجلة من أُقرب مدينة للقتيل المجهول (ولها مواصفاتها)، ويذهبون بها إلى وادي (ذو مواصفات)، ويذبحونها، ثم تكمل باقي المراسيم، حتى يغفر الرب للشعب.
- الزواج بأسيرة: إذا أعجبتك، فعند دخولها البيت تحلق رأسها، وتقلم أظافرها، وتنزع ثياب السبي، وتبكي أباها وأمها شهراً، وإذا أردت طلاقها فافعل، ولكن لا تبعها ولا تسترقها.
- حق الابن الأكبر: عند تقسيم التركة يعطى البكر ابن المكروهة نصيب اثنين.
- شريعة المعلق على خشبة: إذا قتل القاتل وعلق على خشبة، يجب أن لا يترك معلقاً طوال الليل، بل يدفن في ذلك اليوم، لأن المعلق ملعون ونجس، فلا ينجس الأرض.

تشريعات متنوعة

وتذكر الآيات تشريعات في مختلف مجالات الحياة: السلوك، والآداب، والعلاقات الاجتماعية والقضائية، وقد ورد الكثير منها فيما سبق، ولكن تكرار ذكرها من الأمور المستحبة، وهي:

- لا يتشبه الرجال بالنساء والعكس.
- لا تؤخذ الأم والأولاد من الطيور، بل الأولاد.
- لا تلبس ثوب مكون من صنفين.

- لا تزرع صنفين.
- المحظور انضمامهم إلى جماعة الرب، وهم: المخصي، والمجبوب، وابن الزنى حتى الجيل العاشر، العموني والموآبي.
- لا تكره أدومياً لأنه اخوك. لا تكره مصرياً؛ الأولاد الذين يولدون لهم في الجيل الثالث يدخلون جماعة الرب .
- تأكيد على ضرورة الطهارة.
- لا تكن زانية ولا مأبوناً من بني إسرائيل.
- لا تدخل ثمن زانية ولا ثمن كلب بيت الرب.
- العبد الذي ترك مولاه، وأتى إليك، اجعله عندك، ولا تظلمه، ولا ترجعه إلى مولاه.
- لا تقرض أخيك بالربا.
- الوفاء بالنذور كما نُطق بها.
- إذا دخلت كرماً فأكل منه ولا تحمل منه معك.
- إذا طلق الرجل زوجته وصارت لرجل آخر، فلا تحل للأول بعد طلاقها من الثاني.
- العريس الجديد لا يخرج لحرب مدة عام كامل.
- لا يسترهن أحد رحى لأنها حياة.
- من سرق شخصاً من بني إسرائيل وباعه عبداً يقتل.
- التحذير من ضربة البرص.
- إذا أقرضت صاحبك برهن، فلا تدخل بيته، حتى يخرج إليك هو بالرهن، وفي حالة أن يكون الراهن فقير، رد عليه رهنه قبل غروب الشمس.
- لا تؤخر أُجرة الأجير: أعطه قبل غروب الشمس.
- لا يقتل الوالد بالولد، ولا الولد بالوالد.
- لا تُعَوّج حكم اليتيم والغريب.
- لا تسترهن ثوب الأرملة، (أحسن إليهما).
- إذا حصدت الزرع ونسيت حزمة، فلا ترجع لتأخذها، للغريب واليتيم والأرمل تكون، وهكذا في الكرم والزيتون.
- عند الحكم بالجلد، يجب أن لا يزيد عدد الجلد عن الحكم.
- واجب أخ الزوج نحو أرملة أخيه، عندما يكونون في مسكن واحد، أن يأخذ الأخ أرملة أخيه زوجة له، والولد البكر يلحق باسم أبيه الميت. أما إذا أصر الأخ على عدم الزواج بها، فتخرج إلى شيوخ المدينة، وإذا ظل على إصراره، تخلع نعله وتبصق في وجهه وتقول: هكذا يفعل بالرجل الذي لا يبني بيت أخيه، فيدعى اسمه في إسرائيل "مخلوع النعل".
- تَدَخّل المرأة في الخصام: إذا تخاصم رجلان (أخوة)، وتدخلت زوجة أحدهما، ومدت يدها لتحمي

زوجها، وأمسكت بعورة الرجل، تقطع يدها بدون شفقة.

- الموازين والمكاييل: الحرص في المكيال والميزان وتجنب الغش.

وعند الإقتراب من أرض الميعاد، وعند عبور الأردن، تم تذكير بني إسرائيل بوصايا الرب لهم. وأوصى موسى عند عبور الأردن، أن يقف شمعون ولاوي ويهوذا وبساكر ويوسف وبنيامين على جبل جِرزِيم، ليباركوا الشعب عند العبور. ويقف رأوين وجاد وأشير وزبلون ودان ونفتالي على جبل عيبال اللعنة، فيصرخ اللاويون بصوت عال يا للعنات، والشعب يجيب آمين:

- ملعون من يصنع تمثالاً منحوتاً أو مسبوكا: آمين.
- ملعون من يستخف بأبيه وأمه: آمين.
- ملعون من يعتل الأعمى عن الطريق: آمين.
- ملعون من يعوج حق الغريب واليتيم والأرملة: آمين.
- ملعون من يزني بزوجة أبيه أو بهيمة: آمين.
- ملعون من يزني بأخته بنت أبيه أو أمه أو حماته: آمين.
- ملعون من يقتل قريبه في الخفاء: آمين.
- ملعون من يأخذ رشوة ليقتل بريء: آمين.
- ملعون من لا يعمل بكلمات هذا الناموس: آمين.

واقترب أجل سيدنا موسى عليه السلام، ورأى، بحسب أوامر الرب، أن يعظ بني إسرائيل المواعظ الأخيرة، ويخبرهم بحالهم في مقبل الأيام. دعا موسى يشوع، وباركه أمام شيوخ إسرائيل، وأمر موسى بعد أن كتب التوراة وسلمها للاويين والشيوخ، بأن يقرأها على كل شعب إسرائيل، في نهاية السبع السنين، وفي سنة الإبراء، وفي عيد المظال، عندما يأتي جميع شعب إسرائيل، ليُطهروا أمام الرب.

وتذكر الآيات المقدسة، تنبؤً بتمرد شعب إسرائيل: سينكث العهد ويعبد آلهة أخرى، وسوف يغضب الرب عليهم. وأمر موسى بجمع بني إسرائيل، وأخبرهم، بأنهم سيفسدون وينكثون العهد، وكان الرب قد أمره أن يعلمهم النشيد. فأنشد وأسمعهم النشيد، واختتم وصيته لهم: "وجهوا قلوبكم إلى جميع الكلمات التي أنا أشهد عليكم بها اليوم، لكي توصوا بها أولادكم ليحرصوا أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة. لأنها ليست أمراً باطلاً عليكم، بل هي حياتكم وبهذا الأمر تطيلون الأيام على الأرض التي أنتم عابرون الأردن إليها لتمتلكوها".

وأنبأ الرب موسى بموته على جبل بنو (عيباريم)؛ وأمره أن يصعد إلى جبل عيباريم، الذي في موآب قبالة أريحا، حيث قبض روحه. وتختتم الآيات هذا السفر، بوصف موته عليه السلام: عندما صعد موسى الجبل، حيث أمره الرب، فأراه الرب جميع الأرض، التي أقسم أن يعطيها للشعب، ومات عن عمر ناهز مائة وعشرين عاماً، ولم تكل عيناه ولا ذهبت نضارته. ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى، الذي عرفه الرب وجهاً لوجه، في جميع الآيات والعجائب، التي أرسله الرب للقيام بها. وبانتهاء هذا السفر، تنتهي كل التشريعات، التي فرضها الرب على بني إسرائيل، ولم يرد بعدها أي ذكر لأي

تشريع؛ مهما كان صغره.

الأسفار المتبقية

تبقى من أسفار التوراة (التناخ)، واحد وثلاثين سفراً، ولا تحمل هذه الأسفار، أي تشريع يذكر، بعد أسفار موسى الخمسة، التي تم تقديم ملخص (غير مغن) لها، لذا سوف نقدم للقارئ، في سطور قليلة، نبذة مختصرة عن هذه الأسفار، حتى يكون على علم بمحتوياتها، وذلك على النحو التالي:

يشوع : يروي هذا السفر، امتثال يشوع لأمر الرب، بالعبور إلى الأردن، وما واجهه يشوع في طريقه للعبور، وعصيان بني إسرائيل، والحروب التي دارت، وهزيمة الملوك بمساعدة الرب لبني إسرائيل، وآية الرب، في أمره للشمس بعدم الغروب، حتى ينتصر بنو إسرائيل، وكيفية تقسيم الأراضي بين الأسباط، وينتهي الحديث ببيان موت يشوع ومكان دفنه.

القضاة : في هذا السفر، أسند الرب الأمر ليهوذا، من بعد يشوع بن نون، واستمرت الحروب، وانتصر بنو إسرائيل على أعدائهم. وتوالى القضاة على الشعب، وتوالى الملوك، من بني إسرائيل، عليهم. وانتهى السفر بذكر قصة شمشون الجبار.

راعوث : هذا السفر مكرس، لبيان قصة الزوجة نعمى، وكنتها راعوث، وكيفية زواج راعوث من بوعز، الذي أشاد بإكرام راعوث لحماتها.

صموئيل الأول: تروي آيات هذا السفر ست قصص، وهي:

- قصة نذر حنة أم صموئيل، بأن يكون مولودها للرب، مع ذكر لدعائها، ونداء الرب لصموئيل.
- قصة أبناء عالي الكاهن الأشرار.
- قصة استيلاء الفلسطينيين على التابوت، وعودته إلى بني إسرائيل مرة أخرى.
- قصة طلب بني إسرائيل، أن يكون عليهم ملكاً، فمسح صموئيل شاول ملكاً عليهم، وبعد أن غضب الرب على شاول، يمَسح صموئيل داود ملكاً على بني إسرائيل.
- ذكر محاولات شاول للنيل من داود، وما حققه داود من انتصار على العمالقة.
- موت صموئيل وانتحار شاول.

صموئيل الثاني: ويستمر هذا السفر، برواية حزن داود على موت شاول، ويعيد ذكر قصة مسح داود ملكاً على إسرائيل، ثم حروبه مع بيت شاول. ويذكر كذلك، فتح داود لأورشليم، وهزيمة الفلسطينيين أمامه، وإصعاد التابوت إلى أورشليم. كما أمر الرب النبي ناثان، أن يخبر داود، بأن يبني بيتاً للرب، وصلاة داود. ثم ما حققه داود من انتصارات، وأخيراً، بناء داود للرب مذبحا

الملوك الأول: يروي قصة تولي سليمان للملك، ووصايا داود له، وطلبه للمعرفة، وتسييره لشؤون الملك، وما قام به من استعدادات لبناء الهيكل، وكيف تم بناء الهيكل ونوع أثاثه، وإحضار التابوت إلى الهيكل. ثم بناء سليمان قصراً لنفسه، وأعمال أخرى قام بها. وكذا صلاة سليمان وتدشين الهيكل.

وظهور الرب له. ومجيء ملكة سبأ إليه، وعظمته. ثم موته، وما حل بالشعب من بعده. وتقاسم الملك الموحد: إلى مملكة شمالية ومملكة جنوبية. وازدياد عمل الشر وعبادة الأصنام، والنبوءات بالعقاب على ذلك، وتوالي الملوك، وظهور أنبياء.

الملوك الثاني: جاء في هذا السفر، عدداً من المعجزات: كصعود النبي إيلياء إلى السماء، وإعادة الحياة إلى طفل ميت، والشفاء من البرص، وطفو الحديد على الماء، وتوالي الملوك، والنبوءة بخلاص أورشليم. وأخيراً سقوط أورشليم على يد نبوخذ نصر.

أخبار الأيام الأول: يتحدث هذا السفر عن أكثر من أربعة مواضيع: يتحدث عن الأحساب والأنساب؛ كنسل نوح، وأبناء كل من إسرائيل وداود، وذرية كل من رأوين ولاوي وبساكر، ونسب شاول البنياميني. ويتحدث عن تقلد داود الملك، وحروبه وانتصاراته على العمونيين والفلسطينيين، ونقله للتابوت إلى أورشليم، والاستعداد لبناء الهيكل، وتقسيم المهام الكهنوتية، وخدمة المعبد. وأخيراً، مسح سليمان ملكاً، ووفاة داود عليه السلام.

أخبار الأيام الثاني: وتتواصل في هذا السفر، أخبار بيت داود: كطلب سليمان للحكمة، واستعداده لبناء الهيكل وتأثيثه، وإحضار التابوت إلى الهيكل، وزيارة ملكة سبأ، ثم وفاة سليمان. وقصة الخلاف بين خلفاء سليمان، وتوالي الملوك على ممالك الإسرائيليين. وكذا تجديد الهيكل، والاحتفال بعيد الفصح، وتقديم العشور، وسقوط أورشليم، وأمر قورش بعودة المسبيين.

عزرا: كُرس هذا السفر، لعودة المسبيين بقيادة عزرا، وما قام به عزرا من إعادة بناء الهيكل، وما لقيه من مقاومة لتعطيل البناء. وورود قائمة بالعائدين من السبي، وكذا قائمة برؤساء العائلات العائدين مع عزرا، وأخيراً، موقف عزرا من الذين تزوجوا من الأمم.

نحميا: يروي هذا السفر، قصة نحميا في إعادة بناء أورشليم، وما لقيه من مقاومة في ذلك، وأعمال أخرى قام بها. كما يروي قراءة عزرا للشريعة، واعتراف الإسرائيليون بخطاياهم.

إستير: جاء في هذا السفر، اختيار إستير ملكة، وما كان يحاك ضد الإسرائيليين من مؤامرات، وما بذلته إستير لحماية شعبها، والاحتفال بعيد الفوريم.

أيوب: يروي هذا السفر، قصة أيوب التقي الورع الثري، وما حل به وبماله.

المزامير: يعرض هذا السفر، مجموع المزامير، وعددها مائة وخمسين مزمورا.

أمثال: كُرس هذا السفر، للحكمة وفضلها، والحث على اقتفائها، والتحذير من الرذيلة (الزنى والحماقة)، وأمثال سليمان، وقصة المرأة الفاضلة.

الجامعة: يبين هذا السفر، بُطل كثير من الأشياء: بطل اللذات، وبطل التعب، وبطل التفوق، وبطل الغنى، وأن لكل شيء نهاية، والحث على الوقوف بهيبة أمام الله. ثم الحث على إطاعة الملك، وأن الكل يلقى نفس المصير، وبيان أن الحكمة أفضل من الحماقة، والوصية بأن يذكر المرء خالقه في شبابه.

نشيد الإنشاد: هذا السفر مكرس، في جملته، للعريس والعروس والأصدقاء.

إشعياء: يزخر هذا السفر، بنبوءات كثيرة عن الممالك، وعلامات غضب الرب، وأناشيد تمجيد

الرب، ودينونة الأمم.

إرميا: يخبرنا سفر إرميا، عن هذا الكاهن الجليل، الذي عاصر يهوياقين، في مملكة يهوذا، وما لقيه من العنت والسجن، وعن عبادته وكلام الرب له. ثم يذكر الديانة الباطلة، وعقوبة الخطيئة، وظهور الأنبياء الكذبة، وما لقيه الرؤساء نتيجة عصيانهم، والهلاك الذي حل بالناس نتيجة عبادة الأوثان. ويختم هذا السفر الحديث، عن بعض النبوءات، عن أدوم ودمشق وعيلام وبابل.

مراثي إرميا: حفل سفر مراثي إرميا، بنواح أورشليم، والعقوبة التي حلت بها، والدعاء والرجاء، وكذا حالة أورشليم بعد سقوطها.

حزقيال: يزخر سفر حزقيال، بمواضيع عدة؛ كدعوة حزقيال، ورمز حصار أورشليم، وقتل عبدة الأوثان، إلى جانب مجموعة من النبوءات والمراثي. وأبرز ما في سفر حزقيال، هو منطقة الهيكل الجديد، بساحاته وأبوابه وأروقته وغرف الكهنة فيه.

دانيال: يروي سفر دانيال، قصة دانيال، في تفسير أحلام الملك نبوخذ نصر، وما تعرض له من مؤامرات، حتى يتم إبعاده عن الملك، وكيف أن كل المحاولات باءت بالفشل.

هوشع: سفر هوشع مكرس لبيان علاقته بزوجته وأبنائه، وعصيان بني إسرائيل، وعقاب الرب لهم.

يوئيل: يحتوي سفر يوئيل، على بيان ثلاث قضايا: الأولى قصة الجراد. والثانية، دينونة الأمم. والثالثة، بركات الرب لشعب إسرائيل.

عاموس: يروي سفر عاموس، أيضاً ثلاث قضايا: الأولى، دينونة الشعوب المجاورة لإسرائيل. الثانية، دينونة إسرائيل. الثالثة، استمرار إسرائيل في العصيان والتمرد والتكبر، الذي يمقته الرب.

عوبَديا ويونان: هذان السفران، لا يحتويان على الكثير، فالأول، يتحدث عن عوبَديا ونبوءته عن أدوم. أما السفر الثاني، فمكرس للحديث عن يونان فقط؛ عن صلاته، وعن هروبه.

ميخا: يبدأ سفر ميخا، بذكر دينونة السامرة وأورشليم، ويذكر الأنبياء الكذبة، واستمرار إسرائيل بالتمرد، ويختم الحديث، عن قيام إسرائيل من سقطتها.

ناحوم: جاء في سفر ناحوم، ذكر مفصل، عن غضب الرب على مدينة نينوى، وإنزاله الويل عليها.

حبقوق: كرس سفر حبقوق، لبيان شكواه وصلاته، واستجابة الرب له.

صفنيا: سفر صفنيا مكرس، للإنذار بالخراب على كل من يهوذا، وفلسطين وموآب وعمون، وكوش، وآشور، وينبئ بمستقبل أورشليم.

حجي: يعرض سفر حجي، دعوة لبناء بيت الرب، والوعد بحلول مجد الرب، على البيت الجديد.

زكريا: يتناول سفر زكريا قضايا عديدة، وكلها عبارة عن أخبار وقصص؛ فقد ورد فيه على

سبيل المثال: دعوة للرجوع إلى الرب، وحديث عن ثياب طاهرة لرئيس الكهنة، والعدل والرحمة، ووعد الرب بمباركة أورشليم، والقضاء بدينونة أعداء إسرائيل، وهلاك أعداء أورشليم والتطهر من الخطيئة.

ملاخي: من أبرز ما جاء في سفر ملاخي، محبة الله لشعبه، وتحديد الكهنة، واقتراب يوم القضاء. وبهذا، نكون قد انتهينا، من عرضنا للعهد القديم، الذي يحتوي على 613 أمراً ونهياً، وكلها تعمل على تنظيم حياة بني إسرائيل. وتجدر الإشارة، هنا، إلى أمر في غاية الأهمية، وهو أن كثير من هذه الأوامر والنواهي، قد سقط العمل بها بسقوط المعبد، وأن كهنة بني إسرائيل، قد استعاضوا عن بعض هذه الأوامر والنواهي، بأعمال بديلة لها؛ كالصلاة بدلاً عن القرابين في المعبد.

الفصـل الثاني
الشـريـعة الشـفهـية (التلمود)

فمن شفاه المرشدين وليس من
صفحات الكتب فقط يُستقى التعليم الواسع
(كوهن 2005: 23)

قليلون هم، القراء في العالم الإسلامي، الذين على معرفة جيدة بشريعة موسى، وبالديانة اليهودية عامة، وهؤلاء القلة من القراء، عندما يقرأون أو يسمعون عبارة "الشريعة الشفهية"، يعلمون بالضبط المقصود بها، أما ما عداهم، فيذهبون إلى الاعتقاد، بأن الشريعة الشفهية هي التلمود. صحيح، التلمود هو الشريعة الشفهية، ولكنه الصيغة النهائية، التي اعتمدها الحاخامات، بعد تاريخ طويل من التدوين والحوار والنقاش والإضافة والتعديل. وسوف نعرض، في هذا الجزء، المسار الطويل، الذي مرت به الشريعة الشفهية، ابتداءً بالمشناه والجمارا، حتى اكتمل شكلها في التلمود المتداول حالياً، الذي يضم بين دفتيه المشناه والجمارا. فما المشناه ؟، وما الجمارا ؟، وما التلمود ؟

المشنـــاه

ما المقصود بالمشناه ؟ كي نعلم المقصود بالمشناه، علينا أولاً، أن نعثر على المعنى البسيط والمباشر لها، ولتحقيق ذلك، كان لا بد من الرجوع إلى أحد قواميس اللغة العبرية، لنحصل على ما نريد. وبالبحث في القاموس عن جذر الكلمة، وهو الفعل شنا (שנה)، تبين بأنها تعني (كَرَّرَ) أو (أعاد)، وبهذا، يصبح معناها في اللغة، هو التكرار أو الأمر المكرر. وهناك من يعتقد، بأن معنى المشناه هو "التعليم"، الذي أتى من الفعل "شنا" بالعبرية، أي يدرس أو يراجع، وهذا غير دقيق إجمالاً، لأن المفردات التي استخدمت لبيان ذلك هي: يدرس، ويراجع، ويذكر، ومقابلها العبري هو: لومد לומד و زوكر זוכר، وهذه الكلمات، لا تقابل الفعل العبري شنا (שנה). وعليه فالقول، بأن معنى المشناه هو التعليم، ليس دقيقاً، وذلك لأن التعلم جاء نتيجة، فمن التكرار يأتي "التعلم" (Jacobs 1984: 56).

والمعنى الاصطلاحي للمشناه، لا نجده في معنىً واحداً، ولا عند كاتب واحد بعينه، بل إنه يتعدد، ويتنوع، بتعدد واختلاف مصادر التعريف، وقد يختلف باختلاف الفترة التاريخية،

التي ذكر فيها التعريف، أو المكانة العلمية أو الدينية لمن أتى بالتعريف، أو طبيعة التعريف المقدم؛ كأن يكون مستوحىً من محتوى المشناه نفسها، أو من شموله واتساعه، أو من كيفية تكوينه.

ومعنى المشناه، بوصفها، أمر مكرر، هي الشريعة المعتادة أو الشريعة المكررة (المحامي 2003: 190)، ومن حيث وظيفتها، فهي تفسير لشريعة موسى (كوهن 2005: 3). كما إنها، من حيث كيفية تداولها، تعني الشريعة الشفهية. ولما كانت المشناه تعبير دقيق عن حياة اليهود، فهي تقبل الإضافة والتعديل، فطبيعتها هذه، تجعل منها سجلاً حافلاً بالقوانين والممارسات اليهودية (Jacobs1984: 56).

أما معناها، من حيث أُفقها، فهي تعتبر نسقاً مفتوحاً يستوعب كل المستجدات التشريعية. والمستجدات التشريعية هذه، كانت نتاج جهود الأنبياء والعلماء، وحواراتهم ونقاشاتهم وتفسيراتهم للنص المقدس، بحيث أصبحت وبحق، "مجموعة تقاليد اليهود المختلفة، في شتى نواحي الحياة اليهودية، مع بعض آيات من كتاب التوراة" (عرابي 2004: 344 وقاموس الكتاب المقدس 2005: 222).

وهناك تعريف للمشناه، يكاد أن يتفرد به تقي الدين المقريزي (1997: 107)، وكنا نأمل أن يكون دقيقاً، فقد أضفى على المشناه، بعداً منهجياً، لم نجده قط في الأدب اليهودي، فالمشناه عنده، هي المنهج أو الآلية، التي بها ومن خلالها تتحدد الأحكام الشرعية، فهي تعني: "استخراج الأحكام من النص الإلهي" (المقريزي 1997: 107). ورأي المقريزي هذا، ليس له سند علمي أو تاريخي، فالمشناه، ليست أكثر من أرشيف، لحفظ جهود علماء وحكماء اليهود، وهذا ما أكده Amram (2009: 13) بقوله: "إن التوراة العبرانية هي الحاضنة المرجعية التي يرجع إليها الحاخامات لاشتقاق القواعد والمبادئ، التي تحكم نقاشاتهم وقراراتهم ... وإن القرارات التي يتوصلون لها، تم حفظها في المشناه، التي تعد الوثيقة القانونية المكملة للتوراة العبرانية. وبتعبير المسيري (2005: 35)، تعد المشناه، مصدراً من المصادر الأساسية للشريعة، وتأتي في المقام الثاني بعد العهد القديم". وبهذا تكون المشناه، إجمالاً، مجمل التقاليد اليهودية، التي ترجمت وطبقت معنى التوراة (Mansoor1991: 147).

وقبل أن نتناول بالنقاش والتحليل، موضوع كتابة الشريعة الشفهية (المشناه)، الذي تتعدد وتتباين حوله الآراء والأفكار، كان لا بد، من أن نبسط بين يدي القارئ، الأساس المنطقي لفكرة التدوين، والذي يقوم أساساً، على إيضاح الفرق بين الشريعتين (المكتوبة والشفهية). فالفارق الرئيسي، القائم بين الشريعتين، يكمن في طبيعة كل منهما، وفي علاقة العبرانيين أو الإسرائيليين أو اليهود بهما. فالتوراة (الشريعة المكتوبة) كتاب تعبد وهداية، ولا ينفع تداولها شفاهةً فقط، لأن قراءتها بنصها المكتوب، وبصفة مستمرة، واجبة على الجميع، فقراءتها عبادة.

أما المشناه (الشريعة الشفهية)، فهي تفسير وبيان للنصوص المقدسة الواردة في التوراة، وإقرار ما اتفق عليه، من إجراءات تشريعية وأحكام قضائية. وعامة اليهود، غير ملزمين بالإطلاع عليها، وليس هناك نص أو قول لأحد الأنبياء أو الحكماء، يفيد بأن قراءتها ملزمة، أو أن قراءتها عبادة. أما خاصة اليهود، فيطلعون عليها لتحقيق أحد أمرين، أو هما معاً: الأول، التحقق من التشريعات أو الأحكام القضائية ذات الصلة بقضية معروضة عليهم؛ "فمن أراد أن يتبين رأي الناموس اليهودي، بخصوص حالة معينة أو نقطة أو قضية، عليه أن يرجع أولاً، إلى مختلف الكتب، ولكن غير مسموح له، أن يصدر حكماً حاسماً في الموضوع،استناداً إلى التلمود وحده". (لوران 2003: 14). الثاني، إعادة النظر فيما دونه السلف، للتأكد من استمرار ملاءمته لمستجدات الأوضاع.

مشروع تدوين المشناه

خلصنا من الحديث حول معنى المشناه، إلى قول Amram بأنها الوثيقة القانونية المكملة للتوراة العبرانية، ورأينا بأنه قد أُطلق عليها: الشريعة الشفهية، تمييزاً لها عن الشريعة المكتوبة (التوراة). هذا التمييز بين الشريعتين، أثار لدينا عدداً من الأسئلة، مثل: هل المقصود أنهما متلازمتان؛ بمعنى أنهما ظهرتا في وقت واحد، أم في أوقات مختلفة ؟ هل صدرتا من مصدر واحد، أم أنهما مختلفتا المصدر؟، هل ظلت الشريعة الشفهية شفهية دون كتابة، أم أنها كُتبت، وأن كاتبها هو سيدنا موسى ؟ وإذا سلمنا بأن سيدنا موسى دونها، فبأية لغة تم تدوينها، وما مصير النسخة الأصلية، التي دونها موسى (عليه السلام) ؟، كل هذه الأسئلة وغيرها كثير، لا شك ستدور في ذهن أي قارئ، عندما تتاح له فرصة الإطلاع على الشريعة الشفهية (المشناه). وسوف نعرض في السطور القليلة التالية، إجابة بعض تلك الأسئلة أو التساؤلات المثارة.

والمطلع على الأدب اليهودي، الخاص بالشريعتين المكتوبة والشفهية، يجد أن هناك كثير من الآراء والأفكار حولهما، وأن هذه الأفكار كالموج المتلاطم، تأخذ القارئ بعيداً، وتعود به إلى المربع الأول، الذي أخذته منه. وكل ما عليه فعله، هو التأني وعدم التسرع، وألا يصاب بالملل، خاصة عندما لا يجد أن الكلام الذي يقرأه واضحاً ومباشرا. وقد يجد في كثير من الأحيان، تعارضاً بيناً في الآراء والأفكار المعروضة أمامه، وهذا التعارض يعود في المقام الأول، إلى علمية الكتاب، وليس للموضوع الذي يتناولونه بالدراسة. وما عليه، في نهاية المطاف، إلا أن يلجأ إلى المنطق، وإعمال العقل والاسترشاد بفقه الواقع، ما أمكنه ذلك.

والأمر الذي لا جدال فيه، ولا خلاف عليه، هو أن سيدنا موسى، عليه السلام، تسلم الألواح والتوراة من ربه. وسواءً تسلم المشناه مع الألواح والتوراة، في وقت واحد، أم تسلمها بعد ذلك، أم لم يتسلمها قط، فهذا الأمر، الذي سيتبين لنا فيما بعد. وما يعنينا، هنا، استناداً إلى العقل والمنطق، هو أن الدين أو الرسالة الموسوية، المتضمنة لكلام الله (الألواح والتوراة)، والتي

تحمل سيدنا موسى، مسئولية إبلاغ قومه بها، ليست جديدة عليهم، لأنها ذات أصول قديمة، هم على علم أكيد بها. وما ينبغي البحث عن جواب له هو: هل كلام الله، الموحى به إلى موسى، كان واضحاً جلياً لبني إسرائيل، بحيث لا يتساءلون عن معناه وتأويله، هذا من ناحية. ومن ناحية ثانية، هب أنهم لم يتساءلوا قط، عن أية آية من آيات الله، التي في كتابه (التوراة)، فهل قضى سيدنا موسى حياته بينهم، دون أي توجيه لهم، أو دون أن يتحدث إليهم، أو يتحدثون إليه. الإجابة المنطقية عن كل ذلك، سواءً بالعقل أو استناداً لما ذكرته التوراة، هي بالطبع لا.

إذن، فعلينا الإقرار، بأن سيدنا موسى كان هو المسؤول عن توضيح آيات الله لقومه، المجيب عن تساؤلاتهم واستفساراتهم، فيما غمض عليهم منها، وهو الموجه والمرشد لهم، وهو القاضي بينهم، والمستشار لهم، والولي والحاكم عليهم. وعلى افتراض، بأنه لم يتسلم المشناه من ربه، فبيانه لآيات الله، وإجاباته عن تساؤلات القوم ورده على استفساراتهم، وحكمه بالعدل بينهم، ونصحه لهم عند استشاراتهم له، وانصياعهم لتوجيهه وحكمه، كل هذا يشكل ميراثاً شرعياً وقانونياً، يمكن لمن أتى بعده، أن يسترشد به، ويستنبط منه الأحكام والقواعد، التي تعينه في فض النزاعات والخلافات الناشئة بين الأجيال المتعاقبة، وكذا بيان كيفية إقامة الشعائر والطقوس الدينية، في مختلف المناسبات. ويقضي المنطق، بأن عظمة وجلال سيدنا موسى، عند قومه، يصبغ حياته وأقواله بالعظمة والجلال أيضا. وإنسان له هذه المكانة، لا شك أن حياته قد سُطرت، وأقواله وأفعاله قد حفظت وكُتبت. فحياة الأنبياء والمرسلين بين أقوامهم، هي جزء لا يتجزأ من الدين أو الرسالة التي يحملونها لهم، وهذا هو ما يطلق عليه، اليهود، الشريعة الشفهية (المشناه).

وما ينبغي أن نثق به، عقلياً، هو أن الخلاف الفقهي بين علماء الدين، أي دين كان، إذا نتج عنه زيادة في المعرفة والعلم، واتساع أُفق الحقيقة الدينية، وفي العطاء والخير لأبناء الدين الواحد، فهو خلاف محمود، وهو ما يميز العالم الحق، أما إذا نتج عنه استبعاد كل طرف للطرف الأخر، وأصبح التكفير ثقافة منهجية للفقهاء والعلماء، وتعزز الخلاف والشقاق والفرقة بين أبناء الدين، وتكاثرت بينهم مظاهر الشحناء والبغضاء والكراهية، فاعلم أن المصلحة الشخصية، والمنفعة المادية، وعبودية العلماء لرجال السياسة، هي المحرك الرئيسي والفاعل الأساسي في حياة وتدين أولئك العلماء.

لم يبدأ الخلاف بين الطوائف والفرق اليهودية، حول مسائل كثيرة، وأبرزها الشريعة الشفهية، أو قل إن شئت، لم تظهر الفرق والطوائف اليهودية، إلا بعد انتقال موسى إلى جوار ربه بمئات السنين. وبواعث الخلاف بين الطوائف اليهودية حول الشريعة الشفهية، له حيثياته الخاصة، التي سوف تتضح، عند الحديث عن الطوائف والفرق اليهودية. فقد انقسم اليهود إلى فرق وطوائف، وفقاً لموقفهم من أمرين: الأول، الموقف من الشريعة المكتوبة (التوراة)؛ فمنهم من يؤمن بها كلها: أسفار موسى وما جاء بعدها، ومنهم من يؤمن بأسفار موسى فقط. الثاني،

الموقف من الشريعة الشفهية؛ فهناك من يؤمن بها، وهناك من لا يؤمن بها، ويكتفي بما ورد في التوراة. وعلينا، هنا، أن نبدأ الحديث عن الشريعة الشفهية (المشناه)، من بداياتها الأولى، حتى اكتمالها، في حدود ما تيسر لنا.

إن تداول الشريعة الشفهية (المشناه) وكتابتها، مشروع عظيم، بدأ، في اعتقادنا، في فترة زمنية مبكرة من تاريخ الرسالة، واكتمل في القرن الثاني للميلاد. ويستطيع المرء، بعد اطلاعه على الأدب اليهودي لهذه الفترة الطويلة، أن يستخلص عدداً من النتائج، منها: أنها (الشريعة الشفهية) كُتبت في عهد سيدنا موسى، سواءً أكان هو كاتبها، أم أمر آخرين بكتابتها، أم تطوع آخرون بكتابتها. أن من أتى بعده (عليه السلام) من العلماء والحكماء، يختلفون من حيث علمهم التوراتي وقدراتهم الفقهية؛ فالأعلم والأقدر منهم، أضاف من حكمته إلى حكمة موسى وحكمة السلف المتوارثة، وكتبها في كتاب ينسب إليه، حفاظاً عليها. ومنهم من قام بجمع وتصنيف ما وصل إليه من حكمة السلف، دون أية إضافة تذكر. ومنهم من قام فقط بجمع حكمة السلف، دون إضافة أو إنقاص.

وينقسم الكتاب والمهتمون، في موقفهم من كتابة أو عدم كتابة المشناه ، إلى أكثر من فريق؛ فمنهم من يذهب إلى أن كتابتها مسألة قديمة العهد، ترجع إلى زمن سيدنا موسى، بل إلى موسى نفسه. ومنهم من يعتقد، بأن كتابتها قد أتت في زمن متأخر جداً. وهناك من الآراء ما يتسم بعدم الدقة، إذ يخلط أصحابها بين الشريعتين، ومنهم من يورد كلمتي «كتابة» و «جمع» دون توضيح، إن كان هناك فرق بينهما أم لا. وينبغي الإشارة، إلى عدم وجود أي نوع من الخلاف، بين الكتاب والمهتمين، حول المصدر الذي جاءت منه الشريعتين، وإن كان لليهود موقف مختلف من ذلك. والخلاف بين الكتاب يكمن في أمرين: الأول، ما إذا كانت قد أعطيت جملة واحدة أم لا. الثاني، ما إذا تمت كتابتها ومتى كان ذلك.

فمن حيث مصدر الشريعتين، يذهب جمهور اليهود، إلى أن الشريعتين المكتوبة (التوراة) والشفهية (المشناه)، قد أُعطيتا معاً لسيدنا موسى على جبل سيناء، وهذا ما أكده موسى بن ميمون بقوله:

> لقد أُعطيت كل القوانين لموسى في سيناء، وتم إعطاؤها مجتمعة مع التعليق عليها، وذلك لأنه قد كُتب، وسوف أُعطي لوحي الحجر والقانون (التوراة) والوصايا. التوراة العبرانية هي القانون المكتوب، والوصايا هي التعليقات؛ وأوصانا أن نمارس القانون وفقاً لما جاء في تعليقاته، وهذا التعليق هو القانون الشفهي .(14،2009Amram)

أشار الحاخام الجليل موسى بن ميمون، في النص السابق، إلى أن الله سبحانه وتعالى، قد أعطى سيدنا موسى التوراة والمشناه معاً. وفي اعتقادنا، أن هذا لا يتفق ومقتضيات فقه

الواقع؛ فالنص المقدس ثابت، وأحوال الناس متغيرة متبدلة، هذا إذا ما سلمنا، بأن سيدنا موسى قد تسلمها جملة واحدة، وهذا ما لا نؤمن به، ولا نعتقد، بأنه تسلمها بالفعل، وإن كان قد قام بتفسير ما غمض منها، وعمل على تطبيق أحكامها بين قومه، من ناحية. ومن ناحية ثانية، فإن الهدف من التفسير الزمني للنص المقدس، والتطبيق الزمني لأحكام لشريعة، المتمثل بتعليم القوم، كيفية التعامل مع النص المقدس، سيفقد معناه، فلم تأت الشريعة، لتسكن في مرحلة تاريخية معينة، ولا أن تحل في قوم يسكنون في كوكب، لا يشاركهم فيه أحد.

وبنفس السياق السابق، فإننا نعتقد، بأن سيدنا موسى لم يكتب المشناه قط، لأن كتابتها، ستحد من إمكانية تماشي النص المقدس، مع مستجدات الحياة، وستجعل ما تضمنته ملزماً، مثله مثل النص المقدس. ومع ذلك، فالمقريزي (1997: 107) يؤكد، بأن سيدنا موسى قام بكتابتها "بخط يده "مشنا" كأنه تفسير لما في التوراة من الكلام الإلهي". والأقرب إلى الدقة والحقيقة ما ذكره همو (2004: 86) بقوله: "إن يهوه لم يسجلها بأصبعه كما فعل في التوراة، فظلت محفوظة في القلوب، يتناقلها الخلف عن السلف حتى وصلت في صورتها الحالية". ويسمي قاموس الكتاب المقدس (2005: 222) الخلف والسلف، الذين تناقلوا التقاليد (المشناه)، التي أعطاه الله لموسى في سينا بأسمائهم، فيقول: "تداولها هارون واليعازر ويشوع وسلموها للأنبياء، ثم انتقلت من الأنبياء إلى المجمع العظيم وخلفائهم، حتى القرن الثاني بعد المسيح". ما يمكننا استنتاجه، من نصي همو وقاموس الكتاب المقدس هو، أن همو: يعتقد بأن تناقلها عبر الأجيال كان شفهياً، وإمكانية تدوينها من عدمه، متساوية الاحتمال. أما قاموس الكتاب المقدس: فيجزم بأن احتمال تدوينها في زمن الكهنة، وعلى رأسهم هارون وارد، لأنها سلمت للأنبياء، وهذا يؤكد احتمال كتابتها، لأن التسليم يقتضي وجود شيء مادي. وما يُفسد الاحتمالات السابقة، هو وجود التشابه الكبير في منطوق النص الوارد، في قاموس الكتاب المقدس، مع ما ذكره نويهض (1996: 382)، في معرض حديثه، عن غلو الربيين وجموح خيالهم، بقوله: "تلقى موسى التوراة في سيناء، وأعطاها إلى يشوع، ويشوع أعطاها إلى الشيوخ ... والشيوخ أعطوها إلى الأنبياء، والأنبياء أعطوها إلى رجال الكنيس".

هذا التشابه بين النصين، يثير الحيرة الشديدة، والتساؤل معاً، خاصة، أن هناك ثلاث كلمات استخدمت في النصين، وهي: "سلم" و "انتقل" و "أعطى"، وهي توحي أو تشير إلى انتقال شيء مادي، فإذا كان الأمر يصدق على التوراة، فإنه، ولا شك، لا يصدق على المشناه، التي تم تناقلها مشافهةً، إلا إذا كانت قد دُونت، ثم تم تناقلها مشافهة ومكتوبة، وهذا ما نميل إليه.

ويؤكد المقريزي (1997: 107)، عدم تعارض الرواية الشفهية للمشناه، مع كتابتها، إذ أنها، بالنسبة له، قد كُتبت في زمن مبكر، وعلى يد سيدنا موسى، وكتابتها لم تكن متروكة للخيار الشخصي، بل كانت نتيجة أمر إلهي، فيقول:

اعلم أن الله سبحانه لما أنزل التوراة على نبيه موسى عليه السلام

ضمنها شرائع الملة الموسوية .. وأمر فيها أن يكتب لكل من يلي أمر بني إسرائيل، كتاب يتضمن أحكام الشريعة؛ لينظر فيه ويعمل به، وسمي هذا الكتاب بالعبرانية "مشنا"... فلما مات موسى عليه السلام، وقام من بعده بأمر بني إسرائيل "يوشع بن نون" ومن بعده إلى أن كانت أيام "يهوياقيم"... وهم يكتبون لكل من ملكهم "مشنا" ينقلونها من المشناه التي بخط موسى، ويجعلونها باسمه.

ولم يتهاونوا في ذلك قط، ولم يعرف عنهم أنهم تركوها في أية فترة زمنية. وكانوا يصطحبونها معهم أينما ذهبوا، ويؤكد ذلك بقوله:

عادوا من بابل بعد سبعين سنة، وعمروا القدس وجددوا بناء البيت ثانياً، ومعهم جميع نسخ المشناه التي خرجوا بها أولاً، .. فخرجت طائفة من آل داود عليه السلام من بيت المقدس، وساروا إلى الشرق، كما فعل آباؤهم أولاً، وأخذوا معهم نسخاً من المشناه التي كتبت للملوك من مشنا موسى التي بخطه، وعملوا بما فيها ببلاد الشرق من حين خرجوا من القدس إلى أن جاء الله بدين الإسلام (المقريزي 1997: 108).

ورأي المقريزي هذا، يتفرد به هو وحده، ولا نجد من الكتاب والدارسين والمفكرين من يؤيده فيما ذهب إليه، كما أنه لم يذكر المصدر، الذي استقى منه أو بنى على ضوئه رأيه هذا. رأي المقريزي هذا، يجعله في أقصى طرف القطب، الذي يقول أصحابه، بأن المشناه قد تم تدوينها منذ زمن موسى. وعلى الطرف الآخر من القطب، الذي يرى أصحابه بأن المشناه لم تدون، إلا في زمن متأخر، يقف المفكر القدير حسن ظاظا (1999: 66) الذي يؤكد الاتجاه الثاني، بقوله: "ومن المؤكد أن المحاولات الأولى لرواية شرائع المشنه ةتقييدها لم تبدأ إلا بعد السبي البابلي، في القرن الخامس قبل الميلاد بزمن طويل".

من الواضح أن ظاظا لم يخلصنا من الضباب الكثيف المحيط بنا، والذي يمنعنا من رؤية الصورة بوضوح تام، فهو كغيره، من المفكرين، لم يعطنا سوى جزء بسيط من الحقيقة، فهو محق في كون المشناه، كان يتم تداولها مشافهة، وغير محق في كونها لم تُدون إلا في القرن الأول للميلاد، إلا إذا كان المقصود، بأنها دونت في عمل جامع. لأن هناك من يعتقد، بأن المشناه قد دُونت في فترات تاريخية متعاقبة، في القديم، ولكنها فُقدت، حسب رأي Amram (2009: 13)، القائل:

"إننا نعلم متى تم جمع نسخة المشناه، ولكن أصولها فقدت في العصور القديمة، والمشناه نفسها تحمل الدليل على أصلها التقليدي القديم". ولا يمدنا الأدب بأية معلومات أكيدة عن وجود صحف أو قراطيس أو مطويات مدون عليها

المشناه قبل السبي البابلي. فمنذ القرن الخامس قبل الميلاد، بدأت المشناه تستعيد ظهورها، وتُجمع معاً جمعاً محكماً يُبعد عنها التأويلات المتعددة والمتناقضة في أحيان كثيرة. وكان عزرا هو من تجشم عبء هذا العمل، إلى جانب التوراة،

حيث كانت لدى اليهود، حتى يوم السبي النبوخذناصري، بعض كتابات أنبيائهم وصحف الزبور، فجعل عزرا يجمع هذا ويحول التراث المتناقل عندهم بالروايات، التي دائماً تقبل الزيادة والنقص، إلى مجموعات مدونة، وينظم ذلك ويقول لهم، إن رمتم العودة إلى أورشليم فاعتصموا بالتوراة، وهذه هي توراتكم (نويهض 1996 : 380)

ولا يختلف نويهض عن ظاظا، في تقديمهما لوجه واحد فقط، من الصورة، فهاهو نويهض، يمدنا بمعلومتين متعارضتين في صفحة واحدة، فيذكر في رأس الصفحة (380)، فيما يتعلق بالتوراة: "فجعل عزرا يجمع هذا"، وفيما يتعلق بالمشناه، يقول: "ويحول التراث ... إلى مجموعات مدونة". بحيث نستنتج أن المشناه قد تم تدوينها، في نسخة واحدة، ولأول مرة، على يد عزرا الكاهن أو الكاتب، الأمر، الذي يجعلنا على يقين تام، بأننا سنسير من بعدها على هدى ونور. ولكنه يعدل عن رأيه ذاك، ويخبرنا في منتصف الصفحة ذاتها قائلاً: "في بابل: ... جمع الأسفار ولم تكن مجموعة من قبل، وجمع التقاليد الشفوية". وبعد هذه العبارة، أصبحنا لا ندري، إن كان عزرا جمع ما هو مدون من قبل، أم جمع المتناقل شفهياً ودونه. ونجده في صفحة (462)، ومن خلال سرد ما ذكره كوهن، يقول: "وكان هلليل واسع الحفظ عن ظهر قلب، على طريقة علماء الشرق، وهو يعد الجامع الأول للمشناه، وحفظة أقواله الشفوية، وهذا كله، أصبح النسخة الأولى للمشناه".

ولا يرى المسيري (2005: 35) بأن هلليل هو أول جامع للمشناه، بل إنه أول من قام بتصنيفها، فقد وصلت إليه، عبارة عن مجموعة هائلة من القراطيس، مدون عليها جهود الأنبياء والعلماء السابقين عليه، ولكن دون ترتيب أو تبويب أو تصنيف، فقام بعملية تصنيف لذلك السجل المتراكم، وذلك عندما قال: "فبدأ تصنيفها على يد الحاخام هلليل (القرن الأول الميلادي)"، أو بتعبير ميلتسينر، القائل: "إن أول جهد بذل، لإقرار شيء من النظام والمنهج، في تلك الكتلة المختلطة من المرويات، هو الذي قام به الإمام اليهودي "هلليل"" (ظاظا 1999: 66). ولكن المسيري لم يشر، إلى ما إذا كانت عملية التصنيف، التي قام بها هلليل، قد تم تحريرها في سجل (كتاب) جديد، أضاف إليه تفسيره وتعليقاته، أم لا.

وهناك من يذهب، إلى أبعد مما ذهب إليه المسيري وآخرون، فهناك من الكتاب من يعتقد، بعدم وجود علاقة بين مشناه الأولى والمشناه، التي وضعها هلليل؛ فقد جاء على لسان المقريزي (1997؛109): "ثم إن رجلين ممن تأخر إلى قبيل تخريب القدس، يقال لهما "شماي" و"هلال" نزلا مدينة طبرية، وكتبا كتاباً سمياه "مشنا" باسم "مشنا موسى" عليه

السلام، وضمنا هذا المشناه، الذي وضعاه أحكام الشريعة".

ولم يستمر المقريزي على موقفه، القائل بعدم الصلة بين مشنا موسى ومشنا هلليل، بل عدل عن رأيه هذا في الصفحة (110)، التالية لرأيه السابق، إذ يقول:

> ومات "شماي" و "هلال"، ولم يكملا المشناه، فأكمله رجل منهم يُعرف "بيهوذا" من ذرية "هلال" وحمل اليهود على العمل بما في هذا المشناه. وحقيقته أنه يتضمن كثيراً مما في مشنا موسى عليه السلام، وكثيراً من آراء اكابرهم.

ومن الحديث السابق، لا نستطيع، وبثقة عالية، أن نقول، أن جمع أو جمع وإعادة تدوين المشناه، قد تم ولأول مرة، على يد كاهن أو حاخام بعينه، حتى مولد المسيح عليه السلام، مما يجعلنا نعيد النظر، في قول ظاظا السابق الذكر، من أن كتابة المشناه، في سجل واحد، لم تبدأ إلا بعد السبي البابلي، في القرن الخامس قبل الميلاد بزمن طويل. وعليه، يمكن القول، بأن المشناه، قد ظلت تُتداول مشافهة، دون أن تجمع في عمل واحد، حتى نهاية الجيل الخامس من المرحلة الثانية، زمن التنائيم، حسب تقسيم شختر (همو 2004: 92)، حيث بدأت تتضح معالمها شيئاً فشيئاً، إلى أن اكتملت على يد يهوذا الناسي.

وخلاصة القول، وحتى لا يضيق صدر القارئ، بكل هذه المتناقضات، التي قد يجدها في كثير من الأدبيات، نورد التسلسل المقبول، لمن اشتغل في تحرير وتصنيف، ووضع القواعد والأسس، التي على أساسها، اكتمل مشروع تدوين المشناه، كما أبرز ذلك كل من كوهن (2005: 22 - 27)، وهمو (2004: 92 - 95)، وظاظا (1999: 77 - 81) الذين يرون، بأن هلليل كان أبرز المندفعين أو المتحمسين، لاستكمال ما قام به التنَّايم (المدربون)، والحاخامات. فاهتم بالمشناه ودراستها، "ورأى أنه من الضروري فحص القواعد التفسيرية، المنقولة من الأجيال السالفة إلى جيله". ثم قام بوضع عدد من الإجراءات، تمثلت بوضع سبع قواعد للتفسير. وقد تم حفظ هذه الإجراءات من بعده، "ويمكن النظر إليها، كأنها الإصدار الأول للمشناه".

وأتت بعد هلليل شخصية، كان لها تأثير كبير في تدوين المشناه، هذه الشخصية هو جوخانان ابن زكَّاي، وهو أحد تلاميذ هلليل النابغين. ثم تبعت جوخانان شخصيتان، يرجع لهما الفضل الكبير، في وضع القواعد والأسس لتدوين المشناه، وهما: إسماعيل. ابن إيلزيه، (أو بن اليشع) و أكيبا (عقيبا) ابن جوزيف (بداية القرن الثاني)؛ عمل اسماعيل بن إيلزيه على "تعديل قوانين هلليل السبع، بطريقة جعلت منها ثلاث عشرة، وأصبحت مبادئ مقبولة في التفسير". كما وضع حول بعض كتب "التوراة، أسساً للتفسيرات والشروحات المشناهية، التي أُدخلت فيما بعد إلى المشناه. وعدت كتب اسماعيل بن اليشع، من أساس المشناه".

وعمل عقيبا بن جوزيف، على دفع علم المدراش، إلى أعلى مستوى له، ووضع طريقة خاصة في التفسير. وأهم ما يتميز به أكيبا، هو خبرته الواسعة في التصنيف. ومن ضمن ما قام

به، هو مراجعة كثير من "المعطيات الشرعية المتراكمة حتى عصره، وجعل منها سجلاً منظماً... إنه المهندس المعماري، الذي أعد مخطط الميشنا، الذي وُجد قبله بقرن من الزمن. كما نظم بعض التفاصيل الجزئية، في داخل" الأقسام الستة، التي وضعها هلليل في المشناه. واستمر تأثيره في الساحة اليهودية لعدة أجيال، وذلك من خلال تلاميذه، الذين ساروا "من بعده على خطاه، ومارسوا تأثيراً مسيطراً على دراسة العهد القديم، طيلة الأجيال التالية". وأبرز تلاميذ عقيبا، هو مئير، "الذي أكمل نصوص المشناه وأضاف إلى نظامها مزيدا من الإحكام. كما أخذ على عاتقه مسؤولية نشر المشناه والتي قبلها يهوذا الأمير، كأساس في تدوين القوانين".

وأخيراً، توج مشروع تدوين المشناه، على يد أحد القادة اليهود، وهو يهوذا الناسي. الذي عمل على تجميع أجزائها وتصنيفها، "وضمن في المشناه الأمور، التي اعتبرها ذات أهمية أساسية، أما باقي التجميعات المختلفة للمواد، فقد تم جمعها من قبل طلبته، وهي ليست مهمة، وتعتبر أعمال خارجية (Jacobs 1984: 59-60)". ويعود الفضل إليه، في تقديمها للقارئ، في شكلها الحالي (المسيري 2005: 35). ونظراً، لما لعقيبا ويهوذا من تأثير كبير، وخدمة فائقة للتقاليد الشفهية، فقد أراد التلمود، أن يجعل خاتمة حياة الأول، هي بداية لحياة الثاني؛ "وبدون شك، فإن التلمود أراد بهذه الطريقة، أن يجمع الشخصيتين الكبيرتين في الأدب والتاريخ اليهوديين. ما بدأه "أكيبا" أكمله يهوذا. لنقل أحدهما كان المهندس والآخر البناء" (كوهن 2005: 26).

وبجهود يهوذا أصبحت المشناه، تقريباً، كتاباً دونت فيه الحوارات والنقاشات الحاخامية، على مدى التاريخ السابق له، ولم يكن هذا العمل بقصد تثبيت الشريعة، لأن "ذلك، كان مخالفاً للروح الحافزة للحاخامات، وللمبادئ الأساسية لأسفار العهد القديم الشفهية" (كوهن 2005: 35)، بل كان الهدف منه هو إيجاد شيء بغرض الدراسة.

ويأبى الأدب اليهودي إلا أن تظل حيرتنا باقية، بعد كل ما قدمناه من عرض لمشروع تدوين المشناه، فيعيدنا كوهن إلى حيرتنا السابقة، ولكن بأقل وطأة من سابقتها، وذلك عندما أشار إلى أن العلماء لا يزالون يناقشون، حتى يومنا هذا، الكيفية التي أنجزت بها مشنا يهوذا، هل كُتبت أم نُقلت بطريقة شفهية، وذلك في قوله: "يجدر بنا التساؤل منذ العصور الوسطى، فيما إذا كان يهوذا قد وضع الميشنا الخاصة به كتابة أو بالنقل الشفهي الذي استمر بعد وفاته بقليل. ما زال العلماء يتناقشون في هذا الموضوع حتى الآن" (2005: 27).

وينبغي أن نشير، في خاتمة هذا الجزء، إلى أمر في غاية الأهمية، وهو أن المشناه، كما تبين سابقاً، هي الحاضنة الرئيسية، والسجل القانوني الكبير، لجهود الكهنة والأنبياء والعلماء، على مدى فترات تاريخية طويلة. كان لكل فترة تاريخية ظروفها وملابساتها، وكانت الأحكام والتشريعات والفتاوى القانونية، الصادرة من قادة الشعب، تتغير بتغير الزمن. وعليه فلم يكن المقصود من تدوينها (التقاليد الشفهية - المشناه) "أن تكون القانون الملزم، وذلك لأنها تحتوي

على قوانين وتقاليد متضاربة، وإنما قصد بها، أن تعطي تقديم منظم للقرارات القانونية، بدون تقرير أي نسخة محددة من القانون ملزمة"(Mansoor1991؛149).

أشرنا سابقاً، إلى أن يهوذا دوَّن في المشناه ما اعتبره هام وأساسي، وترك ما دون ذلك دون تدوين لقلة أهميته. إلا أن طلبته عملوا على جمع ما تركه معلمهم، من أعمال "أو نصوص متصلة بالمشناه، وليست منها، ومع ذلك، فإن التلمود يذكرها، وعلماء الشريعة اليهودية كثيراً ما يرجعون إليها" (ظاظا 1999؛ 76). واعتبرت أعمالاً خارجية، وهذه الأعمال أو النصوص، هي:

أ. التوسفتا (التذييل أو الزيادة).

ب. المخيلتا (المعيار أو المكيال)

جـ. السفراء (توراة الكهنة).

د. سفري (شرح سفر العدد).

هـ. البرايتا (الكتاب البراني أو الخارجي) (ظاظا 1999؛ 76 - 77).

محتوى المشناه

سبقت الإشارة، إلى أن المشناه شريعة مكررة، وأنها مجموعة تقاليد اليهود المختلفة، في شتى نواحي الحياة اليهودية، وأنها، أيضاً، نسق مفتوح، تستوعب كل جديد، وفقاً لمقتضيات النص التوراتي. لذا، لا نجد أمراً في حياة اليهود، إلا وقننته، وأوضحت الحكم الشرعي فيه، ابتداءً من الولادة وانتهاءً بالوفاة، وبيان كل ما بينهما من عبادات ومعاملات ونسك وحدود ومحاكم. وتؤكد الأدبيات، أن ما ورد في المشناه، من نصوص وقوانين وأحكام، كان يتم تداوله بطريقة شفهية؛ وهذا لا يتعارض مع ما ذُكر سابقاً، من أن سيدنا موسى عليه السلام، قد كتبها بيده. وظل الحكماء والفقهاء والقضاة، من بني إسرائيل، يقتدون بما خطه سيدنا موسى، ويتعاملون به شفهياً، حيث سلمها سيدنا موسى إلى سيدنا هارون، الذي سلمها بدوره ليوشع بن نون، الذي سلمها بدوره للأنبياء، ثم انتقلت إلى المجمع العلمي العالي لليهود (عرابي 2004 ؛344)، ولكن تغير الأحوال وتبدلها، اقتضى تفسيرات قانونية جديدة، تم إضافتها، والتعامل معها، أيضاً بطريقة شفهية. ومن الطبيعي القول، أن استمرار الإضافات جعل الاعتماد على الذاكرة، من الأمور المستحيلة، فكان لا بد من تدوينها، وأصبحت تضم "مجموعة قوانين موجزة، تقع في ستة مجلدات ... مستخلصة من مواد قانونية أوسع كثيراً (شفوية في الغالب)"(شاحاك 2003؛ 74 - 75).

وتضم المشناه، كما ألمحنا، ستة مجلدات، وكل واحد من هذه المجلدات، يحتوي ما بين سبعة إلى اثني عشر بحثاً، وكل بحث مقسم إلى فصول، مكونة من وحدات صغيرة. وتنظيم المشناه يسير على النحو التالي:

زرايم (البذار): يتكون هذا الجزء من أحد عشر كتاباً، تناقش قضايا تعبدية كثيرة، كالسنة السبتية، والتقدمات، والضريبة، والختان، والبواكير.
موعد "الفصل من السنة": يناقش السبت، والمناسبات اليومية، والأعياد، والصيام، والأضاحي، ويتكون من اثنا عشر كتاباً.
ناشيم "النساء": يتكون من سبعة كتب، مخصصة للزواج والطلاق، والشروط الواجب توافرها فيهما، وكذا النذور وشبهة الزنا.
نيزيكين "المخالفات": يتكون من عشرة كتب، تعالج حقوق الملكية العقارية، وإجراءات التقاضي، وعقوبات الضرب بالسوط، واليمين، والشهادة، وعبادة الأوثان.
كوداشيم "المقدسات": يتكون من أحد عشر كتاباً، تتحدث حول الأضاحي في الهيكل، وكذا الأبكار والختان.
تيهاروت "الطهارة": يتكون من اثنا عشر كتاباً، تتحدث عن كل الأنواع، التي تسبب الدنس، ويلزم التطهر منها (كوهن 2005 :34-27 وJacobs 1984: 60).

طبيعة المشناه

تتحدد طبيعة المشناه، من خلال ثلاثة أسس، هذه الأسس هي: ثبات النص، ونظام التدوين، ومنهجية الكتابة. ففيما يتعلق بثبات النص، ذكرنا سابقاً، بأن النص التوراتي ثابت، غير متغير ولا متحول ولا متبدل، وأن تفسيره هو الذي يتغير وفقاً لمجريات الأحداث واجتهاد العلماء، في رؤية النص المقدس. وعلى الرغم من أن المشناه هي التفسير للنص المقدس، المحكوم بتغير الزمن، إلا أن طبيعتها قد اكتسبت شيء من ذلك الثبات، الذي يتمتع به النص المقدس. فهي تركز على التصنيف الحقيقي للأشياء، لذا، فنمط الفكر السائد فيها ثابت مستقر، لأنها تتعامل مع العالم في حالة سكونه (Neuner 2001: 113).

كما أملت طبيعة المشناه - التي هي، في الأساس، عمل تشريعي وقانوني (المسيري 2005: 33)- على القائمين عليها، اتباع طريقة خاصة في التدوين، تتناسب والغرض منه، فكان الموضوع هو القاعدة البارزة في منهجية تدوينها، بدلاً من المحتوى التوراتي. فالمشناه تناقش المواضيع مناقشة فردية (موضوعاً موضوعا)، وبصورة تفصيلية. كما تتضمن اختيارات واسعة من المواضيع الهلاخية (القانونية). والتنظيم الموضوعي المتبع في المشناه، أصبح هو النمط المعمول به في التلمود.

وحتم الأساس الثالث على الحاخامات، إتباع منهجيةً خاصة، أو طريقة خاصة، في عملية التدوين، أبعدتهم عن الإسهاب في ذكر التفاصيل، و ألزمتهم إتباع الطريق المباشر، الذي يوصلهم إلى الغرض المراد، وبإيجاز شديد، دون إخلال أو تقصير. وعليه فقد جاءت جمل المشناه محكومة إحكاماً جيداً، وتسجيلاً مختصراً لآراء الحاخامات، التي تناقش موضوعاً ما،

أو تسجيل لأمر أو حكم توصلوا إليه، وبالإجماع. أما اللغة، التي اتبعت في تدوين المشناه، فقد كانت اللغة العبرية (Jacobs 1984 : 56)، ولا يكتفي وافي (2004 : 28) بمجرد ذكر أن اللغة العبرية، كانت لغة كتابة المشناه، بل يزيد عليها، بأنها العبرية الربانية، وذلك بقوله: "وتسمى اللغة العبرية التي أُلفت بها أسفار "المشناه" باللغة "الربانية" لأن الفقهاء اليهود، الذين يطلق عليهم اسم "الربانيين" هم الذين استخدموها في تأليف هذه الأسفار". وعلى الرغم، من تأثر لغة المشناه بكثير من اللغات، إلا أن هذا التأثر، "لا ينقص من قيمتها اللغوية والتاريخية" (وافي 2004 : 28).

وعلى الرغم، من عظمة ودقة هذا العمل (المشناه)، إلا أنه قد أتى ليخاطب شريحة صغيرة من الناس (النخبة)، فاستعصى فهمه على كثير من عامة اليهود، "فأخذ علماء اليهود يكتبون عليها حواشي كثيرة، وشروحا مسهبة، وسميت هذه الحواشي، وتلك الشروح، باسم "جمارا"." (المحامي 2003 : 18).

الجمـــارا

كانت المشناه الجزء المفسر للتوراة، وبعد أن انتهى العمل في المشناه، على يد يهوذا الأمير، برز إلى الوجود عمل آخر، أُطلق عليه الجمارا. "والجمارا. أو الجمرة: كلمة عبرية ... من مصدر "جمر" ...ـَ بمعنى: أتم، أكمل، وفىَّ" (المقريـــزي 1997 : 27 وJacobs 1984 : 56)، "الكلمة مأخوذة من "جمار" بمعنى ينجز أو يتعلم" (لوران 2003 : 14). وبالرجوع إلى قاموس اللغة العبرية، للتأكد من المعنى اللغوي، لما ذكره كل من المقريزي ولوران، لمعنى كلمة جمر العبرية، تبين أن جذر الكلمة هو (جمر)، وتعنى أتم، أما باقي الكلمات، التي أورداها (وفى، أنجز، وتعلم) فلا علاقة لها بجذر الكلمة المقصودة. والكلمتان الواردتان عند نويهض والمسيري وكوهن وظاظا، لهما دلالتهما الدقيقة، التي تشير إلى (أتم).

أما المعنى الاصطلاحي لكلمة الجمارا، وهو ما يكاد يجمع عليه الكتاب والمفكرون، فيتمثل في كونها: "شرح المشناه (نويهض 1996 : 460 و 466 و همو 2004 : 84)، "الجمارا" هي التعليقات والشروح والتفسيرات (المسيري 2005 : 36). "ويطلق هذا الاسم –منذ القرن التاسع- على مجموعة مناظرات "الأمورائيم" أي المعلمين، الذين قاموا بمهمة التعليم، من عام 200 إلى عام 500 بعد الميلاد" (لوران 2003 : 14). ويؤكد عرابي (2004 : 344) معناها، ويبين المكان، الذي كان يتم تداولها فيه، بقوله: "بأنها مجموع المناظرات والتعاليم والتفاسير، التي وُضعت في المدارس العالية".

ومن خلال عرض المعنيين اللغوي والاصطلاحي للجمارا، يتبين أن المعنى الاصطلاحي

أكثر دقة، من المعنى اللغوي، وذلك لسبب بسيط للغاية وهو: إذا كانت الجمارا عملية أتمام أو إكمال للمشناه، فسوف تكتب في متن المشناه، وليس على حواشيها، لكن طالما وأنها قد كتبت على حافتي المشناه، فليس لها معنى، أكثر من كونها شروح وتعليقات وإيضاحات، لما كُتب في المتن (الوسط). وهذا يعطي أكثر من دلالة، فالمشناه يبدو أنها لم تكن من السهولة بمكان، بحيث يدركها المرء، دون مساعدة العلماء والحكماء. ولهذا السبب، نجد أن شرحها وتفسيرها والتعليق عليها، قد أصبح من المسائل الأساسية للمعلمين (الشراح) في الأكاديميات العليا، في كل من العراق وفلسطين، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى، منحت الطبيعة المفتوحة للمشناه، الكتاب والمفكرين، الفرصة للتفكير والربط بين المشناه والجمارا، والخروج برأي مفاده، أن المشناه كانت بمثابة قاعدة انطلاق، أو دعوة للتفكير، فيما تضمنته من قواعد وأحكام، لقد أصبحت القاعدة لتعليق جديد (Amram 2009: 17). أضف إلى ذلك، إن ما أنجزه يهوذا، قد احتوى على قوانين وتقاليد متضاربة، ولم يكن المراد من تدوينها، أن تكون القانون الملزم، بقدر ما كان بمثابة دعوة للدراسة وإعادة النظر، بدلاً من "أن يكون عمله نهاية للأبحاث، فإن هذه القوننة (تدوين القوانين) هيأت الفرص للقيام بأبحاث جديدة" (كوهن 2005: 35).

والمشناه والجمارا وكل ما يتعلق بهما، من نقاشات وحوارات وتدوين، تم العمل فيهما خلال عشرة قرون؛ خمسة منها قبل الميلاد، والخمسة الأخرى بعد الميلاد، لم يكن لليهود خلال هذه الفترة -فترتي التنائيم والأموراييم- كيان سياسي خاص بهم، بل كانوا يعيشون حياة مفعمة بنتائج السبي البابلي، والتدمير الروماني. فكان أكثرهم يستوطن بابل، وجزء منهم يعيش في فلسطين. شكل هذان الموقعان الجغرافيان، علامة فارقة في حياة اليهود الفكرية والدينية، ففيهما تشكلت مرجعية اليهود الدينية والفكرية والسياسية.

قام قادة اليهود الدينيين، في كل من بابل وفلسطين، بتأسيس مراكز للبحث العلمي والديني، أو ما يعرف بالأكاديميات أو المدارس العليا للتعليم، وهذه المدارس هي: "قيصرية (قيسارية)، سيفوريس (صفورية)، طبريا وأوشا في فلسطين. و نهاريا (نهر دعة)، سورا (سورة)، بومبيديثا (عانة) في بابل" (كوهن 2005: 36 وظاظا 1999: 82). وعكفوا على التعليم عامة، وعلى شرح وتفسير نصوص المشناه خاصة. ولم يكن حال الجماعتين اليهوديتين، في كل من بابل وفلسطين متماثل، فقد كانت أوضاع يهود بابل، أكثر رخاءً واطمئنانا. ليس هذا فحسب، بل كان يهود بابل، مقارنةً بإخوانهم في فلسطين، أكثر "عدداً، وفي وضع أفضل من أتباع دينهم في فلسطين؛ إضافة لذلك، فقد أنتجت وجذبت الرجال، ذوي التوسع العلمي العالي. وفي جميع الأحوال، كان التعليم في هذه المدارس أكثر عمقاً وتفوقاً" (كوهن 2005 : 36).

فانعكس هذا الفارق، على الإنتاج الديني والفكري للجماعتين؛ الفلسطينية والبابلية. فتشكل من مجمل نقاشات وحوارات وتعليقات الحاخـــامات، التي تكدست شيئاً فشيئـــا، الجمارا، وسمي القائمين بها أموراييم (كوهن 2005: 36). وقـــد أطلق كوهن على الأموراييم إسم

كاللوت (Kallot) (Mansoor 1991: 148)، والكالوت هؤلاء، هم جماعات من العلماء، كانت تعقد اجتماعاتها مرتين في العام، بغرض دراسة ومناقشة المباحث المشناهية المختارة، ويتم توثيقها في سجلات، فشكلت سجلات هذه المناقشات الأسس التي قامت عليها الجمارا.

صحيح إن المعاهد العليا الفلسطينية كانت تعمل مستقلة، عن تلك المعاهد الموجودة في بابل، إلا أن هذا، لا يعني بأي حال، أن هناك قطيعة بينها، فقد كان التواصل قائماً، وإن لم يكن بصورة مستمرة، وهذا التواصل، لا شك قد أوجد ما يسميه كوهن (2005: 36) بتقارب وجهات النظر. ولا يقتصر الأمر على مجرد التواصل فقط، بل لقد عمل بعض أمورايي بابل، مع إخوانهم في فلسطين، فقد ذكر ذلك Jacobs (1984: 60) عند تعريفه للجمارا، بقوله: "إن هذا التلمود، هو السجل الجامع لكل النقاشات، التي دارت حول المشناه، والتي قام بها، أساساً، المعلمون الفلسطينيون وبعض الأمورايي البابليين". وينبغي الإشارة، إلى أن المعاهد العليا البابلية، كانت أطول عمراً من تلك التي في فلسطين؛ فقد بدأت المعاهد البابلية عام 219م واستمرت حتى عام 500م، وبدأت المعاهد الفلسطينية عام 219م واستمرت حتى عام 359م. وإذا ما حسبنا الفارق الزمني بينهما، فإنه يصل إلى ما يقرب من مئة وواحد وأربعين عاماً. والفارق الزمني هذا، إلى جانب التفوق العلمي البابلي، لا شك أضاف للمعاهد البابلية ميزة أفضل، مكنتهم من إنجاز، ما لم يتمكن إخوانهم في فلسطين، من إنجازه.

ومجمل العمل الديني والفكري لمعلمي المشناه والجمارا (التنائيم والأمورائيم)، هو جهد أجيال متواصلة، انتقل من المعلمين إلى المتعلمين، الذين أصبحوا، فيما بعد، معلمين لمتعلمين آخرين، وهكذا. أي أن معلمي الجمارا، بطبقاتهم، هم الاستمرار الديني والفكري للتنائيم (ظاظا 1999: 83). وطبقات الأمورائيم في كل من البلدين، فلسطين وبابل، مختلفة العدد باختلاف الفترة الزمنية؛ فيشكل أحبار فلسطين ثلاث طبقات، ومجمل أفرادها أربعة عشر حبراً، وانتهى عملهم عام 359م. أما طبقات أحبار بابل فتتكون من ست طبقات، وبلغ عدد أحبارها واحد وأربعين حبراً، وانتهى عمل آخر طبقة عام 500م (ظاظا 1999: 84 - 87).

وأنجز علماء الجمارا، في كل من فلسطين وبابل شروحهم وتعليقاتهم، كل في فترته الزمنية، التي قضاها في شرح المشناه. وتم تدوين نقاشات علماء فلسطين (الجمارا)، "باللغة الآرامية الغربية. أما الجمارا البابلية فقد تم تحريرها في بابل، ودونت باللغة الآرامية الشرقية" (Jacobs 1984: 56)، ويعتقد ظاظا (1999: 83)، بأن الجمارا لم تدون باللغة الآرامية، وإنما بلهجة يهودية آرامية، وذلك بقوله:

> الشرح للمشناة كان يتم بلهجة يهودية، بعيدة عن اللغة العبرية القديمة، التي كتب بها العهد القديم، وعن تلك اللغة الوسطى المتطورة، التي كتبت بها المشناه. كان شراح المشناه، الذين هم أحبار التلمود، يشرحونها بلهجة آرامية يهودية، قريبة من اللغة

السريانية.

ويؤكد كوهن (2005: 37) ونويهض (1996: 469) ما ذهب إليه ظاظا، من أن اللغة، التي كتبت بها الجمارتان (الفلسطينية والبابلية)، ليست لغة بالمعنى التقليدي للكلمة، "بل لهجتين عاميتين من اللغة الآرامية"، ويأتي نويهض، ليجعل ما طرحه كوهن أكثر دقة ووضوحاً، فيقول: "أما "الجمارا" الفلسطينية، فلهجتها آرامية غربية (شامية)، وتشبه آرامية عزرا أو دانيال، وأما الجمارا العراقية، فلهجتها آرامية شرقية، أقرب إلى المندوية (عراقية)". ونتج من خلال ما أنجزه هؤلاء العلماء، جمارا فلسطينية، وجمارا بابلية، أو التلمود الأورشليمي، والتلمود البابلي، أو التلمود دون تصنيف، وهو العمل، الذي: "يشير إلى تجميعين عظيمين، لسجلات النقاشات الأكاديمية والأحكام القضائية، لأجيال علماء اليهود الحاخاميين، خلال القرون التي تلت القرن الثاني الميلادي" (Mansoor 1991: 147)

إذن، لقد أصبح لدينا الآن تلمودان: تلمود فلسطيني، وتلمود بابلي، ويعود الفضل في جمع ما دار من حوارات ونقاشات ومناظرات الحاخامات في فلسطين حول المشناه إلى الدكتور/ ""جوخانان بن ناباخا" في فلسطين رئيس أكاديمية طبريا الأكثر تميزاً ووضوحاً، فهو أول من شرع في جمع التقارير حول النقاشات التي قامت بها المشناه في المدارس الفلسطينية" (كوهن 2004: 36).

ونتج عن عمل جوخانان، وحاخامات غيره، التلمود الأورشليمي، وإن كان المسيري (2005: 33)، لا يحبذ إطلاق عبارة التلمود الأورشليمي، ويستبدلها بعبارة التلمود الفلسطيني، الذي "ينسبه اليهود خطأً إلى أورشليم (القدس)، فيقولون "التلمود الأورشليمي"، رغم أن القدس خلت من المدارس الدينية، بعد هدم الهيكل الثاني، وإنشاء الحاخامات لمدراسهم، في يفنة وطبرية وغيرهما".

ولا يجد ظاظا (1999: 83) غضاضة، في تسمية التلمود الفلسطيني بالأورشليمي، لأنها ليست أكثر، من تبرك بالقدس، فقد ذكر ذلك، أثناء حديثه عن ظهور التلموديين، بقوله:

> التلمود الغربي، وهو الذي يسمى التلمود الأورشليمي، تمسحاً في مدينة القدس وتبركاً بها، والتلمود الشرقي، وهو الذي يسمى التلمود البابلي، تذكيراً بقوة البحث الديني في العراق.

وتمت مرحلة شرح الأمورايم الفلسطينيين، أواخر القرن الثالث الميلادي (نويهض 1990: 466). ثم اتخذ التلمود شكله الحاضر، في منتصف القرن الرابع، وذكر ذلك أبشتاين بقوله: "إن التلمود الفلسطيني في شكله الحاضر، يرجع تاريخه، إلى منتصف القرن الرابع للميلاد" (همو 2004: 96)، بينما يرى كوهن (2005: 36) بأن التلمود لم يتخذ شكله النهائي إلا في السنوات الأخيرة من القرن الرابع الميلادي.

وفي بابل، وبعد ثلاثة قرون، من عمل الحاخام يهوذا الأمير عام 200م، "قام الحاخام

آشي (Ashi) وحاخامات آخرون مشهورون، بتحرير شرح المشناه المعروف بالجمارا" 26) (Lazowski 2004، أو ما يعرف بالتلمود البابلي، الذي كرس له ثلاثين سنة، وتركه دون أن يكتمل عند وفاته عام 427م، وأكمله "رابينا" أو "ربينة بن هفاء" كلياً عام 499م، بينما هناك من يعتقد، أن رابينا مات عام 490م، (كوهن 2005: 37-36 و نويهض 1996: 466).

وعلى الرغم من الجهود، التي بذلت في فلسطين، في شرح المشناه، إلا أنها لم تكلل بالتوفيق، فظلت الجمارا الأورشليمية ناقصة، بينما اكتمل العمل في الجمارا البابلية (ظاظا 1991: 83). ويرجع السبب، في توقف جهود علماء فلسطين، في شرح المشناه عند نهاية القرن الرابع- في رأي ولفنسون- إلى اضطهاد رومة القاسية، وكان ذلك، بعد أن ارتقى قسطنطين الأكبر عرش رومة، واعترف بالمسيحية ديناً للدولة (همو 2004: 96). إلا أن كوهن (2005 : 37) يعتقد، بأن كلا التلمودين لم يكتملا، فيقول:

> لم تكتمل الجمارا في أي من التلمودين، مع أنها بالطبع، كانت موجودة في بعض المؤلفات وكتب المشناه التي خلت منها الآن. تتضمن "الجمارا" في التلمود الفلسطيني تسعة وثلاثين بحثاً، وفي التلمود البابلي سبعة وثلاثين. لكن "الجمارا" البابلية، تعد أوسع بسبع مرات من الأخرى.

ويمكننا التأكيد، هنا، بأن التلمود الفلسطيني بقي كما هو عليه، بعد أن تم جمعه وتحريره، بينما استمر العمل في التلمود ابابلي.

ونظراً، لمحدودية التلمود الأورشليمي، وسعة وشمولية التلمود البابلي، ونظراً، لما كان يتمتع به حاخامات بابل، من غزارة وتبحر في الفكر اليهودي، فقد حظي التلمود البابلي بتقدير أعظم من قبل اليهود (ظاظا 1991: 84)، واعتبر المرجعية النهائية لهم، وذلك لعدة أسباب، ذكرها Jacobs (1984: 64) بقوله:

> أن هناك ثلاثة أسباب، لأن يصبح التلمود البابلي، وليس التلمود الفلسطيني، المرجعية النهائية: الأول، أن التلمود البابلي أكثر شمولية من التلمود الفلسطيني. الثاني، أتى متأخراً، والاتجاه العام يقضي باتباع السلطة المتأخرة، على أساس إن السلطة المتقدمة قد تم استيعابها. الثالث، والأكثر أهمية، أن الجاؤونيم (فقهاء التلمود) هم الخلفاء المباشرين للمعلمين البابليين.

واستناداً إلى ما تقدم ذكره، فإن تسمية التلمود، دون نسبته إلى أي من البلدين (فلسطين وبابل)، يفهم منها التلمود البابلي، ويؤكد ذلك المسيري (2005: 33) بقوله:

"ولما كانت الجماراه البابلية، أشمل من الجماراه الفلسطينية، فإن التلمود البابلي هو الأكثر تداولاً، وهو الكتاب القياسي عند اليهود. ولذا، فحين يستخدم لفظ "تلمود" وحده، يقصد به

التلمود البابلي". وبناءً على ما ذكره المسيري، فسوف يُكرس الحديث، في السطور التالية، حول التلمود بلفظه العام، التلمود.

التـلـمود

التلمود هو السفر الجامع لفقه بني إسرائيل، والذي على ضوئه وهداه تسير حياتهم. فمن حيث المعنى اللغوي، فإن التلمود: كلمة عبرية، مشتقة من المصدر «لُمَد» بفتح، فضم. بمعنى: تعلَّم؛ لأنه يعلم الفقه، والدين، وتفسير التوراة. (المقريزي 1997: 28 و1984: 56 Jacobs)، وبهذا، يصبح المعنى اللغوي للتلمود «التعليم» (قاموس الكتاب المقدس 2005 : 222). وإلى جانب المعنى اللغوي للتلمود، هناك معان اصطلاحية كثيرة له: يعد التلمود كتاب تفسير لآيات التوراة. كما يعد السجل العام، الذي يحوي الاجتهادات الفقهية والشرعية لبني إسرائيل. "وهو الوثيقة الرئيسية للأدب اليهودي، لما بعد الفترة التوراتية، وإنه المصدر الرئيسي في القانون اليهودي" (Mansoor 1991: 147)، أنه ملحمة حياة.

صحيح أن العمل في جمع وتحرير التلمود، قد اكتمل، تقريباً، على يد رابينا، إلا أن العمل لم يتوقف، فطالما أن هناك أجيال من العلماء، فإن عملية الشرح والتفسير والتدوين مستمرة، وإن كانت على فترات متباعدة نوعاً ما. فبعد طبقة الأمورائيم البابليين، ظهرت "طبقة جديدة من العلماء عُرفوا "بالسبورائيم" أي الشارحين، وقاموا بالتعليق على شرح الأمورايم من سنة 500 - 550م، وبهذا اختتمت صورة التلمود البابلي" (نويهض 1996: 37)، وبلغ شكله، الذي بين أيدينا اليوم، في منتصف القرن الثامن (Mansoor 1991: 151). ومع ذلك، لا ينبغي القول، أن عملية الشرح والإضافة قد توقفت هنا، وفي هذا التوقيت، بل استمرت عملية الإضافة والتدوين، حتى فترة متأخرة، من القرن التاسع عشر (المسيري 2005: 33). وينبغي أن يعلم القارئ، بأن التلمود لا يحتوي فقط على المشناه والجمارا، كما تبين من حديثنا السابق، بل إنه يحتوي، إضافة إلى ذلك، على عدد من الحكايات والروايات التراثية، فهو ذو طبيعة موسوعية، إنه يجمع بين دفتيه ثروة من المعلومات والمعارف العامة 1991: 147) (Mansoor، التي لا تقدر بمال.

والأعمال التي ظهرت بعد اكتمال النص التلمودي كثيرة، وهي من حيث طبيعتها تعتبر جزءً منه، ولكنها تقيَّم، على أنها، أعمال خارجة عنه، ويزودنا لوران (2003: 25) وظاظا (1991: 88 - 89) بهذه الأعمال، وهي على جزئين: ينقسم كل جزء، إلى سبعة أعمال أو رسائل، وهي:

الجزء الأول:

- أبهوت (أبوت) وصايا الآباء للربي ناثان.
- سوفريم، أي الكتبة: يتضمن الأحكام الشرعية، لكتابة توراة موسى، وسفر إستير، اللذين يوضعان في كل معبد يهودي ... ويتألف من واحد وعشرين فصلاً.
- أبهل راباني (إبيل رباني) (النوح ، التخفيف، الأفراح): أي الأحكام الكبرى للحداد ... وهو في أربع وعشرين فصلاً.
- كالا (كلَّه): أي العروس، وهو فصل واحد.
- طيرق إيرص (ديرخ إيرض)، أعتقد أن النطق الصحيح هو (ديرخ إيرتس): أي "طريق العالم" أو "الرحيل" الكبيرو الصغير (روهلنج) أو السلوك في الدنيا، وهو أحد عشر فصلاً.
- فِرق هشَّالوم: أي الفصل الخاص بالسلام، وهو فصل واحد.

الجزء الثاني:

سبع رسائل تلمودية صغيرة: وهي سفر التوراة، والنيروزه، التفلين، وصيصيت، أبهادم، كتيم (السامريين)، جويم (الدخلاء) (روهلنج) أو الأغراب.

خصائص وصفات التلمود

إن لكل عمل عظيم خصائص وسمات، تميزه عن غيره من الأعمال، وأهم ما يميز الأعمال العظيمة، هو طبيعتها، ومن قام بها، والظروف، التي أُنجزت خلالها. ويعتبر التلمود أحد تلك الأعمال العظام، فهو يتمتع بخصائص كثيرة، تعود أولاً، لما بذل فيه من جهد، ولما أحاطت به من ظروف، غاية في التعقيد. ويكفي أن نشير، هنا، إلى أنه كان "نتيجة صراع فقهي طويل، بين طائفتين عملاقتين من طوائف الدين اليهودي، وهما: الصدوقيين والفريسيين: وبسبب الخلاف بينهما، في رؤية كل منهما للمصدر الديني" (كوهن 2005 :3).

وإلى جانب هذه الخاصية الرئيسية، فإن التلمود يعد نسقاً قانونياً وتشريعياً مفتوحاً، يتجدد بتجدد الحياة، ويتجدد فيه توظيف القوانين والتشريعات، وفقاً لمستجدات ومتطلبات الحياة. وإذا ما أراد المرء، أن يحدد عمراً زمنياً للتلمود، فإنه يصادف مصاعب كثيرة، والسبب في ذلك، يرجع إلى أن التلمود نبع دافق وحياة متكاملة، فهو "مصنّف للأحكام الشرعية، أو مجموعة القوانين الفقهية اليهودية، وسجل للنقاشات، التي دارت في الحلقات التلمودية، حول المواضيع القانونية والوعظية" (المسيري 2005: 33).

ولما كان التلمود يشمل كل نواحي الحياة، ويحدد الجزاءات الشرعية بدقة متناهية، فقد اعتبره الدارسون القانونيين، المرجع الأساسي، الذي لا بد من العودة إليه، وعدم الخروج عليه، وهذا ما دفع شاحاك (2003: 76) إلى القول:

ويمكن وصف النظام الشرعي في التلمود، كنظام شامل كلية،

> وسلطوي صارم، ومع ذلك، قابل للتطور غير المحدود، ولكن من دون أي تغيير في قاعدته العقائدية، فهذا النظام يغطي كل ناحية من نواحي الحياة اليهودية، الفردية والاجتماعية، وبتفصيل مسهب عادة، مع جزاءات وعقوبات مخصصة لكل خطيئة أو مخالفة لأحكام الشرع يمكن تصورها.

وفوق ذلك كله، فالتلمود من الأعمال القوية المحكمة المتشبعة بالتاريخ -المدركة للعلاقات الإنسانية، الدقيقة والحساسة للاختلافات العرقية-، والحكمة والعلم وتجارب الحياة، إنه خبرة إنسانية مكثفة، وهذا ما أكد عليه سعفان (2000: 35) بقوله: "لقد جمع التلمود أفكاراً وخبرات ألف عام، ووضعها في مجموعه مترابطة متناسقة، إنه عمل لا يقوى عليه مائة حبر من الأحبار".

كما يعد التلمود، في الأساس، الروح الحية والعملية للتشريع التوراتي؛ فإذا كانت أحكام وتشريعات التوراة تعطى دون بيان لظروف ولكيفية تطبيقها، فإن التلمود قد تكفل بذلك، سواء من خلال المعرفة المباشرة المستقاة من تطبيق موسى لتلك الأحكام والتشريعات، أو من خلال تنفيذها من قبل الأنبياء، الذين أتوا بعده، أو من خلال استنباط الفقهاء والحكماء، لكيفية تنفيذ تلك الأحكام والتشريعات. وعليه، فما ورد في التلمود من شروح وتفسيرات، واضحة وبينة، وليست عسيرة على الفهم، كنصوص تشريعية، إلا أن هذا لا ينفي الصعوبة فيه. فما تضمنه من أحكام، لا يمكن التسويف فيها، أو تخفيفها، أو التنازل عنها،

> فالنظام التلمودي ... نظام عقائدي غاية في التزمت، ولا يسمح بأي تخفيف في أحكامه، حتى عندما تصل إلى حدود السخف، بفعل تغير الظروف. وفي حالة التلمود -وبخلاف حالة التوراة- فإن المعنى الحرفي للنص ملزم، ولا يسمح للمرء بالاسترسال في تفسيره (شاحاك 2003: 79).

وصعوبة التلمود لا تكمن في اللغة، التي كُتب بها؛ سواءً العبرية أو الآرامية، ولكنها تكمن في أن ما يتناوله من مواضيع، ليست منسقة بشكل مرتب وبسيط، بل إنها ممتدة على نطاق واسع، وتحتاج إلى جهد وعمل مضني، للإلمام بها، والخروج منها بموضوع واحد ومحدد، "ولا يمكن لأحد الادعاء، أن باستطاعته معالجة الموضوع كاملاً. فالموضوع يأخذ أبعاداً، لدرجة أنه إذا كان من الضروري جمعه ومناقشته كاملاً، فمعنى ذلك، أنه أصبح كتاباً" (كوهن 2005: 7).

ومن خصائص التلمود أيضاً، طبيعته، التي تقوم على مناقشة مستفيضة، لموضوع ما، مما يؤدي إلى ورود جمل وعبارات في النقاش، إذا أُخذت هذه العبارات، دون مراعاة للسياق الذي وردت فيه، قد تعطي أفكاراً غير مقبولة، حتى في الأدب الحاخامي، ولا تعد هذه العبارة أو الفكرة حكماً متفق عليه؛ فعلى سبيل المثال: الكذب على غير الموحدين؛ النقاش يظهر في فقرة،

أن الكذب على غير الموحد جائز، بينما في فقرة أخرى، يظهر أن الكذب في حد ذاته لا يجوز، وذلك لأنه إن حدث، ففيه إساءة لاسم الرب. فالأمر خاضع للحوار والنقاش بين العلماء، وكيف يفهمون النص التوراتي ليس إلا. لهذا السبب بالذات، لا يمكن لليهودي العادي، أن يركن على قدرته الذاتية، في البحث في التلمود، عن مسألة من المساءل الشرعية، التي تحتاج إلى فتوى، دون الرجوع للمختص من الحاخامات.

ووفقاً لطبيعة حياة بني إسرائيل، القائمة على الشتات والتشرد، فقد كان لهذا النمط من الحياة، تأثيره القوي عليهم جميعاً؛ عامتهم وخاصتهم على السواء. ونتيجة لذلك، فقد عاشوا وفقاً لثقافة الأقوام، التي عايشوها، مع الاحتفاظ بخصوصيتهم، وتكلموا بلغاتهم، فتسللت كثير من الكلمات الغريبة، عن لغتهم، إلى لغتهم، وأصبحت جزءاً منها. لذا، ينبغي الإشارة، إلى أن التلمود غالباً ما يكون مستعصياً على فهم العامة؛ لصعوبة بعض مفرداته اللغوية، المأخوذة من اليونانية والفارسية، التي عفا عليها الدهر. وصعوبة فهم التلمود، لا تشمل كل بني إسرائيل، فالحكماء والعلماء منهم، على دراية كاملة بلغته، حتى يومنا هذا.

ولم ينته عمل الحاخامات في المشناه (التلمود)، بانتهاء التدوين، بل استمرت الشروح والإيضاحات، والترجمات لها، لعدة أجيال، وكان علماء وفقهاء كل جيل، يعكفون على دراستها، وإعادة النظر، فيما تضمنته من شروح وتعليقات. وقام كثير منهم "بمحاولات لإعادة ترتيب، وإستخلاص الأحكام الشرعية والفتاوى منه، وتخليصها مما يتخللها من استطرادات وحكايات وأساطير"(ظاظا 1999: 90). وعليه، فقد ظهرت أعمال يهودية مختلفة، لتبسيط فهم التلمود، منها ما يتعلق بالهالاخا، ومنها ما يتعلق بالهاجادا، نذكر منها، أعمال كل من موسى بن ميمون، ويعقوب بن آشر، ويوسف كارو، وذلك على النحو التالي:

<u>موسى بن ميمون:</u> قام ابن ميمون بوضع عملين عظيمين هما: الأول، السراج، وهو تفسير وشرح مفصل للمشنا باللغة العربية. الثاني، تثنية التوراة، وهو كتاب يبحث بالفقه اليهودي، وقد ألفه بالآرامية (عرابي 2004: 347)، وذلك في القرن الثاني عشر للميلاد. ويورد نويهض (1996: 468) قولاً آخر مفاده:

> بأن ابن ميمون اختصر، وشرح المشناه شرحاً تلمودياً على مذهبه، وسمى هذا المختصر "مشنا توراة" ... وعد اختصار موسى بن ميمون هذا، آخر ما صنع في سبيل تسهيل التلمود ... فوضع ابن ميمون اختصاره، وشروحه بالعربية لفظاً وتعبيراً باللغة الدارجة في مصر، وجعل الكتابة بالحرف العبري.

ويؤكد ظاظا (1999: 90) ما ذهب إليه نويهض بقوله: " وقد ألف كتاباً لعله أهم ما ظهر في تاريخ اليهود، خاصاً بالفقه الإسرائيلي وسماه "مشنى توراة" ... صاغ فيها كل أحكام التلمود والمشناه والتوراة، بأسلوب عبري سهل واضح دقيق".

<u>أما يعقوب بن أشر بن يحيئيل (الأندلس القرن الرابع عشر):</u> فقد وضع كتابه المعروف

بـ"طوريم" أي السطور أو الصفوف أو النظم (ظاظا 1999 : 90 والمسيري 2005 : 34). وجاء بعده جوزيف كارو (القرن السادس عشر): "الذي انتفع بالكتابين السابقين، وألف كتابه المشهور باسم "شولحان عاروخ" أي المائدة المرتبة، وهو كتاب يحتوي على شرائع التلمود، مرتبة ترتيباً أدق من سابقيه، مع الاختصار، وسهولة العثور على الشرائع والأحكام" (ظاظا 1999 : 90).

كما حظي الجانب الهاجادي في التلمود أيضاً، بنصيب جيد من الدراسة والجمع والترتيب، ويذكر ظاظا (1999 : 91) كل من يعقوب بن حبيب، وصموئيل يافيه، اللذان اشتهرا بذلك العمل، وذلك في القرن السادس عشر للميلاد، فقد قام بن حبيب (النصف الأول من القرن السادس عشر) بجمع القصص والأساطير والأمثال التلمودية في كتاب أُطلق عليه "عين يعقوب". أما يافيه (النصف الثاني من القرن السادس عشر)، فقد جمع الجانب الأسطوري من التلمود الأورشليمي في كتاب سماه "يافيه مرأيه" أي جميل المنظر، وشرحه شرحاً مستفيضا.

منهجية التفسير في التلمود

سبقت الإشارة، إلى أن منهجية الكتابة في التلمود، تختلف باختلاف طبيعة مواضيعه، وكذلك هو الحال، فيما يتعلق بمنهجية التفسير فيه، فهي تختلف باختلاف الزمن، وتبدل الظروف والأحوال. وقد افرز الزمن مجموعتين من المناهج؛ فهناك مناهج تقليدية، وهناك مناهج متأخرة. فالمنهجية التقليدية، تقوم بناءً على الطرق الأربعة، لتفسير النصوص التوراتية. وطرق التفسير الأربعة هذه هي:

- الوضوح أوالبساطة (פשט).
- الرموز أو الإشارات (רמז).
- البحث أو الاستقصاء (דרש).
- المعنى الأساسي أو الخفي (סוד).

وهذا عينه ما ذكره المسيري (2005 : 102) عن الحروف الأربعة، المكونة لكلمة جنة باللغة العبرية ""بَارَادَيْسْ" وتعني "جنة". والكلمة من أصل فارسي، وتعني "بقعة يحيط بها سور"". أما Segal (2008 : 27)، فيرى بأن "بَارَادَيْسْ" كلمة آرامية إما تعني "بستان" أو "جنة عدن". والمسيري يقول عن الحروف الأربعة: "والحروف المكونة لكلمة "باردیس" أنها الحروف الأولى لمستويات التفسير الأربعة: ب = بيشاط (حرفي)، ر = ريميز (رمزي)، د = ديراش (وعظي)، س = سود (باطني أو صوفي حلولي)".

وهذا لا يعني، أن هذه الطرق الأربع للتفسير، معتمدة عند كل المفكرين، فهناك من يعطي للأحرف معاني أخرى، مثل: بدلاً من جعل (د) (ديراش) تعني البحث والاستقصاء، يجعلها تعني دين (דין) أي القانون.

أما المناهج المتأخرة فهي الأخرى تختلف باختلاف الحاخامات أو المفكرين أو الفترة الزمنية، فعلى سبيل المثال: كان المنهج المستخدم في القرنين السادس عشر والسابع عشر، هو منهج الفلفل (פלפל)، وكلمة فلفل هذه، تعني النقد الحار. وتغير أو تعدل هذا المنهج، وظهر منهج آخر في القرن التاسع عشر، وهو ليس أكثر من تحديث لمنهج الفلفل. وأكثر من يستخدم هذا المنهج، الأكاديميات الدينية اليهودية العليا. ويقوم هذا المنهج، في الأساس، على استخدام ميشنا التوراة الميمونية لتفسير التلمود. ولم تتوقف التغيرات المنهجية، في تفسير النصوص التوراتية، بل تتابعت وفقاً لتغير أوضاع اليهود.

أهمية التلمود

ذكرنا سابقاً، أن التلمود هو الكتاب الثاني بعد التوراة، وأن اليهود ينزلونه منزلة مقدسة، ويحتكمون إليه، ويحكم كل تفاصيل حياتهم. الأمر الذي دفع البعض إلى القول، بأن اليهود يقدسونه أكثر من التوراة. ولا يمكن لليهودي المخلص لديانته، أن لا يؤمن بقدسية التلمود، وأنه موحى به، وقد

> قال موسى بن ميمون اليهودي/ الربي. القرطبي. المصري. الطبيب. الفيلسوف. المتوفى بالقاهرة في أيام الأيوبيين، وصاحب الكتاب المشهور في العقيدة اليهودية المسمى: "دلالة الحائرين"؛ من لا يؤمن بإلاهية التلمود فلا نصيب له في الجنة" (المقريزي 1997 : 28).

ولا تقتصر أهمية التلمود في قدسيته وطبيعة محتواه، بل تتجاوز ذلك، إلى ما يلعبه من دور في حياة اليهود، ولم يحدث قط، أن غابت الشريعة الشفوية يوماً، عن حياة اليهود، ولم يتحدد دورها بعد أن تم كتابتها في التلمود، بل كانت على الدوام، هي السياج الحامي والمرشد الموجه لهم، في حياتهم، وعلى وجه الخصوص في شتاتهم، فـ

> منذ مطلع القرن الثامن الميلادي، صار التلمود العامل الجوهري، في التجربة الدينية للجماعات اليهودية، إذ أصبح المعيار السائد المقبول في كل ما يتعلق بحياة اليهود وأعمالهم ونشاطهم الفكري. وحتى نهاية القرن التاسع عشر، كان أساس التربية، بين أعضاء الجماعات اليهودية" (المسيري 2005: 34).

ولا يزال التلمود يمثل ضمير اليهود المخلصين. أو بتعبير برنارد لوزار، إنه ذلك القالب، الذي صنع النفس اليهودية (المحامي 2003: 18).

كما يضم التلمود بين دفتيه، كل قواعد وعوامل الارتقاء والنهوض باليهود، في كافة مناحي الحياة الدينية والأخلاقية والسياسية والفكرية، وهو البوتقة، التي احتوت وحمت

كل اليهود من الضياع والانقراض، الذي حل بغيرهم من الأمم. ليس هذا فحسب، بل لقد مكن التلمود اليهود –كما يرى ظفر الإسلام خان- من إقامة إمبراطورية عالمية (المحامي 2003: 18). وقد أجمل المؤرخ الألماني (هاينزبخ غريتس)، الدور الذي لعبه التلمود في حياة اليهود، في خمس نقاط، على النحو التالي:

أ. لقد أنمى التلمود وتعاليمه لدى اليهود، درجة من الأخلاق، لا يستطيع الأعداء إنكارها عليهم، وذلك رغم التأثير المزعج، لكل من العزلة والإهانة والإضعاف المنظم للمعنويات.

ب. صان الحياة الدينية والأخلاقية في اليهودية، وأسهم في ترقيتها ورفع مستواها.

ج- كان بمثابة الراية، التي التفت حولها الجاليات اليهودية، المنتشرة في مشارق الأرض ومغاربها، والتي صانت اليهود من الانشقاق والانقسامات الطائفية.

د- أسهم التلمود في تعريف الأجيال اللاحقة بتاريخ الآباء والأجداد.

ه- أنتج حياة فكرية عميقة الغور، بحيث حافظت تلك الحياة على اليهود المضطهدين والمحرومين من الجمود والركود وأنارت لهم شعلة العلم. (المحامي 2003: 19).

ونظراً لأهمية التلمود هذه، فقد فرض حكماء اليهود تعلمه على كل إسرائيلي، غنياً كان أم فقيراً، صحيح الجسم أو ذا عاهة، شاباً أو شيخاً (المقريزي1997 :29).

العداء للتلمود

وقد واجهت الشريعة الشفوية عامة، والتلمود على وجه الخصوص، مواقف عدائية كثيرة؛ منها ما هو قائم، على أساس، اختلاف الرؤى الدينية (بين اليهود أنفسهم)، ومنها ما هو قائم، على الصلف والتعنت والتعصب الديني (من قبل المسيحيين)، ومنها ما هو قائم، على أساس، التهرب من الوفاء بالحقوق، التي لليهود، وأُلبست ثوباً دينياً (غرب وشرق أوربا)، ومنها ما هو قائم، على أساس، العدوان لليهود كيهود، وأُلبست هي الأخرى ثوباً دينياً (دول شرق وغرب أوربا). ففيما يتعلق باليهود أنفسهم، فإن هناك طائفة من اليهود، من لا يؤمن أفرادها، بشيء اسمه الشريعة الشفوية، وسوف نتحدث عنهم، في جزء آخر، من هذه الدراسة.

أما المواقف القائمة على أساس، من الادعاءات الدينية، فقد رافقت اليهود عبر التاريخ، والمطلع على تاريخ اليهود، يعلم تماماً، صنوف القهر والإذلال، التي كانوا يتعرضون لها، وخاصة الإحراق، لشخصهم ولما يمتلكونه من أمتعة ومقدسات (الخياط 2005).

ومن أبرز تلك الاعتداءات، تعرض التلمود لكثير من المنع والإحراق، على مر العصور، وذلك باختلاق تهم على نصوصه، ولم يستمع أحد، لما يقوله علماء التلمود، في دفاعهم وتفنيدهم للاتهامات الباطلة، التي كانت تساق ضد التلمود، بين الحين والآخر. ليس هذا فحسب، بل لقد مُنع اليهود أنفسهم، من قراءة التلمود. ونتيجة للقهر والإذلال، الذي تعرض له اليهود، من قبل المسيحيين، وعلى الرغم من عدم صدق الادعاءات المسيحية، إلا أن اليهود نزلوا عند رغبة

الأقوياء، وقاموا بحذف بعض العبارات والجمل، التي خيل للمسيحيين أنها تمس المسيح. ونظراً، لقدسية ما ورد في التلمود، فإن مسألة الحذف هذه، لم تكن قط إلغاءً لها، بل تم تأجيلها وحفظها؛ إما حتى تبرد نيران القهر والإذلال، وإما حتى تتغير الظروف والأحوال، التي يرزح تحت وطأتها اليهود. وبالفعل، فقد تم إعادة النصوص، التي تم حذفها، وأصبحت الطبعات الحديثة لا تخلوا منها. "وجاءت الضربة القاضية مع حركة التنوير، التي كانت تهدف لإصلاح اليهودية، إذ وجّه دعاة الحركة، سهام النقد إلى التلمود، وأنكروا قداسة الشريعة الشفوية كلها" (المسيري 2005، 34).

ومن مظاهر العداء ضد التلمود، الادعاء بأن اليهود حاولوا ويحاولون إخفاءه، وجعله من أمورهم السرية، التي لا ينبغي أن يطلع عليها أحد، فيفتضح أمرهم بين الناس. وهذا القول، ليس أكثر من موقف من المواقف العدائية، التي تعرض لها اليهود عامة، والتلمود على وجه الخصوص، صحيح، أن العثور على نسخ كاملة للتلمود، من الأمور الصعبة للغاية (عرابي 2004، 346)، إلا أن مسألة إخفائه وسريته، أمر غير دقيق، فالتلمود لم يكن يوماً من الكتب السرية (المسيري 2005، 35).

طباعة التلمود

وظل التلمود مخطوطاً، حتى الربع الأول من القرن السادس عشر، عندما ظهرت وسائل الطباعة، وتمت لأول مرة، طباعة التلمودين الفلسطيني (الأورشليمي) والعراقي (البابلي)، في البندقية، في إيطاليا (عرابي 2004، 346). ظهرت "الطبعة الأول الكاملة للتلمود البابلي ... في إثني عشر مجلداً، من القطع الكبير ... وأشرف على نشرها دانيال بومبرج. وتحتوي هوامش هذه الطبعة، على أشهر شروح التلمود" (ظاظا 1999، 91).

ثم توالت طباعته، على أيدي عوائل مختلفة. وباسم الرقابة الدينية، فقد أُدخلت على معظم طبعات التلمود، منذ طبعة بال في سويسرا، شيء من التحريف، إلا أن الطبعات الحديثة تخلصت من هذا التحريف، وعادت إلى طباعة النص الأصلي (ظاظا 1999، 91 - 92). ولم ينقل إلى العربية سوى الجزء الأول، المنقول من اللغة الإنجليزية، وذلك، في مطلع القرن العشرين (عرابي 2004، 346).

والتلمود من المؤلفات، التي تتسم بضخامة الحجم، وكثرة العدد، فمن قائل، أن مجلداته تصل إلى عشرين مجلداً (المسيري 2005، 33)، ومنهم من يقول، أنه بأُصوله ومتونه وشروحه وتعليقاته 36 مجلداً، من القطع الوسط (نويهض 1996، 346).

أخيراً، ونظراً لكل ما قدمناه عن التلمود، وعن أهميته ودوره في حياة اليهود، فقد فُرضت قراءته على كل يهودي، ليس هذا فحسب، بل حُدد مقدار الوقت، الذي يجب أن يقضيه اليهودي في قراءته، فجعلوا له ثلث الوقت (المقريزي1997 ، 29). ومن الطبيعي القول، أن

الوقت المخصص لقراءة التلمود (ثلث الوقت)، هو الحد الأدنى، وليس الحد الأعلى، فكلما ارتقى المرء في تقواه، كلما زاد ما يخصصه من وقت للأمور الدينية كلها، بما في ذلك التلمود. ووفقاً لهذه الرؤية، يقسم التلمود مكانة اليهود، ويضعهم في أربع طبقات تراتبية، على النحو التالي:

الفئة الدنيا: اليهود الذين هم على جهل مطبق.

الفئة الأعلى: اليهود الذين لا يعرفون إلا التوراة.

الفئة الأعلى: اليهود الملمون بالمشناه أو الهاجادا.

الفئة الأعلى: الطبقة المتفوقة، التي درست الجمارا، والقادرة على البحث في القسم الشرعي منها، وهي الطبقة الصالحة لقيادة اليهود، في الأمور كافة (لانداو : 75 - 76).

التكوين الخارجي والداخلي للتلمود

يحتوي التلمود، بجناحيه: المشناه والجمارا، على كثير من الأفكار والتأويلات والقصص والتشريعات. ولما كانت اليهودية دين حياة (كوهن 2005: 38)، فإن الوزن الأكبر أو الثقل، ينبغي أن يكون للجوانب، التي تنظم هذه الحياة، لذا، فقد اعتبرت الفقرات القصصية دائماً (حتى من التلمود نفسه)، وعلى الرغم من تأثيرها الشعبي الكبير، في اليهودية، اعتبرت ذات قيمة ثانوية، فالأهمية العظمى، هي للأقسام الشرعية (شاحاك 2003 :75).

وبالنظر إلى وجهي التلمود (المشناه والجمارا) نجد، كما تبين سابقاً، أن الوجه الأول، يتناول في جله قضايا التشريع، بينما نجد أن الوجه الثاني، يتضمن في جله القصص والروايات، الداعمة للجانب التشريعي. وهذا التميز أو التخصص في دراسة المواضيع، لا شك، ينعكس على أسلوب أو منهجية الكتابة، ولو قدر لأي منا قراءة التلمود، فإنه

> يستطيع أن يستشعر أنه قد كتب بروحين، أو إن صح التعبير، بطريقتين توضحا المقصد الحقيقي له، طريق ترسم لليهودي معالم الخطى، التي ينبغي أن يسترشد بها، وعلى أساس شرعي. أماالطريقة الأخرى، فتقدم هذه المعالم بثوب أدبي رشيق، يجعل تفهم ما جاء بالطريقة الأولى بكل سهولة ويسر. الطريق الأول هي الهالاخا، والطريقة الثانية هي الهاجادا (كوهن 2005 :38).

الهالاخا والهاجادا

علمنا، مما سبق، بأن التلمود -الأورشليمي والبابلي- يتكون من عملين عظيمين هما المشناه والجمارا. وهذان العملان يمثلان الشكل الخارجي للتلمود، أما الشكل الداخلي له، فيتمثل

في موضوعين آخرين، هما: الهالاخا والهاجادا (Mansoor 1991: 150). وتعتبر الهالاخا بمثابة المشناه، فهي غالباً ما تركز على النص التشريعي. أما الهاجادا فهي بمثابة الجمارا، فهي تتناول النص القانوني للهالاخا، من أكثر من زاوية؛ فإما أن تقوم بشرحه وإيضاحه، وتسوق الأمثلة لزيادة بيانه، وإما أن تضع القانون بأسلوب أدبي رشيق، يبين ما ينبغي القيام به، بطريق غير مباشر.

وكلمة هالاخا مشتقة من الجذر العبراني لثلاثة احرف: ها-لامَد-كاف، والتي تحمل معنى السفر أو السير أو المسار، ويرى المسيري (2005: 36) بأنها ليست عبرية، فيقول: "وكلمة "هلاخا" من أصل آرامي ومعناها الحرفي " الطريق القويم"، التي يجب على اليهودي السير فيها، وفقاً لمبادئ "تورا"" (Bank 2002: 63) و (Jacobs 1984: 62) و (Pasachoff 1986 :9)؛وكوهن (2005: 38). وكانت الهالاخا من بين المفاهيم أو المصطلحات المستخدمة في أدب التناعيم، وكان لها دلالاتها المختلفة عند الفقهاء، ولكن مضمونها، لا يخرج عن كونها تشريع، ويؤكد ذلك المسيري (2005: 36) بقوله:

> وردت الكلمة لأول مرة، في كتابات معلمي المشناه، وكانت تعني في بداية الأمر "الحكم الشفهي الذي يصدره الفقهاء"، ثم أصبحت تشير إلى "الفقرة الواحدة، المتضمنة في سنة واحدة، في الفقهيات الشرعية". ثم أصبحت تشير، إلى الجانب التشريعي في اليهودية ككل، وضمن ذلك الشريعة الشفوية.

وهذا ما دفع Bank (2002: 63) إلى القول، بأنها تمثل "مجمل القانون والتشريع اليهودي المتجمع". إذن، فاهالاخا أكثر من مجرد المرشد والدليل، الذي "يعلمنا أي الطريق نسير فيه" (Pasachoff 1986: 9)، إنها البوتقة، التي انصهرت فيها كل التشريعات والقوانين، ومجمل الثقافة والقيم والأمال والتوجهات للمجتمع (الطائفة) اليهودي، وصاغت وفقاً لذلك، "الوجود أو الحياة لكل يهودي، في قالب معين، وجهت خطاه بطريقة يسير بها خاشعاً مع إلهه"(كوهن 2005: 38).

وتتكون الهالاخا من الوصايا العشر، المثبتة في اللوحين الحجريين، والـ613 وصية، المثبتة في التوراة العبرانية، بالإضافة إلى ما سنه الحكماء من قوانين، وكذلك العادات والتقاليد. ويميز (Bank 2002: 67) بين الجانب التشريعي الإلهي، والتشريع الحاخامي للهالاخا بقوله: "وضع الحاخامات قوانين، بغرض حماية الناس، من المخالفة غير المعتمدة للوصايا. وأي قانون من هذا القبيل، والذي لا يعد وصية، ومع ذلك لا يزال ينتمي للهلاخا، يُعرف بـ جزيراه". ويقصد بالجزيراه (gezeirah)، هنا، شرح أو إيضاح المقصود بالقانون. ولم يضع Bank (2002: 63) هذا التمييز بين التشريعين الإلهي والحاخامي عبثاً، بل ليبين، بأن ما سنه الحاخامات من قوانين، أو ما ثبت من العادات والتقاليد، وهو من مكونات الهالاخا، ليس بنفس وزن التشريع الإلهي، فقال: "فعقوبة مخالفة القوانين، التي سنها الحاخامات، أقل

قسوة من مخالفة قوانين التوراة". ومع ذلك فقد "ظلت "الهالاخا" القانون الإجباري الواجب إطاعته، ولم تقم بإلغائه أو تعديله أي سلطة مخولة" (كوهن 2005: 39).

صحيح، إن الهالاخا، هي "الصياغة القانونية المحددة، لتفاصيل الشريعة اليهودية" (المسيري 2005: 36)، إلا إن هذا لا يعني، بأن لها نفس طبيعة القوانين والتشريعات، التي عادةً ما تتسم بالجفاف والرتابة، إنها تتضمن بعداً أخلاقياً، وتضفي لمسة روحية على حياة الإنسان، فهي كما يقول: (Bank 2002: 62-63) ."على العكس من كل المواد التشريعية، لا تحتوي الهالاخا فقط على المحرمات، ففيها تعليمات وواجبات ... وتفرض الهالاخا عدداً من الواجبات، إيماناً، بأنها تساعد على إضافة بعد روحي للحياة الإنسانية".

ويؤكد كوهن (2005: 39) البعد الأخلاقي والروحي للهالاخا، ويسترشد، لدعم قناعاته هذه، بما كتبه أحد كتاب الدراسات الحديثة، في الأدب الحاخامي، الذي كتب ما نصه:

> كان الفريسيون والحاخامات قبل كل شيء مدرِّبين أو معلمين، وأن الهدف من تعليمهم كان الدين العملي، والقيام بالأعمال الصالحة، في خدمة الله والإنسان. كانوا يجتهدون في تقوية العوامل، التي تساهم وتطوِّر السلام والوحدة بين البشر. حسُّ العدالة، الحقيقة، الحب الأخوي، خفة الروح، الرحمة، الصبر، الخ... وبكلمة واحدة، الارتقاء بالمستوى الأخلاقي لشعبهم، جيلاً إثر جيل. تلك هي المبادئ التي طوَّروا على أساسها "الهالاخا"، وحافظوا عليها من الصلابة في مواقفها. لقد جعلوا منها طريقة لثقافة أخلاقية، ترسم معالم السلوك الصحيح، بعبارات تندرج في أخلاقياتها، وروحيتها، بعيداً عن التناقض عبر العصور، مع استمراريتها في التقدم والسمو.

أما الهاجادا "فتأتي من معنى جذر الكلمة "يحكي""(Jacobs 1984: 63)، ويعيد المسيري (2005: 36) أصل الكلمة إلى اللغة الآرامية، بينما (Bank 2002: 162) يعيدها إلى اللغة العبرانية، وتعني "يحكي". ولم يكتفي Bank بذلك، بل حدد لها مهمة خاصة تنبثق من معناها، فيقول: "الهاجادا هي الإخبار عن قصة الخروج، التي تحتل مركز القلب، في احتفالات عيد الفصح". وبالطبع، لا يمكن تحجيم الهاجادا إلى هذا الحد، إنها قرينة الهالاخاه، وهي التي تضفي على محتوى الهالاخا، اللمسة الحانية، والعبق الفريد، والأمل المشرق، والحرية المنشودة.

وإذا كان محتوى الهالاخا هو النص التشريعي القانوني، فإن الهاجادا هي الوعاء البللوري، الذي تقدم فيه نصوص الهالاخا. وعليه فمحتواها يكشف طبيعتها، فهي تشير "إلى الفقرات أو القطع التلمودية، التي تعالج الجوانب الأخلاقية، أو القصصية الوعظية، أو الأدعية، أو مديح الأرض المقدسة، أو التعبير عن الأمل في وصول الماشيح" (المسيري 2005: 36). فموضوع الهاجادا، إذن، يمتد من العلم إلى الخرافات، من الفلسفة إلى القصص التوراتية

والشخصيات التاريخية (Pasachoff 1986 : 3)، بمعنى أنها تضم مواضيع عدة: كالتاريخ، والأخلاق، والطب، والتراث، والأساطير، والتعليقات التوراتية، وقصص الشيوخ، والفلسفة، والجغرافيا، والسياسة (Jacobs 1984 : 63)، وتعمل من خلال هذه المواضيع، المتعددة والمتباينة، وبأُسلوب وعظي على جعل المرء يستوعب فحوى النص الهلاخي. وهناك أمر آخر، تتميز به الهاجادا، وهو أنها غير محكومة بإجماع الفقهاء أو الحاخامات، إنها تعبير شخصي حر، غير خاضع لقيود معينة، كتلك التي تحكم الهالاخا.

وتلعب الهاجادا دوراً غاية في الأهمية والخطورة، في المجتمع اليهودي، منذ أيام السبي وما تبعه من شتات، إنها تمثل النشيد القومي، الذي يجمع اليهود معاً للتخفيف عن معاناتهم، ولبلوغ ما يطمحون إليه، ويوضح هذه الفكرة كوهن (2005 : 40)، من خلال عرض رأي عالم يهودي في العلاقة بين الهالاخاه والهاجادا، فيقول:

> يعود للهالاخا أن تشيِّد على قاعدة القانون التوراتي، البنية العليا القادرة على مقاومة غزوات وصروف الدهر دون إذعان، مهما كانت المخاطر أو الشرور، التي تتعرض لها لاستنتاج النتائج المنطقية للقانون المطبق بالنسبة لأجيال المستقبل. تقع على الهاجادا إذن المهمة الأخلاقية العليا، بالتعزية، بالإشادة، بالتشجيع، والتثقيف لأمة معرضة لأسوأ الآلام، ومهددة بالركود الروحي في المنفى، وعليها المطالبة بأمجاد الماضي، التي تجسِّد مستقبلاً أقل تألقاً، وأن البؤس حتى في الزمن الحاضر، سيحل مكانه في المخطط الإلهي الذي رسمته التوراة.

شكل صفحة التلمود

دون التلمود بطريقة خاصة، رُتبت فيها النصوص والجهود، ترتيباً محكماً، يعطي صورة واضحة وجلية لمكونات التلمود؛ من مشناه وجمارا، وهالاخا وهاجادا، وما أُضيف إليه من شروح وتعليقات، عبر الزمن. وأصبح شكل صفحة التلمود مميزاً، ومعبراً، لكل الجهود التي بذلها العلماء والحكماء، وتم ترتيب التدوين على النحو التالي:

- المشناه: تتصدر الصفحة، وسطورها تشغل معظم الصفحة.
- الجمارا: تليها، وتدون في منتصف الصفحة، وطول سطورها لا تشغل سوى ثلث الصفحة تقريباً.
- الشروح: يترك جانبا الجمارا لتدوين الشروح والتعليقات أو تعاليم الحاخامات.

ويصف(Segal 2009 : 30) صفحة التلمود، بأنها تتخذ شكل الحرف "T" باللغة الإنجليزية، فيذكر بأنها تشبه الفراغ، حيث تكون المشناه المكتوبة بالعبرية، في رأس الصفحة،

وتأخذ شكلاً أفقياً. والجمارا المكتوبة بالآرامية تسير بشكل رأسي، حتى نهاية الصفحة، وبهذا تحدث المشناه والجمارا شكل حرف "T"، ويترك جانبا الجمارا فارغاً، حتى يستطيع الفرد، أن يدون فيه تعليم حاخامه. كان ذلك في التلمود التقليدي، أما مطبوعات التلمود أيامنا هذه، فلم يعد فيها جوانب فارغة، بل مليئة بالشروح الحاخامية للعصور الوسطى، كما تبينه إحدى صفحات التلمود، في الشكل التالي رقم (2):

شكل رقم (2)

يبين الشكل إحدى صفحات التلمود

والآن، وبعد الحديث عن التلمود، لا بد أن نشير إلى أمر غاية في الأهمية والحيوية، وهو أن الحياة الروحية لبني إسرائيل (اليهود)، لا تقوم ولا تستقيم بدون مرجعية أُولي العلم (العلماء، الحكماء، الكهنة، الحاخامات، ... ألخ)، الذين تقع على عاتقهم مسئولية إرشاد اليهود، وتبصيرهم إلى ما يجب القيام به، في كل ناحية من نواحي حياتهم، وتأكيداً لذلك، فإن المطاعم في دولة إسرائيل تقع تحت الإشراف الديني (جحاف 2012). ولا يعني هذا، أن اليهودي لا يستطيع أن يتخذ قراره بنفسه، أو يوجه نفسه بنفسه، بل إن ما يقوم به هؤلاء، هو الحرص على أن تسير الحياة، وفقاً للنص الإلهي. ولا يستأثر واحد من العلماء أو الحكماء بالقيام بكل الأدوار، بل إن هناك نوع من التخصص، وأن الأدوار موزعة توزيعاً دقيقاً، وكلهاذات صبغة مهنية؛ بمعنى، أنها تقوم على التأهيل والتدريب والحكمة والمعرفة.

الفصل الثالث
الأدوار الدينيـة

يصعب على الإنسان العيش، دون موجهات أو مرجعيات، يستنبط منها قواعد وأحكام، تنظم حياته بصفة عامة، وعلاقته بغيره من بني الإنسان خاصة. ولا طائل أو فائدةً ترتجى، من أية قواعد وأحكام، تظل حبيسة الأوراق أو المخازن، دون أن ترى طريقها للتنفيذ. فلا بد إذاً، من وجود هيئة مخولة لبث الحياة، في تلك القواعد والأحكام المجردة أو المدونة، إن وُجدت، على أن تمتلك هذه الهيئة، الحد الأدنى من شرعية السلطة، التي تمكنها من ممارسة القوة، في تنفيذ تلك القواعد والأحكام، وتقرير الجزاء ونوعه.

والباحث في تاريخ الأمم والشعوب، واجتماعها، وفكرها، وأدبها، وفلسفتها، يجد الشيء الكثير من الكتابات، التي تعالج هذا الموضوع، من كافة جوانبه؛ سواءً من حيث التركيبة الهرمية للهيئة (السلطة)، أوكيفية اختيارها، والشروط الواجب توفرها، فيمن يوكل إليه، أي أمر من أمور تنفيذ تلك القواعد والأحكام.

ولا تبتعد الديانات عن هذه المنظومة أو السنة الكونية، فالإله الخالق العالم بطبيعة خلقه ونوازعهم، وما هو مطلوب منهم، بعث فيهم من يوجههم، ويهديهم إلى إدراك تلك الموجهات أو المرجعيات، التي يجب أن تسير حياتهم وفقاً لها. ومنح الله أنبياءه ورسله سمات وصفات، لا توجد في غيرهم من البشر، تمكنهم من امتلاك قلوب وأفئدة كل من يوجهون له الخطاب. ولما كانت حياة رسل الله وأنبياءه قصيرة، فكان لا بد من أُناس يتحملون من بعدهم، مسؤولية الحفاظ على تنفيذ القواعد والأحكام الإلهية، الخاصة بعلاقة الإنسان بالإنسان، والإنسان بخالقه، فقام بهذا الدور العلماء والفقهاء والحكماء.

ولما كانت الديانة الموسوية (اليهودية)، هي أولى الديانات، ونظراً لثراء ما تحتويه، من القواعد والأحكام والطقوس والمراسيم والأدوار، فإن التوراة قد حفلت بمراكز ومراتب ومهام كثيرة، تتوافق مع تلك القواعد والحكام والطقوس والمراسيم، وأصبح تفعيلها منوط بمن كلف بها، إلى درجة يخيل للمرء فيها، أنها لا تقام بدونهم. وسطر تاريخ بني إسرائيل تلك الأدوار عبر التاريخ، وبين كيفية توليها، فكان واضحاً، أن هناك مهاماً وأدواراً كثيرة، أُسندت بأمر إلهي، وأدواراً ومهاماً أخرى، أسندها الأنبياء والحكماء لمن رأوا أنهم أهلاً لها. ونظراً لحيوية وعظمة هذه الأدوار، التي تمثل شكل قيادة جماعة إسرائيل، فقد رأينا، أن نضمنها في كتابنا هذا.

وقبل الخوض في تفاصيل هذه الأدوار، وحتى تصبح الصورة أكثر وضوحاً واكتمالاً، كان لا بد من البدء، بإطلالة تاريخية سريعة للقيادة في بني إسرائيل. عرف بنو إسرائيل، منذ جدهم الأول إسرائيل، ثمانية أشكال للقيادة. فكان سيدنا يعقوب (إسرائيل)، هو القائد الموجه لأبنائه أثناء حياته. أما بعد موته، فقد انتقلت القيادة لأبنائه؛ كل على أهله. وبعد تكاثرهم،

تشكلت أسباط (قبائل) بني إسرائيل، فأخذ كبير كل سبط مسؤولية قيادة سبطه.

ثم ظهر فيهم أنبياء عديدون قبل بعثة سيدنا موسى، الذي به ومن خلاله بدأت الديانة اليهودية -ويعد موسى (عليه السلام) أبرز وأعظم أنبياء وقادة بني إسرائيل على الإطلاق- فكانت لهم قيادة الأسباط مجتمعة، يوجهونها ويديرون شؤونها. ثم تلت فترة الأنبياء فترة القضاة، حسب رواية التوراة، الذين كانوا قادة ومرجعية لبني إسرائيل في كافة شؤونهم. ثم جاء الملوك الأنبياء (داود وسليمان)، وأخذوا على عاتقهم قيادتهم. وقام من بعدهم الكهنة، -وكان أبرزهم عزرا الكاهن- بدور بارز في تحمل المسؤولية، وقيادة الشعب، حتى تدمير المعبد الثاني عام 70 للميلاد.

وأتت بعد ذلك فترة المشناه، حيث تم عرض ومناقشة التوراة الشفهية، وهي الفترة، التي تعرف بفترة التناعيم والأموريم، وهؤلاء العلماء، هم من تحمل مسؤولية قيادة بني إسرائيل، ولفترة طويلة من الزمن. وتلت فترة المشناه الفترة الجاؤونية، في العصور الوسطى، ومن ممثليها سعديا الجاؤون، وراشي، وموسى بن ميمون، ويوسف كارو. وكان هؤلاء القادة قادة فكر، استطاعوا بما قدموه من رؤى دينية، أن يقودوا بموجبها كل جماعة اليهود أينما كانوا، حتى يومنا هذا.

أما في العصر الحديث، ابتداءً من القرن الثامن عشر تقريباً، وحتى يومنا هذا، فلم يعد لليهود قيادة ومرجعية واحدة، حيث بدأ تشتتهم وتفرقهم، وخاصة، منذ أن ظهرت فيهم دعاوى التنوير، الداعية لتمثل قيم وسلوكيات التنوير والحداثة، في المجتمعات المضيفة، والابتعاد ما أمكن عن الثقافة والسلوك اليهودي المتخلف، في رأيهم، ثم ظهور تيارات متعارضة كالحسيدية ومناهضيها، وتوزعهم في أربع حركات رئيسية، ذات توجهات متعددة ومتباينة: كالإصلاحية، والأرثوذكسية، والمحافظة، والتجديدية. وعليه، فقد توزعت قيادتهم على هذه الحركات، وداخل الحركة الواحدة، سواءً في إسرائيل أو خارج إسرائيل.

وإلى جانب القيادة العامة الدينية والسياسية (الأنبياء)، التي عملت على تسيير شؤون بني إسرائيل، هناك قيادات ذات أدوار دينية بحتة، لا تقل أهمية عنها، تحملت مسؤولية توصيل وتطبيق شريعة الرب. وما قامت به هذه القيادات الدينية، من دور في جماعة إسرائيل، مهما صغر شأنه، في نظر البعض، فإنه يشكل لبنة أساسية، في صرح الديانة اليهودية. وسوف يتم عرض تلك الأدوار والمهام الدينية، وكل ما يتعلق بها من شروط وأحكام، وذلك ابتداءً من النبي، وانتهاءً بالماشجيا (المشرف على الطعام).

وحديثنا عن الأدوار الدينية في اليهودية، ينقسم إلى جزئين: الجزء الأول، تم تسليط الضوء فيه، وباختصار شديد، غير مخل بالطبع، على أنبياء بني إسرائيل في مراحل ثلاث: قبل السبي، وأثناء السبي، وبعد السبي، وذلك من حيث نبوءاتهم ومعجزاتهم. وتناول الجزء الثاني، وبشيء من التفصيل، للكهنة واللاويين، وخدام المعبد، والحاخامات، والكتاب.

والسبب في تفصيل الجزء الثاني، واختصار الجزء الأول، يعود إلى أن الجزء الأول (الأنبياء) معلوم للجميع، كما أوضحنا، ولا يحتاج إلى مزيد من السرد والتفصيل.

أولاً .. أنبياء بني إسرائيل

النبوة

إن الحديث عن النبي دون الحديث عن النبوة، يُبقي الموضوع خاوياً أو ناقصاً، مهما بلغ الكاتب أو الباحث من حذق وبلاغة، لذا كان لا بد من بدء الحديث بالنبوة. والحديث في النبوة، أيضاً، يقتضي إتباع قواعد المعرفة، التي تقول، بأن بيان الأصعب على الفهم، يسهل ببيان مقدماته أو مجاله أو ما يحيط به، ومعرفة ماهية وطبيعة ووظيفة النبي تنجلي إذا ما تمت معرفة النبوة. وينبغي أن ندرك، أن النبوة تقوم في الأساس على المعرفة، فالارتباط بين المعرفة والنبوة أساسي، ولا يمكن إغفاله، تحت أي ظرف من الظروف.

ونظراً لما للمعرفة عامة، من أهمية لكل البشر ، فإنها في غاية الأهمية للنبوة، وإنه لابد من التأكيد، هنا، على أن هناك نوع من المعرفة، يختص به الأنبياء، دون غيرهم من البشر، سواءً من حيث طبيعتها، أو كيفية الحصول عليها. وحتى تتضح خصوصية المعرفة النبوية، فإنه لا بد من الإشارة، إلى أن المعرفة نوعان: النوع الأول، معرفة إنسانية: اجتماعية (سياسية واقتصادية وأدبية وفلسفية ... الخ)، وطبيعية (علوم فيزيائية وكيميائية وحيوية ... الخ). النوع الثاني، معرفة لدنيَّة. والمعرفة الإنسانية: هي السعي لكشف القوانين العامة، التي تحكم إما الظاهرة الطبيعية، أوالظاهرة الاجتماعية، ويمكن تحصيلها، وفقاً لذلك، بإحدى وسيلتين: إما عن طريق إدراك العلاقات، إدراكاً عقلياً مجرداً (العلوم الاجتماعية) وبوسائل منهجية أخرى غير معملية، وإما إدراك العلاقات إدراكاً حسياً (العلوم الطبيعية) تجريبياً، أو باتباع المنطق الرمزي.

أما المعرفة اللدنية، فقد خص الله بها نفسه، فهي في علم الغيب، ويمنح الله شيئاً منها، لمن اصطفاه من بني الإنسان، رسله وأنبياءه. والنوع الثاني من المعرفة (المعرفة اللدنية) هو محور وجوهر حديثنا، فهو الأساس أو القاعدة، التي تقوم عليها النبوة. وتتخذ النبوة أكثر من شكل واحد، والشكل الرفيع منها، هو من أتته بأمر من الله، وأُمر بتبليغها لغيره. ولو قمنا بمراجعة تاريخية، لوجدنا، بأن النبوة بعموم اللفظ –دون تحديد دقيق لطبيعتها وماهيتها- كانت سائدة ومعروفة عبر التاريخ الإنساني، ومع ذلك، فإنه من الصعوبة بمكان، تتبعها وتحديد زمانها ومكانها (Nissinen وآخرون 2003: 4)، بمعنى أنها كانت شائعة في كل المجتمعات وكل الثقافات دون استثناء، وقد عرفت الثقافات القديمة العرافين والمتنبئين 1987: 20)

(Miller، وهم من وصفهم ريجسكي (2002: 27) بالأنبياء البدائيين.

ويمكن إعادة ظهور هؤلاء العرافين والمنجمين والمتنبئين بالمستقبل، إلى علاقتهم بالمعرفة. فقد عرفت المجتمعات أُناساً، كان لهم نصيب وافر من المعرفة، بشتى أنواعها وصورها، ابتداءً من المعرفة البسيطة، المتعلقة بأمور الحياة اليومية، وانتهاءً بالانشغال بالأمور الغيبية. ويدخل في مجال الانشغال بالأمور الغيبية، عدد كبير من الناس، تدفعهم أو تدفع معظمهم الرغبة العميقة في معرفة المستقبل، ليس بدافع الفضول الفارغ، بل باعتبار أن سعادة الإنسان تتوقف على ذلك (ريجسكي 2002: 27)، ولأن كشف المجهول يمكن من السيطرة عليه والتحكم فيه. وينتمي هؤلاء، من حيث علاقتهم بالمعرفة، والفيض الإلهي، إلى المرتبة الثالثة، في تصنيف الناس (ميمون2006: 406).

ولما كان التحقق من دقة ومصداقية، أقوال وأعمال المشتغلين بأعمال وقضايا الغيب عسيراً، فقد شكلت هذه الصعوبة أرضية خصبة، لظهور فنون معرفة الغيب، والتنبوء بالمستقبل لدى الشعوب القديمة. ومن الطبيعي القول، أنه كلما كان المشتغل بأمور الغيب وقراءة المستقبل، أكثر حذقاً، كلما كان أكثر شهرة ومصداقية، وكلما التف الناس حوله، وعملوا بمقتضى توجيهاته ونصائحه. إلا أن هذا لا يعني، أنه لم يكن هناك أنبياء حقيقيين، فقد اقتضت المشيئة الإلهية، ألا يُترك الناس دون هداية وإرشاد لمعرفته، حتى يتحقق الهدف من الخلق، وهو إفراده بالعبادة والتقديس، فكان أن ظهر، إلى جانب السحرة والمنجمين، أُناس عُرفوا بأنهم أنبياء. ومع ذلك، فإن (Nissinen 2002: 4) يؤكد، بأن ما أفرزته الثقافات الشرقية من النبوات، ليس أكثر من مجرد توقعات، لا ترقى إلى مستوى التواصل النبوي، القائم على عمليات خاصة بين الله وأنبياءه.

إذن، فالنبوة، التواصل النبوي بين الله وأنبياءه، لم تظهر بطبيعتها الحقيقية، إلا في شعب إسرائيل، وهذا ما أكده كل من Nissinen (2002: 4) و Boadt (1999: 9). والمقصود بالنبوة هنا، هو الامتداد دون الانقطاع؛ باعتبارها فترة زمنية ممتدة، شكل فيها وجود الأنبياء حدثاً بارزاً، وليس وجود نبي فرد، كموسى عليه السلام، وهذا ما أكده كل من Floyd (200: 1)و Karesh (3005: 406) حين ذكرا بأن فترة النبوة بدأت خلال زمن القضاة، واستمرت على مدى تاريخ المملكة الإسرائيلية القديمة، حيث بلغت ذروتها فيها، ثم تراجعت بعد السبي البابلي.

والآن، وبعد أن تأكد لنا، بأن النبوة لم تبدأ بصورتها الحقيقية، إلا في شعب إسرائيل، فما المقصود بالنبوة، وما طبيعتها، وما هدفها. كل هذه التساؤلات وغيرها، سيتم تناولها في السطور التالية.

خاض المفكرون المسلمون، في موضوع النبوة كثيراً، ولم يفرق معظمهم (الفارابي وابن سينا والرازي والغزالي وابن رشد)، بين النبي والإنسان العادي، في نوع الحصول على المعرفة،

والفرق لديهم يكمن في درجتها. ولا يختلف المفكرون والحاخامات اليهود، عن المفكرين المسلمين، في النظر إلى النبوة، فهاهو ابن ميمون يرى، بأن النبوة ترتكز على العقل الفاعل والعقل الناطق، في الحصول على المعرفة الغيبية (Steigerwald 2003: 14).

ولو مضينا في تتبع مفهوم النبوة، في القواميس والموسوعات، لما خرج مفهومها عن أنها تعني، ليس المعرفة المسبقة لأحداث المستقبل وحسب، وإنما تشتمل كذلك على أحداث الماضي، التي لا يمكن تذكرها، وأمور الحاضر الخفية، التي لا يمكن معرفتها عن طريق المنطق الطبيعي. وإجمالاً، فإن المعنى الأساسي والعام للنبوة، هو التحدث بكلمات الرب(2003: 107 Chin). أما من الناحية التفصيلية، فللنبوة مفاهيم ومعان متعددة، يطرحها الفقهاء والعلماء والمفكرون، كل من زاويته، التي يرى منها.

النبوة فضل "يسبغه الله، فكانت، كما تقول التوراة، تأتي إلى النبي من تلقاء نفسها، على غير توقع أو رغبة، في كثير من الأحيان، فهي إذن ظاهرة جبرية" (موسكاتي 1997: 122). وقد ورد في تعريف النبوة، الكثير من الأقوال، فمن قائل، بأنها "قد تكون التعاليم الأخلاقية الإلهامية، أو التعبير عن الأمر أو الحكم الإلهي، أو الإفصاح عن شيء سيحدث" (Zuzim 1988: 690)، أو أنها النقل البشري للرسالة الإلهية، ووسيلة لبيان الإرادة الإلهية للبشر (Nissinen وآخرون 2003: 1)، أو أنها كشف المعلومة، أو الحصول على المعرفة، بطرق غيرعادية، لا تخضع لقواعد المنطق البشري العقلاني التجريدي أو التجريبي، وذلك لأن مصدرها هو الله، وهو وحده الذي يمنحها، وهو الذي يعلم كنهها وتفسيرها(Chin 2003: 108). وهي منحة من الله لمن اصطفاه، أي لمن هو مؤهل أو مهيأ لها؛ "تقول النظرية المؤتمنة بين الفلاسفة اليهود المتأخرين: أن النبوة لم تكن هبة أعطاها الله اعتباطاً لعدد من الأشخاص، بل إنها وُسمت تتويجاً للقدرات العقلية – الروحية الرائعة" (كوهن 2005: 183). وهي عند موسى بن ميمون (2006: 400)، من حيث طبيعتها وماهيتها، "فيض يفيض من الله عز وجل، بوساطة العقل الفاعل، على القوة الناطقة أولاً، ثم على القوة المتخيلة بعد ذلك، وهذه أعلى مرتبة الإنسان، وغاية الكمال، الذي يمكن أن يوجد لنوعه".

وبتأمل الكلمتين، اللتان وردتا سابقاً، في قول كل من موسكاتي وابن ميمون، وهما: "قهرية" و"لنوعه"، يتبين لنا، أن هناك إنسان ما، في زمن بعينه، تم اختياره بعناية فائقة، من قبل العناية الإلهية للنبوة، وهذا يتطابق مع رأي موسكاتي. أما كلمة "لنوعه"، التي ذكرها ابن ميمون، فيقصد بها، أن من تم اختياره للنبوة، يجب أن تتغير طبيعته، أو ما يسميها ابن ميمون "جبلته" حتى تكون قادرة على تحمل الوحي الإلهي. وحتى يتضح قصد ابن ميمون، كان لابد من ذكر ما عرضه في هذا الشأن، بقوله (2006: 406):

> وبعد هذا، فلتعلم أن هذا الفيض العقلي، إذا كان فائضاً على القوة الناطقة فقط، ولا يفيض منه شيء على القوة المتخيلة. إما

لقلة الشيء الفائض، أو لنقص كان في المتخيلة، في أصل الجبلة، فلا يمكنها قبول الفيض العقلي. فإن هذا هو صنف العلماء أهل النظر. وإذا كان ذلك الفيض على القوتين جميعاً، أعني الناطقة والمتخيلة كما بينا، وبين غيرنا من الفلاسفة، وكانت المتخيلة على غاية كمالها الجبلي، فإن هذا هو صنف الأنبياء.

وعلى الرغم من أن طبيعة النبوة، تتسم بإضفاء الراحة والطمأنينة على نفوس المؤمنين، وتجعلهم يستمتعون بالسعادة والرضاء، لانضوائهم تحت عبودية الرب، فهي، دون شك، تنذر العصاة بالعقوبة والمعاناة في الحياة. والتوراة، في الوقت الذي غالباً ما يكون فيها، من تحذير الرب من العواقب، التي ستحل بالمجتمع أو الجماعة أو قادتها، عندما لا يلتزمون بتعاليمها، في زمن النبي المعاصر لهم، فإن النبوات الواردة فيها، تبشر بالوعود بالبركات، الناتجة عن طاعة الرب. وعلى الرغم من وضوح آيات التوراة، إلا أن هناك، من يقصر ما ورد فيها، على جانب واحد، وهو جانب الوعد والوعيد، فها هو (Chin 2003: 107)، يرى بأن الأنبياء والنبوات في التوراة، تتميز بأنها غالباً ما تكون قاتمة وقاسية، وذلك، لأنها لا تخبر الناس، إلا عن خطاياهم، وتنذر العصاة بالخراب والدمار.

ووفقاً لطبيعة النبوة، التي أشرنا إليها سابقاً، تتحدد وظيفتها، فهي لا تخرج أبداً عن تلك الطبيعة، التي تحمل الشقين، أو الجزئين معاً. ومن هذا التبيين، يمكننا القول، بأن وظيفة النبوة، هي نقل الأوامر والنواهي الإلهية، وبيان ثواب الالتزام بالأوامر والنواهي، وعقوبة من لا يلتزم بها. ليس هذا فحسب، بل يأتي مع الأوامر والنواهي، بيان الطرق، التي ينبغي على المؤمن إتباعها، فهي التي تساعد على طاعة الرب، كما تساعد على سماع واستقبال هدايته وتوجيهه (Zuzim 1988: 690).

وحتى تكتمل النبوة وتصبح نبوة فعلية، من وجهة نظر Nissinen وآخرون (2003: 1)، فلابد من أن تسير، وفقاً لآلية واضحة ومحددة، فيجب أن يتوفر فيها ثلاثة أركان: المرسل للرسالة (الإله المقدس)، والرسالة نفسها، والناقل البشري للرسالة، وبهذا فقط تتحقق النبوة. ورأي Nissinen يصدق على الأنبياء ذوي الرسالات، ولا يصدق على الأنبياء، الذين لم يكلفوا بنقل رسالة الله، إلى من أُرسلوا إليهم، وهذا التفريق يبينه موسى بن ميمون (2006: 407) بدقة متناهية بقوله: "كذلك الحال في الصنف الثاني (الأنبياء)، قد يأتيه من الوحي ما يكمل ذلك النبي لا غير. وقد يأتيه منه، ما يوجب له أن يدعو الناس، ويعلمهم ويفيض عليهم من كماله". وعليه، فليس كل نبي مؤهل لحمل رسالة الخالق لخلقه، فهناك أنبياء كثر لم يكلفو قط، بتبليغ كلمة الله لعباده؛ كيعقوب عليه السلام، على سبيل المثال.

والأمر البارز في فترة النبوة، في إسرائيل القديمة، هو العمل الجماعي للنبوة. والعمل الجماعي للنبوة، لا يعني قط، عدم وجود نبي فرد فيها، بل إن ذلك النبي الفرد، قد يأخذ مكان

الصدارة أو المسؤولية الإرشادية، وقد جاء ذكر ذلك، في سفر الملوك الثاني (15 :2) ونصها ﴿ ولما رآه بنو الأنبياء الذين في أريحا قبالته قالوا: "قد استقرت روح إليا على أليشع". فجاءوا للقائه وسجدوا له إلى الأرض.﴾

وللسجود دلالته المتمثلة في إطاعة أوامر قائدهم، وقد جاء ذكر هذا، في سفر الملوك الثاني (4 :38 - 41) ونصها:

﴿(38) ورجع أليشع إلى الجلجال. وكان جوع في الأرض وكان بنو الأنبياء جلوساً أمامه. فقال لغلامه: "ضع القدر الكبيرة، واسلق سليقة لبني الأنبياء".

(39) وخرج واحد إلى الحقل يلتقط بقولاً، فوجد يقطيناً برياً، فالتقط منه قثاءً برياً ملء ثوبه، وأتى وقطعه في قدر السليقة، لأنهم لم يعرفوا. (40) وصبوا للقوم ليأكلوا. وفيما هم يأكلون من السليقة صرخوا وقالوا: "في القدر موت يا رجل الله!". ولم يستطيعوا أن يأكلوا (41) فقال: "هاتوا دقيقاً". فألقاه في القدر وقال: "صب للقوم فيأكلوا". فكأنه لم يكن شيء رديء في القدر﴾

وهذا ما كان سائداً في إسرائيل القديمة، حيث غلب كل من الطابع الجماعي للنشاط النبوي (Newsome 1984: 5) المؤسسي، فكانوا، إما أن يعملوا لدى الحاكم، أو في المعابد، وكان عملهم هذا، نظير أجر يتقاضونه (Boadt 1999: 13). وينبغي أن نشير، إلى أنه كان هناك، جماعتين من بني الأنبياء، ميز الأدب فيما بينهما، من خلال اللفظ المعطى لكل منهما، فأطلق على أحدهما لفظاً مهنياً، هو نقابة أو هيئة (Guild) أو أنبياء البلاط، وأطلق على الأخرى لفظاً، يشير إلى أية جماعة دينية، وهو طائفة (Cult). وهاتان الجماعتان وجدتا في إسرائيل القديمة، إلا أن جماعة طائفة الأنبياء، هي الأقدم في الوجود، وذلك، لأن مؤسسة العبادة أقدم من الملكية، التي ينتمي إليها أنبياء البلاط، ولأن أصولهم غير معلومة في التوراة، فإنه يبدو بأنها (Guild) امتداد لطائفة الأنبياء (Newsome 1984: 6).

وعلى الرغم، من شيوع نشاط أنبياء البلاط، وحضورهم البارز في المجتمع الإسرائيلي، حيث كانوا يتجمعون كلما ظهر خطب ما، كالحروب أو التهديد بها، أو المشاكل التي تواجهها الدولة، إلا أن هناك، تفاصيل كثيرة عن حياتهم، غير معلومة على وجه اليقين. وتَجمُع أنبياء البلاط معاً في جماعة واحدة، كان نتيجة عاطفة جياشة ودافع إنساني قوي –الولاء للأرض- محاط برعاية روح النبوة (Chamberlain 2003: 5) وأي ما كانت حيوية وفاعلية نشاط ودور جماعة الأنبياء، فإن النبوة تتركز في شخصية واحدة، تتسم بالحضور القوي في مجتمعها، فهم ذوو شخصيات كاريزماتية، بحسب وصف التوراة لهم (Isaacs: 5). وهذا لا يعني على الإطلاق، التقليل من شأن جماعة الأنبياء، فقد كانت تقوم على رئاسة نبي لها،

كما كان وضع النبي أليشع مع جماعة الأنبياء. فقد بدأت النبوة فردية، ثم فردية جماعية، وأخـــــيراً، بدأ الاتجاه الفردي للنبوة، يتزايد على الـدوام، ويتراجع اتجاه النبوة الجماعية (Newsome 1984، 5).

النـبي

إن أول ما يتبادر إلى الذهن، عند سماع أو قراءة كلمة نبي، هو أنه الشخص الذي يعرف، بوحي من الرب، أمور من الماضي ما يجهلها كل معاصريه، والقادر على الإخبار بما سيحدث في المستقبل، وهذا كلام تزخر به الأدبيات. وإذا ما حاولنا، التعرف على الكلمة أو اللفظ، الذي كان الناس يستخدمونه قديماً، ويدل على كلمة نبي، فإن هذا اللفظ، كما جاء في الأدب، هو «رائي»، وتأكد هذا اللفظ في التوراة، فقد جاء في الآية التاسعة، في سفر صموئيل الأول (9 :9)، ما نصه:

> ﴿سابقاً في إسرائيل هكذا كان يقول الرجل عند ذهابه ليسأل الله: "هلم نذهب إلى الرائي". لأن النبي اليوم كان يدعى سابقاً الرائي﴾

وكان الرائي، في الشعوب القديمة، يقوم بوظائف متعددة ومتنوعة، تدخل تجاوزاً في إطار التنبوء، فقد كانت مهمته، تتمثل في جعل الحقائق الخفية عن عامة الناس معلومة. وكان ذلك، وعلى الدوام، يتضمن تقرير إرادة الرب، ونتائج الأحداث الهامة، بالنسبة للملك وللأمة وللأفراد؛ كفشل أو نجاح الحصاد، ونتائج الحروب، ونتائج الأوبئة، وتفسير الأحلام والرؤى من خلال التنجيم، أو ما يُعرف بقراءة الأفلاك (Newsome 1984، 2).

وإذا ما تقصينا تاريخياً ورود كلمة "نبي" بلفظها المحدد، نجد أن أقدم الاستخدامات لها، كان في اللغة العبرية، وهي نبيئيم (נביאים) وهي جمع نبي، وتدلنا على ذلك التوراة، باعتبارها أول الكتب السماوية، فقد جاء أول ذكر للنبي في سفر التكوين (20 :7)، ونص الآية هو:

> ﴿فالآن رد امرأة الرجل، فإنه نبي، فيصلي لأجلك فتحيا. وإن كنت لست تردها، فاعلم أنك موتاً تموت، أنت وكل من لك﴾.

كما تسمي التوراة النبي بكلمات أخرى هي: "حوزي" و"روئي" (ريجسكي 2002، 35). ويؤكد Newsome (1984، 2) بأن الرائي والنبي في تاريخ إسرائيل المبكر، لم يكونا متماثلين، ولكن مع مرور الزمن، أخذ النبي وظيفة الرائي، وبهذا اختفى الرائي. ويبدو أن الرائي، لم يختفي تماماً، كما ادعى Newsome، وحقيقة الأمر، أن النبوة في إسرائيل، وما يشبهها في المناطق المجاورة لها كانتا قائمتان، وكان أنبياء إسرائيل يشبهون إلى حد كبير، في مظهرهم ومناهج عملهم، أنبياء الآلهة المجاورة (Chamberlain 2003، 5).

ووجه الشبه بين أنبياء إسرائيل، وأنبياء الآلهة المجاورة، الذي ذكره Chamberlain من حيث المظهر ومنهجية العمل، المتمثل بالنشوة، لا يخص جماعة الأنبياء (Guild)، الذين كانوا يقومون بنشاطات النشوة (Boadt 1999: 13)، وإنما يتضمن باقي الأنبياء، مثل حزقيال، الذي يمكن ملاحظة نبوة النشوة، في العديد من سلوكياته (Newsome 1984: 4) . وحالة النشوة هذه يوضحها (Chamberlain 2003: 5) بأنها حالة تقمص روح الرب، التي يصل إليها نبي النشوة، عند بلوغه حالة عالية من الهستيريا، باستخدام الرقص الرتيب والمهل، والأجهزة الموسيقية، والأصوات والصيحات الغريبة، والسلوكيات الغريبة، التي تنطبق على "الشخص المجنون". وهذا يدل على وجود نوعين من الأنبياء في إسرائيل: أنبياء النشوة، وأنبياء الرسالة، وأنبياء الصنف الثاني، لا شك، بأنهم خبروا حالة النشوة، التي يعد نشوءها إعداد مستمر لنشاط النبوة (Chamberlain 2003: 5) . وأي ما كانت الفوارق والحالات، التي يمر بها كل صنف من الأنبياء، فبينهما قاسم مشترك، وهو نصرة الضعيف، وإحساس قوي بتقليد العهد، الذي يرى شعب إسرائيل شركاء في بركات الرب، ويحذر من عدم معاملتهم بالقسط (Boadt 1999: 13) .

نحن الآن أمام نوعين من الأنبياء: الرائي، غير النبي الموحى له من قبل الله، سواءً في التاريخ القديم أو المعاصر لبني إسرائيل، وأنبياء بني إسرائيل المصطفين للنبوة. فإذا كان أنبياء نوعي النبوة، يشتركون في نشاط النشوة، فهل يتفق نوعا الأنبياء في طريقة تلقي النبوة ؟ من الطبيعي القول، أن الفارق البارز بين نوعي الأنبياء، هو أن أنبياء النوع الأول، ليسوا بمصطفين ومختارين من قبل الله، وعليه، فالطريقة، التي يحصلون فيها على المعرفة، تتناسب والغرض منها. ولما كانت وظيفتهم بينة، كما أسلفنا بيانها، فإن طريقة الحصول عليها عقلية بحتة، ولا علاقة لها بالله أو الوحي الإلهي. فقد كانت العرافة أو النبوة في الثقافات القديمة، تقوم على استخدام تقنيات مختلفة، فإما أن تكون حدسية (Intuative) أو استقرائية (Inductive)، ونمط التنبوء الأكثر شيوعاً في عالم الأنبياء، كان عن طريق الاستقراء (Miller 1987: 20). ويقصد بالاستقراء هنا، كما هو معلوم، الدراسة المادية المباشرة لأي موضوع، ولم تكن الطريقة الحدسية شائعة. أما طريقة حصول أنبياء الله على نبوءاتهم، فتأتيهم من الله مباشرة، والطريقة الشائعة الاستخدام، كانت الطريقة الحدسية، حيث يتم تواصل الله مع من اختارهم، إما أثناء النوم أو اليقظة، فيوصل لهم رسالته، التي عليهم نقلها، وهذا هو الشكل، الذي كان سائداً في التوراة (Miller 1987: 21) .

وبعد أن بينا الفارق بين الأنبياء، في الثقافات القديمة، وفي بني إسرائيل، فقد أصبح المقصود بالنبي واضحاً وجلياً، فهو، الذي تصبح الإرادة والحكمة الإلهية، من خلاله معلومة للجميع (Zuzim 1988: 694)، أو أنه الرجل المصطفى، الذي يبين إرادة الرب، وينقل رسالته للناس (Chamberlain 2003: 4)، أو أنه رجل الله، أو المدعو، وتتضح هذه الصفة

ومضمونها، من خلال ما طرحه موسكاتي (1997 : 122)، بقوله :

> يسمى النبي في العبرية "نابي"، وقد اختلفت الآراء حول هذه الكلمة، ولكن يبدو أن أصح تفسير لها هو "المدعو"، أي من يدعوه الله. فالله يختار النبي ويوحي إليه، ليحمل رسالته إلى الناس، والنبي يكرس نفسه كلها لله، ومن هنا كان يسمى في كثير من الأحيان "رجل الله".وهي كثيراً ما تُردد في التوراة.

ويحفل الأدب الإسرائيلي / اليهودي، بتفاصيل كثيرة، حول معظم جوانب حياة أنبياء بني إسرائيل. وأول ما يلفت انتباه المرء، هو العدد الهائل للأنبياء فيهم، فقد تجاوز تعدادهم، وفقاً للتلمود، المئات، وهذا العدد الكبير، الذي أشار إليه التلمود، يجمع كل الأنبياء. أما الأنبياء، الذين أتوا بعد سيدنا موسى، فعددهم قليل، وهم الذين ورد ذكرهم في الكتابات المقدسة، وهذا ما أكده Zert (1997 : 111) بقوله : "بلغ مجموع الأنبياء العبرانيين في التناخ خمسة وخمسون نبياً، الذين تلقوا الرسالة من الرب إلى شعب إسرائيل، ثم إلى سكان يهوذا وأماكن أخرى.. ويمكن اعتبار عزرا الكاتب (الكاهن) آخر أنبياء بني إسرائيل". وعدد أنبياء بني إسرائيل، قد تفرد بذكره سفر الأنبياء، الذي لم يشر لأكثر من سبعة عشر نبياً، وهذا ما أشار إليه، وايف (2004 :13) بقوله :

> (والقسم الرابع) يسمى أسفار الأنبياء، وعددها سبعة عشر سفراً، يعرض كل منها تاريخ نبي من الأنبياء، الذين أرسلوا بعد موسى وهارون ... وجميع هؤلاء الأنبياء إسرائيليون، وأرسلوا إلى بني إسرائيل، ما عدا يونس، فإنه يظهر من عبارات كتابه، أنه مرسل إلى نينوى.

كما أشار التلمود إلى أن النبوة، كما لم تكن محصورة في بني إسرائيل، فإنها لم تكن محصورة في الذكور من البشر، بل امتدت لتشمل الإناث أيضا، فقد عدد الحاخامات ثمانية وأربعين (48) نبياً وسبع (7) نبيات (Karesh 2005 :406)و(Blenkinsopp 1996 : 9)، وهن : سارة، ومريم، ودبورة، وحمنة، وأبنجيل، وهولدة، وإستار. ولم يقتصر عدد النبيات، على ما ذُكر تحديداً، بل إن هناك نبيات أخريات، أمثال : مي، وحنة أم صموئيل، وخلد امرأة شاوم، وحنة بنت فنوئيل، وبنات فيلبس الأربع (قاموس الكتاب المقدس 2005 : 953). ومن الطبيعي أن تكون هؤلاء النبيات، من الصنف الأول من الأنبياء، وفقاً لتصنيف موسى بن ميمون، الذين وصلهم من الفيض الإلهي مالا يفيض عنهم لغيرهم، فلم يحدث قط، أن حملت نبية منهن رسالة من ربها، وسعت إلى إبلاغها للناس.

ويختار الله النبي من بين عباده، الذين يتحلون بسمات أخلاقية واجتماعية وبدنية واضحة، إذا توفرت في واحد منهم كان نبياً، وهذه السمات، وبترتيب تصاعدي متسلسل

ومترابط، هي:

- الحماسة تؤدي إلى النظافة.
- النظافة تؤدي إلى النقاء الشعائري.
- النقاء الشعائري يؤدي إلى امتلاك الذات.
- امتلاك الذات يؤدي إلى القداسة.
- القداسة تؤدي إلى التواضع.
- التواضع يؤدي إلى مخافة الخطيئة.
- مخافة الخطيئة تؤدي إلى القداسة السامية.
- القداسة السامية تؤدي إلى الروح القدس (كوهن 183 ،2005).

والسمات الاجتماعية والبدنية، إضافة إلى السمات الأخلاقية المذكورة، تجعل النبي في مكان الرفعة بين قومه، فهو العزيز النفس، الشريف المكانة، الند للقوي، المعين للضعيف، لأن القدوس الواحد (الممجد)، لا يجعل "نور الشيخينا يسطع، إلا على رجل ثري، عاقل، متواضع، لا يجعل القدوس الواحد (الممجد) نور الشيخينا يسطع، إلا على رجل حكيم، قوي، غني، طويل القامة" (كوهن183 ،2005). ويستتبع اختيار الرب لأنبيائه، تزويدهم بعلامات ومنح ربانية عديدة، ومن هذه المنح الربانية:

- الحكمة.
- المعرفة.
- الفطنة.
- الشفاء.
- المعجزات (Chin 2003، 109-110).

ومجمل الصفات والمنح الربانية، التي يهبها الله لأنبيائه، ما اجتمعت في إنسان، إلا جعلته أقدر من غيره، على التعامل مع بني البشر، أياً كانت طباعهم وأمزجتهم، وأنها تكفل لصاحبها النجاح والتوفيق، في أي أمر عقد النية على إنجازه أو القيام به. وأنبياء الرب لا ينقلون إلا كلماته، ولا يدعون إلا إليه، ويحضون الناس على الرفعة والسمو، في كل مناحي حياتهم. ولا يفرق أنبياء الرب بين الناس تبعاً لمكاناتهم الاجتماعية أو السياسية، فالكل عندهم سواء، ويجب أن يستمعوا إلى كلمات الرب. وقد لخص موسكاتي (122 ،1997) مهمة الأنبياء بقوله:

> فمن تلقى دعوة النبوة، ذهب إلى السوق أو المعبد أو القصر، ونادى بما دعي إليه، سواء أكان سامعه من عامة الناس أم كاهناً أم ملكا. وكانت دعوته تدور حول محورين أساسيين: فكان من جهة، يدعو في إصرار إلى الوحدانية الخالصة، ويرفض كل نوع من أنواع

التساهل أو التراخي مع العبادات الأجنبية أو الوثنية، وكان من جهة أخرى، يدعو إلى صلاح الأخلاق.

والأنبياء، وهم من بلغ درجة الكمال، يختلفون فيما بينهم، في كل من درجة الكمال، واستمرار أو عدم استمرار النبوة فيهم؛ فإذا ما حدثت ثغرة في الكمال الأخلاقي للنبي، فإن هبة النبوة تضيع منه، إما بشكل مؤقت أو نهائي، وإذا أظهر النبي نوعاً من التعجرف، فإن النبوة تغادره، وتتركه نهائياً لو استسلم للغضب (كوهن 2005: 183). وقد وضع موسى بن ميمون (2006 :433-441) إثنى عشر مرتبة للأنبياء، من أدنى مرتبة إلى أعلى مرتبة، والتي اختص بها سيدنا موسى عليه السلام، وذلك على النحو التالي:

1. الأعمال (الملهمة)، وهذه هي درجة قضاة إسرائيل.
2. الكلمات (الملهمة).
3. الوحي بما يشبه الأحلام.
4. الوحي بصوت مسموع في الأحلام.
5. الوحي في أحلام سمعية بصرية؛ بصوت بشر.
6. الوحي في أحلام سمعية بصرية؛ بصوت ملائكة.
7. الوحي في أحلام سمعية بصرية؛ بصوت إلهي.
8. رؤى اليقظة.
9. وحي صوتي أثناء اليقظة.
10. وحي سمعي بصري أثناء اليقظة؛ بصوت بشر.
11. وحي سمعي بصري أثناء اليقظة؛ بصوت ملاك.
12. وحي سمعي بصري أثناء اليقظة؛ بصوت إلهي، وهذه أعلى مراتب النبيين (تميز بها موسى).

ولم يقتصر تاريخ بني إسرائيل، على الأنبياء المرسلين من ربهم، لشعب إسرائيل، بل لقد وُجد من بني إسرائيل، عدد غير يسير، ممن ادعى النبوة، من الرجال والنساء على السواء. وقد حذر سفر التثنية (13: 5-1) من هؤلاء الذين يدعون النبوة، ويبعدون الناس عن طريق الرب، حتى وإن كانت نبوءاتهم قابلة للتحقق، ونص الآيات هو:

﴿ (1)"إذا قام في وسطك نبي أو حالم حلماً، وأعطاك آية أو أعجوبة، (2) ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التي كلمك عنها قائلاً: لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها وتعبدها،(3) فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم، لأن الرب إلهكم يمتحنكم لكي يعلم هل تحبون الرب إلهكم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم. (4) وراء الرب إلهكم تسيرون، وإياه تتقون، ووصاياه تحفظون،

وصوته تسمعون،وإياه تعبدون، وبه تلتصقون. (5) وذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم يقتل، لأنه تكلم بالزيغ من وراء الرب إلهكم الذي أخرجكم من أرض مصر، وفداكم من بيت العبودية، لكي يطوحكم عن الطريق التي أمركم الرب إلهكم أن تسلكوا فيها. فتنزعون الشر من بينكم.﴾

وتكرر ذكر الأنبياء الكذبة في سفر إرميا، في إصحاحين (23: 28-9) و (28: 1-17)؛ في الأول، كانت الإشارة عامة إلى كل الأنبياء الكذبة، أما في الثاني، فقد كان الحديث مباشر عن نبي بعينه، وذلك في مطلع حكم صدقيا ملك المملكة الجنوبية (يهوذا)، كما هو مبين في آيات الإصحاحين (23 و 28)، فقد جاء في بعض آيات الإصحاح الأول (23: 40-9) ما نصه:

﴿(11) "لأن الأنبياء والكهنة تنجسوا جميعًا. بل في بيتي وجدت شرهم، يقول الرب. (12) لذلك يكون طريقهم لهم كمزالق في ظلام دامس، فيُطردون ويسقطون فيها، لأني أُجلب عليهم شرًّ سنة عقابهم، يقول الرب. (13) وقد رأيت في أنبياء السامة حماقة. تنبأُوا بالبعل وأضلوا شعبي إسرائيل. (14) وفي أنبياء أورشليم رأيت ما يُقشعر منه. يفسقون ويسلكون بالكذب، ويشدِّدون أيادي فاعلي الشر حتى لا يرجعوا الواحد عن شره. صاروا لي كلهم كسدوم، وسكانها كعمورة. (15) لذلك هكذا قال رب الجنود عن الأنبياء: هأنذا أُطعمهم أَفْسنتينا وأسقيهم ماء العلقم، لأنه من عند أنبياء أورشليم خرج نفاق في كل الأرض. (16) هكذا قال رب الجنود: لا تسمعوا لكلام الأنبياء الذين يتنبأون لكم، فإنهم يجعلونكم باطلاً. يتكلمون برؤيا قلبهم لا عن فم الرب... (40) وأجعل عليكم عارًا أبديًا وخزيًا أبديًا لا ينسى".﴾

أما ما ورد في الإصحاح (28: 1-17)، فيتعلق بحنَنيًّا بن عزور، الذي ادعى النبوة كذباً، وخاطب النبي إرميا بها، فكان عاقبته الموت بأمر الرب، وأُختتم هذا الإصحاح بما نصه:

﴿(16) لذلك قال الرب: هأنذا طاردك عن وجه الأرض. هذه السنة تموت، لأنك تكلمت بعصيان على الرب".﴾

وفي سفر حزقيال (13: 23-1) يتوعد الرب الأنبياء الكذبة والنبيات الكاذبات بالويل، وذلك كما نصت عليه بعض آياته:

﴿(1) وكان إليَّ كلام الرب قائلاً:... (3) هكذا قال السيد الرب: ويل للأنبياء الحمقى الذاهبين وراء روحهم ولم يروا شيئاً. (4)

أنبياؤك يا إسرائيل صاروا كالثعالب في الخراب... (23) فلذلك لن تعدن ترين الباطل ولا تعرفن عرافة بعد، وأُنقذ شعبي من أيديكن، فتعلمن أني أنا الرب".﴾

ويورد قاموس الكتاب المقدس (2005: 953) الأنبياء الكذبة من الرجال والنساء بالاسم، فالأنبياء الكذبة أمثال: صدقيا، وأرميا، وباريشوع. أما النبيات الكاذبات فأمثال: نوغدية وإيزابيل. ونكتفي بمجرد الإشارة، إلى مدعيي النبوة من بني إسرائيل، الذين كشفتهم التوراة، دون الحاجة إلى مزيد من الحديث عنهم، وذلك لأنهم خارج اهتمام هذا العمل.

والأنبياء المصطفين، الذين ظهروا في بني إسرائيل، على صنفين؛ منهم من لم يُفرد له سفر خاص به، ومنهم من توجت دعوته بسفر تحدث عنه وعن نبوءاته ومعجزاته. والفارق بين نوعي الأنبياء (بسفر وبدون سفر)، هو عملية التدوين، والتي منحت أنبياء الأسفار قوة اجتماعية عالية، فالكل خاطب الناس في البدء شفاهةً، ثم تحول التعبير النبوي الشفوي، إلى شيء مدون يحمل اسم النبي، ويتضمن استخدام القوة الاجتماعية. ويضيف (2005: 3-4) Doan مزيداً من الإيضاح، للقوة الاجتماعية للنص المقدس، من خلال ثلاثة مستويات، وذلك بقوله:

العلاقة بين الكتابة والقوة قائمة على ثلاثة مستويات: (1) قوة على النصوص، بمعنى أن القوة يتم التعبير عنها في إنتاج وتوزيع النص، (2) القوة من خلال النص، أي من خلال الكتابات الكبيرة أو بديلاتها، والسيطرة الناتجة عن حصول العامة على المعرفة، (3) وقوة المنصوص، في ناحيتين: في الخلافات، التي تضع النص في مركز الصراع الاجتماعي، وفي الخلافات، التي تستخدم النص كسلاح للقوة الاجتماعية. والشكل الأخير للقوة على علاقة قوية ... بالنصوص المقدسة، أو بالأفراد، أو الجماعات الاجتماعية، التي تنتزع مكانتها، من خلال استخدام أو امتلاك النصوص المقدسة.

فالنص المكتوب لا شك، يمنح صاحبه قوة أكثر من قرينه، الذي لم تدون دعوته (النبي)، أو يدون فكره (الفلاسفة والمفكرون بصفة عامة)، سواءً في زمنه، أو على مدى السنين من بعده.

وقسم قاموس الكتاب المقدس (2005: 951 – 952) أنبياء الصنف الثاني (أنبياء بأسفار) إلى ثلاثة أصناف، وفقاً لحالة السبي، الذي تعرض له بنو إسرائيل، بما فيهم الأنبياء: أنبياء قبل السبي، وأنبياء فترة السبي، وأنبياء ما بعد السبي.

أنبياء الصنف الأول (أنبياء بدون أسفار)

بلغ تعداد أنبياء بني إسرائيل، الذين لم يخصهم الله بأسفار، خمسة وعشرين نبياً، وهم:

1) أخنوخ 2) نوح 3) إبراهيم 4) يعقوب 5) هارون
6) موسى 7) بلعام 8) ميخ 9) صموئيل 10) داود
11) ناثان 12) صادوق 13) جاد 14) أخيا 15) عدو
16) شمعيا 17) عزريا بن عوديد 18) حناني
19) ياهو بن حناني 20) إيلثيا 21) اليشع 22) ميخا بن عِله.
23) زكريا بن يهوياداع 24) عوديد 25) يدوثون.

أنبياء الصنف الثاني (أنبياء بأسفار)

والأنبياء، الذين ذُكروا بأسفار في التوراة، ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أنبياء وُجدوا قبل السبي، وعددهم سبعة أنبياء وهم: 1) يونان (يونس)، 2) عاموس، 3) هوشع، 4) إشعيا، 5) ميخا، 6) ناحوم، و7) أرميا.

القسم الثاني: الأنبياء الذين وُجدوا في فترة السبي، وعددهم نبيان فقط، وهما: دانيال وحزقيال.

القسم الثالث: أنبياء وُجدوا في فترة ما بعد السبي، وعددهم خمسة أنبياء، وهم:
(1 حجي. 2) زكريا. 3) عوبديا. 4) ملاخي. و5) يوئيل.

وتجدر الإشارة، إلى أن تدمير المعبد، كان إيذاناً، بانتهاء النبوة في بني إسرائيل، فقد ذكر (Karesh 2005: 406) أن النبوة بعد تدمير المعبد، وفقاً لما ذكره الحاخامات، انتهت، وإن الرب لم يعد يتواصل مع الشعب اليهودي، من خلال الأنبياء.

وبعد هذا العرض الموجز، سوف نتحدث وبإيجاز شديد، كما أسلفنا القول، عن نبوءات الأنبياء، ذوي الأسفار. وينبغي الإشارة، إلى أن الأدب اليهودي حافل و زاخر، بالحديث عن نبوءات كثيرة، غير تلك، التي وردت في التوراة، وسوف لن يتم ذكرها، وسيُكتفى بذكر النبوءات، التي وردت في التوراة فقط، والنبي، الذي لم تذكر التوراة أن له نبوءات، سوف لن يُذكر. وكما سبقت الإشارة، إلى تقسيم الأنبياء إلى فترات ثلاث: قبل السبي، وأثناء السبي، وبعد السبي، فقد تبين، أن أربعة أنبياء فقط، في الفترات الثلاث، هم أنبياء بنبوءات، وهم: قبل السبي: إشعيا، وإرميا. أثناء السبي: النبي حزقيال فقط. وبعد السبي: هناك النبي عوبديا.

أنبياء قبل السبي

النبي إشعياء

إن تاريخ بني إسرائيل، وعلى مدى أكثر من مئتين عام، حافل بصور كثيرة لتأرجح ملوكهم- وخاصة بعد انقسام الدولة الموحدة- بين الاستقامة والصلاح، من ناحية، والفجور والعصيان لله، من ناحية ثانية، حتى سقوط مملكة يهوذا. وخلال المئتين والستة عشر سنة، في هاتين المملكتين، كانت المئة والسبعة والثمانين سنة، مكرسة لعبادة يهوا في مملكة يهوذا، برعاية الأمراء الأطهار، الذين كان جميعهم من بيت داود. أما الذين عملوا السوء في عين الرب، فقد كانت فترة حكمهم قصيرة. وفي إسرائيل، خلال هذه الفترة، كان هناك تسعة عشر إسرائيلياً، كان معظمهم فاجراً، تفشى فيهم الفساد، فاغتصب كل منهم الحكم من غيره، وانحرفوا عن الطريق المستقيم، وأدخلوا عبادة الأوثان إلى ممالكهم (Lord 2009: 287-288)

ويؤكد الأدب، أن هناك رأيين في الفترة التاريخية، التي يجب أن تؤخذ بالاعتبار، حتى يتسنى فهم وتقدير مهمة النبي إشعياء: الرأي الأول، يؤكد بأن على المرء أن يستوعب الأزمة السياسية والروحية، التي حلت بمملكة يهوذا؛ الأزمة السياسية، المتمثلة بالعدوان المتتالي عليها، من قبل كل من مملكة الشمال (إسرائيل) وسوريا والآشوريين. والأزمة الروحية، المتمثلة في الانحراف عن السراط المستقيم واعتناق الوثنية (Bright 2000: 288) . الرأي الثاني، يجعل من معرفة الفترة التاريخية، الممتدة من بداية فترة الملك يربعام، وحتى فترة الملك عُزيا، مهمة، إذا ما أردنا فهم مهمة النبي إشعيا Lord (2009: 287). ومع ذلك، فالفترة، التي تعنينا فعلاً هي التي كان حاضراً فيها النبي إشعيا عليه السلام، وهي الفترة، التي تمتد من عهد الملك عُزيا، في أواخر النصف الأول، من القرن الثامن قبل الميلاد، وحتى نهاية القرن الثامن قبل الميلاد، المتزامن مع نهاية عهد الملك حزقيا.

إن أول ملوك مملكة يهوذا، في عهد النبي إشعياء، هو عُزيا ابن أمصيا (ملك يهوذا)، وإن كان السواح (254 :2002) يرى، بأن بداية المملكة الحقيقية في يهوذا، كانت بالملك آحاز (735-715 ق.م)، أما الفترة السابقة عليه، فلم تكن هناك، مملكة بالمعنى الدقيق للكلمة، وهذا بخلاف ما جاء في الأدب، فقد تبين أن مملكة يهوذا بدأت مع رحبعام بن سيدنا سليمان عليه السلام، وذلك عام 930 ق.م (Thiele 1994: 10). ورث عُزيا الحكم عن أبيه، وبدأ ملكه مستقيماً، ولكنه انحرف عن الاستقامة، فكانت عاقبته وخيمة، وجاء ذكر ذلك، في سفر أخبار الأيام الثاني (25: 2-1و 27-28) ونصها:

﴿(1) ملك أمصيا وهو ابن خمس وعشرين سنة، وملك تسعاً
وعشرين سنة في أورشليم ... (2) وعمل المستقيم في عيني الرب،

ولكن ليس بقلب كامل ... (27) ومن حين حاد أمصيا من وراء الرب فتنوا عليه في أورشليم، هفرب إلى لخيش، فأرشلوا وراءه إلى لخيش وقتلوه هناك، (28) وحملوه على الخيل ودفنوه مع آبائه في مدينة يهوذا.﴾

حكم عُزيا مملكة يهوذا مدة أربعين سنة تقريباً (781-740 ق.م) (الفني 2008: 11). وشهدت المملكة أثناء حكمه ازدهاراً ورخاءً في مختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والعسكرية. بدأ ولايته بالتقوى وعمل الطيب في عيني الرب، ولكن بعد أن اشتد ملكه وذاع صيته اغتر بذلك، وخان الرب. فغضب الرب عليه، وأذله بوباء البرص، وبقي كذلك حتى وفاته. وجاء ذكر ذلك في سفر أخبار الأيام الثاني (26: 1-23).

وكان يوثام، هو الملك الثاني لمملكة يهوذا، أثناء حياة النبي إشعياء. بدأ يوثام ممارسة الحكم أثناء مرض أبيه. ثم صار ملكاً رسمياً بعد وفاة والده، وهو في سن الخامسة والعشرين. واستمر ملكاً مدة ستة عشر سنة (740-736 ق.م). وشهدت يهوذا أثناء حكمه ازدهاراً كبيراً، فقد شيد المدن والحصون والقلاع، وحقق نصراً كبيراً على بني عمون. ولم ينحرف أثناء حكمه، وظل يعمل ما يرضي الرب حتى وفاته.

وبعد وفاة الملك يوثام، ملك على يهوذا ابنه آحاز (736-725 ق.م). وهناك سمات مشتركة بين يوثام وابنه آحاز، فكلاهما ورث الحكم عن أبيه في سن مبكر، وكلاهما حكم نفس المدة الزمنية، ستة عشر سنة. ولكن هناك فارق كبير بينهما، وهو أن الأب كان مستقيماً طيباً، يعمل الخير في عيني الرب، بينما أتى الابن فاسقاً فاجراً، عمل السوء في عيني الرب، حين أمر الناس في مملكته بعبادة الأوثان، المماثلة لآلهة آشور في دمشق (2004: 255 Scripture Hebrew)، فأذله الرب، وسلط عليه ملوك أرام وإسرائيل وأدوم، الذين أذلوه أيما إذلال، وبقي كذلك حتى وفاته.

وملك حزقيا يهوذا، بعد وفاة والده، وهو في الخامسة والعشرين، وحكم تسعاً وعشرين سنة (725-697 ق.م). وبدأ حزقيا من السنة الأولى من حكمه، في تطهير الهيكل وترميمه، وإزالة النجاسات، التي تركها والده فيه، وعمل المستقيم في عيني الرب حتى وفاته. وجاء ذكر كل ما عمله حزقيا، في سفر أخبار الأيام الثاني (29-32)، وهناك آيتان في (31: 22 - 21) تذكران استقامة الملك حزقيا، ونصهما:

﴿(21) وهكذا عمل حزقيا في كل يهوذا، وعمل ما هو صالح ومستقيم وحق أمام الرب إلهه. (22) وكل عمل ابتدأ به في خدمة بيت الله وفي الشريعة والوصية ليطلب إلهه، إنما عمله بكل قلبه وأفلح﴾

وعلى الرغم، من الإجماع الوارد في الأدب، عن فترة حكم الملك حزقيا وصلاحه، إلا أن

السواح (254 ،2002) يرى عكس ذلك، فيقول: "حكم حزقيا مدة طويلة جداً بلغت أربعين سنة، وقد ورث عن أبيه عمالة آشور، وسار في ظل هذه السياسة فترة طويلة، استطاع خلالها بناء الدولة الحقيقية ليهوذا الكبرى، التي بقيت بمنجاة من الحملات الصاعقة، التي أكملت عملية إلحاق مدن الساحل الفلستي بآشور". وكانت وفاة النبي الجليل إشعياء، بعد وفاة الملك حزقيا بعامين، فقد توفي عام 795 ق.م. ومع ذلك فإن تحديد زمن وفاة النبي إشعياء، أمر غير مؤكد، وفيه خلاف بين المفكرين، ف Lockyer (1988 ،158) ، على سبيل المثال، على العكس من (Sawyer 1986 ،III) ، الذي يرى بأن إشعياء وافته المنية عام 695 ق.م، يذكر بأن زمن وفاته غير معلوم، وأن هناك أسطورة تحكي، بأنه وُضع في جوف شجرة، وقُطع إرباً، بأمرٍ من منسي، الذي ورث الملك من حزقيا. وهناك رأي آخر مفاده، أنه قُتل بشقه إلى نصفين (62 Newsome 1984 ،)، فمات شهيداً، بعد أن عاش حياة مشرفة (Lord 2009 ،295).

الملك منسي هو آخر الملوك، الذين عاصرهم إشعياء عليه السلام. وكان منسي لا يزال في سن الصبا، عندما تولى الملك، فقد كان يبلغ من العمر اثنتي عشرة سنة. وحكم يهوذا مدة طويلة من الزمن، بلغت خمس وخمسين سنة (697-642 ق.م) (البدراوي 2001 ،333)، أو خمسة وأربعين سنة (687-642 ق.م)، وفقاً للتاريخ الذي وضعه الفني (2008 ،12). وبالنظر إلى التاريخين المقدمين من البدراوي والفني، فإن التاريخ، الذي وضعه البدراوي هو الأدق والأكثر قبولاً، وذلك لتطابقه مع النص التوراتي، من ناحية، ولخلو قول الفني من التوثيق، من ناحية ثانية. وعليه فقد اتضح، ولو بشكل مبسط، واقع حال مملكة يهوذا، التي ظهر فيها النبي الجليل إشعياء، عليه السلام، وأصبح معه الحديث عن هذا النبي ونبوءاته، أمر أكثر جدوى.

النبي إشعياء من الأسماء اللامعة بين أنبياء بني إسرائيل، بل يمكن القول، ودون أي تردد، بأنه أبرز وأعظم أنبياء عصره، إنه المعروف بتعدد مواهبه؛ فهو المؤرخ، الذي كتب تاريخ حكم كل من عُزيا وآحاز، وهو الشاعر الفصيح البليغ، وهو أول من قدم لنا، أقدم تصور مكتوب للسلام العالمي، وهو المصلح الداعي إلى الفضيلة والتقوى، وهو النبي، الذي تميزت نبوءاته ببعد مداها، وهو المعلم، وهو المستشار الملكي للملوك وامراء زمنه، وهو اللاهوتي القادر على الحديث، عن سلطة وقدسية الرب (Lockyer 1988 ،157-158). ليس هذا فحسب، بل لقد كان جامعاً لسمات كثير من الأنبياء، في شخصه الكريم، فإذا كان ميخا نبي العدالة، وهوشع نبي المحبة، وإلياء رجل الإيمان والشجاعة، فإن هذه السمات وغيرها كانت مجتمعة في شخصيه اشعياء (Andreasen 2001 ،8). وعلى الرغم، من بروز شخصيته وحضوره وكاريزميته (Isaacs 2001 ،5)، إلا أن ما يُعرف عنه، ليس بالشيئ الكثير، فهو محدود للغاية. ويبدو أن ندرة المعلومات عن هذا النبي، وبعض الأنبياء غيره، هي سمة بارزة (Herbert 1975 ،8و 7 Andreasen 2001 ،) في الأدب الإسرائيلي.

النبي إشعياء هو إشعياء بن آموص، وإشعياء كلمة عبرية تعني "الله المخلص" (7 Andreasen 2001؛ و Lockyer 1988 ؛ 157). ولعل اسم والده آموص قد يثير في ذهن القارئ التساؤل، عما إذا كان والده هو النبي آموص. والحقيقة، أنه لا علاقة البتة بين النبي آموص والنبي إشعياء، أو آموص والد إشعياء (Andreasen 2001؛ 7و 1984 ؛621 Newsome). ولا يعني عدم انتمائه إلى النبي آموص، أن نسبه غير كريم، بل على العكس من ذلك تماماً، فمن حيث المبدأ، فإن الله سبحانه اصطفى أنبياءه من خير عباده، وخير أسرهم، وخير عشائرهم وقبائلهم، فنسبهم ينتهي على الدوام، بالانتماء إلى أسر كريمة وعريقة. هذه القاعدة السلالية الواضحة، في تاريخ الأنبياء، أكدتها دراسات وأبحاث العلماء، الذين درسوا حياة الأنبياء والرسل، وحددوا بدقة كبيرة، انتماءاتهم الأسرية الرفيعة. ويصدق هذا الاتجاه الفكري، على الانتماء الأسري لنبي الله إشعياء. فعلى الرغم من شحة وندرة المعلومات حول انتمائه الأسري، وأن معظم ما ذُكر في الأدب، حول انتمائه الأسري، كان تخميناً وقياساً، بُني على استمرارية تواجده في المعبد، وعلى سهولة دخوله البلاط الملكي (1975 ؛ 8 Herbertو Shapiro 2004 ؛ xxxix و621 ؛ 1984)، إلا أن (Andreasen 2001 ؛ 7) يجزم، بأنه ينحدر من سلالة ملكية، وإنه ابن عم الملك عُزيا، ويشاركه في هذا الرأي 157). (Lockyer 1988 ؛

وعلى الرغم من عظمة وشهرة النبي إشعياء، إلا أن هناك من يعتقد أن انتماءه القبلي غير معلوم على وجه اليقين، فلا يُعرف إلى أي أسباط بني إسرائيل ينتمي (البدراوي 2001 ؛ 345)، إلا أن (Shapiro 2004 ؛ xxxix) يعتقد خلاف ذلك، ويذكر بأن العلماء يرون بأنه ينتمي إلى سبط لاوي. وسواءً كان انتماءه الأسري أو القبلي واضحاً أو غامضاً، فإن ذلك، على أهميته، لا يزيد ولا ينقص من مكانته شيء، وذلك، لأن أنبياء الله يكفيهم عزةً وجلالاً، اصطفاء الله لهم. والرغبة في معرفة الانتماء الأسري أو القبلي، لهذا النبي الجليل، ترتكز على دافع قوي يمكننا من معرفة مدى قربه أو بعده من سيدنا موسى عليه السلام.

وُلد النبي إشعياء في أورشليم، في مملكة يهوذا عام 765ق.م، وعاش فيها حياته الممتدة سبعين عاماً، ووافته المنية فيها. عاصر إشعياء في مملكة يهوذا، عدداً من ملوكها أمثال: عُزيا ويوثام وآخاز وحزقيا (Childs 2001 ؛ 11)، وذلك في الفترة الزمنية (734 – 680 ق.م). وتزوج إشعياء بإمرأة كان يسميها النبية (إش 3 ؛ 8)، ورُزق بولدين، اسم الأول شآرَ ياشوب، واسم الثاني مهير شلال حاش بز، كما سماهما الرب، وجاء ذكر ذلك في سفر إشعياء (3؛7 و1 ؛8). وللإسمين دلالات ومعان دينية (Newsome 1984 ؛ 62)خاصة، ورمزاً لملامح تاريخ الأمة، التي عززها إشعياء في نبوءاته (Lockyer 1988 ؛ 157)؛ فإسم الولد الأول، يحمل وعداً للملك أحاز، وللشعب اليهودي، بأنهم سيتجاوزون عدوان سوريا وحليفتها إسرائيل، ويشير إسم الولد الثاني، إلى أن المملكة الشمالية (إسرائيل) سوف تختفي، عندما

يهزم الآشوريون السوريين وحلفاءهم (Shapiro 2004: xxxix).

عاش النبي إشعياء، حياة مفعمة بالعمل والنشاط، على المستويين النبوي والعام، وكانت له اهتمامات سياسية، تجاوزت محيطه المحلي، إلى مستوى أكثر شمولية واتساعا، فلم يكن نبياً فقط، بل كان رجل دولة أيضا .(Andreasen 2001: 8)فكان خلال حياته مستشاراً وناصحاً، لمن عاصرهم من ملوك يهوذا، وتبدى كل ذلك في نبوءاته. وقد كانت بداية نبوءات إشعياء، كما أخبرنا عام 733 ق.م، عام وفاة الملك عُزيا (Shapiro 2004: xxxix و Newsome 1984: 58و Lockyer 1988: 157 وMebs 2002: 48)، وهي أيضاً، الفترة، التي بدأ فيها التوغل الأشوري في الأرض، وكذلك صادف وجودها فترة النزع الأخير لدولة إسرائيل الشمالية (Bright 2000: 288). واتسمت نبوةإشعياء بطول مدتها، فقد امتدت خمسين عاماً (Lord 2009: 295)، وهي أطول نبوة في تاريخ بني إسرائيل، ودُونت في أطول سفر، وتهتم في مجملها بأحداث مستقبلية بعيدة (Mebs 2002: 48).

والجدير بالذكر، أن النبي إشعياء عليه السلام، الودود المتسامح الداعي إلى الفضيلة والتقوى ورفعة الأخلاق، لم يكن قط متهاوناً في الحق، بل كان صارماً فيه، يكره الشر والخطيئة (Lockyer 1984: 157)، وغير متسامح ولا متساهل معها (Andreasen 2001: 7). وكداعية للتقوى والفضيلة ورفعة الأخلاق، فقد كان يدفع الناس دفعاً للارتقاء بسلوكياتهم، حتى يصلوا إلى مستوى المعايير الأخلاقية، التي ارتضاها الرب (Shapiro 2004: xxxix). والفضيلة والأخلاق العالية، التي ارتضاها الرب، يجب أن تكون نابعة من الداخل، وألا تكون مجرد مظهر خارجي، لأن هذا النوع من السلوك (المظهر الخارجي)، أبشع صور الخطيئة، التي لا يرتضيها النبي الجليل، فالتقوى الظاهرية، وتقديم الأضاحي، والاشتراك في العبادة العامة، لا تعني شيء، إذا لم تكن نابعة، من طهارة الحياة وطهارة القلب (Andreasen 2001: 7). وجاء في سفر إشعياء (1: 11-17) أن الرب لا يريد من الشعب العاصي الذبائح والتقدمات والبخور، ولكن يريد منهم صدق الطاعة وإنصاف المظلوم.

وقسم العلماء حياة النبي إشعياء الفاعلة، إلى ثلاث مراحل: مبكرة، ومتوسطة، ومتأخرة، وذلك على النحو التالي:

المرحلة المبكرة (742 - 734ق.م): بدأت هذه المرحلة، بدعوة له، باقتراب موعد وفاة عُزيا. كما تزامنت مع حكم الملك يوثام، الذي عرفت المملكة أثناء حكمه ازدهاراً اقتصادياً، ونعمت بتحقق السلام.

المرحلة المتوسطة (715 - 705 ق.م): اتسمت هذه المرحلة، بحدوث تغيرات سياسية وعسكرية، تمثلت بهزيمة دمشق والسامرة. وكانت نبوءاته في هذه المرحلة، متطابقة مع نبوءاته السابقة، وأهم نبوءاته في هذه المرحلة، ذُكرت في سفره (9: 1-7): "وُلد لنا ولد"، رسول السلام والرياسة، و(11: 1-9): "جذع يسَّى"، القاضي العادل والحاكم المنصف.

المـــرحلة الأخيرة (705 - 701 ق.م): وفيهـــا السنوات الأخيرة لحيـــاة أشعياء العامة (Newsome 1984: 63-67).

نبوءات النبي إشعياء

إن نبوؤات النبي إشعياء، مضمنة في السفر المسمى باسمه، سفر إشعياء. يتكون سفر إشعياء من ستة وستين إصحاحاً، وكل هذه الإصحاحات، تتضمن نبوءات، عن مملكتي إسرائيل الشمالية ويهوذا الجنوبية، كما تشمل نبوءات عن كل من سوريا، وموآب، وفلسطين، وأشور، وبابل، وفينيقيا، والمنطقة العربية، ومصر، وإثيوبيا. وهناك أمر جدير بالذكر، وهو أن هناك خلاف كبير، في الأدب اليهودي، حول هذه الإصحاحات، من حيث عددها، وكم منها ينسب إليه، وكم منها ينسب لغيره. فقد ورد أن هناك شخصيتين أضافتا إضافات نوعية، لتقليد إشعياء وللأدب الذي يمثله. ونظراً لعدم معرفتنا بهما، فإنه يشار إليهما بإشعياء الثاني، الذي عاش في بابل، في فترة قريبة من نهاية السبي، وإشعياء الثالث، الذي كان أكثر نشاطاً بعد استعادة أورشليم. كما أن هناك مساهمين آخرين من الكتاب والمحررين، على مدى السنين، ساهم عملهم في إخراج سفر أشعياء بشكله الحالي (Newsome 1984: 58). وله في سفره هذا ستة عشر نبوءة، نعرضها على النحو التالي:

1) (نبوءة)، دينونة يهوذا، في سفره (3: 1-26):

﴿فإنه هو ذا السيد رب الجنود ينزع من أورشليم ويهوذا السند والركن (13) قد انتصب الرب للمخاصمة، وهو قائم لدينونة الشعوب. (14) الرب يدخل في المحاكمة مع شيوخ شعبه ورؤسائهم.﴾

2) (حدث). استعداد رصين ملك أرام، وفَتَح ملك إسرائيل، لقتال آحاز ملك يهوذا، في (7: 1-8):

3) (نبوءة). نبوءة ضد بابل (13: 1-22):

﴿(1) وحي من جهة بابل رآه إشعياء بن آموص ... (19) وتصير بابل، بهاء الممالك وزينة فخر الكلدانيين، كتقليب الله سدوم وعمورة. (20) لا تعمر إلى الأبد، ولا تُسكن إلى دور فَدور...﴾

4) (نبوءة). نبوءة ضد آشور (13: 2 - 22):

﴿(2) أقيموا راية على جبل أفرع. ارفعوا صوتاً عليهم. أشيروا باليد ليدخلوا أبواب العتاة ... (22)" وتصبح بنات آوى في قصورهم، والذئاب في هياكل التنعم، ووقتها قريب المجيء وأيامها لا تطول.﴾

5) (نبوءة). نبوءة ضد آشور (14: 24 - 27):

﴿(24) قد حلف رب الجنود قائلاً: "إنه كما قَصَدتُ يصير، وكما نويتُ يثبت.

(25)" أن أُحطم أشور في أرضي وأدوسه في جبالي، ... (25) فأنا رب الجنود قد قضى، فمن يُبطل؟ ويده هي الممدودة، فمن يردها.»

6) (نبوءة). نبوءة ضد موآب (15: 1-9):

«(1) وحي من جهة موآب: إنه في ليلة خربت عار موآب وهلكت، ... (9)" لأن مياه ديمونة تمتلئ دماً، لأني أجعل على ديمون زوائد. على الناجين من موآب أسداً وعلى بقية الأرض.»

7) (نبوءة). نبوءة عن دمشق (17: 1 - 14):

«(1) وحي من جهة دمشق: هوذا دمشق تُزال من بين المدن وتكون رُجمة ردم ... (14)" في وقت المساء إذا رُغب. قبل الصبح ليسوا هم. هذا نصيب ناهبينا وحظ سالبينا.»

8) (نبوءة). نبوءة عن كوش (18: 1-7):

« (1) يا أرض حفيف الأجنحة التي في عبر أنهار كوش ... (5) فإنه قبل الحصاد، عند تمام الزهر، وعندما يصير حِصرِماً نضيجاً، يَقطع القضبان بالمناجل، وينزع الأفنان ويطرحها. (6) تُترك معاً لجوارح الجبال ولوحوش الأرض، ... (7) في ذلك اليوم تُقدم هدية لرب الجنود من شعب طويل وأجرد، ... إلى موضع اسم رب الجنود، جبل صهيون.»

9) (نبوءة). نبوءة عن مصر (19: 1-25):

«(1) وحي من جهة مصر: هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر، فترتجف أوثان مصر من وجهه ... (22) ويضرب الرب مصر ضارباً فشافياً، فيرجعون إلى الرب فيستجيب لهم ويشفيهم. ... (25) بها يبارك رب الجنود قائلاً: "مبارك شعبي مصر، وعمل يديَّ أشور، وميراثي إسرائيل".»

10) (نبوءة). نبوءة عن مصر وكوش (20: 1-6):

«(3) فقال الرب: "كما مشى عبدي إشعياء مُعَرًّى وحافياً ثلاث سنين، آية أُعجوبةً على مصر وعلى كوش (4) هكذا يسوق ملك أشور سبي مصر وجلاء كوش ... (6) ويقول ساكن هذا الساحل في ذلك اليوم: هوذا هكذا ملجأنا الذي هربنا إليه للمعونة لننجو من ملك أشور، فكيف نسلم نحن؟".»

11) (نبوءة). نبوءة عن بابل (21: 1-10):

«(1) وحي من جهة برية البحر: ... (10)"يا دِياسَتي وبني بيدري. ما سمعته من رب الجنود إله إسرائيل أخبرتكم به.»

12) (نبوءة). نبوءة عن بلاد العرب (21: 13-17):

«(1) وحي من جهة بلاد العرب: ... (16)"فإنه هكذا قال لي السيد: "في

مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار، (16) وبقية عدد قِسيِّ أبطال بني قيدار تقل، لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم".﴾

13) (نبوءة). نبوءة عن أورشليم (22: 1-14):

﴿(1) وحي من جهة وادي الرؤيا: ... (14) فأعلن في أذني رب الجنود: "لا يُغفَرن لكم هذا الإثم حتى تموتوا، يقول السيد رب الجنود".﴾

14) (نبوءة). نبوءة عن شبنا (22: 15-25)، وفيه حط من مقام شبنا وإحلال ألياقيم بن حلفيا مقامه.

﴿(15) هكذا قال السيد رب الجنود: "اذهب ادخل إلى هذا جليس الملك، إلى شبنا الذي على البيت ... (19)" وأطردك من منصبك، ومن مقامك يحطك ... (25) في ذلك اليوم، يقول رب الجنود، يزول الوتد المثبت في موضع أمين ويُقطع ويسقط. ويُباد الثقل الذي عليه، لأن الرب قد تكلم".﴾

15) (نبوءة). نبوءة عن صور (23: 1-18):

﴿(1) وحي من جهة صور: وَلْولي يا سفن ترميش ... (8) من قضى بهذا على صور المتوجة التي تجارها رؤساء؟ متسيبوها موقِّرو الأرض. (9) رب الجنود قضى به ليدنس به كبرياء كل مجد، ويهين كل موقري الأرض.﴾

16) (نبوءة). نبوءة عن خلاص أورشليم (37: 1-38)

﴿(5) فجاء عبيد الملك حزقيا إلى إشعياء. (6) فقال لهم إشعياء: "هكذا تقولون لسيدكم: هكذا يقول الرب: لا تخف بسبب الكلام الذي سمعته، الذي جدف عليَّ به غلمان ملك أشور. (7) هأنذا أجعل فيه روحاً فيسمع خبراً ويرجع إلى أرضه، وأُسقطه بالسيف في أرضه"... (33) "لذلك هكذا يقول الرب عن ملك أشور: لا يدخل هذه المدينة، ولا يرمي هناك سهماً، ولا يتقدم عليها بترس، ولا يقيم عليها مترسةً. (34) في الطريق الذي جاء فيه يرجع، وإلى هذه المدينة لا يدخل، يقول الرب. (35) وأُحامي عن هذه المدينة لأُخلصها من أجل نفسي، ومن أجل داود عبدي".﴾

النبي إرميا

عاش النبي إرميا في الفترة 626 - 586 ق.م، وعاصر عدداً من ملوك مملكة يهوذا الجنوبية، وهم: يوشيا، ويهوياكين، ويكنيا، وصدقيا. وله ثمان نبوءات، وهي:

1 - نبوءة عن فلسطين (47: 1-7)

﴿(2) "هكذا قال الرب: ها مياه تُصعد من الشمال وتكون سيلاً جارفاً، ... (4) بسبب اليوم الآتي بهلاك كل الفلسطينيين، لينقرض من صور وصيدون

كل بقية تُعينُ، لأن الرب يهلك الفلسطينيين، بقية جزيرة كفتور".»

2 - نبوءة عن موآب (48: 1-47)

«(1) عن موآب "هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل: ويل لِنَبُو لأنها قد خربت ... (14) "كيف تقولون نحن جبابرة ورجال قوة للحرب. (15) أُهلكت موآب وصعدت مدنها، وخيار منتخبيها نزلوا للقتل، يقول الملك رب الجنود اسمه. (16) قريب مجيء هلاك موآب، وبليتها مسرعة جداً ... (47) ولكني أرد سبي موآب في آخر الأيام، يقول الرب"»

3 - نبوءة عن عمون (49: 1-6)

«(1) عن بني عمون: "هكذا قال الرب: أليس لإسرائيل بنون، أم لا وارث له؟ ... (6) ثم بعد ذلك أرد سبي بني عمون، يقول الرب".»

4 - نبوءة عن أدوم (49: 7-22)

«(7) عن أدوم: "هكذا قال رب الجنود: ألا حكمة بعد في تيمان؟ هل بادت المشورة من الفهماء؟ ... (22) هوذا كنسر يرتفع ويطير ويبسط جناحيه على بُصْرَةَ، ويكون قلب جبابرة أدوم في ذلك اليوم كقلب امرأة ماخض".»

5 - نبوءة عن دمشق (49: 23-27)

« (24) ارتخت دمشق والتفتت للهرب ... (27) وأُشعل نارًا في سور دمشق فتأكل قصور بنهدد".»

6 - نبوءة عن قيدار وحاصور (49: 28-33)

«(28) عن قيدار وعن ممالك حاصور التي ضربها نبوخذرناصر ملك بابل: "هكذا قال الرب: قوموا اصعدوا إلى قيدار. اخربوا بني المشرق. (33) وتكون حاصور مسكن بنات آوى، وخربة إلى الأبد. لا يسكن هناك إنسان، ولا يتغرب فيها ابن آدم".»

7 - نبوءة عن عيلام (49: 34-39)

«(35) "هكذا قال رب الجنود: هأنذا أُحطم قوس عيلام أول قوتهم ... (39) ويكون في آخر الأيام أني أرد سبي عيلام، يقول الرب".»

8 - نبوءة عن بابل (50 و 51: 1-46 و 1-64)

«(2) أَهبروا في الشعوب، وأُسمعوا وارفعوا راية. أسمعوا لا تُخفوا. قولوا: أُخذت بابل ... (46) من القول: أُخذت بابل. رجفت الأرض. وسُمع صراخ في الشعوب. »« (1) "هكذا قال الرب: هأنذا أُوقظ على بابل وعلى الساكنين في وسط القائمين عليَّ ريحًا مُهلكة ... (64) وتقول: هكذا تغرق بابل ولا تقومن من الشر الذي أنا جالبهُ عليها ويعيون"»

النبي حزقيال

عاش النبي حزقيال في الفترة 593 - 570 ق.م. وعاصر عددا من ملوك زمنه، أمثال: نبوخذ ناصر، وبيلشاسر، وداريوس المادي، وكورش. وله ثلاثة عشر نبوءة، وهي:

1 - نبوءة ضد جبال إسرائيل (6: 1-14)

﴿(1) وكان إليَّ كلام الرب قائلاً: (2)"يا بن آدم، اجعل وجهك نحو جبال إسرائيل وتنبأ عليها (3) وقل: يا جبال إسرائيل، اسمعي كلمة السيد الرب... (14) وأمد يدي عليهم، وأُصيِّر الأرض مقفرة وخربة من القفر إلى دبلة في كل مساكنهم، فيعلمون أني أنا الرب".﴾

2 - نبوءة ضد الأنبياء الكذبة (13: 1 - 23)

﴿(1) وكان إليَّ كلام الرب قائلاً:... (3) هكذا قال السيد الرب: ويل للأنبياء الحمقى الذاهبين وراء روحهم ولم يروا شيئاً. (4) أنبياؤك يا إسرائيل صاروا كالثعالب في الخراب... (23) فلذلك لن تعدن ترين الباطل ولا تعرفن عرافة بعد، وأُنقذ شعبي من أيديكن، فتعلمن أني أنا الرب".﴾

3 - نبوءة ضد بني عمون (25: 1-7)

﴿(1) وكان إليَّ كلام الرب قائلاً: (2) "يا بن آدم، اجعل وجهك نحو بني عمون وتنبأ عليهم،... (7) فلذلك هأنذا أمد يدي عليك وأُسلمك غنيمة للأمم، وأستأصلك من الشعوب، وأُبيدك من الأراضي. أُخربك، فتعلم أني أنا الرب".﴾.

4 - نبوءة عن موآب (25: 8-11)

﴿(8) "هكذا قال السيد الرب: ... (11) وبموآب أُجري أحكاماً، فيعلمون أني أنا الرب.﴾

5 - نبوءة عن أدوم (25: 12-14)

﴿(12) "هكذا قال السيد الرب: من أجل أن أدوم قد عمل بالانتقام على بيت يهوذا ... (14) وأجعل نقمتي في أدوم بيد شعبي إسرائيل، فيفعلون بأدوم كغضبي وكسخطي، فيعرفون نقمتي، يقول السيد الرب.﴾

6 - نبوءة عن فلسطين (25: 15-17)

﴿(15) "هكذا قال السيد الرب: من أجل أن الفلسطينيين قد عملوا بالانتقام،... (17) وأُجري عليهم نقمات عظيمة بتأديب سخط، فيعلمون أني أنا الرب، إذ أجعل نقمتي عليهم".﴾

7 - نبوءة ضد صور (26 :1 - 21)

﴿(1) ... أن كلام الرب كان إليَّ قائلاً: (2) "يا بن آدم، من أجل أن صور قالت على أورشليم: هه! ... (21) أُصيرك أهوالاً، ولا تكونين، وتُطلبين فلا توجَدين بعد إلى الأبد، يقول السيد الرب".﴾

8 - نبوءة ضد ملك صور (28: 1-19)

﴿(1) وكان إليَّ كلام الرب قائلاً: (2) "يا بن آدم، قل لرئيس صور: هكذا قال السيد الرب: من أجل أنه قد ارتفع قلبك وقلت: أنا إله... (19) فيتخير منك جميع الذين يعرفونك بين الشعوب، وتكون أهوالاً ولا تجد بعد إلى الأبد"﴾

9 - نبوءة ضد صيدون (28: 20-26)

﴿(20) وكان إليَّ كلام الرب قائلاً: (21) "يا بن آدم، اجعل وجهك نحو صيدون وتنبأ عليها، (22) وقل: "هكذا قال السيد الرب: هأنذا عليك يا صيدون وسأتمجد في وسطك ... (26) ويسكنون فيها آمنين ويبنون بيوتاً ويغرسون كرماً ...، فيعلمون أني أنا الرب إلههم".﴾

10 - نبوءة ضد مصر (29: 1-21)

﴿(1) في السنة العاشرة، في الثاني عشر من الشهر العاشر، كان إليَّ كلام الرب قائلاً: (2) "يا بن آدم، اجعل وجهك نحو فرعون ملك مصر وتنبأ عليه وعلى مصر كلها ... (21) في ذلك اليوم أُنبت قرناً لبيت إسرائيل. وأجعل لك فتح الفم في وسطهم، فيعلمون أني أنا الرب".﴾

11 - نبوءة ضد أدوم (35: 1-15)

﴿(1) وكان إليَّ كلام الرب قائلاً: (2) "يا بن آدم، اجعل وجهك نحو جبل سعير وتنبأ عليه، (3) وقل له: هكذا قال السيد الرب: هأنذا عليك يا جبل سعير، وأمد يدي عليك وأجعلك خراباً مقفراً ... (15) ... تكون خراباً يا جبل سعير أنت وكل أدوم بأجمعها، فيعلمون أني أنا الرب.﴾

12 - نبوءة لجبال إسرائيل (36: 1-38)

﴿(1) "وأنت يا بن آدم، فتنبأ لجبال إسرائيل وقل: يا جبال إسرائيل اسمعي كلمة الرب: ...(38) كغنم مقدس، كغنم أورشليم في مواسمها، فتكون المدن الخربة مملآنة غنم أُناس، فيعلمون أني أنا الرب.﴾

13 - نبوءة ضد جوج (38: 1-23):

﴿(1) وكان إليَّ كلام الرب قائلاً: (2) "يا بن آدم، اجعل وجهك نحو جوج، أرض ماجوج رئيس روش ماشك وتوبال وتنبأ عليه، (3) وقل: هكذا قال السيد الرب: هأنذا عليك يا جوج ... (23) فأتعظم وأتقدس وأُعرفُ في

عيون أمم كثيرة، فيعلمون أني أنا الرب.﴾

النبي عوبديا

عاش النبي عوبديا 450 ق.م، ولم يكن له سوى نبوءة واحدة عن أدوم.

1 - نبوءة عن أدوم (1-21)

﴿(1) رؤيا عُبَديَا: هكذا قال السيد الرب عن ادوم: سمعنا خبراً من قبل الرب وأُرسل رسول بين الأمم: "قوموا، ولنقم عليها للحرب". (2) "إني قد جعلتك صغيراً بين الأمم... (21) ويصعد مُخَلِّصون على جبل صهيون ليَدينو جبل عيسو، ويكون الملك للرب﴾

وهناك معان متعدد لاسم النبي عوبديا؛ منها خادم الرب أو عابد الرب، ويقول Thomas L. Constale، في مقدمته لطبعة 2008 بعنوان (ملاحظات حول عوبديا)، أن هناك ثلاثة عشر رجلاً، يحملون اسم عوبديا في التوراة، ابتداءً من فترة داود عليه السلام، وحتى بعد السبي، وهم:

1) عوبديا: رئيس بيت من ذرية داود.
2) ابن يزرحيا بن عزي، من أحفاد تولاع رئيس بيت في بساكر.
3) ابن آصيل، من أحفاد يهوشافاط ابن شاول.
4) ابن شمعيا، من أحفاد القانة، المقيم في قرى النطوفاقيين.
5) أحد رجال الجيش وجبابرة البأس عند داود، من بني جاد.
6) أبو يشمعيا رئيس سبط زبلون في عهد داود.
7) أحد الرؤساء في خدمة الملك يهوشافاط، أرسل مع غيره، لتعليم الشريعة للشعب في يهوذا.
8) موظف تقي وكان مسئولاً عن بيت آخاب ملك بني إسرائيل.
9) لاوي، من بني مراري، أحد الذين أشرفوا على ترميم الهيكل، في أيام يوشيا.
10) ابن يحيئيل، من بني يوآب، أحد الذين عادوا من السبي مع عزرا.
11) رئيس بيت وكاهن ختم العهد للرب بإشراف نحميا.
12) لاوي من بوابي الهيكل، أيام نحميا الوالي.
13) نبي من بني يهوذا، من أنبياء التوراة الصغار، في القرن الخامس أو السادس قبل الميلاد (قاموس الكتاب المقدس 2005: 645-644).

وقد عمل عوبديا على خدمة الملك أهاب والتقى إيلياء (مل1 18: 16-3).

وإذا ما نظرنا إلى إصحاح عوبديا، لا نجد فيه أية إشارة، إلى انتمائه الأسري، كما هو حال النبي ملاخي. وللنبي عوبديا، بين الأنبياء الآخرين، قدرات لغوية تميزه؛ فقد كان يمتلك قدرات عالية، في البلاغة والفصاحة، إلى جانب القدرة على الحوار والتهكم، وكان يحسن

استخدام قدراته هذه، في كل نبوءاته.

ثانياً.. الكهنــة

يستطيع الدارس للتوراة أن يصل، ودون عناء يذكر، إلى مفهوم الكهانة، فالكهانة، وفقاً للتوراة، هي في جوهرها، خدمة تقديم القرابين للرب، كما سيتبين لا حقا. وبناءً على هذه القاعدة، يمكن القول، بأن الكهانة من السلوكات أو المراسيم أو الشعائر الدينية، التي تعود إلى فترات تاريخية جد قديمة؛ وهي واضحة وبجلاء شديد، في نص الآيات التالية (تك 4: 3-4 و8: 20-21):

﴿(3) وحدث من بعد أيام أن قابين قدم من أثمار الأرض قرباناً للرب، (4) وقدم هابيل أيضًا من أبكار غنمه ومن سمانها، فنظر الرب إلى هابيل وقربانه﴾.

﴿(20) وبنى نوح مذبحًا للرب. وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح.﴾.

فالكهانة بالمعنى العام إذاً، هي تقديم الأضاحي والقرابين للرب، وبهذا المعنى، تكون قد مورست من قِبل كل الناس، دون توصيف يذكر لها، وبهذا يكون رب العائلة هو كاهنها، لأنه هو من يقوم عادة، بممارسة مثل هذه الشعائر الدينية (تقديم القرابين)، نيابة عن أسرته (المجتمع الأبوي). ويزيد تأكيد هذا القول، ما ورد في الآيات (1-12)، من الإصحاح الثاني عشر، من سفر الخروج، "حيث أمر الرب موسى بأن يكلم كل جماعة إسرائيل أن يذبحوا فصحاً للرب في الرابع عشر من الشهر الأول من السنة".

وببعثة سيدنا موسى، أصبح للكهانة معناها المؤسسي المحدد، وأصبحت وظيفة ومركزاً دينياً، محدد الأبعاد والملامح. كما أنها لم تكن قط، مجرد تنصيب شرفي يمنحه إنسان لإنسان، يُمنح بمقتضاه مكانة اجتماعية عالية بين قومه، بل إنها منحة إلهية، خصها الرب لمن أراد تكريمه، وكلفه بأداء مهام دينية محددة، لخدمة المعبد. فأفرز لها الرب من هو أهل لها، وتبين الآية الأولى من الإصحاح (28)، من سفر الخروج، منحة الرب لهارون وبنيه، ونص الآية:

﴿(1) "وقرب إليك هارون أخاك وبنيه معه من بين بني إسرائيل ليكهن لي. هارون ناداب وأبيهو ألعازار وإيثامار بني هارون.﴾

ليس هذا فحسب، بل جعل الرب الكهانة فيهم حصرياً، دون غيرهم من بني قومهم، وهذا ما يبينه سفر الخروج (28: 43)، حيث جعلها الرب ﴿... فريضة أبدية له ولنسله من بعده﴾، وسفر أخبار الأيام الأول الثاني، الذي اختص بوصف ما دار بين الكهنة والملك عزيا، ونص الآيات (26: 16-18) كالتالي:

﴿(16) ولما تشدد ارتفع قلبه إلى الهلاك وخان الرب إلهه، ودخل هيكل الرب ليوقد على مذبح البخور. (17) ودخل وراءه عَزَريا الكاهن ومعه ثمانون من كهنة الرب بني الياس. (18) وقاوموا عزيا الملك وقالوا له: "ليس لك يا عزيا أن توقد للرب، بل الكهنة بني هارون المقدسين للإيقاد. اخرج من المقدس لأنك خنت وليس لك من كرامة من عند الرب الإله".﴾

ينتمي سيدنا هارون (عليه السلام) إلى سبط لاوي، وسبط لاوي هذا، يجمع كل من لاوي بن يعقوب، وهارون بن عمرام، من نسل قهات، كما نصت عليه الآيتان التاليتان (خر16: 18-20):

﴿(18) وبنو قهات: عمرام وبصْهار وحبرون وعُزيئيل ... (20) وأخذ عمرام يُوكابد عمته زوجة له. فولدت له هارون وموسى. وكانت سنو حياة عمرام مئة وسبعاً وثلاثين سنة.﴾

وعليه، فإن الأفراد، الذين ينحدرون من نسل لاوي بن يعقوب، لا تشملهم الكهانة، وتنحصر فقط، في نسل هارون. وإن كانت الكهانة قد خرجت من نسل لاوي بن يعقوب، فإن خدمة المعبد لم تتجاوزهم إلى غيرهم؛ فهم يقومون بخدمة المعبد، ولهم مهام أخرى، غير تلك التي يقوم بها الكهنة، كما سيتبين لاحقا.

تكريس الكهنة

رأينا كيف أن الرب أمر سيدنا موسى، بأن يقدس هارون وبنيه للرب، وحتى يتم هذا التقديس، فإن هناك عدد من المراسيم والطقوس الواجب القيام بها، وذلك ابتداءً من الطهارة وانتهاءً بالملابس، وذكرت الآيات في سفر الخروج (29: 1-37) تفاصيل خطوات التكريس، وتحدد الآية (37) مدة احتفال التكريس بسبعة أيام، ونصها:

﴿(37) سبعة أيام تكفر على المذبح وتقدسه، فيكون المذبح قدس أقداس. كل ما مس المذبح يكون مقدسا﴾

وسارت مراسيم تكريس هارون وبنيه للكهانة على النحو التالي:

1. تجهيز الثياب الكهنوتية

أمر الرب موسى بتجهيز ثياب كهانة هارون، فيما نصه:

﴿(2) واصنع ثيابًا مقدسة لهارون أخيك للمجد والبهاء. (3) وتكلم جميع حكماء القلوب الذين ملأتُهم روح حكمة، أن يصنعوا ثياب هارون لتقديسه ليكون لي.﴾

ولم يترك الرب اختيار الثياب لسيدنا موسى، بل حددها له، وعين من يقوم بصناعتها.

وتتكون هذه الملابس من تسع قطع، هي: الرداء والصدرة والجبة، وصفيحة الذهب والقميص والعمامة، وأقمصة ومناطق وقلانس وسراويل. وحدد الرب طبيعتها، وكيفية صناعتها، وهي على النحو التالي:

الرداء

صنع الرداء يكون من ذهب وأسمانجوني وأُرجوان وقرمز وبوص مبروم، وله كتفان موصولان في طرفيه، وزنار مصنوع مما صُنع منه الرداء. ويتم أخذ حجري جزع، ينقش على كل منهما، أسماء ستة من بني إسرائيل، بحسب المولد، وتوضع هاتين الحجرين على كتفي الرداء، ويتم تثبيتهما بخيوط من ذهب، حتى يحملهما هارون على كتفيه أمام الرب. كما يتم صناعة طوقين من الذهب، وسلسلتين من الذهب الخالص وتضفران وتوضعان في الطوقين.

الصدرة

وتُصنع الصدرة من نفس مكونات الرداء، وتكون على شكل مربع مثنية، طولها وعرضها شبراً واحداً. ويتم ترصيع الصدرة بأحجار كريمة، تُرص أربعة صفوف على النحو التالي:

- الصف الأول: عقيق أحمر وياقوت أصفر وزمرد.
- الصف الثاني: بهرمان وياقوت أزرق وعقيق أبيض.
- الصف الثالث: عين الهر ويشم وجمشت.
- الصف الرابع: زبرجد وجزع ويشب.

ويجب أن تُطوق هذه الأحجار بذهب، وتكون على أسماء بني إسرائيل، الاثني عشر سبطا. كما توضع على الصدرة سلسلتين مضفورتين من الذهب النقي، ثم تصنع حلقتين من الذهب، توضعان على طرفي الصدرة، وتثبت السلسلتين، من طرفين، في الحلقتين، وتوصل طرفي السلسلتين الآخرين في الطوقين، وتجعلهما على كتفي الرداء من الأمام. ثم تُصنع حلقتين من الذهب أيضا، وتوضعان على طرفي الصدرة، على حاشيتها من الداخل، من جهة الرداء. وتصنع كذلك حلقتين من الذهب، وتثبتا على أسفل الكتفين من الأمام، حتى يتم وصل زنار الرداء، وتُربط حلقتي الصدرة بحلقتي الرداء، بخيط أسمانجوني. وتكون على الصدرة الأُريم والتُّمّيم. ويجب أن لا تنزع الصدرة من الرداء، أنظر الشكل رقم (3).

الشكل رقم (3)

يوضح تفاصيل صدرة سيدنا هارون

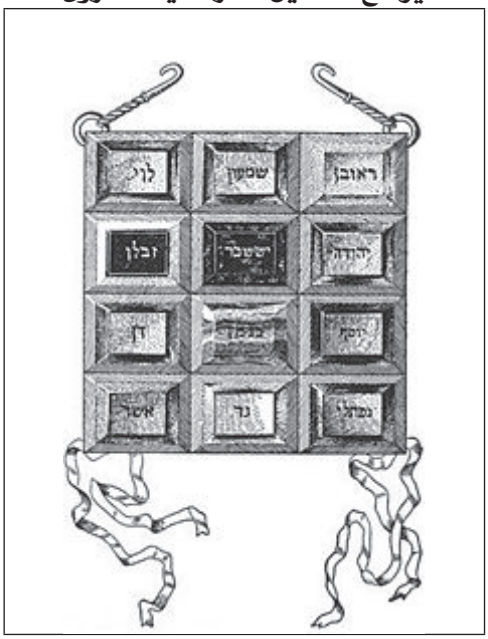

وأسماء الأسباط كما هي واضحة في الصدرة هي:

رأوبين ראובן،	شمعون שמעון،	لاوي לוי،
يهوذا יהודה،	يساكر יששכר ،	زبلون זבולן،
يوسف יוסף،	بنيامين בוימין	دان דן،
نفتالي נפתלי،	جاد גד،	أشير אשר،

وبالنظر إلى أسماء الأسباط، كما وردت في سفر العدد (2: 1-33)، نجد أن أسماءهم، التي أوردتها الآيات هي: يهوذا، وبساكر، وزبلون، ورأوبين، وشمعون، وجاد، وأفرايم، ومنسي، وبنيامين، ودان، وأشير، ونفتالي. وبمقارنة ما ورد في السفر من أسماء الأسباط، وما ذُكر على الصدرة، نجد أن سبط لاوي، الاسم الثالث في الصف الأول، ويوسف الاسم الأول في الصف الثالث، لم يرد ذكرهما في السفر، وقد حلا محلهما سبطي منسي وأفرايم (أبناء يوسف).

جبة الرداء

وجبة الرداء هذه، هي ثوب مصنوع من أسمانجوني، ذو فتحة من أعلى وسطها، كي

يتمكن الكاهن من ارتدائها، ولهذه الفتحة حاشية كفتحة الدرع، لا تُشق. ويجب أن تحلى أذيال الجبة من رُمانات وجلاجل؛ الرومانات مصنوعة من أسمانجوني وأرجوان وقرمز، والجلاجل مصنوعة من الذهب، وتوضع حوالي الجبة رمانة وجلجل، ولهذا التنوع والتشكل بالرمانات والجلاجل وظيفة تؤديها، وهي أن تصدر صوتاً عند دخوله وخروجه إلى القدس، حتى لا يموت.

صفيحة الذهب والقميص والعمامة

وحتى يكتمل الشكل العام لهارون الكاهن، فقد أمر الرب، بأن تُصنع صفيحة من الذهب، ينقش عليها كلمتا «قُدس للرب»، أو الإكليل المقدس، وتُربط بخيط من أسما نجوني، وتُوضع على العمامة، بحيث تتدلى على جبهة هارون. أما القميص فيُخرم من بوص، وتُصنع العمامة أيضا، من بوص. وبهذا تكون الثياب الكهنوتية، التي أمر بها الرب قد اكتملت، انظر صورة رقم (1).

صورة رقم (1)

تبين الصورة الثياب الكهنوتية لسيدنا هارون

2. مراسيم التقديس

وردت مراسيم مسح هارون وبنيه للكهانة، في سفري الخروج (29: 1-46) واللاويين (8: 1-36). وسارت هذه المراسيم على خطوتين: الأولى، تمثلت في ارتداء ثياب الكهنوت. والثانية، في تقديم القرابين. ونوجز الخطوتين على النحو التالي:

- أخذ هارون وبنيه، والثياب ودهن المسحة، وثور الخطيئة والكبشين، وسلة الفطير.
- اجمع كل جماعة إسرائيل إلى باب خيمة الاجتماع.
- تطهير (غسل) هارون وبنيه.
- ألبس هارون القميص.
- نطّقه بالمنطقة.
- ألبسه الجبة والرداء، وشد الرداء عليه بالزنار.
- وضع عليه الصُدرة، وفيها الأُريم والتميم.
- وضع على رأسه العمامة، وعلى العمامة الإكليل المقدس.
- مسح موسى المسكن وكل ما فيه، وقدسه بدهن المسحة.
- نضح منه على المذبح سبع مرات.
- مسح المذبح وجميع آنيته، والمرحضة وقاعدتها.
- صب من دهن المسحة على رأس هارون.
- قدم موسى بني هارون وألبسهم، كما أمر الرب.
- قدم موسى ثور الخطيئة وذبحه، بعد أن وضع هارون وبنوه أيديهم على رأسه.
- قدم موسى كبش المحرقة، وذبحه، بعد أن وضع هارون وبنوه أيديهم على رأسه.
- وأجرى موسى مراسيم وطقوس التكفير والتقديس، بعد كل ذباحة.
- واستمرت مراسيم التقديس سبعة أيام كاملة، بعدها، وابتداءً من اليوم الثامن، بدأ هارون وبنوه يمارسون مهامهم الكهنوتية، وينبغي قبل الانتهاء من هذا الجزء، الإشارة إلى أن ثياب الكاهن الأعظم، تزيد عن ثياب الكاهن بأربع قطع.

الكاهن الأعظم

الكاهن الأعظم هو رئيس الكهنة، وكما تمت الإشارة، فقد كان هارون، هو أول من تقلد هذه المكانة، وبقيت فيه حتى موته. ولأن ناداب وأبيهو، ولدا هارون، قد ماتا قبل أبيهما، ولم يكن لهما بنين (1أخبار 24: 1-3)، فقد أصبحت الكهانة محصورة، في ولداه الآخران ألعازار وإيثامار ونسلهما، لفترة طويلة من الزمن. وبموت هارون خلفه ابنه العازار، وكان ذلك، بأمر من رب الجنود، حيث أمر موسى قائلاً:

﴿"... (25) خذ هارون وألعازار واصعد بهما إلى جبل هور، (26) واخلع عن هارون ثيابه، وألبس ألعازار ابنه إياها. فيُضم هارون ويموت هناك".﴾ (عد 20: 25-26).

وتكرر ذكر تنصيب ألعازار مرة أخرى في سفر التثنية (10: 6). وبقيت رئاسة الكهنة في عائلة ألعازار، إلى أيام عالي الكاهن، من نسل هارون عليه السلام. وكان هو الكاهن الأعظم، في شيلوه العاصمة الدينية لإسرائيل، في ذلك الوقت(البدراوي 2001: 64).

وقد اقتضى فقه الواقع، أن تنتقل رئاسة الكهانة من الأب إلى الابن، باعتبارها فريضة دهرية في نسل هارون من بعده، إلا أن الواقع أيضاً، قد أدى إلى أمر آخر، تمثل في إمكانية انتقال رئاسة الكهانة إلى الأخ، إن لم يكن للكاهن الأعظم ولداً من صلبه، بل لقد خرجت الكهانة تماماً، من نسل هارون إلى غيرهم، وهم الحشمونيين، الذين لا ينتمون لا إلى داود ولا إلى صادوق. ليس هذا فحسب، بل إن الظروف السياسية، التي مر بها بنو إسرائيل، قد لعبت هي الأخرى دورها، في تنصيب رئاسة الكهانة؛ فعلى سبيل المثال، انتهز أدونيا شيخوخة داود، وأعلن نفسه ملكاً، وحظي بمباركة الكاهن ابياثار، وعندما عاد حق الملك لسليمان، قام بعزل الكاهن ابياثار، وعين مكانه الكاهن صادوق (1 مل 2: 35).

ولم يتوقف تأثير الظروف السياسية، على تنصيب الكاهن الأعظم خارج بيت هارون، بل لقد عملت على زيادة سلطة الكاهن الأعظم، وخاصة بعد فترة السبي، حيث حاز الكاهن الأعظم أهمية عظيمة (Gowan 257 :1980). وترجع هذه الأهمية، إلى جمع الكاهن الأعظم بين السلطتين الدينية والسياسية، بينما كانت الأمور تسير في خطين متوازيين: السياسة في سبط يهوذا، والكهانة في سبط لاوي. وهو ما أكدته رؤية النبي زكريا للكاهن يهوشع، كما وردت في سفر زكريا (6: 9-13)، وتحديداً ما جاء في الآية (13) ونصها:

﴿(13) فهو يبني هيكل الرب، وهو يحمل الجلال ويجلس ويتسلط على كرسيه، ويكون كاهنًا على كرسيه، وتكون مشورة السلام بينهما كليهما.﴾

وعلى الرغم من التداخل بين السلطتين السياسية والدينية، وتدخل القوى الأجنبية في تنصيب الكهنة العظام، وعلى الرغم من التزايد الكبير لعدد الكهنة العظام، في فترة زمنية واحدة، كالفترة الرومانية، إلا أن هذه الكثرة في تعدادهم، لم تؤثر قط، على مكانتهم ونفوذهم وتأثيرهم (Leapold 163 :1973)، واستمرت سلطتهم في تزايد مستمر (جوهر 2005 :19 – 20) ولفترات طويلة من الزمن، حتى تدمير المعبد الثاني، أو قل بعد فترة الغيورين واستعادتهم للمعبد، حيث اختفى الكهنة تماماً، وللمرة الأخيرة.

مهام وواجبات الكاهن

أُلقيت على كاهل هارون وبنيه، مهام وواجبات في خدمة المعبد المتنقل (خيمة

الاجتماع)، أثناء فترة التيه، ومن المهام، التي كان هارون وبنيه يقومون بها، أثناء تنقل المعبد، من محلة إلى أخرى، كما حددها رب الجنود، التالي:

- إنزال حجاب السجف، ويغطون به تابوت الشهادة، ويضعون عليه غطاء من جلد تخس، ويضعون فوق ذلك ثوباً من أسمانجوني، ويضعون عصيِّه.
- وضع ثوب أسمانجوني على مائدة الوجوه، ويوضع عليه: الصحاف والصحون والأقداح وكاسات السكايب، ويكون الخبز الدائم عليه، ويغطى بثوب قرمز، ويغطى الكل بجلد تخس، وتوضع عصيِّه.
- تغطية المنارة وسرجها، وملاقطها ومنافضها، وجميع آنيتها، بثوب أسمانجوني، ويلف الكل بجلد تخس.
- تغطية مذبح الذهب بثوب، ويلف بجلد تخس، وتوضع عصيه.
- تغطية جميع أمتعة خدمة القدس، بثوب أسمانجوني، وتُلف بجلد تخس.
- رفع رماد المذبح ويغطى بثوب أُرجوان، ووضع جميع أمتعته (المجامر والمناشل والرفوش والمنضح) عليه، ويُغطى بجلد تخس، وعليه عصيه.
- تنقية المحلة من كل متنجس.
- القضاء بين الخصوم.
- تقديم الذبائح اليومية والأسبوعية والشهرية والسنوية.
- النذور.
- مباركة بني إسرائيل.
- إضاءة السرج (المنارة).

شروط الكهانة

لقد اختار الرب من بني إسرائيل هارون وبنيه ليكهنوا له، وخصهم دون غيرهم بخدمة المعبد، إلا أن هذه المنحة، لا تعني قط، أنها مفتوحة دون أية ضوابط أو شروط، فيجب على من سيضم إلى سلك الكهانة، من نسل هارون، أن يتمتع بصفات خاصة، وأن يكون خالياً من كثير من العيوب، وعلى وجه الخصوص، العيوب الجسدية. وقد حدد الرب في سفر اللاويين (21: 16-21) العيوب، التي تحرم المرء، من أن يكون كاهناً، وهي أن يكون:

1) أعمى. 2) أعرج. 3) أفطس. 4) زوائدي.
5) مكسور اليد أو الرجل. 6) أحدب. 7) أكشم. 8) من في عينه بياض.
9) أجرب. 10) أكلف. 11) مرضوض الخصى.

وإذا عثر على أي عيب في الكاهن، فإنه يحرم من هذه المكانة، ويعهد إليه بأدوار ثانوية.

شرائع الكهنة

إن خدمة المعبد تتطلب من الكهنة، أن يكونوا كاملي الطهارة، وغير منجسين، لأنهم كثيرو التردد على قدس الأقداس، وعلى المذبح والحجاب، وهذه مواطن مقدسة، من اقترب منها وهو مدنس مات موتا، وهو ما يطلق عليه بالتدنيس الطقسي. لذا، فقد شكل الكهنة نظاماً مقدساً، بغرض حمايتهم من التدنيس، وفقاً لما فرضته التوراة، والمتمثل في قواعد الطهارة الطقسية التالية:

- عدم الاقتراب من ميت من قومه، عدا أقاربه المقربين (أم وأب، ابن وابنة، أخت – بشروط- وأخ)، حتى لا يتنجس. ليس هذا فحسب، بل أن الكاهن يمنع من التواجد في مكان، يمكن أن يتواجد فيه جثمان ميت؛ كالمقبرة والمآتم والمستشفيات، (الغرفة التي فيها الميت).
- عدم الاقتراب من شخص تنجس بميت.
- ألا يجعلوا قرعة على رؤوسهم.
- ألا يحلقوا عوارض لحاهم.
- ألا يجرحوا أجسادهم.
- عدم الزواج من الزانية أو المدنسة.
- عدم الزواج من مطلقة.
- شرب الخمر أو أي مسكر عند الدخول إلى الخيمة.
- أما الكاهن الأعظم، الذي صُب على رأسه دهن المسحة وملئت يده ليلبس الثياب، فقد حرم الرب عليه:
  - كشف رأسه.
  - شق ثيابه.
  - الاقتراب من جثمان ميت، ولو كان أبيه أو أمه.
  - الخروج من القدس.
  - الزواج من الأرملة والمطلقة والمدنسة والزانية.
  - الزواج بغير العذراء.
  - الزواج من غير قومه.

وجاء في التلمود، أن الكاهن الذي تزوج ممن تحرم عليه، يكون زواجه شرعي، والأولاد، الذين يأتون من ذلك الزواج شرعيون، ولكنهم يلقبوا بالنجسين، ويفقدون حقهم في الكهانة إلى الأبد.

وقد اجتهد المفسرون والعلماء، في مسألة التدنيس، ورأوا أن هناك بعض استثناءات،

لقواعد التدنيس، التي يتعرض لها الكاهن، منها، وفقاً للتلمود:

- أن يجد الكاهن جثة ميت، ملقاة على قارعة الطريق، وليس هناك من أحد يمكن استدعاءه، كي يواري الجثة التراب، هنا على الكاهن القيام بذلك بنفسه.
- أوجب التلمود على الكاهن، التعرض للدنس في حالة، أن يكون الميت هو الرئيس الحاخامي للأكاديمية الدينية.

حقوق الكهنة

وكانت تفرض على الكاهن، في حياته ومعيشته، قوانين -لم تكن تفرض على غيره من اللاويين ومن عوام الشعب (قاموس الكتاب المقدس 2005: 791)- تجعله متفرغاً لخدمة المعبد، مما يجعله غير قادر على كسب عيشه، لذا، فقد خُصص له بعض الموارد، مقابل خدمته الكهنوتية هذه، وتم تحديدها في التوراة على النحو التالي:

- لقد أعطى الرب لهارون وبنيه، ما يكفل لهم حياة كريمة، وذلك، لأنهم متفرغون لخدمة الرب، فقد جاء في سفر العدد (18: 9) ما نصه:

> ﴿(9) هذا يكون لك من قدس الأقداس من النار، كل قرابينهم مع تقدماتهم وكل ذبائح خطاياهم وكل ذبائح آثامهم التي يردونها لي. قدس أقداس هي لك ولبنيك...﴾.

- تخصيص ثلاث عشر مدينة مع مسارحها للكهنة (يش 21: 19-13):

> ﴿(19) جميع مدن بني هارون الكهنة ثلاث عشرة مدينة مع مسارحها.﴾

- الرفيعة من عطاياهم مع كل ترديدات بني إسرائيل (عد 18: 11).
- أبكار كل ما في أراضيهم (عد 18: 13-12) و(خر 23: 19).
- كل فاتح رحم (الأبكار) والرفائع (عد 18: 19-15)، والإنسان يُفتدى بخمسة شواقل فضة.
- عشر العشر من كل عطايا للاويين (عد 18: 28-26).
- قيمة النذور: الإنسان المُفرز للرب يفتدى بحسب السن، وقيمة الذكر ضعف قيمة الأُنثى (لا 27: 33-1).
- غنيمة الحرب: خُصص جزء منها زكاة للرب؛ تُخرج من نصيب رجال الحرب، نفس واحدة من كل خمس مئة نفس من الناس والبقر والغنم والحمير، تُعطى لألعازار (عد 31: 25-29).

وصنف التراث الإسرائيلي ما يعطى للكهنة وجعلها على ثلاثة أنواع، وهي:

النوع الأول.. جزء من الهدايا التي تعطى في حرم المعبد.

- تقدمة الخطيئة (حيوان).
- تقدمة الخطيئة (طير).

- تقدمة الذنب غير المؤكد.
- تقدمة السلام.
- تقدمة التطهر من الأمراض الجلدية (زيت الزيتون).
- تقدمة الخبز.
- تقدمات التطوع (الهبة).
- تقدمة العومير.

النوع الثاني.. الهدايا التي تعطى داخل أسوار فلسطين.

- بكر الحيوان الداجن.
- بكور الفواكه.
- الأعضاء الداخلية لبعض التقدمات.
- جلود بعض التقدمات.

النوع الثالث.. الهدايا التي يمكن أن تعطى داخل أو خارج أورشليم.

- جزء من الحصاد.
- عشر العشر المخصص للاوي.
- جزء من العجين.
- الأول من شراكة الأغنام.
- الرجل اليمنى والفك ومعدة كل الحيوانات الداجنة غير المذبوحة وفقاً للطقوس.
- الخمسة الشيكل من الفضة، مقابل افتداء الصبي الإسرائيلي الأول.
- واحد من الغنم أو جدي لأول مولود حمار.
- الممتلكات الموهوبة للمعبد، دون إيضاح سبب الهدية أو وجه إنفاقها.
- الحقول الموهوبة للمعبد وغير المطالب بها.

أما النساء، فلم يكن مسموحاً لهن، بخدمة الهيكل أو المعبد، وكان يسمح لهن، الاستمتاع ببعض الهدايا الكهنوتية، السابقة الذكر. وإذا تزوجت ابنة الكاهن، من رجل خارج السلالة الكهنوتية، فإنها تحرم من الهدايا الكهنوتية. وعلى العكس من ذلك، فالفتاة، التي لا تنتمي لسلالة كهنوتية، والتي تتزوج بكاهن، فإن لها نفس الحق، الذي لابنة الكاهن غير المتزوجة.

وظل أبناء هارون وأحفادهم، يقومون بخدمة المعبد، ويتوارثونها فيما بينهم سنين طويلة. وبتقادم الزمن، كثر تعدادهم، إلى الحد الذي أحدث نوعاً من استئثار البعض بطول الخدمة، فكان لا بد من إضفاء نوع من التنظيم، وتقسيم العمل فيما بينهم. وهذا بالفعل، ما قام به سيدنا داود (عليه السلام)، حيث قسمهم، مستخدماً القرعة، إلى أربع وعشرين فرقة ؛ ستة عشر فرقة من عائلة العازار، وثمان فرق من عائلة ايثامار (1 أخبار 24 : 4). وتم توثيق ذلك التقسيم كتابة، وتولى الكتابة شمعيا بن نثنئيل، أمام الملك، وبشهادة صادوق الكاهن وأخيمالك

ورؤوس الآباء للكهنة واللاويين. وكان التقسيم على النحو التالي:

- القرعة الأولى: يهوياريب.
- القرعة الثانية: يدعيا.
- القرعة الثالثة: حاريم.
- القرعة الرابعة: سعوريم.
- القرعة الخامسة: ملكيا.
- القرعة السادسة: ميامين.
- القرعة السابعة: هُقُّوص.
- القرعة الثامنة: أبيًّا.
- القرعة: التاسعة: يشوع.
- القرعة العاشرة: شكُنيَا.
- القرعة الحادية عشرة: أليَاشيب.
- القرعة الثانية عشرة: ياقيم.
- القرعة الثالثة عشرة: حُفَّة.
- القرعة الرابعة عشرة: يشَبْآب.
- القرعة الخامسة عشرة: بلجة.
- القرعة السادسة عشرة: إيميرَ.
- القرعة السابعة عشرة: حيزيرَ.
- القرعة الثامنة عشرة: هفْصيص.
- القرعة التاسعة عشرة: فَقَحْيا.
- القرعة العشرون: يجزقيئيل.
- القرعة الحادية والعشرون: ياكين.
- القرعة الثانية والعشرون: جامول.
- القرعة الثالثة والعشرون: دلايا.
- القرعة الرابعة والعشرون: معزيا.

وقامت هذه الفرق، بأداء مهام خدمتها للمعبد، بالتتابع. وينبغي الإشارة، إلى أن عدد أعضاء كل جماعة، كان يتراوح ما بين سبعة إلى تسعة أعضاء، تقوم كل مجموعة بالخدمة طوال أيام الأسبوع، ويتم استبدال المجموعة، التي خدمت بمجموعة أخرى، في كل يوم سبت، ولا يحدث أن تجتمع هذه المجموعات في المعبد، في وقت واحد، إلا في حالة واحدة فقط، وذلك في الاحتفالات التوراتية.

ويبدو أن ظروف سبي بني إسرائيل إلى بابل، قد فعلت، هي الأخرى، فعلها، بالأسَرِ

التي تكون فيها أو من حقها القيام بالكهانة، فمن بين الفرق الأربع والعشرين، السابقة الذكر، لم يعد من السبي مع زُرَبَّابل، سوى أربع فرق، وهذا ما نصت عليه الآيات (عز 2: 36 - 39) التالية:

﴿(36) أما الكهنة: فبنو بدعيا من بيت يشوع تسع مئة وثلاثة وسبعون.
(37) بنو إمِّيز ألف واثنان وخمسون. (38) بنو فشحور ألف ومئتان وسبعة وأربعون. (39) بنو حاريم ألف وسبعة عشر.﴾

وظلت الكهانة، والقيام بالخدمة الكهنوتية للمعبد قائمة، ما دام المعبد قائماً، وذلك، لارتباط كل الطقوس والشعائر الكهنوتية به. ولما أتى الرومان عليه، واجتثوه من على وجه الأرض، عام 70 للميلاد، انتهت بانتهائه كل الواجبات المرتبطة به، وبذلك اختفت الوظيفة الكهنوتية، بالمعنى الدقيق للكلمة.

وعلى الرغم، من اختفاء الكهنة والخدمة الكهنوتية، إلا أن الصراع بين اليهود؛ بفرقهم وطوائفهم الدينية، على القيادة الدينية لجماعة بني إسرائيل، قد أخذت طوراً أو بعداً آخر، وذلك، لما لهذه القيادة، من مركز ديني وسياسي واجتماعي هام وحيوي. فبعد تدمير المعبد الثاني، تشتت اليهود في كثير من بقاع العالم، ونظراً لارتباط حياتهم اليومية، بطقوس وتعاليم الشريعة الموسوية، فقد كان علماؤهم، هم الملجأ الأول والأخير لهم، حتى تستقيم حياتهم، فلجأوا إليهم، وهؤلاء العلماء هم الحاخامات، وسوف يتم الحديث عنهم فيما بعد.

وعلى الرغم، من اختفاء الوظيفة الكهنوتية، المرتبطة بالمعبد في أورشليم، إلا أن بعض الوظائف الكهنوتية، وفي حدودها الدنيا لم تختف، والسبب في ذلك، يعود إلى بقاء الديانة قائمة بين بني إسرائيل؛ فلا تزال الحياة الروحية بكل مظاهرها قائمة، وتنظمها الشريعة. فلا زال السبت قائماً، وله طقوسه وشعائره، ولا زالت التوراة قائمة، ولها شعائرها وطقوسها، ولا زالت الأعياد والمناسبات قائمة، ولها، هي الأخرى، طقوسها وشعائرها، ولا تزال الحياة اليومية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالقانون الهلاخي. وبناءً على كل ذلك، لم يختف دور الكهنة تماماً، من الساحة الدينية لبني إسرائيل (اليهود).

الكهانة اليوم

إن الوظيفة الكهنوتية، هي منحة أو اصطفاء من الرب، لهارون وبنيه من بعده، فريضة دهرية، كما تم بيان ذلك، لذا ينبغي أن تكون من حيث المبدأ، في نسل هارون، إلا أن عوامل الشتات، والتباعد لا شك، قد أثرت كثيراً، في خروج الكهانة من نسل هارون، إلى أسر يهودية أخرى، وهذا لا يلغي عملية التحري والبحث، في نسب من ستسند إليه وظيفة الكهانة؛ فحتى القرن الثامن عشر في أوربا، والقرن التاسع عشر في اليمن، هناك من الكهنة، من يستطيع وبدقة عالية، تتبع تسلسله الأسري إلى كاهن معروف كعزرا. وفي أيامنا هذه، فإن كثير من الأسر، يمكنها بيان نسبها الكهنوتي، من خلال مقابر أجدادها. ومسألة التأكد من نسب الكاهن،

يعود إلى أن كثير من الطقوس والشعائر الدينية، كالاحتفاء بيوم السبت، وأولوية القراءة من التوراة، يفضل فيها الأولوية، لمن ينحدر من أسر عريقة في الكهانة.

إلا أن استمرار وظيفة الكهانة، بعد تدمير المعبد، قد أفرزت مواقف متباينة بين الطوائف اليهودية، وهذه المواقف تستند أساساً، على الموقف من المعبد ذاته، وإمكانية إعادة بنائه. وكما هو معلوم للجميع، فإن هناك جماعات يهودية متعددة، من حيث موقفها الديني، فهناك المتشدد، والمحافظ، والمعتدل، والمفرط، ولكل من هذه الجماعات موقفها الخاص بها.

أما اليهودية الأرثوذكسية، فإنها تؤمن وتأمل في إعادة بناء المعبد الثالث في فلسطين (أورشليم)، وترى أن على الكهنة الاحتفاظ بقداستهم، وببعض أجزاء من أدوارهم وواجباتهم الأساسية، وأن يكونوا في حالة استعداد، للقيام بواجباتهم في المعبد، في المستقبل.

فالكاهن عند كل من الأرثوذوكس والمحافظين، يتمتع بمكانة خاصة، وذلك، من خلال ما يقوم به من واجبات، وخاصة في المجالات التالية:

- القراءة الأولى في السيناجوج (aliyah)

بعد تدمير المعبد انتهى دور الكهنة في تقديم القرابين، وأصبح التمسك بفكرة تقديم القرابين يعتمد على نوع الطائفة؛ فإما أن تكون قد ألغيت مؤقتاً، وإما نهائياً. ومع ذلك، فقد احتفظ الكهنة بالدور الاحتفالي الرسمي والعام، في الصلاة، في السيناجوج، والتي اعتبرت تعويضاً وتذكاراً للتقدمات نفسها. والـ aliyah تحمل دلالتين: فهي شرف القراءة من التوراة، أو تلاوة بركة على قراءة التوراة، التي تُقام أثناء الصلاة. وهي، بالعبرية التعالي. وعبارة "تُؤدي aliyah" يشير إلى الهجرة إلى إسرائيل (Bank 2005: 242).

- القراءة العلنية للتوراة

تقرأ التوراة علناً، في أيام الاثنين والخميس والسبت، في السيناجوج الأرثوذكسي والمحافظ، باللغة العبرية، أمام جماعة المصلين. ويتوزع شرف القراءة، وفقاً للمكانة الدينية، خلال أيام الأسبوع، على ثلاثة أفراد: فقد جرت العادة، أن يدعى أحد الكهنة للقيام بالقراءة الأولى (aliyah)، ويستدعى أحد اللاويين لتلاوة القراءة الثانية، ثم أي فرد من الأسباط الإسرائيلية للقراءة الثالثة. أما في يوم السبت، فإن شرف القراءة يتوزع على سبعة أفراد: فيستدعى في الأولى كاهناً، وفي الثانية لاوياً، وإذا لم يكن الكاهن حاضراً، فقد جرت العادة، في كثير من الجاليات، أن يتولى الأمر لاوياً، في القراءة الأولى مكان الكاهن، وأحد الإسرائيليين في القراءة الثانية، وهكذا. وهذا التقليد غير مقر في الهلاخا (القانون الديني اليهودي). وهناك خلاف بين الجماعات اليهودية، فيما يتعلق باستدعاء الكاهن للقراءة الأولى، فمنهم من يعتبره مجرد تقليد، ومنهم من يعتبره بمثابة القانون الواجب الالتزام به.

ثالثاً .. اللاويون

يرجع اللاويون إلى سيدنا يعقوب (عليه السلام)، وذلك بنص الآية (تك 46: 25- 11):

﴿(8) وهذه أسماء بني إسرائيل الذين جاءوا إلى مصرك يعقوب
وبنوه... (11) وبنو لاوي: جرشون وقهات ومراري ...﴾

وتكرر ذكر بني إسرائيل عامة، ولاوي على وجه الخصوص في سفر الخروج (16: 14-16). كما تكرر ذكرهم أيضاً في سفر العدد (3: 14 - 17)، وذلك، عندما أمر الرب موسى، في برية سينا، بإجراء عملية تعداد لهم.

اصطفاء الرب للاويين

كما اصطفى الرب هارون وبنيه، للكهانة وخدمة المعبد، اصطفى اللاويين كذلك، ووهبهم لهارون وبنيه، لخدمتهم وخدمة الجماعة والمسكن (عد 2: 1-10). وعلى الرغم، من أن اصطفاء الرب لأي فرد أو لأية جماعة، ليس بحاجة إلى تبرير، إلا أن تبرير اصطفاء اللاويين، فيه كثير من الحكمة؛ فعندما عبد بنو إسرائيل العجل، امتنع بنو لاوي عن عبادته، وعندما عاد موسى، أمر اللاويين بأن يقتلوا عبدة العجل، ففعلوا ما أمرهم به، فباركهم الرب (خر 32: 26-29).

وتقضي شريعة موسى، أن البكر من كل شيء –من الناس والحيوان والنبات- يفرز للرب، وعليه، فقد أمر الرب موسى، بإحصاء بني إسرائيل، ويأخذ للرب اللاويين، مقابل كل بكر منهم (عد 3: 11-13)، وأمر الرب موسى، بأن يهبهم لهارون وبنيه. وتكرر ذكر اصطفاء الرب للاويين في سفر العدد (8: 14-19)، وحدد مهمتهم، وهي خدمة خيمة الاجتماع، وستتبين خدمتهم هذه فيما بعد.

تقديس اللاويين

تبين فيما سبق، كيف تم تكريس الكهنة لخدمة المعبد، فالإنسان المكرس لهذه الخدمة، يجب أن يكون طاهراً في قلبه ومظهره الخارجي، وألا يكون عليه دنس. لذا، فقد خضع اللاويون لمراسيم الطهارة، التي مر بها هارون وبنيه، قبل تسلم مهامهم في خدمة المعبد. وعملية التطهير، التي خضع لها اللاويون، وقام بها موسى، أتت بأمر إلهي لموسى (عد 8: 1-15)، وهي على النحو التالي:

- ينضح عليهم موسى ماء الخطيئة.

- يمر موسى على كل بشرهم.
- يغسلوا ثيابهم فيتطهروا.
- يأخذوا ثوراً ابن بقر وتقدمته دقيقاً ملتوتاً بزيت.
- يأخذوا ثوراً ابن بقر ذبيحة خطيئة.
- يقدم موسى اللاويين أمام الخيمة، ويجمع كل جماعة بني إسرائيل، ويقدم اللاويين أمام الرب، ويضع بنو إسرائيل على اللاويين.
- يردد هارون اللاويين ترديداً أمام الرب من عند بني إسرائيل فيكونون ليخدموا خدمة الرب.
- يضع اللاويون أيديهم على رأسي الثورين: فيقرب موسى أحد الثورين ذبيحة خطيئة، والآخر محرقة للرب للتكفير عنهم.
- يوقف موسى اللاويين أمام هارون وبنيه ويرددهم ترديداً للرب.

أما فيما يتعلق بالمدة الزمنية، التي يقضيها اللاوي في خدمة المعبد، فقد حددها الرب، ما بين عشرين وخمس وعشرين سنة، كما بينته آيات سفر العدد (4: 3 و 8: 23-26)، حيث تبدأ الخدمة من سن خمس وعشرين سنة إلى ثلاثين سنة، وتنتهي بخمسين سنة، بعدها لا يحق لهم الخدمة.

مواقع اللاويين من السكن

وبعد أن قام موسى، في برية سيناء، بإحصاء بني لاوي، تنفيذاً لأمر الرب، حدد الرب، كما تبينه آيات سفر العدد (3: 21-37)، مكان كل عشيرة من عشائر اللاويين، من السكن، وكذا واجباتهم، وذلك على النحو التالي:

1) عشائر الجرشوميين: تحت رئاسة أليساف بن لايل.

ينزلون وراء المسكن إلى الغرب، ومهمتهم في خيمة الاجتماع هي: حراسة المسكن، والخيمة وغطاؤها، وسجف باب خيمة الاجتماع، وأستار الدار، وسجف باب الدار، اللواتي حول المسكن وحول المذبح محيطه وأطنابه مع كل خدمته. وعند الارتحال، حدد الرب ما عليهم القيام به، وحراستهم بيد إيثامار بن هارون (عد 4: 21-28).

2) عشائر بني قهات: تحت رئاسة أليصافان بن عُزَّبئيل.

ينزلون إلى يمين المسكن، ومهمتهم حراسة التابوت والمائدة والمنارة والمذبحان وأمتعة القدس، والحجاب وكل خدمته. وعند الارتحال، حدد الرب ما عليهم القيام به. ووكالة ألعازار بن هارون، هي زيت الضوء والبخور والعطر والتقدمة الدائمة ودهن المسحة، ووكالة كل المسكن

وكل ما فيه بالقدس وأمتعته (عد 4: 1-16).

3) عشائر مراري: تحت رئاسة صوريئيل بن أبيَحابل.

ينزلون إلى شمال المسكن، ومهمتهم هي حراسة ألواح المسكن وعوارضه وأعمدته وفرضه، وكل أمتعته، وكل خدمته، وأعمدة الدار حواليها وفرضها وأوتادها وأطنابها. وعند الارتحال، حدد الرب ما عليهم القيام به. وخدمتهم بيد إيثامار بن هارون (عد 4: 29 - 33).

مهام اللاويين في خدمة المعبد أيام الملك داود

أُفرز اللاويون، أيام الملك داود وأثناء شيخوخته، لمهام أخرى، إلى جانب تلك، التي كانوا يقومون بها أثناء حلهم وترحالهم، فقد خصص لهم داود ثلاث مهام هي:

1) الغناء

أفرز داود بني آساف وهيمان ويدوثون، لأجل غناء بيت الرب، بالصنوج والرباب والعيدان (1أخبار25: 1-7).

2) حراسة أبواب المعبد

اختار داود عدداً من الأفراد، وكلفهم بحراسة أبواب المعبد، من جهة الشرق، ومن جهة الشمال، ومن جهة الجنوب، ومن جهة المخازن، ومن جهة الرواق إلى الغرب، وهؤلاء الحراس هم من بني آساف، ومن بني القورحيين، ومن بني مراري (1أخبار 26: 1-19).

3) أمناء الخزائن

لقد تم تعيين بنو لعدان الجرشوني، على خزائن بيت الرب، والعمراميين والبصهاريين والحبرونيين، على خزائن الأقداس. كما أعطى إخوتهم مهام أخرى كالقضاء بين بني إسرائيل، (1أخبار 26: 20-32). كما عمل الملك داود على توزيع مهام أخرى على بقية بني إسرائيل؛ كقيادة الجيوش والإشراف على أملاك الملك. واستمروا بأداء هذه المهام، حتى أيام عزراء الكاهن (نحميا 12: 26) حسب وصية داود.

حقوق اللاويين

ونظراً لتفرغ اللاويين لخدمة بيت الرب، فقد خصص لمعيشتهم، ما يكفل لهم حياة كريمة. والمخصص لهم على ثلاثة أنواع، على النحو التالي:

- كل عُشر في إسرائيل.

- عُشر العُشر الذي يرفعه بنو إسرائيل.
- أُعطيات اللاويين: (عد 31: 30) غنيمة الحرب: من نصيب الجماعة، الذين لم يخرجوا للحرب، يُعطى اللاويون نفساً واحدة، من كل خمسين من الناس والبقر والغنم والحمير، شريطة أن يكونوا حافظين شعائر مسكن الرب.

رابعاً.. خدام المعبد (نثينيم)

اتخذت خدمة المعبد أشكالاً متعددة، فهناك الخدمة، التي حددها الرب، واصطفى لها، من بين بني إسرائيل أُناساً، منحهم هذه الكرامة، كما تبين سابقاً، والتي خصها الرب لكل من الكهنة واللاويين، وهناك الخدمة الأقل قدسية، والمرتبطة بالأعمال التقليدية العادية، التي يقوم بها الناس في حياتهم اليومية، ومع ذلك، فلها كل الرفعة والجلال، لأنها خدمة المعبد. هذا النوع من الخدمة، يتمثل في الاعتناء بالمعبد، وتنظيفه، وجلب متطلباته من الخارج، حتى يتسنى للكهنة واللاويون أداء مهامهم دون عناء للالتفات إلى الأمور البسيطة، كجلب الحطب، على سبيل المثال. وهذه الخدمات قديمة قدم المبعد ذاته، بل قدم الشريعة ذاتها.

فلو عدنا إلى البدايات الأولى للشريعة، وإلى أيام موسى، نجد أن سيدنا موسى عين للقيام بالأعمال المساعدة في المعبد أُناساً ليسوا من بني إسرائيل، بل سبايا الحرب، التي أمر بها الرب على مديان، كما بينها سفر العدد (31: 47). وكذلك، فعل سيدنا يشوع، في التعيين لهذه المهمة أو الخدمة، فقد عين لها جماعة الجبعونيين، الذين خدعوه وقالوا له، بأنهم ساكنون بعيداً عنه، فلما تبين له خداعهم، استعبدهم لخدمة بيت الرب (يش 9: 22)، ونص الآية هو:

﴿ فالآن ملعونون أنتم. فلا ينقطع منكم العبيد ومحتطبو الحطب ومستقو الماء لبيت إلهي﴾

واستمر في تأدية هذه الخدمات لبيت الرب، جماعات من خارج بني إسرائيل، استمرار بقاء المعبد، فيطلعنا سفر عزرا (8: 20) بعد العودة من السبي، على وجود جماعة يطلق عليها (نثينيم)، خصصهم سيدنا داود مع الرؤساء لخدمة اللاويين. وورد في قائمة العائدين من السبي، ذكر النثينيم، وكذا عبيد سيدنا سليمان (عز 2: 43-58)، والنثينيم والعبيد هم المختصين بأداء تلك الخدمة لبيت الرب.

ويظهر في أكثر من موضع، في أسفار التوراة، أن المخصصين لأداء المهام الدنيا، في خدمة بيت الرب، ليسوا فقط النثينيم، فهناك إلى جانبهم العبيد، كما جاء ذكره سابقاً، وخدام بيت الله، كما ورد في سفر عزوا (7: 24)، وهم الذين حددتهم رسالة ارتحششتا الملك إلى عزرا، ونص الآية هو:

﴿ونعلمكم أن جميع الكهنة واللاويين والمغنين والبوابين والنثينيم وخدام

بيت الله هذا، لا يؤذن أن يلقى عليهم جزية أو خراج أو جفارة﴾

والآية السابقة، تظهر وبوضوح تام، أن القائمين على خدمة المعبد -وإن كان ما يقومون به خدمات بسيطة- كانوا يعفون من كل أشكال الضرائب، كمن يقوم بالمهام الجليلة سواءً بسواء.

خامساً .. الحاخامات

تمت الإشارة سابقاً، إلى أن بني إسرائيل قد ساروا، عبر تاريخهم الطويل، وفقاً لنمط قيادي معلوم، تغيرت أشكاله وفقاً لمتغيرات الأحداث. وعندما تكونت المؤسسة السياسية لبني إسرائيل (المملكة)، في الشمال والجنوب، اتخذت قيادتهم شكلاً يتناسب وطبيعة المؤسسة السياسية الجديدة، فتوزعت هذه القيادة على ثلاثة مفاصل: الملوك، والكهنة، والقضاة (الخياط 2006)، الذين كان يتم اختيارهم وتنصيبهم وفقاً للتراث. وبعد سقوط النظام السياسي المستقل (المملكتين العبريتين)، عن طريق القوى الأجنبية، ظهر نظام سياسي جديد (تابع لها)، اجتمعت فيه السلطتان السياسية والدينية في شخص واحد. وما لبث هذا النظام السياسي أن اختفى، وكذلك اختفى النظام الكهنوتي. ولم يكن أمام الشعب (بنو إسرائيل) إلا اللجوء لحكمائهم، أعضاء مجلس القضاء الأعلى (السنهدرين)، لالتماس قيادتهم. ويعود الفضل لهؤلاء الحكماء، في صياغة التوراة الشفهية، اليهودية الحاخامية (المسيري 2005: 32).

وظهرت كلمة حاخام، ولأول مرة، في المشناه عام 200 م، وذكر التلمود أن سبعة قادة من قادة مدرسة هلليل الفكرية، قد أُعطوا لقب حاخام، وكان جمالئيل أولهم (Macmillan 1903: 152). ولقب حاخام كان يمنح لأعضاء مجلس القضاء الأعلى (السنهدرين).

إذن، فالحاخام هو أحد بني إسرائيل العظام، الذين يتم اختيارهم لأداء مهام دينية صرفة، فهو قائد ديني، ومعلم للقانون اليهودي (Roth 2006: 72). ولما كانت هاتان المهمتان (القيادة الدينية والتعليم)، من المهام المعقدة، والتي تحتاج إلى إعداد كبير، وقدرات شخصية عالية، فإن طريقة اختيار من سيوكل إليه (الحاخام) بمهمة القيام بهما، مسألة تتسم، هي الأخرى، بالأهمية والدقة. ويطلق على مسألة التوكيل هذه بالتنصيب، الذي حدده الشرع، وأصبح إلى جانب الشرع عرفاً متوارثا. وقد طبقت هذه الطريقة، منذ أيام سيدنا موسى، حتى يومنا هذا، كما سيتبين.

تنصيب الحاخامات

إن تنصيب الحاخام، أو قل عملية التنصيب في حد ذاتها، قد سارت على مرحلتين:

الأولى، كانت تتم بأمر من الرب لنبيه موسى، بتنصيب أحد البشر. وفي الثانية، كانت تتم بتنصيب البشر لبعضهم البعض، وفقاً لضوابط وشروط معينة. فمسألة التنصيب هذه، إذن، تخص الشريعة اليهودية، وهي تشير، بعد فترة موسى عليه السلام، إلى منح أحد الأشخاص السلطة الحاخامية، للإفتاء وإصدار الأحكام في القانون اليهودي. وفي فترة المشناه، أصبح الإفتاء وإصدار الأحكام القضائية، غير مسموح به، إلا لمن نصب حاخاما.

ونجد التأكيد على المرحلة الأولى من مراحل التنصيب في التوراة، فقد تبين أن عملية التنصيب ليست مسألة مستحدثة، بل إنها قديمة قدم الشريعة نفسها، ففي البدايات الأولى للشريعة الموسوية، أمر الرب نبيه موسى، بالتنصيب مرتين على الأقل، ففي المرة الأولى، أمره بتنصيب سبعين شيخاً، من شيوخ إسرائيل، ويتضح ذلك في نص آيتان من سفر العدد (11: 16-17)، وذلك على النحو التالي:

﴿(16) فقال الرب لموسى: "إجمع إليَّ سبعين رجلاً من شيوخ إسرائيل الذين تعلم أنهم شيوخ الشعب وعرفاؤه، وأقبل بهم إلى خيمة الاجتماع فيقفوا هناك معك. (17) فأنزل أنا وأتكلم معك هناك، وآخذ من الروح الذي عليك وأضع عليهم، فيحملون معك ثقل الشعب، فلا تحمل أنت وحدك.﴾

وفي المرة الثانية، كان الأمر الإلهي بتنصيب يشوع بن نون خلفاً له، وجاء ذلك في الآيات (27: 15-21) من سفر العدد.

وفي المرحلة الثانية، انتقل أمر التنصيب إلى البشر، دون أمر إلهي، وبدأ ذلك، بتنصيب السبعين شيخاً لآخرين يخلفونهم، وهؤلاء قاموا بنفس الشيء مع غيرهم، واستمر الأمر حتى فترة الحاخام هلليل تقريباً.

وسارت عملية التنصيب، في الفترات اللاحقة - بأرض إسرائيل- بمراسيم خاصة، وقامت على مستوى المحكمة الابتدائية، في الشريعة؛ والتي تتكون من ثلاثة قضاة؛ على أن يكون أحدهم على الأقل، تم تنصيبه حاخاماً. ومع ذلك، فإن هناك كثير من الحكماء والعلماء من بني إسرائيل، لا تقل معرفتهم وقدرتهم الدينية، عن أولئك الذين تم تنصيبهم حاخامات، ولكنهم لا يحملون لقب حاخام، والسبب في ذلك، يعود إلى أنهم لم يمروا بعملية التنصيب السابقة الذكر، وخاصة أولئك الذين كانوا في بابل. وبدقة أكثر، فإن كلمة الراباي (الحاخام)، كانت تطلق على فئة العلماء، الذين تواجدوا في فلسطين، وهم من جماعتي (التناعيم والأموريم)، والفارق بين الجماعتين يكمن في تعاطيهم للتلمود. أما لقب الراف، فقد كان يطلق فقط، على أولئك الذين تواجدوا في بابل، وجلهم من (الأموريم) (Steinsaltz 1989: 139 و246 Beb-Sasson 1976:).

والمطلع على الأدب اليهودي، يجد أن هناك استخدامات مختلفة للألقاب، على اختلاف مخارجها الصوتية؛ فهنا الراباي والرِّبي والراف، وقد يكون لكل منها، دلالتها الخاصة

بها، وأحياناً ما تعطي دلالة واحدة، كما هو الحال عند الجماعات الحسيدية، أو تعطي معان مختلفة؛ وعلى سبيل المثال: فالفارق بين لفظي الراف والربي، يحمل لدى البعض فارق وظيفي، فالراف هو القاضي الأعلى للجماعة ،أو أنهما معاً، يشيران إلى شخص بعينه. إلا أن التفاصيل الدقيقة للفروق، بين معان أو دلالات هذه الكلمات، قد تداخلت فيما بينها، وإلى حد كبير. ويمكن أن يلمس القارئ تداخل هذه الألقاب فيما عرضه المسيري (2005: 38) بقوله:

> "حاخام" كلمة عبرية معناها "الرجل الحكيم أو العاقل". وكان هذا المصطلح يطلق على جماعة المعلمين الفريسيين "حاخاميم" ومنها أُخذت كلمة "حاخام" لتدل على المفرد. أما كلمة "راباي" فتعني في عبرية التوراة "عظيم". وهي في عبرية المشناه أصبحت لقباً للحكماء. وكانت تطلق على أعضاء السنهدرين. ولما كان اللقب لا يُخلع إلا على من تم ترسيمه حاخاماً، ولم يكن هذا يتم إلا في فلسطين، فلم يكن لفظ "راباي" يُطلق إلا على علماء فلسطين، وقد حلت كلمة "راباي" محل "حاخام" في معظم المناطق. ومن الكلمات الأخرى التي تستخدم للإشارة إلى الحاخام في اللغة العبرية كلمة "حبر" وجمعها "أحبار" و"الرباني" وجمعها "الربانيون".

ومع ذلك، فإنه يمكن القول أن هذه الألقاب، وإلى حد ما، قد فقدت مع الزمن المعنى الدقيق لها. وفي الوقت الحالي، أصبح لكل مجتمع تسميته الخاصة به، وإن كان الحاخام أحدها وأبرزها.

وفي النصف الأول من القرن الثاني الميلادي، أثناء حكم الإمبراطور هادريان، عمل هذا الإمبراطور ما بوسعه، للقضاء على كل ما هو يهودي، فقرر التخلص من السنهدرين، وقتل كل من يمارس عملية تنصيب الحاخامات. ومع ذلك، على الرغم من شدة وقسوة ممارسات هادريان الإمبراطور، إلا أن عملية التنصيب، لم تنته قط. وهناك ثلاثة أنواع من التنصيب الحاخامي، وهي: الأول، أن يكون المرشح على علم جيد وقدرة عالية، تمكنه من إعطاء أحكام توراتية، في قضايا القانون الديني، المتعلقة بالحياة اليومية، كالطهارة والصلاة الرئيسية، وكذلك، النشاطات المقبولة والمرفوضة في المناسبات والأعياد. الثاني، أن يكون المرشح على علم جيد وقدرة عالية، تمكنه من إعطاء أحكام توراتية، في قضايا القانون الديني، المتعلقة بالنزاعات المالية، وتلك المتعلقة بالملكية. أما الثالث، أن يكون المرشح على علم جيد وقدرة عالية، تمكنه من إعطاء أحكام توراتية، متعلقة بشعائر المولود البكر للحيوان. ونظراً لأن النوع الثالث مرتبط بالمعبد وبفلسطين، فإنه لم يعد قائماً أيامنا هذه، أما النوعين الأولين، فلا يزالان قائمان.

وفي أوربا، بعد أن ضرب الموت الأسود أوربا، نهاية القرون الوسطى (McKay و Hill و Buckler 41 :2001)، أصبحت هناك مؤسسات دينية تمنح شهادات، تعطي لحاملها

الحق، في إصدار الأحكام والفتاوى التوراتية، في كثير من المجالات الدينية. ونظراً لحيوية وأهمية الحاخام للجماعة اليهودية، كقائد ديني، فلا يوجد تجمع يهودي، دون أن تكون له قيادة دينية (الحاخام)، وذلك، لما يقوم به الحاخام من أدوار، في خدمة جماعته، وهذا ما أكده كوهن (2005: 11) بقوله:

> وخلال الألف سنة السابقة، كان التأثير الذي مارسه الحاخامات حاداً، وعلى مدى أكثر من أربعين جيلاً، فقد وجدت جموع النساء والرجال في هؤلاء الحاخامات، المرشدين الذين برهنت تعاليمهم على فاعليتهم في إنارة العقل، وإثراء جميع نواحي الحياة الروحية.

إلا أن الحاخام ووظيفته وأهميته لجماعته، في التاريخ الحديث والمعاصر، ليست بتلك الأهمية، التي ذكرها كوهن، فينبغي ألا نذهب بعيداً، أو نتصور مركزاً دينياً رسمياً للحاخام، بحيث نجعل منه شخصاً مفوضاً، لممارسة الشعائر الدينية، بحيث لا تقام هذه الشعائر إلا به، وما نجده، هو على العكس من ذلك تماماً، فالحاخام لا يمتلك مثل هذه الوظيفة، أو هذا المركز الديني، فهو لا يختلف عن الإنسان العادي الراشد في جماعته. وببساطة شديدة، فالحاخام ليس أكثر من معلم، فهو أكثر الأفراد فهماً وتعليماً، للشريعة والتقاليد اليهودية (الهلاخاه)، ومهمته تتحدد في تعليم أبناء مجتمعه الصغير (جاليته)، والإجابة على تساؤلاتهم وخلافاتهم حول الهلاخاه.

ونظراً لأهمية الحاخام في الحياة اليهودية، لم تتوقف الأصوات المنادية بأهمية تنصيبه، ولم تختف المحاولات، لإحياء عمليات تنصيب الحاخامات، منذ موسى بن ميمون، وحتى يومنا هذا. والذي يرجع إلى الأدب اليهودي المعاصر، يجد كتابات كثيرة، حول مسألة التنصيب هذه، وخاصة في إسرائيل المعاصرة.

سادساً.. الكتَّاب أو المعلمون (سوفريم)

إن تدوين تاريخ الأمم والشعوب، والحفاظ على التراث، وخاصة الوثائق الدينية، ونقلها للأجيال، من أهم المسؤوليات الجسام، التي تحمَّل البعض مسؤولية القيام بها. وهؤلاء، يتمتعون عادةً بسمات شخصية فريدة، لذا فهم الأكثر حساً وحرصاً على القيام بهذه المسؤولية الإنسانية العظيمة. ومن بين ما يتمتعون به من سمات، ثقافتهم العالية، وقدرتهم على الكتابة. والكتابة لا تتأتى إلا بالتعليم، الذي لا يقل في الأهمية عن الكتابة، وإن كان هو أساساً لها. لذا لا نجد أمة من الأمم، إلا وتوليه الأولوية في الاهتمام.

ولما كان بنو إسرائيل من أوائل الأمم المتدينة، ونظراً لما حل بهم من محن وكوارث، فقد أولوا كل من الكتابة والتعليم أهمية بالغة، فعملوا أثناء فترة سبيهم، على العودة الجادة لتراثهم الديني والثقافي، وانشأوا مقراً لتجمعهم (الكنيس)، الذي أصبح يؤدي، إلى جانب العبادة، وظائف مختلفة، كالتعليم وحفظ التراث؛ ومركز تجمع، ومنتدى سياسياً. ولا يغيب على البال أن جعل الكنيس مركزاً للعبادة قد حدث مؤخراً.

واستجابة لمتطلبات الحياة، كان لا بد لهذا التراث الديني من أن يحفظ، لا في الخزانات أو الصناديق، بل في العقول والصدور أولاً، وفي الوثائق المدونة، وكانت الوسيلة الناجحة لتحقيق هذه الغاية هي الكتابة، ووجود الكتاب المحترفين، وذوي التدريب الجيد، أمر في غاية الأهمية (Saldarini 249 :1988)؛ ويعتبر عزرا الكاتب والكاهن، من أبرز الشخصيات في هذا المجال، فإن لم يكن هناك كتاب ومفسرون، فليس من السهولة بمكان، أن تكون هناك نصوص توراتية.

والتعليم، هنا، يعد أمانة بالغة الأهمية، ويجب أن يضطلع به المؤتمنون على حياة الأمة. وفي مرحلة السبي البابلي، وهي المرحلة العصيبة في تاريخ اليهود، كان لا بد من اختيار أشخاص؛ من ذوي الكفاءة العلمية والدينية، والمشهود لهم بالفطنة، والحرص على مستقبل الأمة، وهم الأمناء على الكتاب المقدس، والذين على كاهلهم تقع مسؤولية تفقيه بني إسرائيل بأحكام وأغراض الدين. ويصفهم كوهن (2005، 16) بقوله:

> ومع مرور الزمن أُلحقت الصلوات بالقراءات المشروحة، بطريقة أصبح الكنيس يدعى "بيت العبادة". أدت هذه الاجتماعات إلى الرغبة الزائدة بدراسة الكتب العبرية، ومن هذه الرغبة في المعرفة وانتشارها بين الجماهير، شُعر بالحاجة الملحة لوجود رجال أكفاء بثقافتهم، ليقوموا بالتعليم. عرف هؤلاء باسم "السوفريم" أو الكتبة. وليس معنى ذلك أنهم كتبة بل "رجال ادب". بعضهم يصنفون في لائحة الدكاترة.

وشكل الكتبة إحدى المجموعات، التي كانت تتمتع بالسلطة والنفوذ، في إسرائيل القديمة، وينتمي معظم أفراد هذه الجماعة إلى الكهنة، أو على أقل تقدير، كانوا على علاقة بالجماعة الكهنوتية. ووفقاً للمشناه، المعلمون هم السابقون على المرحلة الحاخامية، فقد كان لهم سلطة ونفوذاً قويين (Saldarini 1988، 241).

واستمر الكتبة فترة طويلة من الزمن، حتى ما بعد ظهور المسيح عليه السلام، ولم يعهد قط، أن سلطتهم ونفوذهم، خلال هذه الفترة الزمنية الطويلة، قد ضعفت، وذلك، لما كان لهم من قدرات وإمكانات معرفية وفكرية عالية، مما دفع (Saldarini 1988، 249) إلى وصفهم بأنهم كانوا فلاسفة. ومن يمتلك مثل هذه القدرات والإمكانات، لا شك أجدر من غيره بالسلطة

والنفوذ. ليس هذا فحسب، بل كانوا على الدوام من المسئولين الحكوميين المهمين، ومن حاشية الملوك والقادة في المجتمع. وعليه، فقد كانوا يستمدون سلطتهم ونفوذهم، من ناحيتين: الأولى، بما كانوا يقومون به من أعمال جليلة؛ تفسير القانون والإفتاء والتعليم، وكل ما يتعلق بشرح وإيضاح النصوص الدينية. الثانية، من المراكز الرسمية التي كانوا يحتلونها. ومن الطبيعي ألا يكون كل الكتّاب في منزلة واحدة، أو في درجة واحدة من الأهمية والنفوذ، فقد كان منهم من يشغل الدرجات الدنيا، حيث لم تكن أعمالهم تتجاوز تحرير العقود والوثائق للسكان، وسكان المناطق الريفية على وجه التحديد، ومنهم من كان يشغل مكانة وسطى، وآخرون يحتلون المكانة العليا، كل وفقاً لما يقوم به من أعمال، أو ما يسند إليه من مهام.

وإلى جانب الأدوار الدينية الرئيسية والهامة، السابقة الذكر، هناك أدوار دينية أخرى للكتبة، ليست بأقل أهمية عن السابقة، ولكنها لا ترقى إلى درجة التعقيد الواردة في الأدوار الستة الأولى، التي ظهرت عبر التاريخ الطويل لدى بني إسرائيل، وهي:

1. القاضي (الديان)، وهو الخبير في التشريع اليهودي، ومقره المحكمة الكهنوتية، ومهمته القضاء في المسائل المالية، أو الإشراف على إعطاء ورقة الطلاق، ويتم تنصيبه كهنوتياً.
2. المطهر (الموهل)، وهو الشخص الذي يقوم بعملية الختان، وهو خبير في تشريعات الختان، ويتم تدريبه من قبل مطهر مؤهل.
3. الجزار (الشوشيت)، وهو خبير في تشريعات الذبح، وحاصل على تدريب جيد، من قبل جزار آخر، ليس هذا فحسب، بل يجب أن يكون على اتصال دائم بأحد الحاخامات. ويقوم بالمراجعة المستمرة للتعليمات المتعلقة بالذبح. ويعتبر اللحم المذبوح عن طريقه لحماً حلالاً.
4. رئيس اليشيفا، وهو خبير في الغوص في باطن التلمود، ويقوم بإلقاء المحاضرات على طبقة اليشيفا العليا.
5. المشرف الوجداني لليشيفا، وهو خبير في الشؤون الأخلاقية لليشيفا، والمشرف على الشؤون العاطفية والروحية لطلابها، وهو محاضر في المواضيع المتعلقة بالأخلاق.
6. المشرف على الطعام، وهو خبير في التشريعات الغذائية، ومهمته هي الإشراف على كل من التجار ومنتجي الغذاء المباح (الحلال)، للتأكد من التزامهم بالتشريعات الغذائية.

وتلعب الأدوار الدينية هذه، دوراً أساسياً وهاماً، في الحياة الروحية اليهودية، ولا يمكن تخيل ممارسة العبادة بشكلها الكلي المطلوب، دون مساعدة وإرشاد وتوجيه هؤلاء القادة، كل في مجاله، وسوف تزداد أهمية هذه الأدوار وضوحاً، عند الحديث عن باقي أجزاء الدراسة، وعلى وجه الخصوص، العبادات بكل جوانبها وطقوسها ومراسيمها.

الفصل الرابع
العبـــــادات

التوحيد

جبل الإنسان على التدين. ومن هذا المنطلق، كثر حديث الفلاسفة والمفكرين عنه، ولكل منهم رؤيا خاصة به، ومع ذلك، فمعظمهم يعيد مسألة التدين، إلى عجز الإنسان وخوفه مما يحيط به، فقدس أو قل عبد ما يخشاه أو يحبه، وعُرف ذلك بالطوطمية، أو ما هو شائع بين الناس (بالأوثان)، وهذا هو الاتجاه المادي في التفكير. وفي الطرف الآخر، هناك الاتجاه المثالي، الذي يتحدث عن ذات، ذات صفات وسمات خاصة، وهي سبب كل الوجود وسبب ذاتها، ولا سبب لوجودها. وفي الحالتين، تعددت الآلهة وتنوعت، إلى حد يصعب معه الإحصاء.

وبين ذلك الاتجاه وذاك، هناك حديث من نوع آخر، حديث غير بشري، أتى به بشر، ولكنهم لا ينسبونه لأنفسهم، بل لخالقهم الذي يعبدون ولا يعبدون سواه. إذاً، ونحن نتحدث عن العبادات في الديانة اليهودية، فإن أول أمر ينبغي، بل يجب التحدث فيه، هو مسألة المعبود، الذي يتوجه إليه اليهود بالعبادة. وكما سبق وتحدثنا، فإن اليهود جماعة موحدة؛ يعبدون إلهاً واحداً، وينكرون التعدد، فالتوحيد هو أساس عبادتهم. ويعد التوحيد من أشرف وأعلى العبادات، ومن يرد أن يتحدث عن العبادات، فلا يستطيع ولا يمكنه تجاوز الحديث عن التوحيد إلى ما سواه، لأن الأمر لا يستقيم إلا بالحديث فيه. ومسألة التوحيد من المسائل أو القضايا الأساسية في الدين السماوي، وهي قائمة منذ أن خُلق الكون. والشريعة الموسوية لم تخرج قيد أنملة عن مسار الوحدانية، وسار عليها المؤمنون من بني إسرائيل. ومن أولى الإشارات إلى الإله، تلك التي أتت في سفر الخروج(3: 6)، عندما كان موسى بالوادي المقدس، حيث خاطبه ربه قائلاً:

﴿ثم قال: "أنا إله أبيك، إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب".﴾

وهذا ما أكده عثمان (2002: 199) بقوله:

> أخذ الكهنة فكرة التوحيد من الاعتقادات الموسوية. فالله الخالق: خلق الله الإنسان على شبه الله. عمله ذكراً وأنثى خلقه وباركه ودعا اسمه آدم يوم الخلق ... وهو الواحد: "وأنا الرب الذي أخرجك من أرض مصر .. لا يكن لك آلهة أخرى أمامي.

وتوحيد الخالق وإفراده بالعبادة قد ورد في مواقع كثيرة من التوراة؛ فقد جاء في سفر التثنية (6: 4 - 6) ما نصه:

﴿"اسمع يا إسرائيل: الرب إلهنا رب واحد. فتحب الرب إلهك من كل قلبك

ومن كل نفسك ومن كل قوتك".﴾

فالتوحيد هنا، هو إفراد الرب بالعبادة. ولا يجوز أن تكون موحداً ولك إله آخر، مهما كانت التسميات أو الصفات، التي يمكن أن تُطلق عليه، لتبرير فعل عدم التوحيد، كأن يتخذ المرء صنماً أو تمثالاً لتجسيد الرب. فقد جاء في سفر الخروج (32: 1 - 28) كيف غضب الله من شعب إسرائيل، عندما صنعوا لهم عجلاً وعبدوه، فكانت عقوبة ذلك، أن أمر موسى بقتل ما يقرب من ثلاثة ألاف فرد من قومه، ونص الآيتين الأولى والأخيرة هو.

﴿(1) ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل، اجتمع الشعب على هارون وقالوا له: "قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا، لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر، لا نعلم ماذا أصابه" ... (28) ففعل بنو لاوي بحسب قول موسى. ووقع من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل﴾

وعلى المؤمن بربه أن يشهد بوحدانيته، والشهادة التي ينطق بها اليهود هي: (אדני אלהינו אדני אחוד)، ومعناها: "الرب إلهنا رب واحد ... والشهادة هي توحيد الله ... الذي لا يسمح بتصويره مادياً" (الموحي 2007 :77). ولأن الشهادة من أعظم العبادات، فلا يقولها اليهودي استخفافاً، أو دون تبجيل للرب، كما ينبغي له أن يُبجل، فعلى اليهودي قبل أن ينطق بها، أن يتلو دعائين: الأول، يمجد الله فيه والملائكة. وفي الثاني، يمجد الله، لأنه أعطاه الوصايا العشر، والتعاليم الواردة في التوراة (الموحي 2007 :77).

وحتى لا يضل بنو إسرائيل، ولا ينسوا توحيد الله، فقد أُمروا أن يجعلوا على أبواب بيوتهم تمائم تذكاراً للتوحيد، فقد جاء في سفر التثنية (6: 8-9):

﴿"واربطها علامة على يدك، ولتكن عصائب بين عينيك، واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك".﴾

وقد ورد تحريم اتخاذ التماثيل والأصنام في سفر التثنية (4: 15-19) ما نصه:

﴿(15) فاحتفظوا جداً لأنفسكم. فإنكم لم تروا صورةً مَّا يوم كلمكم الرب في حوريب من وسط النار. (16) لئلاً تفسدوا وتعملوا لأنفسكم تمثالاً منحوتاً، صورةً مثال مَّا، شبه ذكر أو أُنثى، (17) شبه بهيمة مَّا مما على الأرض، شبه طير مَّا ذي جناح مما يطير في السماء. (18) شبه دبيب مَّا على الأرض. (19) ولئلا ترفع عينيك إلى السماء، وتنظر الشمس والقمر والنجوم، كل جند السماء التي قسمها الرب إلهك لجميع الشعوب التي تحت كل السماء فتغتر وتسجد لها وتعبدها﴾

وجاء في سفر الخروج (20: 2 - 5):

﴿(2) أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية. (3) لا يكن لك آلهة أخرى أمامي. (4) لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً، ولا صورة ما مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض. (5) لا تسجد لهن ولا تعبدهن. لأني أنا الرب إلهك إله غيور ...﴾.

كما جاء في نفس السفر (20: 22-23)

﴿(22) فقال الرب لموسى: "هكذا تقول لبني إسرائيل: أنتم رأيتم أنني من السماء تكلمت معكم (23) لا تصنعوا معي آلهة فضة، ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب﴾

لذا لم يعهد قط أن وجدت التماثيل والأصنام في المعابد اليهودية. ليس هذا فحسب، بل لم يكن من عادة اليهود، وضع أي صور في معابدهم، وذلك، لأنهم كانوا يتجنبون ما يُشتم منه عبادة الأوثان (سعفان 2000 :44).

ويقتضي التوحيد، والشهادة بوحدانية الخالق، انصياع المخلوق لمشيئة خالقه، والعمل بمقتضى أوامره واجتناب نواهيه. وأول ما أمر به الرب الإنسان، هو عبادته دون سواه. وتتخذ العبادة صوراً كثيرة؛ منها ما هو واجب، ومنها ما هو مستحب، وأهم وأبرز واجبات العبادة هو الصلاة والصيام والحج والزكاة. وسوف نفصل الحديث فيها على النحو التالي.

الصـــلاة

أصل وتاريخ الصلاة اليهودية

لقد كتبت كثيراً وقرأت أكثر، ولكني لم أقف قط، وأنا أهم بالكتابة أو أثناء الكتابة، موقف الشك والفتور، فيما أنوي أن أكتبه، وفي هذا الجزء بالذات. فعجيب أمر الإنسان (الكاتب، الباحث)، إنه كثيراً ما يصاب بلواعج نفسية كثيرة؛ كالحيرة والقلق والتردد وإعمال الذهن، ومحاولة الولوج في ذهن القارئ، الذي يكتب له، عندما يريد التحدث في أمر أو موضوع عام، أو قل موضوع من المواضيع المتعارف عليها بين الناس، والتي تدخل في دائرة البديهيات، إلى درجة أنها أصبحت جزءً منهم، ولا تحتاج إلى تعريف لبيانها أو إيضاحها، فهي جلية واضحة بما فيه الكفاية، كموضوعنا هذا (الصلاة). ومع ذلك، وعلى الرغم من كل ما ذكرته، وما يفكر فيه القارئ، فإني أشعر بالتقصير إن لم أخض بالحديث، عن كل وجه من وجوهها.

فالصلاة هي العلاقة الروحية الفردية، الخالصة الصادقة النقية الكاملة، المفعمة بالخضوع والتذلل، المنزهة عن المن، بين العبد وخالقه. أو قل إنها التوجه للتواصل الكلي، بالكلمات أو الترانيم أو التوسل أو التضرع أو الابتهال إلى التواصل مع الإله الخالق، بقصد

العبادة والإقرار بالذنب، وطلب الهداية والمغفرة (Dorff 1977: 205). وتعد الصلاة بهذا المفهوم، من أعظم وأرفع التقاليد الروحية للإنسان. أما معنى الصلاة، أو المقصود بكلمة صلاة عامة، أو معناها لدى اليهود، فقد أتى من الفعل العبري للصلاة (התפלל هتفلل) بمعنى القاضاة، أو المحاكمة؛ كأن يحاكم المرء نفسه. فقد جاء على لسان المؤرخ المعروف جواد علي، في كتابه تاريخ الصلاة في الإسلام، حيث يقول:

> وكلمة الصلاة جاء أصلها من اللغة الآرامية. ومادتها (ص. ل. أ) (صلا) ومعناها ركع وانحنى، ثم استعملت في التعبير عن الصلاة، بالمعنى الديني المعروف، ثم استعملها اليهود، فأصبحت لفظة آرامية عبرانية (الموحي 2007: 74).

ودلالة معنى الصلاة، الذي ذكره جواد علي في تعريفه لها، يقصرها على الحركات الجسمية، التي يقوم بها العبد، وهي بهذا المعنى تكون قريبة العهد، إذ أتت مرتبطة باللغة الآرامية، في حين أنها ، مجردة من جانبها الشكلي، تعد من الممارسات الإنسانية، منذ بدء الخليقة. فالصلاة، كأحد أشكال العبادة، تأخذ أشكالاً عدة: فقد تكون ترتيلاً أو ترنيماً أو مناجاةً أو تضرعاً أو تعويذاً أو كلاماً مباشراً، أو غيرذلك، من الأشكال المعلومة أو غير المعلومة.

وما يهمنا، هنا، في المقام الأول، هو الصلاة في شريعة موسى (عليه السلام)، أو قل الصلاة في الشريعة اليهودية. ونحن عندما نتحدث عن الصلاة في شريعة موسى أو في الشريعة اليهودية، علينا أن نميز بين أمرين يسيران معاً فيها، وهما: تقديم الأضاحي، والصلاة. وتقديم الأضاحي، هو إقرار منا بخلق الله لنا، أي لمجرد الوجود. أما الصلاة، فهي استمرارية تقديسه وتمجيده والإقرار أو الاعتراف بعظمته وقدرته، لما يأتي بعد فعل الخلق. وهذا عين ما ذكره الموحي (2007: 74) عنها بأنها: "ضرورة روحية يستطيع من خلالها المتعبد مخاطبة خالقه، وطلب الانتماء إليه بالغفران والتوبة، ويعبر من خلالها عن شكره على النعم الربانية كما يعبر فيها عن عظمة ربه وجبروته". ونحن نتساءل هنا، متى بدأت، وكيف كانت بدايتها، وما الشكل الذي اتخذته، وأين كانت تؤدى، وغيرذلك من الأسئلة، التي سنحاول الإجابة عليها، في السطور القليلة التالية.

وبعد البحث في البدايات الأولى للصلاة، في التشريع الموسوي، ومعرفة ما إذا كانت قد أخذت طابع صلاة الآباء الأوائل، واستمرت على ذلك النحو، أم أنها بدأت بداية مختلفة، واستمرت على ما هي عليه أم تغيرت، تبين أن ذلك من الأمور، التي يكتنفها شيء من التعقيد. فالمسار الديني لبني إسرائيل، لم يكن سهلاً ويسيراً، فقد اعترضته كثيرمن الصعوبات الداخلية والخارجية؛ فمن الناحية الداخلية، حدثت حركات عصيان وتمرد كثيرة على الشريعة من قبل أبناء الملة، والعودة إلى الشرك وعبادة الأوثان، وقتل الأنبياء والحكماء، وظهور أنبياء كذبة بالمئات، كما ظهرت خلافات فقهية في الوسط اليهودي، مما أدى إلى تكون طوائف وفرق دينية

متعددة، ادعت كل طائفة أو فرقة منها سلامة نهجها وفساد نهج الفئات الأخرى.

أما فيما يتعلق بالناحية الخارجية، فقد تعرض بنو إسرائيل، لكثير من الغزو والتشريد والتشتيت والسبي، والانتقال من بلد إلى بلد، والإكراه على عدم الالتزام بالتعبد بالطريقة الموسوية وإتباع طريقة الحكام والجبابرة في العبادة. كل ذلك، لا شك، قد أثر، في اعتقادي على الأقل، على شكل الصلاة، ولكنه لم يغير من مضمونها. ونحن، هنا، في حديثنا عن الصلاة في الشريعة الموسوية، نجد أن هناك، من يرى، بأنها بدأت في فترة مبكرة من التاريخ اليهودي، إبان الفترة التوراتية، وكانت سمتها البارزة هي التلقائية (Ciaravino 2001 ؛ 60)، بينما هناك، من الباحثين، في تاريخ التشريع اليهودي، من يرى بأنها بدأت قبل ذلك بكثير، وأعادوها إلى بداية خلق الكون، (الموحي 2007 ؛76)، وهذا الرأي ليس بمستبعد، خاصة إذا كان الأمر يتعلق بعبادة الواحد الأحد.

وسواء كانت البداية قديمة، أم مع سيدنا موسى، أم بعده، فإن أول كتاب مقدس هو الكتاب الذي أتى به موسى، وفيه سنبحث عن الصلاة؛ وإن كنت أتوقع، سلفاً، بأني وإن وجدتها فسأجد محتواها وماهيتها، ولن أعثر فيه على كيفيتها، فالكيفية يخبرنا بها أتباع سيدنا موسى، ومن أتى بعدهم من الكهنة والحكماء. وتطالعنا التوراة، ومن خلال عدد من الأسفار، وفي عدد من الإصحاحات، وعدد من الآيات، بإشارات كثيرة إلى الصلاة، وصلاة الآباء الأوائل، وصلاة موسى على وجه التحديد، فقد جاء في

- سفر التكوين (8 ؛ 20) ما نصه :

﴿وبنى نوح مذبحاً للرب. وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح﴾

كما يذكر سفر التكوين، جملة صلوات متفرقة وعبادات، ويذكر الضحايا والقرابين، التي يجب أن يقدمها اليهودي للإله (المسيري 2005 ؛ 62).

- سفر الخروج (32 ؛ 11 - 14) :

التضرع للرب للصفح عن خطأ الشعب باتخاذهم العجل.

- سفر الخروج(3 ؛ 1 - 22) : صلاة العليقة الملتهبة؛ عندما كلم الرب موسى من وسط النار وأرسله إلى فرعون.
- سفر الخروج(4 ؛ 1-8) : كلام موسى مع ربه، وتوسله إليه، بأن يرسل إلى هارون، لأنه أقدر منه على الكلام.
- سفر التثنية (3 ؛ 23-26) : تضرع موسى للرب، ليريه أرض الميعاد، فحرمه من عبور الأردن، عقاباً لعصيان الشعب.

يتضح من هذه الآيات، أن صلاة موسى، ومن سبقه من الأنبياء، كانت تضرعات وتوسلات للرب، بالعفو والمغفرة، وكذا تقديم الأضاحي والقرابين، وتقديمها لا يكون عفوياً، بل في مكان

مخصص يسمى المذبح، وقد ورد ذكره في آيات كثيرة، وأمر الرب موسى ببنائه هو والخيمة. وهذه الآيات، وغيرها كثير، لا تتحدث صراحة عن الصلاة، ولكنها تشير إلى كيفية تقديم الشكر للرب. ومع ذلك، فقد وردت عبارة السجود في سفر الخروج (32: 7-8) في الآية التي ذكرت سجود الشعب للعجل، حيث جاء:

﴿قال الرب لموسى: "اذهب انزل. لأنه قد فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر. زاغوا سريعاً عن الطريق الذي أوصيتُهم به، صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً، وسجدوا له وذبحوا له وقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر"﴾.

هذه الإشارة المباشرة للسجود، وهي أحد أشكال أو حركات الصلاة، لتدل دلالة أكيدة على أن الصلاة كانت قائمة، وإن لم تذكر نصاً، وهذه هي مهمة الأنبياء والمرسلين، الذين يعلمون الناس العبادة وأشكالها وطرقها، فقد ورد في سفر دانيال (6: 10) ما يؤكد عملية السجود؛ ونص الآية

﴿"فلما علم دانيال بإمضاء الكتابة ذهب إلى بيته، وَكُوَّاهُ مفتوحة في عُلِّيَّه نحو أورشليم، فجثا على ركبتيه ثلاث مرات في اليوم، وصلى وحمد قدام إلهه كما كان يفعل قبل ذلك"﴾.

وأمر آخر ذكرته آيات التوراة، هو اقتران السجود بتقديم الأضاحي. فقد ورد في سفر الخروج (32: 5-6)، بعد أن فرغ هارون من صُنع العجل الذهبي، قول الرب:

﴿ فلما نظر هارون بنى مذبحاً أمامه، ونادى هارون وقال: "غداً عيد للرب". فبكروا بالغد وأصعدوا وقدموا مُحرَقات وقدموا ذبائح سلامة، وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب﴾.

إلا أن علماء التلمود، لم يأخذو بهذا التلازم باعتباره دليلاً على أن الصلاة مقرونة بتقديم الأضاحي.

وطالما أن الصلاة قد اتخذت شكل التوسل والتضرع والرجاء والدعاء للرب، فهناك ميل شديد لاعتبارها مقرونة بتقديم القرابين والأضاحي، وليست منفصلة أو مستقلة عنها، وقد أمر الرب بتقديم الأضاحي والقرابين، ولم يأمر بالصلاة، وإن كان التلمود قد أكد، في أكثر من موضع، بأنها واجب ديني ورد نصه في التوراة، واستدل على ذلك بنص في سفر التثنية (11: 13)، وهذا النص هو:

﴿ "فإذا سمعتم لوصاياي التي أنا أوصيكم بها اليوم لتحبوا الرب ألهكم وتعبدوه من كل قوبكم ومن كل أنفسكم"﴾.

والنص كما هو واضح يأمر بالعبادة وليس بالصلاة، والعبادة أشمل وأعم من الصلاة، وعليه، فإن الأمر بالصلاة لم يذكر صراحةً، وهذا ما أكده أستاذ الديانة اليهودية، في جامعة

(هيروبوتيون)، بولاية أوهايو الأمريكية (صموئيل . س. كوهون)، (الذي) يرى أنه لم يرد في التوراة أمر صريح بالصلاة، لأن وضع العبادات التقليدي في العهد القديم، كان مصحوباً مع تقديم الذبائح والقرابين" (الموحي 2005: 78).

ويجب ألا ننسى، ونحن نتحدث عن الصلاة، أنه ليس بالضرورة، أن يأتي ذكرها صراحة في التوراة، فيكفي أن تذكر إجمالاً تحت مفهوم العبادة، والأنبياء (موسى) هم من يقوم بتعليم أقوامهم، كل ما يتعلق بالعبادة؛ من حيث طرقها ومراسيمها وطقوسها وواجباتها ومحظوراتها، وغيرذلك من الأمور المتعلقة بالعبادة، وخاصة الصلاة. كما ينبغي أن نعلم أن العبادة (الصلاة) بشكلها الحالي، لم تكن قائمة قبل تدمير المعبد، وأنه تم الاستعاضة بها بعد التدمير، وفي فترة السبي تحديداً. وهذا العمل لم يكن اعتباطاً، بل كان قائماً على أسس دينية توراتية صرفة، كما سيتبين.

وقبل مواصلة الحديث في أمور كثيرة في الصلاة، ينبغي أولاً بيان ما إذا كانت الصلاة واجب ديني أم لا، وإذا كانت واجبة، فما عددها، وما أوقاتها. وعليه، ينبغي أن نعلم، من حيث المبدأ، أن الدين، يتطلب العبادة (الصلاة)، وهذا ينطبق تماماً على الديانة اليهودية، فقد ورد في سفر التثنية (11: 13)

﴿ "فإذا سمعتم لوصاياي التي أنا أوصيكم بها اليوم لتحبوا الرب ألهكم وتعبدوه من كل قوبكم ومن كل أنفسكم" ﴾.

وذكر التلمود، وهو المعتمد الأول، في تفسيرهذه الآية، أن الصلاة فرض توراتي، وأكد ذلك موسى بن ميمون. والأمر غير الوارد توراتياً، بالنسبة له، هو عدد الصلوات وزمن أدائها. وما يجب التنويه إليه، وفقاً لهذا السياق، هو أن الصلاة كانت فردية وتلقائية، وكان المرء (اليهودي) يتضرع لربه ويشكره، كلما شعر بالحاجة إلى ذلك (Ciaravino 2001: 60)، ولم تتخذ الصلوات شكلها الرسمي، من حيث عددها، وزمن أدائها، إلا في زمن متأخر، في العهد الحاخامي (التلمودي)، فأصبحت الصلاة مُمأسسة، وغاب عنها الطابع الشخصي، هذه الصياغة الجديدة للصلاة، حولت الصلاة من تعبير تلقائي وشخصي غير محدد، إلى ممارسة عامة مقننة ومؤسسية، تشكل تحول رئيسي من التقاليد التوراتية إلى التقاليد الحاخامية (Hartman 2003: 105)

وقد بنى علماء التلمود، هذا التحديد العددي للصلوات، وزمن أدائها، استناداً إلى أمرين: الأمر الأول، وفقاً لقواعد منطقية وعقلانية، تتمتع بالدقة والحصافة؛ فاعتمدوا على صلوات الآباء: إبراهيم وإسحاق ويعقوب. ونجد تأكيداً لما ذهب إليه علماء التلمود، ما جاء في صلاة سيدنا داود الواردة في مزمور(55: 16 - 17)، ونصهما:

﴿ (16) أما أنا فإلى الله أصرخ، والرب يخلصني. (17) مساءً وصباحاً وظهراً أشكو وأنوح، فيسمع صوتي. ﴾

وهناك تأكيد آخر على عدد الصلوات، جاء في سفر دانيال (6: 10)، ونص الآية:

﴿فلما علم دانيال بإمضاء الكتابة ذهب إلى بيته، وكُواهُ مفتوحة
في عُلِّيِّه نحو أورشليم، فجثا على ركبتيه ثلاث مرات في اليوم،
وصلى وحمد قدام إلهه كما كان يفعل قبل ذلك﴾

الأمر الثاني، اعتمدوا تحديد زمن هذه الصلوات، وفقاً لأوقات تقديم القرابين، في المعبد في أورشليم، والتي كانت تقدم ثلاث مرات في اليوم والليلة: في الصباح، وفي بعد الظهر، وفي المساء. وكانت القرابين والأضاحي تقدم، وفقاً لشروط محددة، ولا تُقبل إلا إذا قدمت في مكان بعينه. وكذلك الصلاة، فإنها لا تتم ولا يطمع المرء في قبول الله لها، إلا إذا أُديت وفقاً لشروطها وواجباتها وأماكن أدائها، وبالطبع وفقاً لنوع الصلاة.

أنواع الصلاة

تعتبر الصلاة، من قواعد أو أسس الإيمان الأساسية، ولا يمكن تصور إنسان متدين لا يُقيمها. ولا يمكن تصور أي دين، سماوي أو بشري، لا يأمر منتسبيه بالعبادة، وأبرز أنواع العبادات هو الصلاة. وتختلف الصلاة، من حيث طبيعتها وشكلها والتوجه فيها، باختلاف الديانات. والصلاة في شريعة موسى (الديانة اليهودية)، تختلف من حيث النوع والشكل، وذلك على النحو التالي:

- الصلاة المفروضة (الصلاة الجماعية والصلاة الفردية).
- الصلاة المستحبة.

وسوف نتحدث، في السطور التالية، وبشيء من التفصيل عن كل منها.

الصلاة المفروضة

إن السمة الأساسية، التي يتسم المؤمنون بها، هي عدم الانقطاع عن الله، ويترجم عدم الانقطاع عن الله هذا، على وجهين: الوجه الأول، يتمثل في تقديم جزيل الحمد والشكر لله، على ما أنعم به عليه من النعم، وأحد أشكال هذا الحمد، المحافظة على الصلاة، والإكثار منها، لأنها أعلى درجات العبادة، (كوهن 2005: 141). أما الوجه الثاني، فيتمثل في مخافة المتدين من ربه، مما قد يقترفه من الذنوب والخطايا، عن قصد أو دون قصد، فيسارع المؤمن إلى الرجوع إلى الله والتوبة إليه، وأبرز أشكال التوبة والرجوع إلى الله، هو الاستغفار والإكثار من الصلاة. لذا تعد الصلاة، بالنسبة لليهود المتدينين، تجربة دينية يمارسونها كل يوم، بل يكادون يمارسونها في كل ساعة، ولم يكونو يَطعمون طعاماً، دون أن يتلوا دعاءً قصيراً قبله، ويتلون كذلك، صلاة الشكر في نهايته (سعفان 2000: 44). ونظراً لأهمية الصلاة، فقد فُرضت على اليهود. والصلاة المفروضة تؤدى إما جماعية أو فردية. والصلاة الجماعية أو المشتركة، لها

الأهمية والأفضلية على الصلاة الفردية. ومع ذلك، فإن لتاريخ اليهود تأثير على نوع صلاتهم، وطريقة أدائهم لها.

لقد اتسمت حياة اليهود، وخاصة من الناحية التاريخية والإثنية والسياسية والدينية، بعدم الاستقرار، الأمر الذي جعل الحديث عن صلاتهم، من الأمور المعقدة نوعاً ما، ومن حيث المبدأ، فإن حياة اليهود تنقسم في الأساس إلى قسمين، أو واقعين أساسيين: واقع قبل فترة السبي البابلي، وواقع آخر بعد السبي. ولهذا التقسيم دلالته في موضوع الصلاة، وفرضها على وجه التحديد، والقراءة في التوراة، تشير، أحياناً، في بعض المواضع، إلى أن الصلاة صلاتين، وفي مواضع أخرى، تشير إلى أن الصلاة ثلاث صلوات، ولفقهاء الديانة اليهودية فهمهم وتفسيرهم لهذه الآيات. ومع ذلك، ففيما يتعلق بالصلاة قبل السبي، نجد الإشارة إليها، قد وردت في سفر الخروج (29: 38 - 39) بما نصه:

﴿ وهذا ما تقدمه على المذبح: خروفان حوليان كل يوم دائماً. الخروف الواحد تقدمه صباحاً، والخروف الثاني تقدمه في العشية.﴾

أي أنهم كانوا يؤدون الصلاة مع تقديم القرابين، وكأن الشعيرتين شعيرة واحدة (الموحي 2007: 67). وهذا يدل على أن الصلاة المفروضة كانت صلاتي الصبح والمساء.

وتؤكد أسفار التوراة، أن الأنبياء كانوا يصلون أكثر من صلاتي الصبح والمساء، فقد كانوا يؤدون ثلاث صلوات في اليوم والليلة، وهذا ما أكده الموحي (2007: 79) بقوله: فإبراهيم عليه السلام وأولاده وأحفاده، فرضوا الصلاة بأوقاتها الثلاثة (الصبح والعصر والليل)، ويؤكد هذا الرأي ما ورد في المزمور (55 :17-16)، على لسان داود عليه السلام:

أما أنا فإلى الله أصرخ، والرب يخلصني. مساءً وصباحاً وظهراً أشكو وأنوح، فيسمع صوتي.

وأعتقد أنه لا تعارض، بين القول بفرض صلاتي المساء والصباح، والقول بوجود ثلاث صلوات، فلو تأملنا الصـــلاة اليهودية أثناء وجود الهيكل، لوجـــدنا بأنها كانت مرتبطـــة بتقديم القرابين، وهذا أدعى إلى دمج الصلاتين: صلاة الظهيرة مع صلاة المساء في صلاة واحدة، هي صلاة المساء، وذلك للتقارب الزمني بينهما، من ناحية، وحتى يتسنى تقديم القرابين في وقت أكثر مناسبة، من ناحية ثانية. وهذه الرؤية تجد صداها في قول (2010 :20 Hoffman) عند حديثه عن الصلاة المفروضة على اليهودي، بعد أن ذكر أن الصلوات الواجبة عليه، هي ثلاث صلوات في اليوم والليلة: صلاة الصبح وصلاة نصف النهار وصلاة المساء، حيث قال: ولغرض المناسبة، (ظروف العمل في المجتمع الغربي خاصة) فإنه يتم جمع الصلاتين الأخيرتين: واحدة قبل حلول الظلام، والأخرى مباشرة بعد غروب الشمس.

وتقترح مصادر توراتية، أن الملك داود والنبي دانيال، قد صليا ثلاث مرات في اليوم.

وتعتبر اليهودية الأرثوذكسية أن الهلاخا (القانون اليهودي)، يفرض على الرجال ثلاث صلوات في اليوم. وعلى الرغم من تأكيد العالم اليهودي الشهير، وأبرز مدوني القانون اليهودي، في العصور الوسطى، موسى بن ميمون، على أن التوراة تؤكد، بأن الصلاة المطلوبة هي مرة واحدة في اليوم (Ciaravino 2001 : 61)، إلا أنه يكاد أن يكون هناك إجماع بين المؤرخين والكتاب، على أن عدد الصلوات المفروضة على اليهود، هو ثلاث صلوات في اليوم والليلة، وأن وقت أداءها متزامن مع وقت تقديم الأضاحي (Forta 1995 : 86). وقد أورد التلمود سببين لوجود ثلاث صلوات رئيسية في اليوم والليلة :

1. وفقاً لوجهة النظر العامة، التي تتبناها اليهودية الأرثوذكسية، فإن كل صلاة اعتمدت لتلائم كل وقت كانت تقدم فيه الأضحية، في المعبد في أورشليم : الصباح مع الصباح، وبعد الظهر مع بعد الظهر، والمساء مع المساء.
2. بناءً على رأي أحد الحكماء، الذي يقول : إن كل ملك فرض صلاة واحدة؛ فإبراهيم فرض صلاة الصبح، وإسحاق فرض صلاة بعد الظهر، ويعقوب فرض صلاة العشاء، وهذا الرأي مدعم بنصوص توراتية، تشير إلى أن الآباء (الملوك)، قد صلوا في الأوقات المشار إليها. ليس هذا فحسب، بل إنه ووفقاً لهذه الرؤيا، فإن الوقت المحدد لإقامة الصلاة، يستند في الأساس على الأضحيات.

ويؤكد النص السابق، الذي يورد الرؤيا الأرثوذكسية، ما أشرنا إليه سابقاً، من أن الصلاة كانت تؤدى ضمناً مع تقديم القرابين، أثناء وجود المعبد. ولكن وبتهديم نبوخذ نصر للمعبد، لم يكن بوسع بني إسرائيل تقديم القرابين، ولم يكن بوسعهم أيضاً، ممارسة الصلاة الجماعية، وفقاً لطقوسها وشروطها، التي يقومون بها الآن. ولم تتضح معالم الصلاة اليهودية إلا بعد حين، وهناك من يرجعها إلى فترة متأخرة، إلى ما بعد السبي، عندما تأسست أماكن العبادة (الكنيس) (الموحي 2007 :78)، وبهذا، أصبحت الصلاة الواجبة على اليهودي بديل للقربان، الذي كان يقدمه للإله أيام الهيكل، وعلى اليهودي أن يداوم على الصلاة، إلى أن يعاد بناء الهيكل (المسيري 2005 : 62). وسوف نتحدث عن كل صلاة من هذه الصلوات فيما بعد.

الصلاة المستحبة

إن وقت المؤمن كله صلاة، والمقصود بالصلوات المستحبة هنا، الصلاة غير الطقسية، غير المفروضة، والتي يحب العبد أن يتقرب بها إلى خالقه. ولليهود صلوات مستحبة كثيرة ومتنوعة، يذكر منها كل من الموحي (2007 : 91 - 92) وكوهن (2005 : 136)، الصلوات التالية :

- صلاة الغفران : ويؤديها الكاهن الحاخام في المعبد، مع كاهنين آخرين، ليلة يوم الغفران، مرة واحدة في السنة، ويحتل هذا اليوم، مكانة بارزة في تاريخ الفكر اليهودي، فهو عندهم يوم الأيام، ويوم التكفير عن الذنوب، ومدته عشرة أيام، وتبدأ الصلاة بدعاء (الكل يدعو

الله).

- صلاة القمر الجديد: وتتلى في إحدى ليالي الأسبوع الثاني، من كل شهر، ويتوجهون بالكلام إلى القمر، إذ يكررون فيها ثلاثاً، القول (لتكن طالعاً سعيداً لنا ولكل إسرائيل، مبارك مصورك، مبارك صانعك)، ثم يرتفع المصلون، كأنهم يقصدون القفز، ويقولون (كما أننا نحاول أن نلمسك هكذا، ليت كل الذين يقفون نحونا ليضروا بنا، لا يقدرون أن يلمسونا).
- صلاة يوم السبت: ويرتلون فيها، (البسماح حقادا) تُقترن بمعنى العيد، ويشترطون لإقامتها، حضور عدد مناسب من المصلين والأيتام في الدار.
- صلاة عيد شفوعوت: وهو عيد يأتي بعد عيد الفصح بسبعة أسابيع يوم (6) جوان، والحتفال به يعبر عن مناسبة نزول التوراة في جبل سيناء، وقديماً كانوا يحتفلون به، بمناسبة يوم الحمد، إذ يقرؤون في صلاتهم الوصايا العشرة ... حيث يقومون بشرحها وتبيان مغزاها. .
- صلاة عيد المظال (السوكوت): ويحتفلون به في يوم (5 تشرين)، ويستخدمون أوراق الأشجار أو السعف، ليعيشوا تحته يوماً كاملاً، أما الآن، فيكتفون بإقامة عرش رمزي في منازلهم، يشيرون إليه أثناء الاحتفال بأغصان الأوراق.
- صلاة العشاء الخاصة بافتتاح عيد الغفران (يوم كيبور): المعروفة باسم (كل ندري)، وهي تدعو إلى طلب الغفران من الله لليهودي الذي لم يستطع الوفاء بالوعود، التي قطعها على نفسه، وطالب الغفران عند تلاوته (كل ندري)، يقوم إلى جواره اثنان من علية القوم، وينطقان بالقسم الذي وقع كما لو أنهما في محكمة الأحوال الشخصية.
- صلاة الاستيقاظ من النوم: وفيها يتم ذكر ما يقال، عند الاستيقاظ من النوم، وهو: "يا إلهي. الروح التي وهبتني إياها نقية طاهرة خلقتها معي وفي داخلي نفختها فيَّ؛ تحفظها معي وفي داخلي، ستستعيدها، ولكن ستعيدها لي فيما بعد. مادامت الروح معي وفي داخلي، سأوجه إليك الشكر أيها الأزلي، إلهي، إله آبائي، رب العالم، سيد جميع الأرواح. ليمجد اسمك أيها الرب، يا من يعيد الأرواح إلى أجساد الموتى".
- صلاة السفر: وهي "لتكن إرادتك ياربي وإلهي، بأن تقودني إلى السلام، وتوجه خطايَ بأمان، وتحفظني بسلام، من كل عدو أو مكيدة على طريقي، امنحني البركة على ما تصنعه يداي، وامنحني نعمتك ومحبتك، وانظر إليَّ بعين عطفك، وعين كل من يروننني، لتكن ممجداً يا رب، يا من يصغي لصلاتي".

شروط الصلاة

يقصد بشروط الصلاة، هنا، الخطوات، التي يجب على المؤمن (المصلي) أن يتبعها قبل أن يقدم عليها، وهي متعددة ومتنوعه، ومنها ما لا تتم الصلاة إلا به، ومنها ما هو مستحب القيام

به. وأبرز أنواع السلوكيات، التي تعتبر الأساس لكل عمل يليها، هي الطهارة، والتي سنتحدث عنها في بداية حديثنا عن الشروط الواجب إتباعها لتأدية الصلاة.

1. الطهارة

يقود الحديث عن الطهارة، بطريق مباشر أو غير مباشر، إلى ذكر النجاسة، والنجاسة تنقسم في الشريعة الموسوية إلى قسمين رئيسيين: القسم الأول، هو نجاسة الروح. والقسم الثاني، هو نجاسة البدن. ونجاسة الروح تكون في أكثر من حال؛ كالزنى، فقد جاء في سفر اللاويين (18 : 20)، ما نصه: ﴿ ولا تجعل مع امرأة صاحبك مضجعك لزرع، فتتنجس بها ﴾. أو القتل العمد، فقد جاء في سفر الخروج (9 : 6) ما نصه:

﴿سافك دم الإنسان بالإنسان يُسفكُ دمه. لأن الله على صورته عمل الإنسان﴾

أو عبادة الأوثان، فقد كان جزاء عبدة العجل الذهبي هو القتل. أو تنجيس مسكن الرب، فقد جاء في سفر العدد (19 : 13) ما نصه:

﴿كل من مس ميتاً ميتة إنسان قد مات ولم يتطهر، ينجس مسكن الرب. فتقطع تلك النفس من إسرائيل ...﴾

ولا تزول النجاسة في هذه الحالات، ولا يطهر منها مرتكبها، إلا بالإزالة من وسط الشعب، أي أن العقوبة، هنا، هي الموت.

أما نجاسة البدن، فتزول بطقوس ومراسيم، حددتها الشريعة بكل عناية ودقة، وسيتم الحديث عنها ضمناً، أثناء الحديث عن الطهارة.

وكما كان الحال في تقسيم النجاسة إلى قسمين، فكذلك هو الحال في الطهارة، فهي الأخرى تنقسم إلى قسمين: الطهارة الكبرى، والطهارة الصغرى. والطهارة الكبرى، قد ذُكرت في الشريعة الموسوية، في أربع حالات، هي:

- التطهر من النجاسة الناتجة من مس جثة ميت وفقاً للآية الواردة في سفر العدد (19 : 11) ونصها:

﴿(11) من مس ميتاً ميتة إنسان ما، يكون نجساً سبعة أيام. (12) يتطهر به في اليوم الثالث، وفي اليوم السابع يكون طاهراً. وإن لم يتطهر في اليوم الثالث ففي اليوم السابع لا يكون طاهراً. ﴾

- التطهر من نجاسة ما يفرزه الجسد (السيلان)، جاء في سفر اللاويين(15 : 1 - 15)، ونص الآية الأولى هو:

﴿وكلم الرب موسى وهارون قائلاً: "كلما بني إسرائيل وقولا لهم: كل رجل يكون له سيل من لحمه، فسيله نجس ﴾.

ويكون الشخص في هذه الحالة نجس منجس، ومدة نجاسته ومن نجسه إلى المساء بعد

التطهر.

- تطهر الأم بعد ولادتها. بعد انقضاء أيام النجاسة. جاء في سفر اللاويين(12 : 1-2) ونص الآيتين هو:

﴿(1) وكلم الرب موسى قائلاً: (2) "كلم بني إسرائيل قائلاً:
إذا حبلت امرأة وولدت ذكراً، تكون نجسة سبعة أيام. كما في أيام
طمث علتها تكون نجسة.﴾

- التطهر من الأمراض الجلدية المعدية (البرص)، ذكر في سفر اللاويين(14: 1 - 31) في أربعة عشر، آية كيفية تطهر الأبرص، وما يجب عليه من تقدمات، ومدة النجاسة التي تبلغ سبعة أيام، ومكان تقديم القربان، ونص الآيتين (2-1)هو:

﴿(1) وكلم الرب موسى قائلاً: (2) "هذه تكون شريعة الأبرص:
يوم طُهره، يؤتى به إلى الكاهن.﴾

وتشكل مسألة الطهارة أهمية عظيمة في شريعة موسى، والمواضع التي ذكرنا فيها النجاسة، لا تنطبق على من تنجس فقط بل تتعداه إلى غيره، فيتنجس كل من اتصل به، أو ما يلمسه أو ما يجلس عليه أو بما يأكل به أو منه، وعليه بالاغتسال بالماء، ويظل نجساً حتى المساء. ويمر المتطهر بخطوات ومراسيم وطقوس دقيقة ومتعددة، منها تقدمة القرابين. وحتى تصبح الطهارة كاملة ويقينية، وخاصة في الأمور، التي أشرنا إليها مسبقاً، ينبغي أن يتم التطهر بماء أُعد لذلك الغرض، يطلق عليه ماء التطهر، بعد ذبح بقرة حمراء والنضح من دمها، وقد ورد ذكر ذلك وبتفصيل دقيق في سفر العدد (19: 1 - 22) ونص الآيتان (1-2) هو:

﴿(1) وكلم الرب موسى وهارون قائلاً: (2) "هذه فريضة
الشريعة التي أمر بها الرب قائلاً: كلم بني إسرائيل أن يأخذوا
إليك بقرة حمراء صحيحة لا عيب فيها، ولم يعلو عليها نير...﴾

وما ورد من نصوص، في التوراة، بشأن الطهارة والحرص على التمسك بحرفيته، لا شك، قد طرأ عليه كثير من التغيير، وذلك لعدم وجود ماء التطهر المذكور. وإجمالاً، إذا لمس اليهودي جثة ميت، أو أجرى اتصالاً جنسياً مشروعاً، أو لمس الحشرات أو دم الحيض والنفاس أوالخنازير، فيكون قد وقع في نجاسة، وعليه التطهر منها، بما يجب أن يتبع في مراسيم وطقوس الطهارة الكبرى، وأولها التوجه للبيعة للطهر فيها، وذلك بغسل جسمه كلية بالماء، وكأنه بذهابه للبيعة، يعلن طهارته من جديد لله تعالى (الموحي 2007 :77).

والطهارة الكبرى، أو التطهر من النجاسات في الحالات السابقة، لم يكن ليتم دون التطهر بماء النجاسة، وماء النجاسة هذا، هو خليط من عناصر مختلفة، وقد جاء بيانه تفصيلاً في سفر العدد، السابق الذكر. وباختصار شديد، إن ماء النجاسة، هو منقوع رماد بقرة حمراء، مع خشب أرز وزوفا وقرمز، يتطهر به من مس ميتاً. وكل من تنجس، ولم يرش عليه هذا

الماء، حسب نجساً وقطع من إسرائيل، (الكتاب المقدس 2005 :935). كما لا تجوز الطهارة من غدير، ما لم يكن عشرة أذرع في مثلها (المقريزي 1997 : 139).

أما المعمول به في الطهارة الكبرى، أيامنا هذه، فعلى المرء أن يغمر الجسم في الماء ثلاث مرات، وتتربص المرأة قبل الغطس، إثر الولادة أو الإجهاض، وعليها أن تنتظر خمسة عشر يوماً، قبل التطهر بالغسل؛ تقضي الأسبوع الأول في التربص لما قد يطرأ خلاله من ظهور بعض بقايا دم الحيض، ثم تطهر وتحل لزوجها للمعاشرة، (الموحي 2007 : 81). وعلى المرأة الحائض أن تعتد سبعة أيام نظيفة، وعليها أن تغمر نفسها بالماء، (في الحمام) المعد لمراسيم الطهارة، بعد الدورة الشهرية. ويتشددون في أمر الحائض، بحيث يعتزلونها، وثيابها وأوانيها، وما مسته من شيء فإنه يُنجس، ويجب غسله، ومن مسها، أو مس شيئاً من ثيابها وجب عليه الغسل (المقريزي 1997 : 142).

ولما كان تطهر المرأة يتم خارج المنزل، في مكان معد لذلك، فإنه يجب عليها، عند عودتها إلى المنزل، بعد التطهر، تجنب رؤية المخلوقات الشيطانية، التي تنقض الطهارة، وعلى المرأة إعادة تطهرها مرة أخرى، إن هي صادفت، في طريقها، أحدى هذه المخلوقات، وهذا ما أكده شاحاك (2003 : 92) بالقول:

> من خلال العادة الشائعة، التي أرسيت تحت نفوذ الكابالاه في العديد من المجتمعات اليهودية، ابتداءً من القرن السابع عشر، فعلى المرأة العائدة من حمام التطهر الطقسي الشهري (الذي يصبح وصالها مع زوجها من بعده، أمراً ملزماً) أن تحترس من التقاء أحد المخلوقات الشيطانية الأربعة: الأغيار والخنزير والكلب والحمار. فإذا حصل والتقت بأحد هذه المخلوقات، عليها أن تأخذ حماماً آخر.

2. الوضوء

يدخل الوضوء ضمن الطهارة الصغرى، التي هي في الأساس، سلوك يومي يقوم به اليهودي على الدوام. ونظراً للاختلافات بين الفرق والطوائف اليهودية، فإن الحديث عن الوضوء، قد يكون على هيئات عديدة، وما يجعله مختلفاً هو البعد الزمني (القديم والحديث)، والانتماء الطائفي، وغيرذلك من أمور العبادة، التي عادةً ما نجدها في الأديان. فالتهامي يقول: "أن الوضوء يتم بأخذ المصلي لتر من الماء، ثم يبدأ بغسل اليدين ثلاث مرات، قبل إدخالهما في الإناء، ثم يغسل بعد ذلك كامل الوجه، ثم يتمضمض، ثم يعمد إلى مسح وجهه بمنديل، ثم يتبع عملية الغسل، بسلسلة من الدعاء حمداً للرب، الذي أعطاه الماء طهوراً" (الموحي 2007 : 81). وينبغي أن نشير هنا، إلى أن غسل اليدين، لم يكن شائعاً في المرحلة التوراتية، ولكنه شاع في المرحلة الحاخامية. (Gitlitz 2002 :415). وهناك رأي آخر لكيفية الوضوء، أورده تقي

الدين المقريزي (1997 ؛139) بقوله: "إن اليهود يتوضئون، ولا يمسحون رؤسهم في وضوئهم .. ويبدأون بالرجل اليسرى. هذا ما عُرف عن كيفية الوضوء بصفة عامة، ولأن للتغير أحكامه، فإن اليهود اليوم، يكتفون في وضوئهم بغسل اليدين فقط"(المسيري 2005 ؛ 68)، ويعلل ذلك رئيس الطائفة الموسوية بقوله: قديماً كانوا يغسلون الرجلين، لأنهم حفاة أمام الرب، والآن فالأرجل نظيفة على الدوام، فلا حاجة لغسلها (الموحي 2007 ؛81).

وغسل الأيدي، على سبيل المثال، لا يتم على هوى المرء، فله قواعد تنظمه، إذ يجب أن يجري تحت حنفية، وينبغي غسل كل يد على حدة، في ماء من قدح (من حجم صغير موصوف) يُمسَك باليد الأخرى، و يجب أن يصل الماء إلى كل جزء، ولا يمنع وصوله أي شيء كالخاتم أو الدبل (Gitlitz 2002 ؛ 415)، وعلى المتوضئ أن يرفع يديه بعد غسلهما (Idelsohn 1932 ؛122).

وحتى يكون الوضوء تاماً، فهناك شروط يجب أن تتوفر في ماء الوضوء، ومن هذه الشروط:

- أن يكون الماء طاهراً.
- أن يكون الماء صالحاً للشرب.
- أن لا يكون له لون أو طعم أو رائحة.
- أن لا يكون من ماء البحر.

وينقض وضوء المرء في عدة حالات؛ كالتبول، والتبرز، وخروج ريح، والتعرض لأي شكل من أشكال النجاسات. أما النوم، فإنه لا ينقض الوضوء عند غالبية اليهود، إن كان النائم قاعداً، ما لم يضع جنبه الأرض. أما العنانية: فإن مطلق النوم عندهم ينقض الوضوء (المقريزي 1997 ؛139). وإذا انعدم الماء، فيلجأ اليهود للتيمم بالتراب، وذلك بوضع اليدين في التراب (الموحي 2007 ؛81).

3. ثياب الصلاة

إن الصلاة، كما أوضحنا سابقاً، من أهم الواجبات الدينية، لذا فهي تؤخذ مأخذ الجد، ويهتم المؤمنون بكل التفاصيل الواجب الأخذ بها، سواء قبل أداء الصلاة، أو أثناءها، أو بعدها. ومن ضمن ما يجب الأخذ به، قبل الإقدام على الصلاة، أو عند التهيؤ لها، في شريعة موسى (اليهودية)، هو المظهر العام للمصلي، ويُقصد بالمظهر هنا، ما يرتديه المصلي استعداداً للقاء ربه. وتتعدد الثياب وملحقاتها في الصلاة العامة أو الخاصة، أو في أوقات الصلاة. ففيما يتعلق بالثياب، فإن ما يجب على الرجل ارتداؤه من الثياب، غير ما يجب على المرأة ارتداؤه؛ فلا تجوز صلاة الرجل، في أقل من ثلاثة أثواب: قميص، وسراويل، وملاءة يتردى بها. فإن لم يجد الملاءة صلى جالساً. فإن لم يجد القميص والسراويل صلى بقلبه .. ولا تجوز صلاة المرأة في أقل

من أربعة أثواب. (المقريزي 1997: 139).

تمائم الصلاة

جاء الحديث سابقاً، عن العناصر الطقوسية المركبة، وقلنا، أن اليهودي، بعد وقوفه للصلاة، ولكي تكتمل طقوس صلاته، لا بد من توفر ركنين أساسيين، وهما: النية والعناصر الطقوسية المركبة، أي أن العناصر الطقوسية المركبة، تعد الركن الثاني للصلاة، وتتكون العناصر الطقوسية المركبة من: الطاليت، والتفلين، واليرملكا، وينبغي أن نشير، إلى أن هناك خلاف بين الفرق اليهودية بشأنها، وسيتم إيضاح ذلك، أثناء الحديث عنها.

أولاً.. الطاليت טלית (الشال)

يبدو أن العادة الشائعة، في ملابس الرجال في القديم، كانت لا تخلو من اتشاح الرجل برداء يلفه حوله، وذلك بوضعه على الكتفين، لذا لم تتضمن التوراة الأمر، بأن يضع الرجل على كتفيه طالياتاً، بل لقد ذُكر ما يجب أن يكون على الطاليت، كما سيتبين لا حقاً. وليس للطاليت أية دلالة دينية، ومع ذلك، فالحاخامات يحثون اليهود على اقتنائه (Bloch 1989 :81)، ليس هذا فحسب، بل اعتبر ركناً دينياً. وهناك نوعين من الطاليت: الطاليت الصغير (طاليت هاقطان)، والطاليت الكبير (طاليت هاجدول)، وسوف يتم الحديث أولاً عن الطاليت الكبير، ثم عن الطاليت الصغير.

1. الطاليت الكبير (טַלִית הגדולה)

الطاليت الكبير هو قطعة قماش، مستطيلة الشكل. وقد جرت العادة، أن يكون الطاليت الكبير من الصوف، ولكن الأمر تغير، فأصبح من الممكن، أن يكون من أي نوع آخر، من القماش. كما يمكن أن يكون من أي لون آخر، ولكن الأمر الطبيعي، أن يكون اللون أبيضا. ولا يعتبر الطاليت الكبير كاملاً، ما لم تضاف إليه الملحقات، التي أمر بها الرب، وهي الأهداب والجدائل؛ فقد ورد في سفر العدد (15: 37-39) ثلاث آيات تأمر بصنع الأهداب والجدائل (العصائب)، ونصها:

> ﴿(37) وكلم الرب موسى قائلاً: (38) "كلم بني إسرائيل وقل لهم: أن يصنعوا لهم أهداباً في أذيال ثيابهم في أجيالهم، ويجعلوا على هُدب الذيل عصابة من أسمانجوني. (39) فتكون لكم هُدباً فترونها وتذكرون كل وصايا الرب وتعملونها، ولا تطوفون وراء قلوبكم وأعينكم التي أنتم فاسقون وراءها﴾.

كما تكرر الأمر بعمل الجدائل على الثياب، إلى جانب الأهداب، في سفر التثنية (22: 12)، ونصه: ﴿ واعمل لنفسك جدايل على أربعة أطراف ثوبك الذي تتغطى به﴾. ولم تشر الآيات

السابقة، إلى عدد الأهداب المطلوبة، إلا أن الطاليت الكبير يحمل أهداباً أكثر مما هي عليه في الطاليت الصغير، يقول الموحي (2007: 83): الشال الذي يوضع على الكتفين، وهو مصنوع من نسيج أبيض و مستطيل الشكل، في كل زاوية من زواياه حلية وثمانية أهداب، أربعة منها بيض، وتسمى بالعبرية (صيصيت)، وهي رمز لطلوع الفجر، والأخرى زرقاء.

و النصوص المقدسة، كما يعلم القارئ الكريم، لا تحمل عادةً تفسيراً واحداً، فالتفسير يختلف باختلاف انتماء المفسر المذهبي أو الطائفي، وعليه فالتفسير يفهم برده إلى المفسر، ويعرف قصد المفسر، بمعرفة المذهب الديني أو الفرقة الدينية، التي ينتمي إليها؛ ففي حالة تفسير النصوص التوراتية، هناك فريق، يفسر النصوص تفسيراً حرفياً، بينما هناك فريق آخر، لا يقر بالتفسير الحرفي للنصوص، ويأخذ بالمعنى المجازي، الذي تُراعى فيه مقتضيات العصر ومتطلباته؛ فعلى سبيل المثال: على الرغم من أن نص الآية (38 من الإصحاح 15)، قد حددت لون العصابه أو الجديلة باللون الأسمانجوني (الأزرق)، إلا أن هناك اختلافاً في التفسير والتطبيق، ففي حين نجد، أن إحدى الفرق القديمة (القراءون / الحرفيون)، قد التزموا بنص الآية، وجعلوا لهم جدائل باللون الأزرق، إلا أن الحاخامات (المجازيون) قد تجاهلوا هذا التوجيه، وجعلوا لأنفسهم أهداباً بيضاء فقط.

والاختلاف يمتد أيضاً، إلى تحديد المقصود باللون الأزرق، ودرجة زرقته، فنص المشنا في هذا الموضع، يعبر عن الأزرق باللفظة العبرية المبهمة "تكلت" التي اختلف فيها الشراح من الأزرق الكحلي الداكن، إلى البنفسجي، إلى السماوي، إلى الأزرق الفاتح الضارب إلى الخضرة، القريب مما يسمى عندنا "الكرنبي" أو "اللوزي"، ويسمى عند شراح المشنا من اليهود "الكراثي" أي، الذي لونه كلون الكراث. وقد مال سعديا الفيومي، إلى ترجيح الأزرق السماوي، فكان يستعمل في ترجمته كلمة "أسمنجوني" من الفارسية، "أسمان" بمعنى سماء و "كون" بمعنى لون. ومعظم اليهود يتبعون هذا الرأي، كما تأخذ به إسرائيل في اللون الأزرق لرايتها (ظاظا 1999: 152).

ولا يقتصر الوضع، على الاختلاف في درجة الزرقة، بل إن هناك من الجماعات اليهودية، من لا يستخدم اللون الأبيض للطاليت، بل يستخدمون اللون الأسود (يهود اليمن)، ونحن هنا، نتحدث عن الأمر الأكثر شيوعا. فالشال، الذي نريد وصفه، هنا، مصنوع من نسيج أبيض، مستطيل الشكل، تختلف أطواله، باختلاف نوع القماش، فإذا كان القماش من الحرير، فإن أطواله تقل، وإن كان من القماش الرخيص، فإن أطواله تزيد، ولكن القانون اليهودي يحبذ أن يكون طوله كبيراً، بحيث يغطي معظم الجسم. وأياً كان مقاسه، فإن طرفاه ينتهيان بخمسة خطوط أفقية، وهذه الخطوط قد تكون زرقاء، وقد تكون سوداء، والخط الأوسط هو أكبر الخطوط الخمسة. ويحبذ اليهود السفارديون، أن يكون لون الطاليت أبيضاً بالكامل. وفي كل زاوية من زوايا الطاليت الأربع، هناك حلية وثمانية أهداب، أربعة منها بيضاء اللون، وهي رمز

لطلوع الفجر، والأخرى زرقاء اللون، وأهداب الشال، تقوم مقام المسبحة عند المسلمين، يسبح بها المصلي (الموحي 2007 : 83). ويعتبر موسى بن ميمون الأهداب أهم الأوامر الإلهية الـ 613.

يجب أن تربط جدائل الأهداب بسلسلة، كعقدة وتوضع في الثوب ذو الأركان الأربعة. والقراءون في الوقت الراهن يصنعون العقد هذه بشكل يختلف قليلاً عن تلك التي يصنعها الحاخامات، وأهم شيء هو أنها تظهر على شكل عقد مترابطة في سلسلة، وتحتوي على الأقل على جديلة زرقاء واحدة، ولها طريقة متبعة في تكوين العقد أنظر الصورة رقم (2).

صورة رقم (2)

تبين الصورة طريقة ربط عقد أهداب الطاليت

صورة رقم (3)

تبين الصورة الطاليت (الشال) الذي يستخدمه اليهود في صلاتهم

صورة للشال يرتديه أحد الحاخامات

والطاليت في بعض التجمعات اليهودية، يُعطى كهدية من الأب أو من زوج الأم للابن، أو من المعلم للتلميذ، وذلك لأهميته، إذ يعتقد المؤمنون، أن الشال (رداء روحي تلف به أرواحهم عند الصلاة، فيجعلهم وكأنهم ملائكة قديسون أصفاهم الله بحسن عنايته ورعايته (الموحي 2007: 83)، ولا ينبغي أن يحرم الأبناء هذه النعمة. كما يمكن أن يشترى كذكرى لمناسبات خاصة؛ كالزواج وبلوغ الطفل سن التكليف. ويختلف موعد بدء ارتداء الطاليت باختلاف موطن اليهود، فاليهود الغربيين يبدأون لبسه بعد الزواج، في حين يبدأ لبسه عند يهود الشرق، (السفارديون) في وقت مبكر من العمر. وعلى الرغم، من أن الطاليت يعتبر من الأشياء الخاصة، إلا أن المعابد تحتفظ بكمية منه فيها لاستخدام الزوار، على أن يكونوا يهوداً، أما غير اليهود فعليهم لبس اليرملكا (الكوفية) فقط، أثناء الزيارة.

2. الطاليت الصغير (טלית הקטאן)

يختلف الشال الصغير عن الشال الكبير، من حيث الشكل والوظيفة، ومكان وطريقة ووقت ارتداءه. ولم يكن الطاليت الصغير مستخدماً في العصور القديمة، وإنما تم استخدامه في العصور الوسطى (Bloch 1989: 81). ويعتبر، من حيث المبدأ، من بين الملابس الداخلية، وهو عبارة عن قطعة قماش مستطيلة الشكل، أطوالها: ثلاثة أقدام في قدم واحد، وتوجد في

وسطها فتحة، حتى يدخل الرأس من خلالها. ويقوم اليهود الأرثوذكس بلبسه خلال اليوم. أما من حيث وضعه، على الثياب أم تحتها، فالخلاف بين الطوائف واضح كل الوضوح، ففي حين يجب أن يلبس الطاليت مباشرة على الجسم، فقد وجد أنه غالباً ما يلبس تحت القميص، وأما أفراد الطائفة الحسيدية، فيلبسونه فوق قمصانهم. ويضيف التهامي، أن الطاليت الصغير يتم ارتداؤه في الصلاة الفردية، (الموحي 2007 : 83).

ثانياً.. التفلين (תפלין)

1) التفلين في الشريعة

لقد وردت الأوامر الإلهية باستعمال التفلين، في أربعة مواضع من سفري الخروج والتثنية، فقد جاء في سفر الخروج (13: 9 و 13: 16)، ونصهما هو:

﴿(9) وتكون لك علامة على يدك، وتذكاراً بين عينيك، لكي تكون شريعة الرب في فمك، لأنه بيد قوية أخرجك الرب من مصر﴾.

و﴿(16) فتكون علامة على يدك، وعصابةً بين عينيك، لأنه بيد قوية أخرجك الرب من مصر﴾.

وفي سفر التثنية (6: 8-9 و 11: 18)، ونصهما هو:

﴿(8) واربطها علامة على يدك، ولتكن عصائب بين عينيك،(9) واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك﴾ و ﴿"فضعوا كلماتي هذه على قلوبكم ونفوسكم، واربطوها علامة على أيديكم، ولتكن عصائب بين عيونكم"﴾.

وينبغي الإشارة هنا، إلى أن كلمة "علامة" (تُكتب بالعبرية "تَفيت") في النص التوراتي، وقد فُسرت من قبل بعض الحاخامات، على أنها تعني تفلين؛ وتعني السيور الجلدية المحتوية على أقفاص، بينما اعتبرها بعض الحاخامات، على أنها تعني (التذكر) فقط، ولا علاقة لها بالمعنى الحسي، الذي ذهب إليه بعض المفسرين. ويرى معظم العلماء، أنه ليس كل نص في التوراة، يُفسر تفسيراً حرفياً، وأن يكون أمر واجب التنفيذ والإتباع.

ولم تقف الأمور عند مجرد الاختلاف في الرؤى والتفسيرات للنص التوراتي، بل تعدى ذلك إلى الأساطير، فهناك أُسطورة شعبية حول هذه التميمة؛ فالأسطورة الشعبية ترى، أن القرائين والصدوقيين من قبلهم، قد فسروا العبارة التوراتية تفسيراً حرفياً، ونتيجة لهذا التفسير، جعلوا التميمة هذه (الأقفاص) فوق أُنوفهم بالفعل، وتؤكد إحدى روايات القصة، أن الصدوقيين قد اختفوا نتيجة هذا النوع من السلوك. وتمضي الأسطورة قائلةً: فقد استمروا في مناطحة الحيطان، والتميمة بين أعينهم، بدلاً من وضعها فوق جباههم، فتحطمت ودخلت في أدمغتهم، مما أدى إلى موتهم مباشرة. لقد تم تصوير القرائين وغيرهم من المنكرين للتوراة

الشفوية، على أنهم مجموعة من الأغبياء، الذين حكموا على أنفسهم بالضياع أو الفناء، نتيجة ممارساتهم السخيفة. مع أن الصدوقيين والقرائين لم يلبسوا قط هذه التميمة.

2) التفلين في الحياة اليومية:

إن الحديث عن التفلين في الأدب اليهودي، حديث طويل وغني، ويحتوي على تفاصيل كثيرة، وعلى الرغم من هذه التفاصيل، إلا أنها قليلة الفائدة في هذا المقام. لذا، فسوف نكتفي بإعطاء صورة موجزة عنها، وبالقدر الذي يخدم غرضنا في هذه الدراسة. والصورة التالية، رقم (4)، تبين مكونات طقم التفلين.

صورة رقم (4) تبين الصورة مكونات طقم التفلين

تبين الصورة أعلاه تفلين اليد في الجهة اليمنى، وتفلين الرأس في الجهة اليسرى

يتكون التفلين من زوجين من الأقفاص الجلدية، مصنوعان من جلد حيوان حلال، ويجب أن يكونا على شكل مربع، وأن يُطلى القفصان وأربطتهما بطلاء أسود، توضع بداخلهما قطعتين من رق، مكتوب في كل منها، بعض آيات التوراة، مثل (اسمع يا إسرائيل)، (الموحي 2007: 85)، ويستخدمان كعلامة وتذكار، لإخراج الرب بني إسرائيل من مصر. ويعود استخدامهما أو لبسهما، إلى فترة قديمة في التاريخ اليهودي، وتحديداً إلى فترة المعبد الثاني، حيث كانا شائعي الاستخدام، كما بينت ذلك مخطوطات البحر الميت.

ولكل من القفصين الجلديين هذين، موضع خاص على الجسم، ولهما علامات ظاهرة وأخرى باطنة، تميز كل منهما عن الآخر، فلتفلين اليد قسم واحد فقط، يحتوي على أربع قطع توراتية، وكتبت على شريط واحد من الرق، في أربعة أعمدة متوازية. بينما لتفلين الرأس أربعة أقسام منفصلة، تتكون من قطعة جلدية واحدة، في كل منها، وضعت مطوية رق واحدة، والقطع المتضمنة على الرق، كلها تتضمن الإشارة، إلى الأوامر المتعلقة بالتفلين. وينبغي الإشارة، هنا، إلى أن أمر الكتابة، ليس بالأمر الهين أو اليسير، فله شروط واضحة لا يمكن تجاهلها؛ فعند كتابة القطع، يجب على من سيقوم بالكتابة، أن يعقد النية المخلصة في نفسه وضميره، بأن يقوم

بهذا العمل، حرصاً على قداسة التفلين. وقبل كتابة أسماء الله، ينبغي أن يقول، بأنه يكتب ذلك، من أجل قداسة الإسم. ومهما تغير الزمن، أو تطورت الأحوال، فإن عملية كتابة القطع المقدسة، يجب أن تكون بخط اليد. وينبغي الإشارة، إلى أن نوعية الخط تختلف باختلاف الطوائف اليهودية.

وفيما يتعلق بالعلامات الظاهرة، فإنها تميز تفلين الرأس، وتتمثل في أن يُكتب على جانبيه حرفا الشين بالعبرية (ש)؛ واحد في الجهة اليسرى، والآخر في الجهة اليمنى، والشين الذي في الجهة اليمنى، يجب أن يحتوي على أربعة أذرع، لا ثلاثة (ש)، وهناك قولان للذراع الزائدة هذه: القول الأول، يرى بأنها تذكار للأربع فقرات من الكتاب، الموجودة في الأُقفاص. والقول الثاني، يرى بأن الذراع الزائدة للإشارة إلى أحد أسماء الله في اليهودية.

كما يجب أن تكون قاعدة التفلين وسطحه مربعي الشكل تماماً. وقاعدة التفلين يجب أن تكون سميكة وقابلة للفتح، حتى يمكن إدخال مطويات الرق (الورق النفيس)، وغطاء الفتح يغلق بعصب، من خلال اثنا عشر فتحة، أي يجب أن يخاط باثنتي عشر غرزة؛ كل غرزة تمثل سبطاً من أسباط بني إسرائيل، والتغريز يجب أن يتخذ الشكل المربع. وليس هناك مقاييس معينة لحجم التفلين.

1.2. وقت لبس التفلين

لا يمكن أن نعطي هنا، وقتاً أو زمناً محدداً للبس التفلين، فالمسألة خلافية. قديماً كان التفلين يلبس طوال اليوم، أما في وقتنا الراهن، فإنه يلبس فقط، في صلاة الصباح. وهذا لا يعني أن كل اليهود يعملون ذلك، فلا زالت هناك بعض الطوائف، التي تقوم بلبسه طوال اليوم.

ولا يتم لبس التفلين، إلا لمن بلغ سن الثالثة عشرة من العمر، أو قبل أن يصل إلى هذا العمر بقليل، وليكن شهراً على الأكثر، حيث يخضع الطفل لتعلم كيفية لبسه، ويعلم أهميته وقدسيته، ويُعطى تفلين خاص به، أما فيما يتعلق بالإناث، فهناك خلاف، مع أن الشواهد التاريخية تؤكد، أن الفتيات كن يلبسنه، ولم يستنكر أو يحتج العلماء على ذلك. ولا يتم لبس التفلين في أيام السبت والأعياد، والتفسير المبرر لذلك، هو أن هذه المناسبات هي علامات في حد ذاتها. ولا يجوز للشخص الاستمرار في لبسه، إذا أراد دخول أماكن قذرة، كالحمامات مثلاً.

وعلى المصلي أن يقوم بلبس التفلين بطريقة متتابعة ومرتبة، وأن يحرص على أن يكون واقفاً قبل وضع التفلين؛ وأن لا يكون هناك فاصل، بين التفلين وبين الجسم، كالخاتم أو الساعة، وأن يلزم السكون وقت وضعه، فيقوم أولاً، بوضع تفلين اليد قبل الطاليت (كان هذا في القديم، أما أيامنا هذه، فالعكس هو الصحيح)، ويتم وضعه على بعد بنانتين من أعلى الذراع لليد اليسرى من الداخل، في مواجهة القلب. وبعد تلاوة البركات يتم ربط التفلين، ثم يلف حول الذراع سبع مرات، ويربط على اليد والأصابع، بحيث يعطي شكل حرف الشين العبرية (ש)، الصورة رقم (5).

الصور رقم (5)

تبين هذه الصورة طريقة ربط سير تفلين اليد

طريقة ربطة السير على الكف

أما تفلين الرأس، فيقوم المصلي بوضعه وسط الجبهة، فوق حافة الشعر، ويجب أن يكون الحجم صغيراً، حتى يمكن وضعه هناك. ويجب أن تكون سيور تفلين الرأس طويلة بما فيه الكفاية، حتى تدور حول الرأس، وتسمح بربط العقدة، التي يجب أن تكون في قاعدة الجمجمة، فوق العنق من الخلف، على أن لا تنزل أسفل خط الشعر. كما أن نهاية السيرين، يجب أن يتدليان على الكتفين من الأمام، وينبغي أن يصل السير، الذي في الجهة اليسرى إلى السرة، والذي في الجهة اليمنى، يصل إلى أسفل منطقة الحوض. ووضع كل من القفصين، يصاحبه تلاوة بركات خاصة، كأن يقول المصلي: (وأخطبك لنفسي إلى الأبد وأخطبك لنفسي بالعدل والحق والإحسان والمرام وأخطبك لنفسي بالأمان وتعرفين الله)، و (مبارك أنت يا ألله إلهنا الذي قدسنا بوصايا وأوصانا بوضع التفلين) (الموحي 2007 ،85).

ويجب على المصلي وبعد الانتهاء من الصلاة، كما يذكر فؤاد حسين، أن يلتزم بطقوس فك التفلين، والتي تتم بطريقة عكسية لربطها، وتسير أو تبدأ من حيث ما انتهى؛ فتفك لفات الأصبع أولاً، ثم تفلين الرأس، ثم لفات الساعد والذراع، ثم الحافظة (الموحي 2007، 85). وهذه الأقفاص لا تلبس ليلاً، ولا في الأعياد، ولا في يوم السبت، ويتم لبسهما خلال صلاة الصبح، وتطالب المشناه ذكور اليهود، ابتداءً من سن الثالثة عشرة، بلبس هذه الأقفاص كل يوم.

صناعة التفلين

إن الحديث هنا مكرس لصناعة أحد أهم الطقوس الدينية، وهذه المكانة الدينية، التي يتمتع بها التفلين، تجعل أمر صناعته تختلف كلياً، عن أية صناعة أخرى، وذلك لأن صناعته يجب أن ترتكز على قاعدة دينية، وتسير بروح دينية، وتتوج بخاتمة دينية. وعليه، فأول أمر يبدأ به الصانع هو النية، التي تعد من الأمور الأساسية، قبل البدء بأي مرحلة من

مراحل عملية صناعة التفلين، ثم لا بد من توفر عشر متطلبات، حتى يصبح التفلين حلالاً، وهذه المتطلبات العشر هي:

1. يجب أن تُكتب المطويات بالحبر.
2. يجب أن تصنع المطويات من الرق (الورق النفيس).
3. أن تكون الأقفاص وغرزها مربعة الشكل تماماً.
4. يجب رسم حرف الشين على جانبي تفلين الرأس.
5. يجب أن تربط المطويات بشريط من القماش.
6. ينبغي أن يربط بشعر حيوان حلال.
7. يجب أن يتم التغريز (الخياطة) بعصب حيوان حلال.
8. يجب أن تكون سعة الفتحات بالقدر الذي يسمح بمرور السيور.
9. يجب أن تكون السيور سوداء اللون.
10. ينبغي أن يتم عقد السيور على شكل حرف الدال (ד) باللغة العبرية.

وتختلف أسعار التفلين، باختلاف نوع الجلد المستخدم، فإذا كان مصنوعاً من جلد الماعز، يكون سعره رخيصاً، أما إذا كان مصنوعاً من جلد الثور، فيكون غالي الثمن.

ثالثاً.. طاقية الصلاة (يرمُلكا)

إذا رجع المرء، إلى أي قاموس للغة العبرية، ليبحث عن كلمة طاقية، فلا يجد سوى ثلاث كلمات مترادفة، وكلها تعني طاقية، وهذه الكلمات هي: كوبع כובע، وكِفَه כפה وكمته כמתה، وليست اليرملكا من بينها، وهناك حديث طويل عن اشتقاقها من لغات أخرى. وأي ما كان بشأن الكوفية، فهي قطعة رفيعة ومدورة، ولها أشكال وألوان وأحجام عديدة، الصورة التالية نموذج لتلك الطاكيات.

صورة رقم (6)

تبين الصورة أحد أشكال الكوفية اليهودية

ولم يرد أي ذكر لكوفية الصلاة، في أي من أسفار أو إصحاحات أو آيات التوراة، ووردت فقط، في كل من التلمود البابلي والمشناه والشولخان عاروخ، في حين يذكر المسيري (2005: 69) بأن التلمود لم يذكر أية ضرورة، لتغطية الرأس أثناء الصلاة. ولا يتفق الموحي (2007: 80) مع ما ذهب إليه المسيري، فقد رأى بأن اليهود يحبون تغطية الرأس عند الصلاة، لأن الله سبحانه وتعالى أوحى لموسى عليه السلام، بأن على هارون ونسله أن يلبسوه (غطاء الرأس)، تعبيراً عن الاحترام للنصوص المقدسة، التي يقرؤونها في صلاتهم. ونحن نؤيد ما ذهب إليه الموحي، في مسألة تغطية الرأس، أما فيما يتعلق بلفظة الكوفية، فإنها لم ترد نصاً. ومع ذلك، فإن تغطية الرأس أمر شائع ومألوف عند اليهود، حتى أصبح لبس الكوفية، من بين التقاليد اليهودية القديمة. وقد تشدد الكثير من المتقين والحكماء، ورجال الديانة اليهودية، في مسألة تغطية الرأس بالكوفية، حتى أنهم كانوا يرتدونها طوال الوقت، ولا يخطون خطوة واحدة بدونها، وهذا ما أكده المسيري (2005: 70)، وإن قصرها على بعضهم، وذلك بقوله: ويلبسها المتدينون من اليهود الأرثوذكس على الدوام.

وكان لبس الطاقية معروفاً، إلى حد ما، بين الذكور من اليهود فقط، أما النساء فلم يرد فيه قول، وإن ورد وطُلب من المرأة أمر كهذا، وخاصة المتزوجة والأرملة والمطلقة، فعليها تغطية شعرها، ولكن لأسباب أخرى غير التي وضعت للرجال (اللعان)، وهي مبينة في سفر العدد (5: 11-31). أما في الوقت الراهن، فهي تُلبس من قبل الذكور والإناث معاً، وخاصة في التجمعات الإصلاحية والمحافظة، وذلك أثناء تأدية الصلاة، أو المناسبات الدينية الأخرى. وهي عادة حسنة غير ملزمة في الحياة العامة، ولكنها ملزمة أثناء تأدية الصلاة. ولبسها إجباري عند حائط المبكى.

ويزخر الأدب اليهودي بالكثير من الروايات، حول أسباب ارتداء الكوفية، في القديم والحديث، وكل ما ورد من هذه الأسباب، والقديمة منها على وجه الدقة، تصب في تقديس الرب، فارتداؤها يعتبر دلالة أو علامة، على إظهار الطاعة والاحترام للرب. أما أيامنا هذه، فهناك تبريرات، قد لا تكون في معظمها ذات علاقة بالرب، ومن بين هذه المبررات:

- الإقرار بأن الرب فوق البشر.
- الإقرار بالأوامر الإلهية الـ(613).
- التميز بالانتماء لليهود.

وليس هناك شكل أو لون أو صنف محدد للكوفية، فأي كوفية تؤدي الغرض. ونظراً لتعدد أشكال وألوان وأصناف الكوافي، ومحاولة كل فرقة أو حركة اعتماد كوفية خاصة بها، أصبح من الممكن التعرف على نوع الحركة، من خلال الكوفية التي يرتديها اليهودي، مثل:

- الحركة الصهيونية الإسرائيلية المتدينة: يرتدي أصحابها الكوفية المحبوكة.

- الأرثوذكسية الأمريكية الحديثة: يرتدي أفرادها كوافي جلدية، تثبت على الرأس بمشابك.
- أعضاء الجماعات الحريدية: يرتدي أفرادها كوافي سوداء من المخمل أو القماش.

مكان الصلاة

يحظى مكان التعبد أو الصلاة بأهمية كبيرة، ولا تقل أهميته عن أي من الشروط، التي سبق ذكرها، فبعد أن ينجز المصلي كل الشروط الواجبة، قبل الشروع في الصلاة، فإنه من العبث ألا يلقي بالاً للموضع أو المكان، الذي سيؤدي فيه الصلاة، وينبغي أن يتمتع مكان الصلاة، بنفس القدسية والمكانة، التي تتمتع بها الصلاة. لذا فهم (اليهود) يشترطون طهارة الموضع، الذي يصلون فيه، وخلوه من النجاسات، وجعلوا أماكن الصلاة خالية من كل أشكال الصور والتماثيل، ولا يجيزون الصلاة في المقابر، لأن الميت نجس، ولا في بيوت الراحة والمزابل (الموحي 2007 ،81).

وأول معبـــــد بُني للعبادة، كان إبان حكم سيدنا سليمـــــان، وذلك عام 957 ق.م (Ciaravino 2001 ،60). وتم تدميره لأول مرة عام 586 ق.م، على يد نبوختنصر البابلي (المسيري 410 ،2005). ثم أُعيد بناؤه عام 538 ق.م (Traill 2011 ،31)، وتوقف البناء بين عامي 536 و 528 ق.م (Levy 2008 ،80)، ثم استؤنف البنـــــاء عام 522 ق.م، وبدأ العمـــل فيه عام 515 ()، ولأغراض في نفس هيرود العظيم، قام بإجـــراء عملية توسعة كبيرة له، وذلك بعد خمسمائة سنـــة من بنائه الثاني (Casper 2003 ،88). وتم تدميره للمرة الأخيرة، على يد القائد الروماني طيطس عام 70م.

وبعد تدمير معبد سليمان عام 586 ق.م، وسبي معظم بني إسرائيل إلى بابل، لم يعد بالإمكان تقديم القرابين والأضاحي، التي كان تقديمها مرتبط بوجود المعبد، فما كان من حكماء الأمة وعلماؤها، إلا التفكير في شعيرة أخرى تفي بغرض العبادة، فكانت الصلاة. وقد بدأ علماء المجمع الأكبر في وضع قوانينها، ابتداءً من القرن الخامس قبل الميلاد (المسيري 2005، 61). وكانت إقامة الصلاة بدلاً عن تقديم القرابين والأضاحي، فكرة ثورية، كانت تقام في المنازل الحاخامية، من خلال مؤسسة تسمى الحافوراه (Chavurah)، وهو مصطلح لا يـــزال قائماً، حيث تلتقي مجموعة صغيرة لدراسة التوراة والصلاة معاً (2010، 29) Hoffman. ومصطلح مؤسسة لا ينطبق على الحافوراه، لأن (Hoffman 1996، 60) نفسه يذكر بأنها جماعة رفاق، يلتقون حول مائدة طعام، وهم عادة ما يقيمون مراسيم وطقوس تعبدية. وتؤكد الموسوعة اليهودية (2006، 85) ما ذهبنا إليه، وذلك في بيانها لاشتقاق الكلمة، إذ ترى بأن كلمة حافوراه مشتقة من الكلمة العبرية لـ"صديق"، وتُعرّف حافوراه، بأنها: مجموعة صغيرة تلتقي لأداء الصلوات والأنشطة الدينية. ووصفت هذه المجموعة بأنها أقل

تنظيماً من السيناجوج.

ويبدو أن السيناجوج (المعبد)، بصفته العمومية، كان سائداً أثناء فترة السبي البابلي، بإجماع كل المؤر خين (Kadden 2004: 101). ويؤكد ذلكHoffman (2001: 46) حين ذكر بأن هناك ثلاث مؤسسات تنسب للعبادة الحاخامية: المعبد، والحافوراه، والسيناجوج، وهذه المؤسسات مجتمعة، كانت حاضرة أثناء وبعد السبي البابلي، واستمرت حتى بعد تدمير المعبد عام 70م. وإن كان المعبد قد انتهى بتدميره، فإن الحافوراه والسيناجوج قائمان حتى يومنا هذا.

شروط قبول الصلاة

وحتى تحظى الصلاة بالقبول من الرب، فإن هناك أموراً على المصلي الالتزام بها، وهي:

1. يجب أن تكون الصلاة، بالشفاه والقلب معاً، ليتقبلها الرب، (كوهن 2005: 141).
2. الخشوع في الصلاة أمر أساسي؛ ومن علامات الخشوع وجوب خفض الرأس وتوجيه النظر إلى الأرض، وكل شخص يجب أن يتخيل أمامه الشيخانا، كما قيل: "إن الرب دائماً أمامي". الخشوع في الصلاة، ليس أمر مستحب فقط، بل إنه ملزم، خاصة أن هناك أجزاء معينة في الصلاة، لا تعتبر مقبولة، إذا ما تليت بدون وعي من قبل المصلي، وهذه الأجزاء هي: ﴿اسمع يا إسرائيل﴾ والبركة الأولى من بركات الشمونه عسر (الأميدا).
3. خفض الصوت؛ عندما تصلون اعرفوا أمام من تقفون، من يُسمَع صوته وهو يتلو الصلاة يكن قليل الإيمان؛ ومن يرفع صوته مصلياً، يكن من أتباع الأنبياء الكذبة، لأنه يشبه أنبياء بعل، الذين يصيحون بصوت عال.
4. الصلاة في جماعة؛ إنها دليل التقوى، ولها أهمية كبيرة، وقد قيل: لا تستجاب صلاة الإنسان من الله، إلا عندما يقدمها في الكنيس (كوهن 2005: 141 - 144).

وكما أن هناك أموراً لجعل الصلاة متقبلة، فإن هناك أموراً أخرى تبطلها، وذكرها كل من المقريزي (1997: 139) وكوهن (2005: 144)، ومنها:

- القيء والرعاف أو الريح.
- الإكثار من صفات الرب في الصلاة، والاكتفاء بـ: العظيم، الجبار، الرهيب.
- التعمد في إطالة الصلاة؛ يعلن التلمود أن الصلوات المطوَّلة عمداً لا معنى لها، فالمصلي يأمل بأن تطويلها سيؤدي إلى الاستجابة، أمل من هذا النوع محكوم عليه بالبطلان.

النصاب في صلاة الجماعة

والصلاة الجماعية أو المشتركة، لا يمكن أن تقام، إذا لم يكتمل نصاب الحضور من

المصلين؛ ويطلق على النصاب في صلاة الجماعة المنيان، وهو عشرة من الرجال البالغين، ولا تقام الصلاة إلا بهم، ولم تكن المرأة تُحسب قط، من النصاب، مهما كانت المبررات، ولكن هذا تغير عند بعض الطوائف. ومسألة النصاب هامة جداً، ولا يمكن الاستهانة بها، لدرجة أن الحاخام إليعازر كان قد دخل أحد الأيام كنيساً، ولم يجد فيه عشرة مصلين، فأعتق رقيقه ليكمل المطلوب، (كوهن 2005: 143)، وعتق العبيد هنا، أمر مهم في الصلاة، لأن الصلاة واجبة على الحر، وليس على العبد. أما فيما يتعلق بالعشرة من الرجال البالغين، فالأمر تغير مع الزمن، بحيث سمحت بعض الطوائف، باحتساب المرأة من ضمن النصاب، كما هو الحال لدى بعض المحافظين والإصلاحيين.

النداء لصلاة الجماعة

جرت العادة، في حياة الناس الاجتماعية، وخاصة في التجمعات الصغيرة، أن تكون لهم طريقة تنبههم للاجتماع، في سرائهم وضرائهم، وبدون الاتفاق على طريقة معينة لجمع الناس، فإن مشاغلهم اليومية كثيراً ما تحول دون سهولة اجتماعهم. أما فيما يتعلق ببني إسرائيل، فإن وسيلة النداء للجمع فيهم، سواء للتشاور أو للعبادة، لم تكن قط من ابتداعهم، بل كانت أمراً إلهياً، وتحفل التوراة بآيات كثيرة بهذا المعنى، فقد ورد الأمر الإلهي لموسى لصناعة وسيلة النداء في سفر العدد (10: 1-3):

﴿ وكلم الرب موسى قائلاً: "اصنع لك بوقين من فضة. مسحولين تعملهما، فيكونان لك لمناداة الجماعة ولارتحال المحلات.﴾.

كما وردت الوظيفة التعبدية للبوق في نفس السفر، وفي آية أخرى (عد 10: 10):

﴿ وفي يوم فرحكم، وفي أعيادكم ورؤوس شهوركم، تضربون بالأبواق على مُحرقاتكم وذبائح سلامتكم، فتكون لكم تذكاراً أمام إلهكم. أنا الرب إلهكم﴾،

وكذلك في سفر اللاويين(25: 9):

﴿ ثم تعبر بوق الهتاف في الشهر السابع في عاشر الشهر. في يوم الكفارة تعبرون البوق في جميع أرضكم﴾.

وكان بنو إسرائيل يستخدمون البوق، في مناسبات عدة، وإن كان معظمها دينية؛ فكانوا يستخدمونه لإعلان السنة السبتية، وسنة اليوبيل، وتكريس الملك الجديد عن طريق مسحه بالزيت، كما ينفخ في البوق في عيد رأس السنة، وفي يوم الغفران بعد صلاة الختام (المسيري 2005: 70). كما يذكر المسيري بأن أول بوق صنع من قرن الكبش الذي ضحى به إبراهيم افتداءاً لابنه... ويبلغ طول البوق ما بين عشر بوصات واثنتي عشرة بوصة. واستمر البوق يستخدم لتأدية الوظائف السابقة، استمرار بني إسرائيل. وأضيفت إليه وظائف أخرى،

نتيجة لمستجدات الأحداث، فهو يستخدم في عصرنا الراهن في المجالات التالية:

- عند تأدية رئيس الدولة اليمين.
- الإعلان عن عيد رأس السنة اليهودية.
- مقدم يوم السبت (بعض أحياء الأرثوذكس).
- وبعض المناسبات الهامة (نصر، احتلال .. الخ). (المسيري 2005: 70).

وإن كان الموحي (2007: 80) يرى، بأنهم أقلعوا عن استخدامه، واستخدموا الأجراس، والرأي عندنا، أن الوسيلتين تستخدمان معاً؛ فبعض الطوائف تستخدم الأجـــراس، والبعض الآخر يستخـــدم البوق، أما إذا كان الكلام عن المجتمع الإسرائيلي، فإن استخدام البوق هو السائد. والصلاة لا تبدأ إلا بالنداء لها (Hoffman 2010: 22).

إمامة الصلاة

تطلبت اليهودية، منذ زمن المشنا والتلمود، وحتى يومنا هذا، مختصين لقيادة الصلاة الجماعية، أو لأداء عدد محدود من الشعائر أو الاحتفالات. وكان الوضع أكثر تعقيداً في مرحلة السبي البابلي، وخاصة، بعد فرض الصلاة الطقسية، وبناء الكنيس، فقد كان الحاخامات أو العلماء، هم المسئولون عن قيادة الصلاة، وإصدار الفتوى. ومع حركة التاريخ اليهودي، وتغير الأوضاع، وخاصة منذ حركة التنوير، ونظراً لأن معظم الصلوات مغناة، فإن إمام الصلاة يجب أن يختار بعناية فائقة، فهو المنشد المدرب، الذي يقوم بتلاوة الصلاة أو القراءة من التوراة، ويشترطون أن يكون حسن الصوت، ومن نسل (لاوي)، كما يُختار أيضاً لعلمه بالأناشيد التراثية ولفهمه بمعاني الصلوات ولإخلاصه في تلاوتها.

وقد دأبت دور العبادة (السيناجوج)، منذ فترة التنوير، على توظيف حاخامات، وقائمين وأئمة صلاة، ومعلمي قراءة، ولا يزال هذا هو الوضع السائد، في معظم بيوت العبادة، حتى يومنا هذا. ونظراً لتوزع الطوائف اليهودية على مناطق كثيرة في العالم، فإن هذا التوزع يؤثر كثيراً على حجم الطوائف؛ فمنها ما هو صغير الحجم، ومنها ما هو كبير الحجم، وهذا بدوره أثر على الشروط الواجب توفرها في القائمين بأمر الشأن الديني للطائفة، فصلاة الجماعة، في كثير من الطوائف، على سبيل المثال، غالباً ما تتطلب دورين محددين، يمكن للحاخام أو للإمام القيام بهما:

الدور الأول، وكيل أو ممثل الطائفة: مهمته قيادة المصلين، وأحياناً أخرى، يصلي نيابة عن الطائفة، وعندما يقرأ الصلاة نيابة عن الطائفة، فإنه لا يقوم بدور الوساطة، ولكن بدور التخفيف، وكل الطائفة تشارك في الصلاة، بقولها آمين، في ختام تلاوة الصلاة، وبهذه الطريقة تصبح صلاة ممثل الطائفة، هي صلاة الطائفة.

الدور الثاني، قائد التلاوة: يقوم بقراءة جزء التوراة الأسبوعي، والسمات أو

المؤهلات المطلوبة لشغل هذه المهمة، هي نفسها المطلوبة من المنشد، بحيث نلاحظ، أنه لا توجد حدود فاصلة بين المهمتين، فكل من الشخصين يمكنه القيام بالدورين معاً.

وهناك مهمة ثالثة، هي مهمة القيوم (Gabbai)، وكثيراً ما تكون هذه المهمة، في الطوائف أو التجمعات الكبيرة العدد، وتتمثل مهمته، في دعوة الناس لتلاوة التوراة، وتكليف شخص لإمامة الصلاة، إذا لم يكن هناك إمام معتمد. ومن ضمن المهام، التي يقوم بها، الحرص على أن يظل المعبد نظيفاً، ومزوداً بكل ما يحتاجه. ورغبة في الحفاظ على الدعوة إلى الصلاة، والعناية ببيوت العبادة، فقد اتخذت إمامة الصلاة شكلاً مهنياً، وأصبح على الراغبين في الانتماء إليها، الحصول على إعداد خاص بذلك، بحيث لا يشغل هذه المهمة، إلا أكثر الناس تأهيلاً ودراية، بأمور الديانة اليهودية، وتم وضع شروط لشغلها، ومن هذه الشروط:

- حسن الصوت.
- التدريب الجيد.
- شخصية مشهود لها بالخلق القويم.
- المعرفة الكلية بالصلوات والألحان.

ومع ذلك، وحتى لا يساء الفهم، فإن مسألة إمامة الصلاة، والقيام بالأدوار الدينية الأخرى، ليست محتكرة، ولكنها محبذة، خاصة إذا كان حجم الطائفة كبيراً، أما إذا كان حجم الطائفة صغيراً، فإن أي شخص راشد، وعلى دراية بالصلوات، يمكن أن يؤم الصلاة. وينبغي الإشارة هنا، إلى أن بعض الطوائف (الأرثوذكسية)، تشترط أن يكون الإمام رجلاً، وبعضها الآخر لا يشترط ذلك على الإطلاق.

صلاة المرأة

إن الحديث عن صلاة المرأة، هنا، لا يتصل في الأساس بالصلاة الفردية، وإنما بالصلاة الطقسية، والأمر يختلف باختلاف الفتوى الحاخامية، وبالتطورات التي حدثت في بنية الطوائف اليهودية عبر التاريخ. وعليه فإنها، من حيث المبدأ، مطالبة أيضاً بالصلاة، ولكنها تصلي مرة واحدة في اليوم، ومن الأفضل أن تكون هذه الصلاة هي صلاة الصباح، كما يمكنها أن تصلي الصلوات الثلاث كلها، إذا أرادت ذلك.

والمرأة غير مكلفة بالذهاب إلى المعبد، ومع ذلك، فعددهن في المعابد يفوق المصلين (في كثير من المعابد الإصلاحية أو المحافظة). أما المرأة اليهودية في الطائفة الأرثوذكسية، فمطالبة بالصلاة يومياً على الأقل، ودون تحديد لوقت أدائها، وفيما يتعلق بالصلاة المكررة، فهو أمر اختياري، أما المحافظون فيعتبرونها إجبارية. ومنذ عام 2002م، أصبح على المرأة اليهودية في الطائفة المحافظة، أن تؤدي الصلوات في جماعة، وفي نفس الوقت كالرجال. ويختلف الأمر عند جماعة الإصلاحيين وغيرهم من التجديديين، الذين يعتبرون أمر تحديد وقت الصلاة،

أمر شخصي أكثر مما هو ديني.

الصلاة الفردية (صلاة الآباء)

يقصد بالصلاة الفردية، تلك الصلاة، التي يتقرب بها العبد لربه، في ليله ونهاره، في حزنه وفرحه، مستتو بالارتجالية، وتتلى حسب الظروف والاحتياجات الشخصية، ولا علاقة لها بالطقوس والمواعيد والمواسم، (المسيري 2005: 62). وأبرز هذه الصلوات هي صلاة الأنبياء والمرسلين، أو صلاة الآباء الأوائل، وهي على النحو التالي:

صلاة إبراهيم

هناك نقاشات كثيرة بين العلماء اليهود حول الصلاة، اليهودية بصفتها هذه – والتلمود حافل بمثل هذه المناقشات- فمن قائل، بأنها مأخوذة من الآباء الأوائل (إبراهيم وإسحق ويعقوب)، ومن قائل بأنها مشتقة، زمنياً، من الوقت الذي كانت تقدم فيه الأضاحي في المعبد. وطالما أن المعبد قد انتهى من الوجود، فلم يعد بالإمكان تقديم الأضاحي، فكان لا بد من التعويض عن تقديم الأضاحي، بالصلاة الشفوية، ومن هنا أتت الصلاة. ويؤكد الموحي (2007: 79) بأن سيدنا إبراهيم وذريته كانوا يصلون ثلاث صلوات في اليوم والليلة، وذلك بقوله: فإبراهيم عليه السلام وأولاده وأحفاده فرضوا الصلاة بأوقاتها الثلاثة (الصبح والعصر والليل).

صلاة سليمان

جاء في سفر (مل 1 / 9: 2-3):

> ﴿أن الرب تراءى لسليمان ثانية كما تراءى له في جبعون. وقال له الرب: قد سمعت صلاتك وتضرعك الذي تضرعت به أمامي. قَدَّستُ هذا البيت الذي بنيته لأجل وضع اسمي فيه إلى الأبد، وتكون عيناي وقلبي هناك كل الأيام﴾.

كما جاء في سفر أخبار الأيام الثاني (6: 12 - 43) ذكر لصلاة سليمان، وهي صلاة طويلة أداها بعد أن بنى بيتاً للرب

> ﴿ووقف أمام مذبح الرب تجاه كل جماعة إسرائيل وبسط يديه. لأن سليمان صنع منبراً من نحاس وجعله وسط الدار، طوله خمس أذرع وعرضه خمس أذرع وارتفاعه ثلاث أذرع، ووقف عليه، ثم جثا على ركبتيه تجاه كل جماعة إسرائيل وبسط يديه نحو السماء، وقال: "أيها الرب إله إسرائيل، لا إله مثلك في السماء

والأرض، حافظ العهد والرحمة بعبيدك السائرين أمامك بكل قلوبهم. الذي قد حفظت لعبدك داود أبي ما كلمته به، فتكلمت بفمك وأكملت بيدك كهذا اليوم....".﴾

وأختتم صلاته بقوله: ﴿"أيها الرب الإله، لا ترد وجه مسيحك، أذكر مراحم داود عبدك"﴾

صلاة اليا

جاء في سفر الملوك الثاني (18: 42) قول الرب:

﴿ فصعد أخاب ليأكل ويشرب، وأما إليا فصعد إلى رأس الكرمل وخر إلى الأرض، وجعل وجهه بين ركبتيه﴾.

صلاة عزرا

جاء في سفر عزرا (9: 4 - 15) ذكر لصلاة عزراء، وهي صلاة طويلة نقرأ منها:

﴿فاجتمع إليَّ كل من ارتعد من كلام إله إسرائيل من أجل خيانة المسبيين، وأنا جلست متحيراً إلى تقدمة المساء. وعند تقدمة المساء قُمت من تذللي، وفي ثيابي ورودائي الممزقة وجثوت على ركبتيَّ وبسطت يديَّ إلى الرب إلهي، وقلت: "اللهم، إني أخجل وأخزى من أن أرفع يا إلهي وجهي نحوك، لأن ذنوبنا قد كثرت فوق رؤوسنا، وآثامنا تعاظمت إلى السماء...."﴾، واختتم عزرا صلاته بقوله: ﴿"أيها الرب إله إسرائيل، أنت بار لأننا بقينا ناجين كهذا اليوم. ها نحن أمامك في آثامنا، لأنه ليس لنا أن نقف أمامك من أجل هذا".﴾

صلاة دانيال

جاء في سفر دانيال (دا 6: 10)، ما نصه:

﴿فلما علم دانيال بإمضاء الكتابة ذهب إلى بيته، وكُواهُ مفتوحة في عُلِّيَّته نحو أورشليم، فجثا على ركبتيه ثلاث مرات في اليوم، وصلى وحمد قدام إلهه كما كان يفعل قبل ذلك.﴾

من كل ما تقدم، يمكننا القول بأن الصلاة في شريعة موسى، أو في اليهودية، تقوم في الأساس، على الدعاء والرجاء والتضرع والتوسل للرب، وذلك بشكل يومي، وفي المناسبات والأعياد، وفي السراء والضراء. وأي كان الداعي للصلاة، فإنها لا تؤدى أو لا تقام اعتباطاً، أو دون حدود وضوابط، بل إنها محكومة ومقننة، والعمل بضوابطها أمر ملزم، وليس مسألة

اختيارية، ويتحدد على أساس ذلك قبول أو عدم قبول صلاة المرء.

لغة الصلاة وكتبها

على الرغم من الأهمية القصوى للغة، كمعادلة حضارية، في حياة الإنسان، إلا أنها لم تكن قط، العامل الحاسم لتقبل الله للصلاة من عباده، وإن كانت أساسية في العبادة بصفة عامة. وعليه، ووفقاً للقانون اليهودي، يمكن للمرء أن يصلي بأية لغة يشاء، ولكنها تكون أفضل إن تُليت بالعبرية (Dorrof 1977: 205). وفي فترة المعبد الثاني، كان استخدام المصطلحات التوراتية هو الغالب. والاختلافات التي حدثت خلال الألفين سنة الماضية، ليست سوى اختلافات بسيطة؛ والفارق المبدأي هو بين الأشكناز والسفارد. وكذا في بعض التجمعات اليهودية: كيهود اليمن والحسيديين. فالمعابد الأشكنازية الأرثوذكسية، على سبيل المثال: تقضي بأن تؤدى الصلاة بالعبرية (الأشكنازية) في الغالب الأعم، أما باقي الفرق فلا تصر على تأدية الصلاة بالعبرية، ويرون أنها يمكن أن تؤدى باللغة المحلية، كما سبقت الإشارة.

ولم تكن هناك، صلاة محددة تحديداً دقيقاً، في التراث العبري القديم، بل كانت فردية وتلقائية، حتى بعد أن بنى سيدنا سليمان المعبـــد. ولم تتغير صيغة الصـــلاة بعد ذلك، فكانت أيضاً فردية وتلقائية (Ciaravino 2001: 60). وكان بنوا إسرائيل يؤلفون صلواتهم بأنفسهم، وهذا ما أكده موسى بن ميمون في قوانين الصلاة (1:14) (Donin 1991: 122)، حيث ذكر أن جميع اليهود كانوا يؤلفون صلواتهم بأنفسهم، ولما وجد الحكماء، في المجمع الكبير، أن الناس غير قادرين على تأليف صلواتهم، قاموا بجهد كبير، في كتابة الجزء الأكبر من كتاب الصلاة، كالأميدا، على سبيل المثال، وذلك عام 260 ق.م (Ciaravino 2001: 74). أما فيما يتعلق بالصلاة اليهودية الحديثة، فيعود أصلها إلى زمن (التناعيم). وقد قام الحاخامات، بعد تدمير المعبد الثاني، بوضع الخطوط العريضة لها، وكذا محتواها، الذي يتضمن تلاوة الشماع مرتان يومياً، وتلاوة البركات الثمان عشر، التي تُتلى عدة مرات يومياً، والتلاوة العامة للتوراة (Ciaravino 2001: 60).

ولم ينته الأمر عند هذا الحد، بل حدث على مدى أكثر من ألفي عام، تغيرات طفيفة بين الطوائف اليهودية (الأشكناز والسفارد واليمنيين) في محتوى الصلوات. وهناك من يعيد تلك الاختلافات، إلى العادات المحلية للمجتمعات، التي يقيم فيها اليهود، يقول (Lowenestien 2000: 88) بهذا الصدد:

> إن عدم الاتفاق، حول نظام صلوات محددة، يؤدي إلى اختلاف في الصلاة العامة. كما أن هناك اختلاف منطوق صلوات معينة. إن الطقس الديني قد اتسع، نتيجة إضافة صلوات جديدة كثيرة، وقصائد طقسية كُتبت أساساً في العصور الوسطى.

الأمر الذي أدى في نهاية المطاف، إلى تعدد كتب الصلاة اليهودية، ويذكر حسن ظاظا (1999: 150-151) أسماء كتب الصلاة اليهودية وأعدادها وتاريخها، وكذا أسماء كتب الصلاة لدى الطوائف وتاريخها، وذلك على النحو التالي:

1. كتاب "سيدور رب عمرام"، جمعه عمرام الجأون، في بابل عام 846 - 864م. وطبع عام 1865م في وارسو.
2. كتاب "سدورا"، وضعه سعديا الجأون، في بابل عام 928-942م، وكان يحتوي على صلاتين من وضعه، عرَّب واحدة منهما بنفسه، وعرب الأخرى صيمح بن يوسف.
3. كتاب "سيدر تفلوت كل هشانا"، وضعه موسى بن ميمون، تمت طباعته في بطرسبرج عام 1851م.
4. كتاب "مَخزور فتري"، أول وأهم كتاب صلاة للأشكناز، وضعه حاخامو فرنسا عام 1208م.
5. كتاب "تمونوت، تحنوت، تفلوت"، أي تأملات وتوسلات وصلوات، وهو أول كتاب صلاة للسفارديين، طبع في فينيسيا (البندقية) عام 1524م.

ولم ينته الأمر إلى الاكتفاء بهذه الكتب، بل استمر إصدار كتب الصلاة كثيراً، وبلغات متعددة، وفقاً لاحتياجات الطوائف والجاليات اليهودية، في كل بقاع العالم، وهذا ما أكده شاحاك (2003: 12) بقوله:

> وبعد انهيار المركز الأخير في العراق، أصبحت الفروق بين المجتمعات اليهودية أكثر عمقاً، على سبيل المثال، على الرغم من مواضبتها واستخدامها بعض الصلوات القديمة، الشائعة لدى كل اليهود، ظهرت صلوات جديدة، خاصة لكل مجتمع على حدة. وحتى ترتيل الصلوات في المجتمعات المختلفة أصابه التغيير، كما أن القواعد الدينية للسلوك، في كل مجالات الحياة، والتي يلتزم بها اليهود الأتقياء، تغيرت أيضاً، إلى حد ما، واختلفت من مجتمع لآخر.

ومع ذلك، فليست الاختـــــلافات كثيرة، بين صلاة الطوائف والجماعات أو الجاليـــات اليهودية. فكلها تحتوي على الأدعية والابتهالات والتضرع والشكر. ومن بين الطوائف التي تحرص، ما أمكن، على التقيد بالشريعة، جماعات الحريديم (جحاف 2012: 126 - 129) أو الأرثوذكس، التي أورد المسيري (2005: 68) شيئاً من الأدعية، التي تحفل بها كتبهم، بقوله:

> ويبدأ كتاب الأرثوذكس بالأدعية التقليدية، حيث يشكر اليهودي الإله، لأنه لم يخلقه من الأغيار ولا عبداً ولا امرأة (أما النساء فيشكرنه لأنه خلقهن حسب مشيئته) ويختم الدعاء بالابتهال لإعادة بناء الهيكل، وبأن تقدم فيه جماعة يسرائيل القرابين

مرة أخرى، ويضم الكتاب أيضاً، إشارات إلى الثواب والعقاب والبعث والحياة بعد الموت، واختيار جماعة يسرائيل، وشريعة الإله التي لا تتغير، وإلى المعجزات الإلهية.

وتنوع الظروف والبيئات، التي عاش اليهود في ظلها، انعكس على كتب صلواتهم، فتنوعت واختلفت هي الأخرى.

واختلاف كتب الصلاة، يرجع في الأساس، إلى أن هناك تقليدين رئيسيين لكتابتها، يمكن إعادتهما إلى الاختلاف القائم بين تقاليد أرض إسرائيل (التقليد الفلسطيني)، الذي أتت منه الشعائر الأشكنازية، والتقاليد البابلية، التي تطورت عنها الشعائر السفاردية (Lowenestien، 2000: 88).

وبالإضافة إلى ما ذُكر، فإن هناك كتب معيارية للصلاة اليهودية، وسوف يتم الاعتماد، على أحد هذه الكتب المعيارية، في عرض الصلوات اليهودية، في دراستنا هذه.

ومن المستحب، هنا، أن نذكر أن يهود اليمن يعتمدون في صلاتهم، على التشكيل، الذي أحدثه موسى بن ميمون، في كتابه مشنا توراة، في القرون الوسطى. ومنذ ذلك الحين، أصبحت الكتب اليهودية، تعتمد نفس الترتيب والمحتوى الميموني. وأي ما كان عدد كتب الصلاة، أواللغة التي كُتبت بها، إلا أنها جميعاً، تتضمن شيئاً واحداً مشتركاً وإجبارياً، وهو احتواؤها على الشماع والأميدا (Ciaravino 2001: 62).

الصلوات اليومية: (عرض أولي)

ينبغي، قبل عرض نموذج الصلوات اليومية، الإشارة، إلى أمر يُسَهل على القارئ المتابعة، وهو أن الحديث عن الصلوات، سيتخذ أربعة أشكال: الشكل الأول، صلاة افتتاح الأيام (صلاة مستحبة). الشكل الثاني، للصلاة اليومية (المفروضة). الشكل الثالث، النموذج المبسط للصلاة اليومية. الرابع والأخير، سيتم عرض مثال حي لمجريات الصلاة اليومية.

الشكل الأول، صلاة افتتاح الأيام

الصلوات المفروضة على بني إسرائيل، وفقاً للرؤيا الحاخامية، ثلاث صلوات: صلاة الصبح، وصلاة بعد الظهر، وصلاة المساء. ورغبة في مزيد من التقرب إلى الله، فقد جرت العادة، في التراث العبري، أن يقوم بنو إسرائيل بتلاوة شيء من المزامير، صلاة يفتتحون بها كل يوم من أيام الأسبوع، وهي صلوات مستحبة، وذلك على النحو التالي:

- صلاة أول أيام الأسبوع (يوم الأحد): اعتاد اللاويون، أن يفتتحوا أول أيام الأسبوع، بتلاوة المزمور (24: لداود مزمور)، ونصه يبدأ بـ﴿(1) للرب الأرض وملؤها. المسكونة، وكل الساكنين فيها.﴾ وينتهي بـ﴿(10) من هو هذا ملك المجد ؟ رب الجنود هو ملك المجد.

سلاة».

- صلاة يوم الاثنين: ومزمور اليوم الثاني هو (48: تسبيحة. مزمور لبني فورَح)، ويبدأ بـ: «عظيم هو الرب وحميد جداً في مدينة إلهنا جبل قدسه»
- صلاة يوم الثلاثاء: ومزمور اليوم الثالث هو (82: مزمور لآساف)، ويبدأ بـ: «الله قائم في مجمع الله. في وسط الآلهة يقضي»
- صلاة يوم الأربعاء: ومزمور اليوم الرابع هو(94: يا إله النقمات)، ويبدأ بـ« يا إله النقمات يارب، يا إله النقمات أشرق».
- صلاة يوم الخميس: ومزمور اليوم الخامس هو (81: لإمام المغنين)، ويبدأ بـ: «رنموا لله قومنا. اهتفوا لإله يعقوب»
- صلاة يوم الجمعة: ومزمور اليوم السادس هو (93: الرب قد ملك)، ويبدأ بـ: « الرب قد ملك. لبس الجلال. لبس الرب القدرة، ائتزر بها. أيضاً تثبتت المسكونة. لا تتزعزع».

أما الصلوات المفروضة بصفة يومية، فهي على النحو التالي:

الشكل الثاني: الصلوات اليومية

أولاً: صلاة الصبح (شحاريت)

ينبغي قبل الحديث عن الصلوات، الإشارة إلى أنه على الرغم من أن كل اليهود يؤدون نفس الصلوات، ويستخدمون نفس النصوص، إلا أن طرقهم في أداء هذه الصلوات، تختلف باختلاف فروع اليهودية، وذلك من حيث تكرار الصلاة، وعدد الصلوات، التي تتلى في مختلف المناسبات الدينية، وكذلك اللغة المستخدمة فيها، وما نورده هنا، يصدق على كل الفرق، ولا يخص فرقة بعينها.

تسمى صلاة الصبح بالعبرية شحاريت، وتُعد أكثر كمالاً واكتمالا (Hoffman، 2010: 20). ويبدأ وقتها، كما يقول المسيري (2005: 62) من الفجر حتى نحو ثلث النهار، ويذكر Mansoor (1991: 158) بأن وقتها، يبدأ من الفجر وحتى الظهر، ويحدد هذا الزمن بدقة أكبر، رئيس الطائفة اليهودية في العراق، روبين ناجي، بقوله: بأنها تبدأ من بزوغ الشمس حتى ارتفاع النهار (الموحي 2007: 86)، ويفهم من هذه الأقوال، بأن وقتها يبدأ من طلوع الضوء وحتى منتصف النهار.

وبعد أن يتوضأ المصلي للصلاة، وقبل أن يقوم للصلاة، يقوم بتلاوة بعض فصول المشناه، وبعض الأدعية والابتهالات، وهذه الأدعية والابتهالات، لا تستوجب ما تستوجبه الصلاة، من حيث توفر عدد معين من المصلين، وذلك لأنها ليست جزءاً أساسياً من الصلاة (المسيري 2005: 62). وبعد ذلك يقوم للصلاة.

وعند القيام للصلاة، يجب على المصلي أن يتجه نحو القبلة؛ فإذا كان في القدس توجه نحو

الهيكل، وإن كان خارج القدس توجه نحو القدس. وقد جاء في سفر دانيال (6: 10):

> فلما علم دانيال بإمضاء الكتابة ذهب إلى بيته، وكُواهُ مفتوحة في عُلِّيَّه نحو أورشليم، فجثا على ركبتيه ثلاث مرات في اليوم، وصلى وحمد قدام إلهه كما كان يفعل قبل ذلك.

كما "جاء في الفتوحات الربانية وقبلتهم للغرب إذا ما استقبلوا مغارب الأنوار ... ويرى موسى بن ميمون، أن اختيارهم لجهة الغرب، هو لسببين:

الأول: امتثالاً لقول التوراة (سكينة في الغرب).

الثاني: أن عابدي الأوثان كانوا يعتمدون لبناء هياكلهم وقصورهم فوق الأماكن المرتفعة خاصة الجبال، وأن سيدنا إبراهيم عليه السلام اختار جبل (موريا) وأعلن فيه التوحيد وحددها لعين الغرب لأن قدس الأقداس يقع في الغرب من جهة هياكل الوثنيين الذي تقع فيه جهة الشرق، (الموحي 2007: 81).

وإذا لم يكن المصلي على علم بالقبلة، اتجه نحو ربه. ثم يقفون للصلاة –وهنا تظهر الاختلافات بين الطوائف اليهودية؛ فمنهم من يقف، ومنهم من يجلس على الكراسي- فالواقفون للصلاة، (وينطبق هذا في الغالب على يهود الشرق) تبدوا أقدامهم وكأنها قدم واحدة، ويخفض رأسه ويغلق المصلي عينيه إن كان لا يقرأ، ويفتحها البصير، ويضع يديه على قلبه، اليد اليمنى على اليسرى، ويجب ألا يتكىء إلى شيء (الموحي 2007 : 86).

وبعد الوقوف للصلاة، وحتى تكتمل طقوس الصلاة، لا بد من توفر ركنين أساسيين، وهما: النية، والعناصر الطقوسية المركبة (تمائم الصلاة). أما النية، وتسمى بالعبرية كَفَناه Kavanah (Ciaravino 2001: 83)، فهي واجبة وملزمة، وعلى المصلي أن ينوي للصلاة سراً، في قلبه. والركن الثاني، يتمثل في العناصر الطقوسية المركبة (تمائم الصلاة)، وهي ما يلبسه المصلي؛ منها ما يُلبس قبل الصلاة، ومنها ما يُلبس أثناءها؛ كالشال والكوفية والأقفاص. وتعد مسألة تغطية الرأس أو لبس الكوفية، من الأمور التي لا يتهاون فيها اليهود، والأرثوذكس منهم على وجه التحديد، فقد كانت الصلوات عند اليهود (الأتقياء)، عملاً شديد التعقيد، لا تؤدى على الوجه الصحيح، إلا إذا غطى المصلي رأسه، دليلاً على الخشوع (سعفان 2000: 44). ويؤكد هذا الرأي الموحي (2007 :80) بقوله:

> أن اليهود يحبون تغطية الرأس عند الصلاة يسمى (كيبوي Keepoy) لأن الله سبحانه وتعالى، أوحى لموسى عليه السلام، بأن على هارون ونسله أن يلبسوه تعبيراً عن الاحترام للنصوص المقدسة، التي يقرؤونها في صلاتهم.

إلا أن المسيري (2005: 69) يقول: بأنه لا توجد أية إشارة في التوراة أو التلمود، إلى ضرورة

تغطية الرأس أثناء الصلاة، ولكن الشولحان عاروخ يجعل ذلك فرضا.

وتتكون صلاة الصبح، من ثلاث مكونات رئيسية : البنية العامة، والحركات، والتلاوة. فمن حيث بنيتها العامة، فإنها تتكون من سبع وحدات متتالية ومترابطة، مبنية الواحدة على الأخرى، بشكل يخلق نمطاً متميزا، ووضعها Hoffman (2010: 22) في الشكل رقم (4) التالي:

شكل رقم (4) يبين الشكل الوحدات السبع لصلاة الصبح

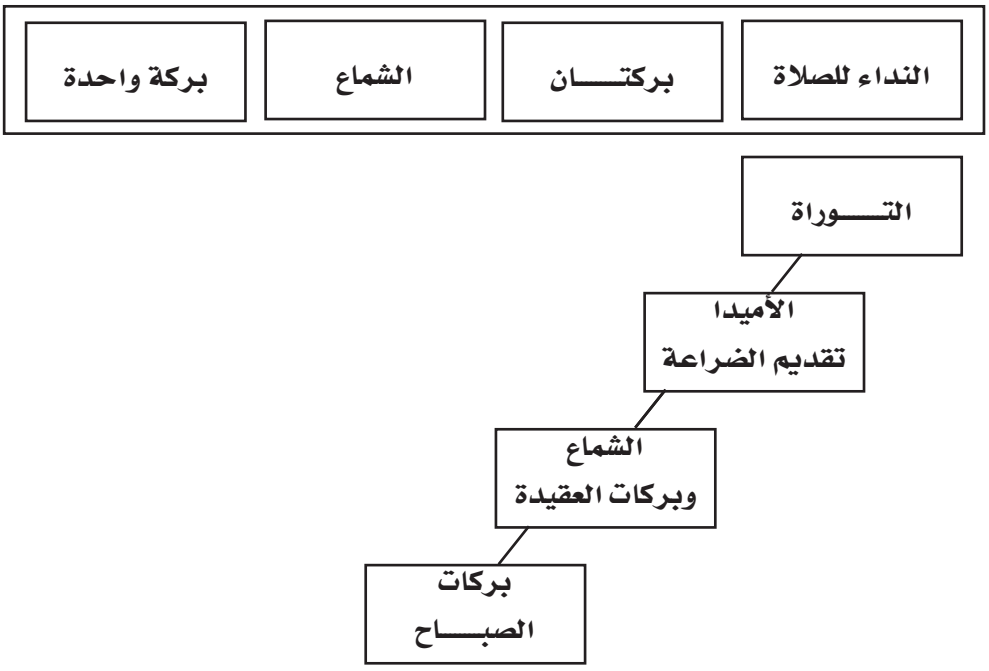

أما من حيث الحركات، التي تتم فيها، فإن صلاة الصبح تتكون من أربع ركعات، يفصل بين كل ركعة وأخرى، أدعية وأذكار، يوحد المصلي من خلالها ربه، ويحمده على أن جعله يهودياً، من أحفاد إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ويطلب منه سبحانه، أن ينال بها توبة. ويبدأ بقراءة الأدعية والطلبات، ودعاء يصبر منه على تنفيذ أوامره، ولا سجود فيها بل ركوع أو انحناء (الموحي 2007 : 86-87). ويرى ابن ميمون أنه، وحتى وقت السبي البابلي، كان اليهود يؤلفون صلواتهم بأنفسهم، وهناك العديد من حاخامات التلمود، الذين ألفوا الصلوات وأضافوها لطقوس الكنيس، (كوهن 2005: 145). أما بعد السبي، فقد قام الأنبياء والحكماء، وعلى رأسهم عزرا، بتأليفها، وأصبحت مدونة في كتب الصلاة، السابقة الذكر.

ومن حيث التلاوة، فإن صلاة الصبح تحتوي على ثلاثة أجزاء هي: الشماع (شهادة التوحيد)، والبركات الثمانية عشرة، وتسبيح القاديش؛ وأتت الشهادة في بداية الصلاة، لأنها

جوهر الديانة اليهودية (عثمان 2002: 199)، ولأنها أقدم الصلوات (تث 4: 6)، ويطلق عليها إعلان الإيمان، ويشجع التقليد اليهودي إعطاء وقت قصير للتأمل قبل تلاوتها، لأن ذلك، يهيء المـرء للصلاة، بإبعاده عن كل مشاغل وهموم الدنيا (Ciaravino 2001: 71)، ولأنها، كما يشير الحاخام ليفي (القرن الثالث)، تشير ضمناً، إلى مبادئ الوصايا العشر. وكانت صلاتا الشماع والأميدا، تعد الصلوات الرئيسية، في فترة المعبد الثاني، والقرون الأولى التي تبعته (Bloch 1989: 73).

1. الشماع (شهادة التوحيد)

نص الشهادة، ورد نص الشهادة في كل من سفر التثنية (توحيد الرب)(6: 9-4)، وسفر التثنية (مزوزوت)(11: 22-13) وسفر العدد (الأهداب)(15: 41-37)(: 73 Bloch1989 و Forta 1995: 86وCiaravino 2001: 73). ومن صفاتها أنها في مجملها عن الرب (Ciaravino 2001: 74). وأثناء تأدية الصلاة، عندما يصل المصلون إلى تلاوة النصوص الخاصة بالأهداب، يضع المصلون اليهود (من الأرثوذكس والمحافظين) الأهداب على عيونهم وأفواههم ويضغطون عليها (المسيري 2005: 69). وللشهادة مكانة عظيمة عند اليهود، فهم يعتقدون، أنها تطرد الشر والحسد والأذى، وأنها تطفيء نار جهنم (علي : 77). ويمكن إعادة سبب هذه المكانة، إلى أن هذا الجزء من الصلاة اليهودية (الشهادة)، هو الوحيد المأخوذ كله من التوراة (ظاظا 1999: 154). وعلى الرغم من أهمية هذا الجزء من الصلاة، إلا أن وقوف المصلين فيه ليس إجبارياً (Ehrlich 2004: 10).

2. البركات الثمانية عشرة

ويكرس الجزء الثاني من صلاة الصبح، للبركات الثمانية عشر (الشمونة عسره)، أو الأميدا (النص الطويل)، وتسمى أيضاً بالصلاة (Ciaravino 2001: 74). ومن صفاتها أنها عملية تواصل خالصة مع الرب (Hoffman 2010: 22)، يطلب فيها المصلي من ربه، ما يرجوه ويطمح إليه (Ciaravino 2010: 74). ويمـــدنا الأدب بأكثر من رأي، حـــول فترة صياغة صلاة الأميدا، ففي حين يـــرى (Bloch 1989: 72)بأن صياغتهـــا تعود، استناداً لأحد التقاليد، إلى عـــزرا، وذلك في القرن الخامس قبـــل الميلاد، فـــإن (Ciaravino 2010: 74)يرى، بأن شيوخ المجلس الأعلى، هم من قام بتأليفها، وذلك حوالى 260 ق.م. واعتمد التلمود ترتيب الشيوخ والأنبياء للبركات الثمانية عشرة. وكان التحرير الأخير لها في يفنة، في القرن الأول للميلاد، بقيادة جملائيل الثاني (Bloch 1989: 72)، وهي صلاة اليهود الربانيين (الموحي 2007 :89).

وصلاة الأميدا، عندما تُتلى في السيناجوج، فإنها تتلى على أجزاء: في البداية تُتلى

بصمت، ثم تُتلى جهراً، ويقوم بتلاوتها القائد (الإمام)، وينبغي على المصلين في هذا الجزء من الصلاة (الأميدا أو الشمونه عسره)، أن يقفوا عند تلاوتها (المسيري 2005 :64)، وذلك لأنها، لُغوياً، المقابل العبري للوقوف. والوقوف في صلاة الأميدا، لا يقتصر على المصلين، بل يتعداهم إلى من هم بالقرب منهم (Ehrlich 2004 : 10).

وكان عدد هذه البركات، كما هو واضح من تسميتها، ثمان عشر بركة، ولكنها أصبحت تسعة عشر بركة، بعد أن أضاف صموئيل الأصغر (من رواة المشناه) البركة التاسعة عشرة، ويأتي ترتيبها في الأميدا الثانية عشر، وهي ليست بركة، بل لعنة يصبونها على الفرق الأخرى، من غير اليهود الربانيين، وخاصة على فرق الصدوقيين، وتعد هذه البركات الصلاة الحقيقية الفريدة، لاحتوائها كافة النيات، التي يتضرع المؤمنون من أجلها (الموحي 2007 : 89).

وعلى الرغم، من أهمية كل هذه البركات (الشمونة عسره)، إلا أن هناك ست بركات فيها، تعد الأساسية، وهي: البركات الثلاث الأولى (البركة الأولى والثانية والثالثة)، والبركات الثلاث الأخيرة (البركة السابعة عشر والثامنة عشر والتاسعة عشر)، وهي أيضاً أقدم الأدعية، (المسيري 2005 : 65)، كما تمتاز عن غيرها من البركات، لأنها تقام أيام السبت والأيام الاعتيادية. أما الأدعية الموجودة بينها، فلا تقال أيام السبت والأعياد (الموحي 2007 : 89). وجرت العادة، عند الانتهاء منها (الأميدا)، أن يرجع المصلون ثلاث خطوات إلى الوراء، ثم تُقرأ الصلاة التكميلية (لأجل السلام). وهكذا، ينسحب المصلون من وجودهم أمام الرب، دون أن يديروا ظهورهم له (Bloch 1989 : 76).

وتتضمن صلاة الشمونة عسره (الأميدا)، أربعة انحناءات (ركعات)، في مواضع متفرقة : في بداية البركات الأولى ونهايتها، وفي بداية ونهاية البركات الوسطى، وذلك عند القول (قدوس قدوس قدوس). تتكون صلاة الشمونة عسره، من ثلاث بركات افتتاحية، وهي:

- مديح الآباء الأوائل للإيمان اليهودي.
- مديح قوة الرب، الظاهرة في كل شيء إلى بعث الموتى.

تقديس وحدانية الرب (Ciaravino 2001 : 75)، وهي الجزء الأول من بركات الحمد.

كما تتكون الشمونة عسره، من ثلاثة مكونات رئيسية : 1) بركات الحمد. 2) بركات المعرفة والتدبر. 3) بركات الامتنان، على النحو التالي. ويجب قبل تلاوة البركات الثمانية عشرة في هذه الصلاة، تلاوة آية من المزمور (51 : 15)، ونصها: ﴿(15) يا رب افتح شفتيَّ فيخبر فمي بتسبيحك﴾

ثم تلاوة:

- بركات الحمد، وهي ثلاث بركات:

(1) "آبوت" أي "الآباء"، وهي تمجيد إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أو إشارة إلى عهد الإله مع الآباء. (2) "جبروت" أو "القوة"، قوة الإله، وهو تسبيح الواحد محي الموتى، إذ توجد

فيه عدة إشارات إلى الإله الذي يحي الموتى. (3) "قيدوشوت"، أي "التقديس"، ويسمى أيضاً "قيدوشيت هشيم" أي "تقديس الاسم"، وهو مدح لقدسية اسم الإله، ويردده الإمام والجماعة.

- بركات المعرفة والتدبر، وهي اثني عشر بركة:

(1) المعرفة- طلب المعرفة والتدبر. (2) التوبة- أعدنا إلى التوراة. (3) العفو- طلب العفو والمغفرة. (4) التكفير- التضرع من أجل الإنقاذ. (5) الشفاء- طلب الشفاء. (6)النجاح- طلب أن تكون السماء مثمرة . (7) جمع المشردين- الدعاء من أجل العودة. (8) تحقق العدل- التضرع من أجل إقامة العدل. (9) المنافقون. (10) المتقون- طلب الرأفة بالمتقين. (11) إعادة بناء أورشليم. (12) مملكة داود.

- بركات الامتنان، وهي ثلاث بركات:

(1) العبادة- تقبل الصلاة وطلب العفو والمغفرة. (2) الامتنان:- بداية: تقديم الشكر للإله. –نهاية: التعبير عن الامتنان. (3) منح السلام.

ويعطينا ظاظا (1999: 154) تسميات أخرى، لتقسيم البركات الشمونه عسره، وهي:

1. شباحيم: أي تسابيح، ويشمل البركات الثلاث الأولى (ريشونوت)، ويحتوي على تسابيح وتعظيم الله تعالى.
2. بقاشون: أي طلبات وتوسلات، ويشمل الثلاثة عشرة بركة المتوسطة (أحعاعيوت)، ويحتوي على طلبات خصوصية للشعب.
3. هوداؤوت: أي تشكرات، وهي أدعية، ويشمل الثلاث بركات الأخيرة (أحرتوت).

وتفصيل البركات الشمونة عسره، وفقاً لما ورد في التوراة، هو على النحو التالي:

1. "آبوت" أي "الآباء"، وهو إشارة إلى عهد الإله مع الآباء. (ذكرت في خروج 3: 15 و تك 14: 9 و 15: 1).
2. "جبروت" أو "القوة"، وهو وصف للقدرة الإلهية، ويسمى أيضاً "تحيت هميتيم" أي "بعث الموتى"، إذ توجد فيه عدة إشارات إلى الإله الذي يحي الموتى. (تث 10: 17).
3. "قيدوشوت"، أي "التقديس"، ويسمى أيضاً "قيدوشيت هشيم" أي "تقديس الاسم"، وهو مدح لقداسة الإله.
4. "بيناه"، أي "الذكاء"، أو"يريحات خوخمه" وهو صلاة الحكمة، ويتضمن طلب الحكمة.
5. "تشوفاه"، أي "التوبة"، وهو تضرع إلى الإله لأن يأتي بالتوبة، فهو يجيب التوابين. (أشعياء 2: 23 و أرميا 3: 15).
6. "سليحاه"، أي "المغفرة"، وهو دعاء من أجل المغفرة. (إشعيا 55: 7).
7. "جئيولاه"، أي "الخلاص"، وهو دعاء من أجل أن يأتي الإله بالخلاص، فهو "مخلص جماعة يسرائيل".

8. "بركات هاحوليم"، وهو دعاء من أجل شفاء المرضى، وينتهي هذا الدعاء بوصف الإله، بأنه "هو الذي يشفي مرضى شعبه يسرائيل". (أرميا 17: 14 و 30: 10).
9. "بركات هاشانيم"، أي "دعاء من أجل السنين الطيبة"، وهو دعاء من أجل أن يجعل الإله العام المقبل عام خير. (تث 30: 40. وأشعياء 11: 12 و 27: 13 و أرميا 51: 27.).
10. كيبوتس جاليوت"، أي "تجميع المنفيين"، وهو دعاء من أجل جمع المنفيين، أي اليهود المنتشرين في كل بقاع الأرض، "فهو الذي سيجمع المنفيين من شعبه يسرائيل". (أشعياء 1: 26 و61: 8 و هوشع 2: 21).
11. "بركات هدين"، وهو دعاء من أجل العدل، ومن أجل أن يحكم الإله ببراءة المصلين، في يوم الحساب في آخر الأيام. (أشعياء 25: 5.).
12. "بركات ها منيم"، وهو دعاء على المهرطقين أو الكفار، ويقصد به أساساً، الميحيون والمتنصرون من اليهود، وقد أضافه جمائيل الثاني عام 100 ميلادية، حتى يفصل بين المسيحيين واليهود. وقد تم تعديل صيغته على مر السنين تحت ضغط من الحكومات (62: 15 و أرميا 31: 20.).
13. "بركات تساديكيم"، أي الدعاء من أجل الصديقين. (زكريا 8: 3.).
14. "بركات يروشاليم"، أي الدعاء من أجل القدس. وكان هذا الدعاء في البداية، دعاءً من أجل أن يحمي الإله القدس، ولكنه تعدل ليشير إلى إعادة بناء القدس "بنيان يروشاليم" (64). (تك 49: 1 وهوشع 5-3 و أشعياء 56: 7 و أرميا 23: 5 و 33: 15.)
15. "بركات داود"، أي الدعاء من أجل داود، وعودة الماشيح المخلص.
16. "قبلات تفيلاه"، أي قبول الصلاه، وهو دعاء بأن يسمع الإله كل صلوات جماعة يسرائيل.
17. "عفوداه"، أي العبادة، وهو دعاء بأن يقبل الإله الصلاه، (أساسي وقديم).
18. "هوداءاه"، أي الحمد والشكر، ويتضمن هذا الدعاء الشكر والحمد للإله، لما يخص به شعب يسرائيل من فضل، (أساسي وقديم). (أخبار الأيام الأول 49: 13 و أرميا 10: 6 وصموئيل 22: 36.).
19. "بركات ها كوهانيم"، أي بركات الكهان، وهو الدعاء من أجل السلام، ويختم بعبارة: "فأنت الذي تبارك شعبك يسرائيل بالسلام". (أساسي وقديم) (المسيري 2005: 65). وورد في سفر العدد (6: 47)، ويسمى هذا الجزء من الصلاة، بآيات الثناء.

3. القاديش (تسابيح)

القاديش هو المرحلة أو الجزء الأخير في الصلاة اليهودية، وهو نوع من أشهر التسابيح الدينية اليهودية المكتوبة بالآرامية، وأصله قديم، منذ فترة المعبد الثاني، إذ كان يتلى قبل الصلاة وبعدها، أو قبل قراءة التوراة وبعدها، إلا إنه لم يكتسب صيغته الحالية، إلا في القرنين

الثامن والتاسع الميلاديين، وتم إضافة بعض الصلوات إليه، وخاصة تلك، التي تتضمن الألينو (Alenu) (Hoffman 2010: 24). ويضيف المسيري (2005: 67) أن هناك أربعة أنواع أساسية من القاديش، هي: القاديش القصير، والقاديش الكامل، والقاديش الحاخامي، وقاديش الحداد. وما يهمنا هنا، هو القاديش الكامل، الذي يمثل الجزء الختامي للصلاة اليهودية، ويتضمن تسابيح وكلمات تمجيد لإسم الإله وملكه، والخضوع لحكمه ومشيئته، والتعبير عن الأمل في سرعة مجيء الماشيح. وكانت الصلاة تختم بقراءة من ملف الشريعة، الموضوع في تابوت صغير فوق المذبح (سعفان 2000: 45)، ولا يزال هذا الطقس معمول به، في كثير من الجماعات اليهودية. ويلي، ما سبق -في صلاة الصبح العامة، عند الأرثوذكسية- قراءات متتالية من الكتابات التوراتية والحاخامية، مستدعية الأضاحي، التي كانت تقدم في المعبد في أورشليم.

ثانياً: صلاة بعد الظهر

في البدء، ينبغي الإشارة، إلى أمرين في هذه الصلاة: الأمر الأول، هو أن هذه الصلاة لم تكن موجودة في بداية الأمر. الأمر الثاني، أن هناك تسميات مختلفة لها: فمرة تسمى صلاة الظهر، ومرة صلاة بعد الظهر، ومرة صلاة نصف النهار، ومرة صلاة الظهيرة أو العصر، ونظراً لهذا التعدد في التسمية، فقد استقر الأمر لدينا، على استعمال لفظ صلاة بعد الظهر، وذلك لأن وقت صلاة الصبح يمتد حتى الظهر. وصلاة الظهيرة هذه تسمى صلاة القربان، وتسمى باللغة العبرية (المنحة) (الموحي 2007: 88)، ووقتها يبدأ من نقطة الزوال إلى قبيل الغروب.

وتتكون صلاة بعد الظهر، كصلاة الصبح، من أربع ركعات، يفصل بينها أدعية وأذكار، وقراءة منتخبة من أسفار الزبور، وفيها اعتراف بالذنوب وطلب الغفران، والأدعية المقررة فيها تناسب توقيتها (الموحي 2007: 88). يمكن أن تُقرأ صلاة بعد الظهر، من بعد نصف ساعة، من التوقيت الهلاخي للظهر، هذا التوقيت المبكر، يشار إليه، بصلاة بعد الظهر الكبرى. ويفضل أن تتلى هذه الصلوات، بعد صلاة بعد الظهر الصغرى، والذي يقابل توقيتها الثانية والنصف هلاخية، قبل حلول الظلام. والأمر المثالي، هو أن ينهي المرء الصلوات قبل الغروب، ويحبذ كثير من المرجعيات، تلاوة بعد الظهر حتى حلول الظلام. وتحتوي على دعاء الشمونة عسره (الأميدا- النص القصير) (Bloch 1989: 70)، وتسابيح القاديش. أما الشهادة (الشماع) فإنها لا تُقرأ فيها.

ثالثاً: صلاة المساء (عربيت)

تدعى صلاة المساء باللغة العبرية (عربيت)، وقيل إن يعقوب أول من صلاها، ووقتها من غروب الشمس وراء الأفق، إلى أن تتم ظلمة الليل (الموحي 2007: 84)، ويزيد وقتها

المسيري (2005: 62) إلى طلوع الفجر. ومع أن توقيتها محدد بدقة، إلا أن هذا لا يعني أنها لا تقدم أو تُأخر، فهناك من الطوائف اليهودية من يجيز تقديمها عن وقتها، ومنهم من يؤخرها عن وقتها. وفي أيامنا هذه، وخاصة في المجتمعات الأوربية والأمريكية، حيث العمل يمتد إلى الساعة الخامسة أو بعدها، فإنهم يجمعون بين صلاتي الظهيرة والمساء، وتبدأ الصلوات (المساء) بالنداء الرسمي العام لها، ثم تقام سلسلة طويلة من الصلوات، وفيها يكثرون من ترديد التوحيد وقراءة التوراة.

ومحتوى صلاة المساء، قديماً –كما ذكرت مجلة النهرين- تتألف من العناصر التالية:

1. ذبيحة المساء.
2. قراءة وصايا الله العشر.
3. بركتين (أي قراءة دعاءين).
4. الصلاة المركزية (الشماع) أي قراءة نص الشهادة (اسمع يا إسرائيل).
5. ركعتين ختاميتين.
6. قراءة منتخبة من البركات الثمانية عشرة.
7. قراءة من الكتاب المقدس، وتقرأ في أيام السبت والاثنين والخميس والأعياد فقط، ويسبقها ترتيل من سفر العدد (10: 35 – 36) وآية من نبوءة أشعياء (23: 3)، ثم صلاة يرفعها الشعب تبدأ بـ(أيها الرب أليك العظمة والقدرة والمجد).
8. قراءة منتخبة لبعض المزامير (الموحي 2007: 84).

أما حديثاً، فإنها تحتوي على الثلاثة الأجزاء، التي تتضمنها صلاة الصبح، أي شهادة التوحيد، والبركات الثمانية عشرة (الأميدا القصيرة)، وتسابيح القاديش.

وحتى يتبين لنا بدقة ووضوح تام، مجريات الصلاة اليهودية، السالفة الذكر، فقد ارتأينا أن نسير معاً، ونعيش يوماً نمطياً من أيام اليهود، منذ الصحو من النوم وحتى، الخلود إلى النوم، مبتدئين بصلاة الاستيقاظ من النوم، وصلاة أول أيام الأسبوع، والذهاب إلى السيناجوج، وحتى الانتهاء من الصلاة، والعودة إلى المنازل.

نموذج مبسط لمجريات الصلاة اليهودية

صلاة الصبح (شحاريت)

تتكون صلاة الصبح وطقوسها ومراسيمها، من ثلاثة أجزاء: الجزء الأول، صلوات قبل الذهاب إلى الكنيس. والجزء الثاني، صلوات داخل الكنيس (تعتبر افتتاح للصلاة). والجزء الثالث، الصلاة الرئيسية.

وتسير مجريات هذه الصلوات على النحو التالي:

أولاً .. صلوات الجزء الأول (قبل الذهاب إلى الكنيس)

تبدأ هذه الصلوات، بصلاة الاستيقاظ من النوم، حتى الذهاب إلى الكنيس، وهي على النحو التالي:

1. صلاة الاستيقاظ من النوم

" أشكرك، الملك الحي الخالد، لإعادة نفسي فيَّ برفق، عظيم هو وفاؤك. "

ونص آخر لصلاة الاستيقاظ من النوم، جاء فيه:

يا إلهي. الروح التي وهبتني إياها نقية طاهرة خلقتها معي وفيَّ داخلي نفختها فيَّ؛ تحفظها معي وفيَّ داخلي، ستستعيدها، ولكن ستعيدها لي فيما بعد. مادامت الروح معي وفيَّ داخلي، سأوجه إليك الشكر أيها الأزلي، إلهي، إله آبائي، رب العالم، سيد جميع الأرواح. ليمجد اسمك أيها الرب، يا من يعيد الأرواح إلى أجساد الموتى.

2. صلاة الاستيقاظ للرب

تُتلى الآية العاشرة من المزمور (111):

﴿ رأس الحكمة مخافة الرب. فطنة جيدة لكل عامليها. تسبيحُهُ قائم إلى الأبد﴾

بركات عند الاستحمام (غسل اليدين)

"بوركت أنت، الرب أبونا، سيد العالم، الذي قدسنا بوصاياه، وأمرنا بغسل اليدين".

وطريقة غسل اليدين تتم، بأن يقوم المرء بأخذ كوب من الماء من القدر، ثم يصبه ثلاث مرات: على اليد اليمنى مرة، ثم اليد اليسرى، ثم اليد اليمنى، ثم اليد اليسرى، وهكذا، ثم تتلى البركات. وجاء في الشلحان عاروخ، أن الإنسان عندما يصحو من النوم، كأنما يكون قد خُلق من جديد، وحتى يقوم بعبادة الخالق، عليه أن يطهر نفسه. وجاء ذكر غسل اليدين كذلك، في آيتين من المزمور رقم (26: 6 - 7)، ونصهما:

﴿(6) أغسل يديَّ في النقاوة، فأطوف بمذبحك يا رب، (7) لأُسمِّع بصوت الحمد، وأُحدِّث بجميع عجائبك﴾.

ويقدم الشلحان عاروخ، سبباً آخر لغسل اليدين، مفاده أن الإنسان عندما ينام، تغادر روحه المقدسة جسمه، وتحل محلها روح غير طاهرة، وعندما يصحو من النوم، تغادر الروح غير الطاهرة كل الجسد، ما عدا أصابعه، ولا تغادر منهن، حتى يصب عليهن الماء ثلاث مرات. لا يُسمح للمرء أن يمشي ستة أقدام، بدون أن يغسل يديه أولاً. (فصل 2: 1).

وقد ورد في سفر التكوين (9: 6) ضرورة غسل الوجه. ويجب تنشيف الوجه واليدين جيداً (فصل 2: 3). ويجب غسل الفم، حتى يتم ذكر الرب بطهارة (فصل 2: 3). كما يجب أن يطهر المرء نفسه من الخبث (البول والبراز) (فصل 2: 7)، ولا يقدم إلى الصلاة، إلا وهو بكامل الطهارة المطلوبة. ثم يتوجه لتأدية صلاة الجماعة في الكنيس.

ثانياً .. صلوات الجزء الثاني (داخل الكنيس)

تتكون صلوات الجزء الثاني من قسمين: يبدأ القسم الأول، بصلاة قبل دخول الكنيس، وبركات تعلم التوراة، وبركات الصباح، وذبح إسحاق (تكوين 22: 1-24)، وتبجيل الرب. والقسم الثاني، يتم التركيز فيه على آيات الحمد، على النحو التالي:

صلاة القسم الأول

1. صلاة قبل دخول الكنيس

يتلو فيها المرء شيء من التسابيح، وهي:

> لأجلي، حيث فيض حبك ولطفك سوف آتي إلى بيتك، سوف أعبدك في معبدك المقدس بخوف منك. يا رب، إني أحب سكن بيتك، والمكان حيث يحل مجدك. لأجلي، سوف أعبد وأركع؛ سوف أسجد أمام الرب، خالقي. ولأجلي، أرجو أن تكون صلاتي لك، يا رب، كن في الوقت المتقبل، يا رب، في فيض حبك ولطفك، أجبني بيقين. إلى بيت الرب سنسير بحشد.

ثم يتلو آية من سفر العدد (24: 5)، ونصها:

> ﴿ما أحسن خيامك، يا يعقوب، مساكنك يا إسرائيل!﴾

2. بركات تعلم التوراة:

وفي هذا الجزء، يتوجه اليهودي إلى ربه بالشكر على نعمة التوراة، حيث يردد شكر طويل نوعاً ما، يبدأ بـ

> (بوركت أنت، من قدسنا بوصاياه ... وأمرنا أن ننسخ بأنفسنا كلمات التوراة)، و (نتوسل إليك يا ربنا، بأن تجعل كلمات توراتك في أفواهنا وفي أفواه شعبك إسرائيل حلوة المذاق ... من يعلم التوراة لشعبه إسرائيل)، و (بوركت، يا رب إلهنا ... معطي التوراة).

ثم يقوم بعد ذلك بترديد بركتين: بركة سيد العالم، وبركة تعظيم الرب.

3. بركات الصباح

في هذه الصلوات، على المصلين أن يرددوا قائلين (آمين) بعد أن ينتهي الإمام من تلاوة البركة، وهذه البركات هي:

- بوركت أنت الرب إلهنا، ملك العالم من منح القلب القدرة على التمييز بين النهار والليل)

آمين.

- من جعلني إسرائيلياً. آمين.
- من لم يجعلني عبداً. آمين.
- من خلقني في مخيلته. آمين.
- من خلقني وفقاً لإرادته. آمين.
- من منح الأعمى البصر. آمين.
- من كسا العريان. آمين.
- من حرر الأسرى. آمين.
- من جعل المجرم مستقيماً. آمين.
- من بسط الأرض على الماء. آمين.
- من أمدني بكل احتياجاتي. آمين.
- من ثبت خطاي. آمين.
- من زود إسرائيل بالقوة. آمين.
- من توج إسرائيل بالعظمة. آمين.
- من أعطى الضعيف القوة. آمين، وهكذا...

4. ذبح إسحاق

هنا يتم قراءة ما يقرب من عشرين آية، من الإصحاح الثاني والعشرين، من سفر التكوين، وفيما يلي الآيتان الأولى والأخيرة من هذه الآيات:

﴿(1) وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم، فقال له: "يا إبراهيم!". فقال: "هأنذا"... (19) ثم رجع إبراهيم إلى غلاميه، فقاموا وذهبوا معا إلى بئر سبع. وسكن إبراهيم في بئر سبع.﴾

5. تبجيل الرب

إن تبجيل الإله، ينبغي أن يكون أمراً ملازماً للإنسان. وهذا الجزء من صلاة الصبح، هو عبارة عن ترويض وإعداد للقلب لتأدية الشماع. ويستكمل هذا الجزء بقاديش الحاخام.

صلاة القسم الثاني

يسمى هذا القسم من صلاة الصبح بآيات الحمد، حيث يتم إنشاد سبعة مزامير؛ مزمور رقم (100) ونصه:

﴿(1) اهتفي للرب يا كل الأرض. (2) اعبدوا الرب بفرح. ادخلوا

إلى حضرته بترنم. (3) اعلموا أن الرب هو الله. هو صنعنا، وله نحن شعبه وغنم مرعاه. (4) ادخلوا أبوابه بحمد، دياره بالتسبيح، احمدوه، باركوا اسمه. (5) لأن الرب صالح، إلى الأبد رحمته، وإلى دور قدور أمانته﴾.

ثم يتم إنشاد المزامير المتبقية: مزمور (145 – تسبيحة لداود)، و (146 - هللويا سبحي يانفسي) و (147 - سبحوا الرب) و(148 - هللويا سبحوا الرب من السماوات) و(149 - هللويا غنوا للرب) و(150 - هللويا سبحوا الله في قدسه).

ثم تؤدى بعد ذلك صلوات الافتتاح، وتتألف، كما ذكر (Idelson 1932: 82) من عدد من آيات المزامير، وآيات بعض أسفار التوراة، على النحو التالي:

مزمور (104: 31) و (113: 2-4) و (135: 13) و (103: 19) وسفر 1أحبار (16: 31). وعبارة سيدي الملك مؤلفة من المزامير (10: 16) و (92: 1) و سفر الخروج (15: 18) ومزمور (10: 16) و (33: 10) وسفر أمثال (19: 21) ومزمور (33: 11) و (33: 9) و (132: 13) و (135: 4) و (78: 38) و (20: 10)، ويضاف إلى ذلك، عند يهود اليمن مزمور (46: 12). وينتهي هذا الجزء بنشيد البحر (خر 14، 15)، ويتحدثان عن: مطاردة فرعون لبني إسرائيل، وعبور البحر، وترنيمة موسى ومريم، ومياه مارة وإيليم.

ثالثاً .. صلوات الجزء الثالث (الصلاة الرئيسية)

صلوات الجزء الثالث، هي الصلوات الرئيسية، في صلاة الصبح، وتتكون، هي الأخرى من أربع وحدات: النداء للصلاة، الشماع، والبركات الثمانية عشر (الشمونة عشره)، والقاديش (التسابيح/ التضرع). وبعد ذلك كله تختتم صلاة الصبح. وقد حددت التوراة تلاوة أجزاء منها في الثلاث (الشماع) أو الأربع (الأميدا) ساعات من اليوم، في الأيام التي تتلى فيها.

1. النداء للصلاة

النداء للصلاة لا تتم تلاوته، إلا بحضور نصاب المصلين (عشرة مصلين)، ويكون على النحو التالي:

المنشد يقول: مجدوا سيدي، من هو أهل للتمجيد.

المصلون يرددون: ممجد هو سيدنا، من هو أهل للتمجيد دائماً وأبداً.

2. الشماع

شهادة التوحيد: نص الشهادة، كما ورد في كل من سفر التثنية (6: 4-9)، وسفر العدد (15: 37-41) هو:

تث: (”اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد. فلتحب الرب إلهك من كل قلبك. من كل قوتك. ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك، وقصها على أولادك، وتكلم بها حين تجلس في بيتك، وحين تمشي في الطريق، وحين تنام وحين تقوم، واربطها علامة على يدك، ولتكن عصائب بين عينيك، واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك“)،

تث (11: 13-21) ﴿”فإذا سمعتم لوصاياي التي أنا أوصيكم بها اليوم لتحبوا الرب إلهكم وتعبدوه من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم، أُعطي مطر أرضكم فينه: المبكر والمتأخر. فتجمع حنطتك وحمرك وزيتك. وأُعطي لبهائمك عشباً في حقلك فتأكل أنت وتشبع. فاحترزوا من أن تنغوي قلوبكم فتزيغوا وتعبدوا آلهة أخرى وتسجدوا لها، فيحمي غضب الرب عليكم، فيغلق السماء فلا يكون مطر، ولا تعطي الأرض غلتها، فتبيدون سريعاً عن الأرض الجيدة التي يعطيكم الرب“﴾

عد: ﴿وكلم الرب موسى قائلاً: ”كلم بني إسرائيل وقلهم: أن يصنعوا لهم أهدابا في أذيال ثيابهم في أجيالهم، ويجعلوا على هُدب الذيل عصابة من أسمانجوني. فتكون لكم هدباً، فترونها وتذكرون كل وصايا الرب وتعملونها، ولا تطوفون وراء قلوبكم وأعينكم التي أنتم فاسقون وراءها، لكي تذكروا وتعملوا كل وصاياي، وتكونوا مقدسين لإلهكم. أنا الرب إلهكم الذي أخرجكم من أرض مصر ليكون لكم إلهاً. أنا الرب إلهكم.“﴾

وعندما يصل المصلون إلى تلاوة النصوص الخاصة بالأهداب، يضع المصلون اليهود (من الأرثوذكس والمحافظين) الأهداب على عيونهم وأفواههم ويضغطون عليها.

ثم يتم ارتداء الطاليت والتفلين، وذلك امتثالاً للأمر الإلهي، فقد جاء في سفر العدد (15: 38 - 39) أمر الرب لبني إسرائيل، بأن يضعوا أهدابا على أثوابهم، فيما نصه:

﴿(38)”كلم بني إسرائيل وقل لهم: أن يصنعوا لهم أهدابا في أذيال ثيابهم في أجيالهم، ويجعلوا على هُدب الذيل عصابة من أسمانجوني. (39) فتكون لكم هدباً، فترونها وتذكرون كل وصايا الرب وتعملونها...“﴾

وقبل ارتداء الطاليت Tallith يقول المصلي التالي:

أنا هنا ألف نفسي بالثوب ذو الأهداب، التزاماً بوصية خالقي،

كما هو مكتوب في القانون، سيجعلون الأهداب على أركان ثيابهم على مدى أجيالهم. وكما ألف نفسي بالطيلسان في هذا العالم، آمل أن تُلف نفسي بثوب روحي جميل في العالم القادم، في جنة عدن، آمين.

وعند ارتداء الطاليت، يقول:

(بوركت أنت، يا رب إلهنا، ملك العالم، من قدسنا بوصاياه، وامرنا أن نلف أنفسنا بثوب مهدب. كم هو ثمين حبك ولطفك، يا رب! لقد اتخذ أبناء الرجال ملجأً تحت ظل جناحيك. وأجلسوا أنفسهم في رحاب بيتك؛ وقد منحتهم الشرب من نهر رضاك، فبك نافورة الحياة: فبنورك نرى النور. فتكرم عليهم باستمرار حبك ولطفك كي يعرفونك، ويعرفوا استقامتك لتستقيم في القلب).

وهناك من يتلوا المزمور رقم (104: 2-1)، بعد ارتداء الطاليت، ونصه:

﴿(1) باركي يا نفسي الرب، يا رب إلهي، قد عظمت جداً. مجداً وجلالاً لبست. (2) اللابس النور كثوب، الباسط السماوات كشقة المسقف علالياه بالمياه. الجاعل السحاب مركبته، الماشي على أجنحة الريح.﴾

وضع التفلين: فترة تأمل وتدبر قبل وضع التفلين:

(أنا هنا أنوي وضع التفلين، التزاماً بوصية خالقي، الذي أمرنا بوضع التفلين، كما جاء في القانون، وسيربطونها علامة على أيديهم، وستكون علامة بين عيونهم).

وقد تم وضع أربعة أجزاء من القانون في التفلين، التي تعلن المطلق.

(وحدانية الإله، والتي تذكرنا بالمعجزات والخوارق، التي عملها لنا عندما أخرجنا من مصر، وهو القوي فوق العالي والداني يتعامل معهم وفقاً لمشيئته. وقد أمرنا أن نضع التفلين على سواعدنا كتذكار ليده الطولى، في مقابل القلب، لتشير إلى واجب إخضاع رغبات ومقاصد قلوبنا لخدمته، بورك هو؛ وعلى أعلى رؤوسنا مقابل الدماغ، حيث يعلمنا أن العقل، الذي مقعده في الدماغ، معاً مع كل الحواس والملكات، يجب أن تسخر لخدمته، بورك هو. لعل تأثير إطاعة الأمر يمتد إلى طول العمر بتأثير مقدس وأفكار مقدسة، خالية من كل وسيلة لارتكاب الخطيئة والإثم، حتى في الخيال. جنبنا النوايا السيئة بأن لا تقودنا ولا تغوينا، ولتقودنا

لخدمة الرب، كما هي في قلوبنا، آمين).

وعند وضع التفلين على الساعد، يقال:

(بوركت أنت، يا رب إلهنا، ملك العالم، الذي قدسنا بوصاياه، وامرنا أن نضع التفلين).

وطريقة وضع التفلين تتم بطي ثلاث لفات حول الأصبع الوسطى، ويقال التالي:

وسأطلبك لي إلى الأبد، نعم، سأطلبك لي في الاستقامة، والحكم،

والحب واللطف، وفي الرحمة: وسأطلبك لي في الإخلاص.

وضع الأقفاص على الجبهة: يتم وضعها على ثلاث خطوات؛ في الخطوتين الأولى والثانية، على المرء تلاوة:

(بوركت أنت، يا رب إلهنا، ملك العالم، الذي قدسنا بوصاياه ومنحنا وصية خاصة بأمر الأقفاص. بورك اسمه، من مملكته العظيمة خالدة أبد الدهر).

وعند بعض الطوائف يتلى المزمور (30)، "مزمور أغنية تدشين البيت لداود". وفي الخطوة الثالثة، عندما تربط الأقفاص على الرأس، يتلو التالي: "بورك اسم مملكته العظيمة إلى أبد الدهر".

3. الشمونه عسره (الأميدا)

تؤدى صلاة الشمونه عسره (الأميدا) وقوفاً، ويردد المصلون:

"يا رب، افتح شفايفي، وفمي لأُعلن تمجيدك".

بوركت أنت، يا رب، إلهنا وإله آباءنا، إله إبارهيم، إله إسحاق، وإله يعقوب، العظيم، القادر والإله المبجل، الإله الأعلى، الذي وهب الحب واللطف، ومالك كل شيء، الذي يعلم أعمال الآباء الورعة، وبحب ومن أجل اسمك أعدت المنقذين إلى أبناء أبنائهم.

وعندما يعيد القارئ صلاة الشمونة عسره (الأميدا)، تُدرج عدد من الأدعية. ثم الدعاء بالرحمة والمغفرة والسلام: "بوركت أنت، الرب، الذي بارك شعب إسرائيل بالسلام. ثم يستمر الدعاء للسان والفم من شر الحديث، وان يكون القلب والروح للرب متوسلين باسم الرب، ويقال بعدها آمين. ويمتد الدعاء بإعادة بناء المعبد، حتى يتمكنوا من تقديم القرابين، كسابق عهدهم.

وعندما يكرر القارئ (الإمام) الأميدا، يردد التالي:

القارئ: سنقدس اسمك في العالم، كما يقدسونه في السماوات العلى، وكما كُتب بيد نبيك: وسينادون الواحد للآخر ويقولون،

الجماعة : مقدس، مقدس، مقدس هو رب الجنود : الأرض كلها مليئة بعظمته.
القارئ: هؤلاء الأعلى منهم (Those over against them) يقولون، بورك.
الجماعة : بوركت عظمة الرب من مكانه.
القارئ: ومكتوب بكلماتك المقدسة، قولاً:
الجماعة : الرب سيحكم أبد الدهر، أنت الإله، صهيون، عبر الأجيال يمجدونك أنت الرب.
القارئ: على مر الأجيال سنعلن عظمتك، وإلى ما لا نهاية سنعلن قدسيتك، ونباركك، إلهنا، لن نهجر ذكرك إلى الأبد، لأنك العظيم الإله المقدس والملك. بوركت أنت، الرب، الإله المقدس.

ويستمر الدعاء والتضرع للرب، بطلب الرحمة والمغفرة والإنقاذ ولمّ الشمل، وإعادة بناء مدينة أورشليم والمعبد. وكذلك الدعاء بقبول صلاة بني إسرائيل، وأن يكونوا مقبولين عند الرب. وفي يومي الاثنين والخميس، يتوجه المصلون بالتضرع للرب، وطلب العفو والمغفرة؛ وتبدأ بـ: " وهو الرحيم" ... إلى "اسمع يا إسرائيل: الرب إلهنا، الرب واحد".

أما في أيام الأسبوع الأخرى، فيتم التضرع والابتهال ابتداءً من "وقال داود للإله"، ثم يتم تلاوة مزمور رقم (6). وفي صباح يومي الاثنين والخميس، يردد كل من القارئ والمصلين بعض الأدعية إحدى عشر مرة؛ ست مرات يرددها القارئ والمصلون معاً، وخمس مرات يرددها المصلون فقط.

4. ختام صلاة الصبح

وتختتم صلاة الصبح، بترديد بعض التسابيح والصلوات، ولا يغادر الجميع الكنيس، حتى يقومون بتلاوة بعض آيات من المزامير والأسفار، وذلك على النحو التالي:

- مزمور (140 : 4):

﴿احفظني يا رب من يدي الشرير. من رجل الظلم أنقذني. الذين تفكروا في تعثير خطواتي.﴾

- مزمور (121 : 2) ﴿معونتي من عند الرب، صانع السماوات والأرض﴾
- مزمور (5 : 9) ﴿لأنه ليس في أفواههم صدق. جوفهم هوة. حلقُهم قبر مفتوح. ألسنتهم صقلوها.﴾
- سفر الخروج (15 : 18) ﴿الرب يملك إلى الدهر والأبد﴾.
- سفر ميخا (4 : 5)

﴿لأن جميع الشعوب يسلكون كل واحد باسم إلهه، ونحن نسلك باسم الرب إلهنا إلى الدهر والأبد.﴾

وتعتبر هذه الصلوات، صلاة الخروج من الكنيس.

تم فيما سبق، عرض صلاة الصبح، في أيام الأسبوع الست، أما اليوم السابع (السبت)، وكذا الأعياد، فهناك إضافات أخرى، إلى الصلاة اليومية، يتم إضافتها، احتفاءً بهذا اليوم وبهذه المناسبات، سنذكرها عند الحديث، عن صلاة صبح السبت.

يعتبر يوم السبت من أهم أيام الأسبوع، بل من أهم الأيام في التقويم اليهودي، لذا فهم يحتفون به أيما احتفاء، ويتم استقباله من بعد ظهر يوم الجمعة، حيث يستقبلونه بإشعال الشموع وأداء بعض الصلوات، وتبدأ هذه الصلوات عند إيقاد الشموع بترديد:

"بوركت أنت، الرب إلهنا، ملك العالم، من قدسنا بوصاياه، وأوصانا بإشعال ضوء السبت".

ثم تلاوة ثمانية مزامير، وهي: مزمور رقم (95) ورقم (96) ورقم (97) ورقم (98) و رقم (99) ورقم (29) ورقم (92) ورقم (93). ويتبع تلك المزامير بترديد قاديش الحداد.

صلاة صبح يوم السبت والأعياد

تحظى أيام السبت والأعياد، باهتمام بالغ عند اليهود، وأبرز أشكال اهتمامهم بهذه المناسبات، هو إكثارهم من الصلاة، إذ يقومون بإضافة صلوات إلى الصلاة اليومية، كما تم ذكره. وهناك طقوس، في هذه المناسبات، في حالة الصلاة الفردية، تقضي بأن يقول المصلي: "الإله، الملك الحق"، ثم يردد بعض البركات، ويتلو من سفر التثنية آيات (6: 4-9). يتبع ذلك ترديد بعض البركات وتلاوة هذه الآيات (11: 13-21)من سفر التثنية، ثم بعض البركات وأيضاً تلاوة هذه الآيات (15: 37-41) عن سفر العدد.

تأتي بعد ذلك صلاة الأميدا (الشمونه عسره). كما أن هناك صلوات أخرى تردد أيام سبت التوبة؛ بداية وختاماً؛ فمن يوم السبت، بعد اليوم الثامن، حتى اليوم الأول من الفصح، والقمر الجديد، وتلاوة (خر 31: 16 و 17)، والأيام الوسطى للفصح والمسكن، وهكذا.

وهناك صلاة صبح يرددها الأطفال، ومطلعها التالي: (بوركت أنت، الرب إلهنا ملك العالم، الذي أبعد النوم من عيني، والنعاس من جفوني) إلى (اجعل كلمات فمي وتأمل قلبي متقبلاً منك، يا رب، حصني ومنقذي).

صلاة ختام السبت

ويختتم السبت بأداء صلاة السبت، والتي تتضمن تلاوة المزمورين رقم (144) و (67). وبهذا نكون قد قدمنا صورة نمطية للصلوات الثلاث اليومية لليهود، بما في ذلك الصلوات التي عادة ما تؤدى يومياً؛ كصلاة الاستيقاظ والذهاب للكنيس، وتمت الإشارة إلى طبيعة الصلوات، التي يتصادف حضورها أثناء الصلاة اليومية، كصلوات المناسبات والأعياد، واُختتم

الحديث بإشارة إلى صلاة السبت.

وفي أيام الصلاة المضافة، يقوم قائد الصلاة بترديد نصف القاديش (صلاة تمجيد وتقديس اسم الإله- وهو خاص بالحداد). أما في الأيام العادية فيؤدى القاديش كاملاً، ويختتم في الحالتين بالقول (آمين).

وتعد قراءة التوراة من الصلاة المضافة في المناسبات والأعياد الأسبوعية: الاثنين، والخميس، والسبت. لذا كان لزاماً علينا، بيان ذلك الاحتفاء بها. ولقراءة التوراة شعائر خاصة بها، وتسير وفقاً لطقوس ومراسيم مهيبة، وذلك على النحو التالي:

- بركات تعلم التوراة: يتكرر هنا، تلاوة بركات تعلم التوراة، المذكورة سابقاً.
- فتح التابوت المقدس، وإخراج التوراة: هنا، يُفتح التابوت وتُستخرج التوراة منه، وعند فتح التابوت، يجب أن يكون المصلين وقوفاً، وبينما تُستخرج التوراة، هناك تسبيحة تُردد، تبدأ بـ﴿ليس هناك مثلك بين الآلهة ... الرب سيبارك شعبه بسلام﴾.
- موكب التوراة: بعد فتح التابوت المقدس، وإخراج التوراة منه، تُمرر على الحضور، وأثناء موكبها يجب أن يكون المصلون واقفين، و تُتلى آيتان من سفري العدد وأشعياء، وهما: (عد 10: 35)

﴿وعند ارتحال التابوت كان موسى يقول: "قم يا رب، فلتُبدد أعداؤك ويهرب مبغضوك من أمامك".﴾

(أش 2: 3) ﴿ وتسير شعوب كثيرة ، ويقولون: "هلم نصعد إلى جبل الرب، إلى بيت إله يعقوب، فيعلمنا من طرقه ونسلك في سبله". لأنه من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم كلمة الرب﴾

ثم توضع التوراة على الطاولة، التي في صدر بهو الكنيس.

- بركات قراءة التوراة: في هذا الجزء من شعائر صلاة صبح (السبت، الاثنين، والخميس)، يتم استدعاء أحد المصلين، لينال شرف قراءة بعض من آيات التوراة. وقبل أن يبدأ التلاوة، عليه أن يردد الترنيمة (165) من المزمور (119)، ونصها: ﴿سلامة جزيلة لمحبي شريعتك، وليس لهم معثرة﴾، ثم يردد: بورك سيدي، من هو أهل للبركة، وتردد الجماعة قائلة: بورك سيدنا، من هو أهل للبركة على الدوام وإلى الأبد. ثم يقرأ البركات التالية:

" بوركت أنت، الرب إلهنا، ملك العالم، من اختارنا من بين كل الشعوب؛ واعطانا توراته، بوركت أنت، الرب، معطي التوراة"

وبعد أن تتم القراءة من التوراة، يقوم القارئ بترديد بركات بعد قراءة التوراة وهي:

" بوركت أنت، الرب إلهنا، ملك العالم، من أعطانا توراة الحق، واستوطن مدى الحياة بيننا، بوركت أنت، الرب، معطي التوراة".

- ختام قراءة التوراة: ختام قراءة التوراة، هو شرف يُمنح لأحد المصلين، الذي يقوم بتلاوة

الآية التالية من سفر زكريا (1 : 6)،
ونصها :

﴿ ولكن كلامي وفرائضي التي أوصيت بها عبيدي الأنبياء،... ﴾

وهناك بركات تتلى قبل ختام قراءة التوراة، وبركات أخرى تتلى بعدها.

- رفع لفائف التوراة : يؤكد التراث اليهودي، على أن يتم رفع كتاب التوراة عالياً، حتى يشاهده المصلون، ثم يفتح، ويقوم قارئ الختام بعرض الكتاب عند فتحه على المصلين، ويتحرك بينهم؛ ذهاباً وإياباً، حتى يتمكنوا من مشاهدته. وبعد ذلك تعاد التوراة إلى التابوت المقدس. وبهذا تكون صلاة الصبح قد تمت بكل طقوسها ومراسيمها.

صلاة بعد الظهر

تتكون صلاة بعد الظهر من قراءة التوراة، وصلاة الأميدا (الشمونه عسره)، ويقوم المنشد (القارئ) بترديد الأميدا، وكذلك تلاوة تسبيح ("أبونا، ملكنا"). وفيما يتعلق بقراءة التوراة، فإنها تتحدث عن نقاء وطهارة الحياة اليهودية. وتحذر اليهود من اتباع الطرق غير الأخلاقية، التي كانت سائدة لدى المصريين والكنعانيين : "فالأرض ستلفظكم، عندما تدنسوها، كما لفظت الأمم السابقة عليكم"

وتبدأ الصلاة بتلاوة بعض البركات، وتلاوة مزمور (145) الخاص بتسبيح داود، وتلاوة بعض البركات، التي يأتي في آخرها، التناوب بين المنشد والجماعة، ثم صلاة الأميدا، التي تتلى وقوفاً، ويأتي بعدها بعض البركات. وآخر صلاة هي صلاة (واجبنا)، وفيها ركوع.

وإذا ما تصادف حلول بعض المناسبات والأعياد، فإنه يتم ترديد بعض البركات والصلوات، كما تم بيانه عند الحديث عن صلاة الصبح.

صلاة المساء

تتكون صلاة المساء من ثلاثة أجزاء، بعد النداء للصلاة، وهي:

- اسمع يا إسرائيل.
- الشمونة عسره.
- واجبنا.

ومن الطبيعي، أن تكون هناك بركات وتسابيح في البداية، وما بين الصلوات. فإذا بدأت الصلاة (صلاة العشاء) قبل حلول الظلام، فإنها تبدأ بـ"إنه رحمان"، ثم ترديد مزمور رقم (134 – ترنيمة المصاعد)، حتى نهاية المزمور، وهو:

﴿(1) هوذا باركوا الرب يا جميع عبيد الرب، الواقفين في بيت الرب بالليالي. (2) ارفعوا أيديكم نحو القدس، وباركوا الرب.

(3) يباركك الرب من صهيون، الصانع السماوات والأرض.﴾

بعد ذلك، يتم ترديد التسابيح الثلاث التالية، ثلاث مرات:

- (رب الجنود معنا، إله يعقوب حصننا (سلاه).
- (رب الجنود، سعيد هو الرجل الذي وثق بك.)
- (يا رب أيها الملك أجبنا في اليوم الذي نُستدعى فيه).

ثم يبدأ بعد ذلك، التسبيح مناوبة بين المنشد والجماعة. وهناك صلوات لا تشترك فيها الجماعة، ويتم إضافة عبارة (الإله، الملك المخلِّص). ثم تلاوة خمسة عشر آيات من سفر التثنية (تث6: 9-4) ومطلعها: ﴿"اسمع يا إسرائيل: الرب إلهنا رب واحد.﴾ و (تث11: 21-13) و مطلعها: ﴿"فإذا سمعتم لوصاياي التي أنا أوصيكم بها اليوم لتحبوا الرب إلهكم وتعبدوه من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم.﴾. ثم تلاوة خمس آيات من سفر العدد (عد 15: 37-41)، ومطلعها: ﴿وكلم الرب موسى قائلاً: "كلم بني إسرائيل وقل لهم: أن يصنعوا لهم أهدابا في أذيال ثيابهم في أجيالهم ....﴾

وتردد بعد قراءة الآيات، بعض التسابيح والبركات، التي تختتم بـ(آمين). وبعد ذلك يأتي وقت الصلاة الرئيسية (الأميدا)، حتى يصل المصلون إلى القول " كما في إسرائيل القديمة". وإذا صادفت الصلاة أيام المناسبات: السبت، التوبة، القمر الجديد ... الخ، فإن هناك صلوات تضاف إلى صلاة اليوم. ثم تتلى صلاة الحداد، وتختتم الصلاة بصلاة واجبنا.

صلاة قبل النوم

وعند الاستعداد للنوم، هناك صلاة مستحبة على اليهودي أن يقولها، وتتضمن إجمالاً: البركات للرب، الذي يجلب النوم للعيون، والدعاء بالخلود بسلام، وإبعاد الشرور والأحلام المزعجة. ثم تلاوة مزمور رقم (91) ومزمور رقم (3). وبعد ذلك، يردد ثلاث عبارات، ثلاث مرات لكل منها، وهي:

- يدرك، هو حارس إسرائيل الذي لا يهجع ولا ينام.
- إني أرجو خلاصك، يا رب، يا رب، لخلاصك، يا رب، لخلاصك آمل.
- باسم الرب، إله إسرائيل، آمل أن يكون ميخائيل على يدي اليمنى؛ وجبريل على يدي اليسرى؛ ويوريل من أمامي؛ ورفائيل خلفي، وفوق رأسي الحضور المقدس للإله.

ثم يتلو مزمور رقم (128: ترنيمة المصاعد)، والذي يبدأ بـ﴿ طوبى لكل من يتقي الرب، ويسلك في طرقه﴾، ويردد العبارة التالية، ثلاث مرات:

قف برهبة، ولا تقترف خطيئة: ناجي قلبك في سريرك، وابقي على ذلك، (سلاه).

ثم يردد بعد ذلك، بعض التسابيح، إلى أن يصل إلى الختام بالقول: (الرب معي، ولن أخاف).

الصـوم

ماهية الصوم

الصوم، هو أحد أبرز العبادات، التي يتوجه بها المؤمن لربه، مخلصاً الطاعة والامتثال له. وقد عرف (5) Bienstok الصوم، بأنه الامتناع الكامل عن تناول كل أنواع الأكل والشرب. وتذكر الموسوعة الإسلامية بأن الصوم تذليل للنفس، وترويض لها أمام مغريات الجسد (الموحي 2007 ؛100). وبهذا المعنى، وصفه قاموس الكتاب المقدس (2005 ؛563) عندما أشار إلى أن الصوم الحقيقي، هو الذي يتعدى المظهر الخارجي، إلى الإعراض عن الإثم والملذات المحرمة، والإقبال على عمل الرحمة. كما ورد في الموسوعة الدولية ما نصه:

> وأسبغ شراح (الكتاب المقدس)، بشقيه القديم والحديث، على الصوم معان عدة، يراد بها جميعاً، قصد التقرب إلى الله تعالى. وهو يعني (مراقبة اليوم للحصول على الغفران الإلهي، معتمداً على إخلاص توبة المرء، وإرشاده لأخيه الإنسان إلى الطريق الصحيح، (الموحي 2007 ؛100).

ويعتبر الصيام، في كل النصوص الدينية الحاخامية، توجه داخلي وخارجي، ينتج عنه تحولاً روحياً للفرد وللجماعة، وبهذا يكون قد حقق المقصود منه، لأنه في الأساس قائم على دعوة أخلاقية، ويجعل الرب ينظر بالرضا عن إسرائيل (الشعب). وهذا ما عمل الأنبياء على ترسيخه في الأذهان والنفوس (Bienstok ؛6).

تشريع الصوم

تعد فريضة الصيام، من أقدم التشريعات اليهودية، بعد شعيرة تقديم القرابين في الهيكل، التي انتهت ممارستها بخرابه عام 70م (الموحي 2007 ؛ 100). ولا ينبغي أن يفهم من هذا القول، أن هناك نص تشريعي واضح بها، فلم يرد الصوم لفظاً في أسفار موسى الخمسة، كفريضة على اليهودي تأديتها، ولكنه ورد في أسفار أخرى. وجاء في قاموس الكتاب المقدس (2005 ؛563). أن هناك نصوصاً (لا 16 ؛ 23 و 27 و 29 و عد 29 ؛ 7) ذكرت تحديداً صوم يوم واحد، وهو يوم الكفارة. وبالرجوع إلى التوراة، وإلى الآيات المذكورة في السفرين، وجدنا أن النصوص هي على النحو التالي:

جاء في سفر اللاويين(16 ؛ 23، 27 29)، بعد الحديث عن تقديم القرابين (للخطيئة)، ما نصه:

> ﴿ثم يدخل هارون إلى خيمة الاجتماع ويخلع ثياب الكتان التي

يلبسها عند دخوله إلى القدس ويضعها هناك.» «و وثور الخطيَّة وتيس الخطيَّة اللذان أتى بدمهما للتكفير في القدس يخرجهما إلى خارج المحلة، ويحرقون بالنار جلديهما ولحمهما وفرثهما» و« "ويكون لكم فريضة دهرية، أنكم في الشهر السابع في عاشر الشهر تذللون نفوسكم، وكل عمل لا تعملون: الوطني والغريب النازل في وسطكم.».

وجاء في سفر العدد (29: 7) ما نصه:

«"وفي عاشر هذا الشهر السابع، يكون لكم محفل مقدس، وتذللون أنفسكم. عملاً ما لا تعملون.»

وكما يرى القارئ، فإن هذه الآيات تتحدث عن التكفير، ولا تتحدث عن الصيام، ومع ذلك، فإن المفسرين قد، رأوا بأنها تعني ضمناً الصوم، وربما هذا ما قصده (Corn 2006: 5)- وإن لم يحدد السفر ورقم الآية، التي أتى بالنص منها- بقوله:

في هذا اليوم، أخبر الرب شعب إسرائيل قائلاً: «ستعاقبون أرواحكم»، وقد قام الحاخامات بتفسير هذا النص التوراتي، بقولهم: ستستشعرون حرمان الذات من المتع الحسية في يوم التكفير. والامتناع في هذا اليوم، لا يقتصر على الامتناع عن الأكل والشرب فقط، بل إنه يمتد ليشمل الاستحمام، والغسل، والتمسح بالزيت. كما أن الامتناع عن العلاقات الجنسية، أصبح جزءً من الفهم الحاخامي لتأديب الروح، حتى لبس الأدوات الجلدية محرم، لأنه يرتبط بالترف، وبالنزعة الحاخامية الداعية إلى الرفق بالحيوان.

ويمكن القول، أن هذا الغموض هو ما دعا الموحي (2007 :100) إلى القول: ولم يُعرف الصوم كتشريع وفريضة ملزمة، مستقلاً عن باقي الشعائر، بل يذكر لفظ (الصوم) أو ما يدل عليه، مع سياق طقوس شكلية معقدة، وإذا كانت أسفار موسى لم تذكر الصوم، فإن فريضة الصوم قد ذُكرت في أسفار عدة أتت بعدها.

أنواع الصوم

لم يرد في التراث اليهودي، أو قل الإسرائيلي، أية إشارة، تلميحاً أو تصريحاً عن صيام متكرر لموسى، في فترة زمنية بعينها، كأن تكون أياماً محددة في شهر محدد من كل عام، وكل ما ذُكر، هو أن سيدنا موسى، قد صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة، على جبل سيناء (قاموس الكتاب المقدس 2005: 563). ووفقاً لهذا التراث، فإن الصيام قد عُرف بين الأنبياء اللاحقين لموسى،

كما عُرف بين الكهنة والحاخامات، واتخذ أشكالاً عديدة، ونسب إلى مناسبات دينية وقومية شتى، وتنوعت أسبابه ودواعيه، وتباينت أوقاته بين الفرق والحركات اليهودية، وسبب ذلك كله، راجع إلى اجتهاداتهم في إيجاد أنواع منه، وجلها مرتبط بالحدث التاريخي، (الموحي 2007: 100). ومن أنواع الصيام اليهودي ما انتهى ولم يعد قائماً، ومنها ما بقي حتى يومنا هذا، ومنها ما لم يكن معلوماً في سابق الأيام، وتم استحداثه. وسوف يتم، في السطور القليلة التالية، إعطاء صورة إجمالية ومبسطة عن كل ذلك.

يصوم اليهود حوالي ثلاثين يوماً في العام، موزعة على عدد من الشهور، وليست في شهر واحد بعينه. منه ما هو مفروض، ومنه ما هو تطوعي، منه ما هو جماعي، ومنه ما هو فردي أو شخصي. والفارق في مدة الصيام، بين الصيام المفروض والصيام التطوعي، هو أن الصيام المفروض يمتد من الغروب إلى الغروب، بينما التطوعي أو المستحب يبدأ من شروق الشمس، وينتهي عند ظهور أول نجم الليل (الموحي 2007: 104).

وينبغي أن نشير، إلى أن أيام الصيام المفروضة، تتقدم أو تتأخر، وفقاً للطائفة الدينية. وأشهر أنواع الصوم في اليهودية، هو صيام يوم العاشر من شهر تشري، من أيام التكفير العشرة، التي تبدأ من اليوم الأول من رأس السنة العبرية، الذي أوردنا ذكره سابقاً، ويسمى يوم الصيام الأبيض، وذلك لأن اليهود يلبسون الثياب البيضاء فيه، أما أيام الصيام المستحبة الأخرى، فيرتدون اللباس الأسود، ويسمونها أيام الصوم السود (الموحي 2007: 103)، وهو سار حتى اليوم، وهو أهم الأيام المقدسة عند اليهود، على الإطلاق، وصوم اليهود فيه، مدته طويلة لا تقل عن خمس وعشرين ساعة: من غروب يوم التاسع وحتى غروب يوم العاشر (المسيري 2005: 83 - 84).

وإلى جانب صيام يوم العاشر من تشري، على اليهود صوم أربعة أيام متفرقة، وفي أشهر متفرقة، هذه الأيام هي:

- يوم السابع عشر من شهر تموز.
- يوم العاشر من شهر آب.
- يوم العاشر من شهر كانون الأول.
- يوم الثالث عشر من شهر آذار، (المقريزي، 1997: 142)، وهذه الأيام هي أيام حزن عندهم (الموحي 2007: 103).

وقديماً، أيام زكريا النبي، كان اليهود يصومون في الشهر الرابع (طيت) والخامس (شباط) والسابع (نيسان) والعاشر (تموز)، وذلك امتثالاً لأمر الرب بذلك، وقد جاء هذا الأمر في سفر زكريا (8: 19)، ونصه:

﴿"هكذا قال رب الجنود: إن صوم الشهر الرابع وصوم الخامس
وصوم السابع وصوم العاشر يكون لبيت يهوذا ابتهاجاً وفرحاً

وأعياداً طيبة. فأحبوا الحق والسلام".»

وذكر قاموس الكتاب المقدس (2005 :563) مناسبة هذا الصوم، الذي كان تذكاراً لحصار أورشليم في الشهر العاشر (الملوك الثاني 25: 1)، وسقوطها في الشهر الرابع (الملوك الثاني 25: 3 و 4 و ارميا 52: 6 و 7). وخراب الهيكل في الشهر الخامس (الملول الثاني 25: 8 و 9) ومقتل جدليا واليهود الذين كانوا معه في الشهر السابع (عد 25).

وما كان اليهود يصومون السبت ولا الأهلة ولا الأعياد الرئيسية، ولكنهم عملوا مؤخراً على ربط الصيام بالأعياد، أي جعلوا الصيام يسبق العيد وينتهي به (الموحي 2007: 101)، وأعيادهم كثيرة، كما سنرى فيما بعد. وعلى الرغم من ذلك، فلم يكن مظهرهم الخارجي يدل على البهجة والفرح، وذلك لأنهم كانوا في صيامهم، لا يمتنعون عن الطعام والشراب فحسب، بل كان صيامهم يمتد إلى مظهرهم الخارجي، فقد كانوا يلبسون المسح على أجسادهم، وينثرون الرماد على رؤوسهم، ويتركون أيديهم غير مغسولة، ورؤوسهم غير مدهونة، وكانوا يصرخون ويتضرعون ويبكون (قاموس الكتاب المقدس 2005 :563)، أي أن الحزن كان ملازماً للصوم والأعياد.

الصوم المضاف

وقد عمل حكماء اليهود، على إضافة أيام أخرى للصوم، تتجاوز العشرين يوما، كما ورد في الأدب اليهودي، وهي متفرقة، وليست في شهر واحد بعينه، وهذه الأيام هي:

1. صوم يوم رأس السنة.
2. صوم الفترة، من اليوم الثاني إلى اليوم الحادي عشر، من بداية السنة، وفيها يصلون صلاة الاستسقاء، لأجل أن ينزل الله المطر عليهم بعد انحساره، وفي تصورهم أن الله سبحانه وتعالى خلق الكون في هذا اليوم (الموحي 2007 :103).
3. صيام ثلاثة أيام متفرقة من الأسبوع، منها الاثنين والخميس تحديداً، وهي الأيام المخصصة عندهم لقراءة وتدارس التوراة.
4. صوم يوم التاسع من آب، ذكرى سقوط أورشليم، وتخريب الهيكل الثاني، وهو يوم حزن لديهم.
5. صوم ثلاثة أيام نادت بها (إستير).
6. صيام (أول نيسان) ذكرى مقتل أولاد هارون في المخيم (الموحي 2007 :105).
7. صوم الصمت: هو استغراق الصامت في صمته، المصحوب بذلة التوبة والندم والشعور بالخطيئة، وهي رغبة منوطة بالاختيار، وليس لها وقت محدد ... وتمثل رغبة في الامتناع عن الحديث إلى الناس بالتفرغ للعبادة. وقد حوت ديانتهم على ثلاثة ضروب من الصمت هي:

- صمت السلوك (وهو دلالة على العقل والحكمة).
- آية الصمت.
- صيام الصمت (الموحي 2007 ؛108 - 110).

8. صوم يوم الغفران الصغير (يوم كيبور قاطان)، وهو آخر يوم من كل شهر المسيري (2005 ؛52).

صوم العروسان، يصومان يوم زفافهما، حتى يبدءا حياة زوجية نقية وطاهرة، فالصوم للعروسين تكفير لذنوبهما السابقة (Bienstok ؛ 6).

10. صوم الذكرى السنوية لموتا أسرهم أو معلميهم.

إلى جانب الأنوع السابقة من الصوم، حدد رواة التوراة نوعاً آخر من الصوم، أُطلق عليه الصوم الشخصي، لاتقاء الغضب الإلهي، وينظر للصوم الشخصي على أنه كفارة للذنوب، وقد ورد في سفر (صموئيل الثاني)، أن داود قد كفَّر عن ذنب ارتكبه بالصوم. وعمل التقليد اليهودي على تحديد أيام أساسية للصوم الجماعي (Bienstok ؛ 6)، الذي لا يتم إلا في حالة واحدة، وهي أن وزر الخطيئة ملقى على كاهل الشعب كله، وانه يجب أن يذلل نفسه أمام الرب، وهذا ما جاء في سفر (صموئيل الأول 7 ؛ 6)، ونصه :

﴿فاجتمعوا إلى المصفاة واستقوا ماءً وسكبوه أمام الرب، وصاموا في ذلك اليوم وقالوا هناك: "قد أخطأنا إلى الرب". وقضى صموئيل لبني إسرائيل في المصفاة.﴾

وهناك نوع آخر من الصوم يقوم به اليهود؛ وهو الصوم بغرض التكفير الجماعي، ويتم هذا النوع من الصيام، عندما تقع لفائف التوراة على الأرض (Bienstok ؛ 6).

الحـج

تشريع الحج

تشريع الحج في شريعة موسى واضح تماماً، وقد ورد الأمر به، في مواضع مختلفة من أسفار التوراة، كقول الله في سفر التكوين (25 ؛ 1):

﴿ثم قال الله ليعقوب: "قم اصعد إلى بيت إيل وأقم هناك مذبحاً لله الذي ظهر لك حيث هربت من وجه عيسو أخيك". ﴾.

وقول الرب في سفر الخروج (23 ؛ 14 – 17):

﴿"ثلاث مرات تُعيِّد لي في السنة" . تحفظ عيد الفطير. تأكل فطيراً سبعة أيام كما أمرتك في وقت شهر أبيب، لأنه فيه خرجت من مصر. ولا يظهروا فيه أمامي فارغين. وعيد الحصاد أبكار

غلاتك التي تزرع في الحقل. وعيد الجمع في نهاية السنة عندما تجمع غلاتك من الحقل. ثلاث مرات في السنة يظهر جميع ذكورك أمام السيد الرب.﴾

وكذلك في سفر الخروج (34: 23):

﴿ثلاث مرات في السنة يظهر جميع ذكورك أمام السيد الرب إله إسرائيل﴾

وفي سفر التثنية (16: 16):

﴿وثلاث مرات في السنة يحضر جميع ذكورك أمام الرب إلهك في المكان الذي يختاره، في عيد الفطير وعيد الأسابيع وعيد المظال. ولا يحضروا أمام الرب فارغين﴾.

وتخبرنا الآيات السابقة، التي أمر الرب فيها بني إسرائيل بالحج، عن خمسة أمور: أولها، عدد مرات الحج المفروضة على بني إسرائيل، وهي ثلاث مرات في السنة. الثاني، عن مواعيد الحج، وهي الربيع والصيف والخريف. الثالث، عن المكلف بالحج، فقد ورد أن الاحتفال بهذه الأعياد فرض على الذكور دون الإناث، وتشترط الموسوعة اليهودية، القدرة والسلامة البدنية (الموحي 2007: 117). الرابع، هو اقتران أو تزامن الحج بالأعياد. الخامس، أن أيام الحج والأعياد هذه، هي مواسم زراعية، وهي: عيد الفطير(الفصح)، الذي يأتي مع أواخر الربيع، ويحتفل به تذكاراً لهرب بني إسرائيل من مصر، ويستمر هذا العيد سبعة أيام، من الخامس عشر من نيسان، وحتى الواحد والعشرين منه، وهناك من يرى بأن أيام هذا العيد تستمر لأكثر من شهر؛ فهي تبدأ من الثاني عشر من آذار، وتنتهي في الخامس عشر من نيسان (الموحي 2007 :118).

وكذلك عيد الجمع، أو عيد الأسابيع؛ وسمي كذلك، لأنه يأتي بعد سبعة أسابيع من عيد الفصح (بداية الخريف)، ويقع في آخر الحصاد، ومدته يومان، السادس والسابع من شهر سيفان أو سيوان.

وأخيراً، عيد الحصاد أو عيد المظال (وسط الصيف)، تحصد فيه الغلال، ويستمر مدة سبعة أيام أو ثمانية أيام (وفقاً للطائفة)، ابتداءً من الخامس عشر من تشرين الأول، وحتى الثاني والعشرين منه. وعادة ما يجلس اليهود في هذا الموسم، تحت ظلال سعف النخيل وأغصان الزيتون، وذلك في الخيام المصنوعة من سعف النخيل أو القصب، تخليداً لإظلال الله لأجدادهم في أيام التيه (الموسوعة الفلسطينية 1984: 143 والمسيري 2005: 38 والموحي 2007 :118 - 119). ومن مناسبات الحج الثلاثة هذه، تأتي المناسبة الأخيرة مباشرة بعد أكثر اللحظات المباركة لعام المعبد، حيث يتجمع أكبر حشد لحضور يوم التكفير، الذي يتميز بدلالة كبيرة، فهو المعروف وببساطة شديدة بـ "سبت الأسبات".

وشعيرة الحج هذه، وكما أسلفنا، عند الحديث عن العبادات الأخرى، قد تأثرت بطبيعة تاريخ بني إسرائيل، بمعنى أن الحج كما فُرض، قد ارتبط بالمعبد؛ فطالما أن المعبد قائم، فالحج في المواسم الثلاثة المفروضة قائم، وتصف المصادر، التي يعود تاريخها للفترة الرومانية المبكرة، المدينة المقدسة بالاكتظاظ بالحجيج في كل مناسبة، إلا أن هذا الزخم الديني للحج، قد تضاءل أو قل انتهى بعد تدمير المعبد، الذي صادف عام 70م. وتعطلت شعيرة الحج، كما تعطلت شعائر دينية كثيرة، مرتبطة بالمعبد.

وعند القيام بالحج، تعتبر الطهارة من أساسيات الحج، ليس هذا فحسب، بل إن اكتمال المظهر جزء من الحج. وعند الاقتراب من المدينة المقدسة (أورشليم)، يعمد الحجاج إلى تحيتها والسلام عليها (الموحي 2007: 121). وقد اعتاد الحجاج اليهود، ترديد بعض المزامير في حجهم، ويكررونها مراراً، ومنها، ما نصت عليه المزامير التالية:

- مزمور 120: ترنيمة المصاعد.
- مزمور 121: ترنيمة المصاعد.

أما الحج أيامنا هذه، فلم يعد قائماً بالشكل، الذي اعتاد عليه الآباء الأوائل، ويتخذ مظهرين: الأول، لمن يقيم في القدس أو بالقرب منها، والثاني، لمن يقيم بعيداً عن القدس. فالمقيمون بالقدس أو ضواحيها، يحجون إلى حائط المبكى، حيث يقفون أمامه في صف طويل، واضعين أكفهم على الحائط، يتباكون مجدهم الزائل (الموحي 2007: 122). أما البعيدين عن القدس، فلهم طقوس أخرى، وهذه الطقوس ليست للحج، بل تقام للاحتفال بالعيد، وتذكر التراث والتاريخ العبري (اليهودي).

الزكاة (الصدقة)

وضعنا عنوان هذا الجزء من الدراسة: الزكاة والصدقة، لسبب بسيط للغاية، وهو إن ما احتوت عليه معظم الآيات في التوراة، أو ما تضمنته الكتابات الدينية، لا يتضمن نصاً للزكاة، ولكنها تؤخذ بدلالة اللفظ وليس بنصه، وربما يعود ذلك، إلى خلو اللغة العبرية من لفظ الزكاة (الموحي 2007: 95) وتؤكد ذلك قواميس اللغة العبرية، التي تخلوا من كلمة (زكاة). والمطلع على التراث العبري أو اليهودي، يجد وبوضوح شديد، أن موضوع الصدقة هو المتناول وليس الزكاة، إلا ما جاء في ذكر العُشر.

وعلى الرغم، من عدم وضوح مفهوم الزكاة في التوراة، إلا أن كل من كتب عن العبادات اليهودية، يطرح موضوع الزكاة، ويناقشه من كل جوانبه، ولتجنب اللبس بين الزكاة والصدقة، يتم الحديث عنهما معاً، في حين أن الحديث يدور حول الزكاة، وهذا ما تداركناه في دراستنا هذه،

فنذكر الزكاة فقط، فيما يتعلق بالعُشر، أما ما عدا ذلك، فيدخل في باب الصدقة. فقد ورد قول الرب في سفر التثنية (14: 22 - 23) ما نصه:

﴿"وتعشيراً تعشر كل محصول زرعك الذي يخرج من الحقل سنة بسنة. وتأكل أمام الرب إلهك، في المكان الذي يختاره ليحل اسمه فيه، عشر حنطتك وخمرك وزيتك، وأبكار بقرك وغنمك، لكي تتعلم أن تتقي الرب إلهك كل الأيام"﴾

ويدلنا الأمر الإلهي في النص السابق، على أن العشر يتم إخراجه سنوياً، وليس مرة واحدة في العمر، ولا يعاد إخراجه، كما يعتقد المقريزي (1997 :142). ويتم إخراج العشر متى ما اكتمل النصاب؛ والنصاب هنا هو مئة، سواءً في العدد أو الوزن، من جميع ما يمتلك المرء.

إلى جانب العشر السنوي هذا، هناك عشر آخر، وهو المخصص للقائمين على خدمة المعبد، الذين لا يتمتعون بملكية الأرض، ويتم إخراج هذا العشر كل ثلاث سنوات، وهذا ما نصت عليه الآيات (28 - 29) من نفس السفر، ونفس الإصحاح، فقد جاء:

﴿"في آخر ثلاث سنين تخرج كل عشر محصولك في تلك السنة وتضعه في أبوابك. فيأتي اللاوي، لأنه ليس له قسم ولا نصيب معك، والغريب واليتيم والأرملة الذين في أبوابك، ويأكلون ويشبعون، لكي يباركك الرب إلهك في كل عمل يدك الذي تعمل".﴾

وسوف يتأكد لنا الفارق بين الزكاة والصدقة في السطور القليلة التالية.

فإذا تأملنا النص التوراتي السابق، في سفر التثنية (14: 22 - 23)، نجد أن شطر من الآية (23) ونصه: ﴿ وأبكار بقرك وغنمك، لكي تتعلم أن تتقي الرب إلهك كل الأيام. ﴾، يتحدث عن أبكار البقر والغنم، وكذلك أوائل الثمار والمحاصيل، وفي آيات أخرى. وأبكار الثمار والمحاصيل والماشية، لها حكم آخر، فهي أقرب للصدقة منها للزكاة، والدليل على ذلك، أن الحصة التي تخرج منها ليس العشر، وأنها غير معلومة على وجه اليقين، وهذا ما أكده قاموس الكتاب المقدس (2005: 186) بالقول:

كانت فريضة على العبرانيين، أن يقدموا لله من باكورة حصادهم وكرمهم وأبكار زيتهم، وأول مخبوز من غلالهم الجديدة، وأول الصوف من ماشيتهم ... وأما مقدار ما يقدم من هذه المواسم، فغير معروف تماماً، ولكنه يظن أنه لا يقل عن 1 من 60 منها.

وتعد مسألة الصدقة والتصدق، من الأمور الجوهرية والأساسية، في الشريعة الموسوية، فقد أوصى الرب في سفر التثنية (15: 11) بالإحسان إلى الفقير والتصدق عليه، حيث قال:

﴿لأنه لا تفقد الفقراء من الأرض. لذلك أنا أوصيك قائلاً: افتح يدك لأخيك المسكين والفقير في أرضك﴾.

ولا يجوز التفريق في إعطائها بين المحتاجين لها، على أساس الدين أو العرق أو ما شابه ذلك، بل لقد جاء الأمر بالتصدق على الأعداء، فالرب هو الذي يجزي المتصدق، وأن الصدقة على العدو فيها وبال عليه، فقد جاء في سفر أمثال (25: 21 - 22)، ما نصه:

﴿إن جاع عدوك فأطعمه خبزاً، وإن عطش فاسقه ماءً، فإنك تجمع جمراً على رأسه، والرب يجازيك﴾.

كما ورد في سفري اللاويين(19: 9 – 10) و التثنية(24: 19 - 21)، ما نصه:

لاويين ﴿ وعندما تحصدون حصيد أرضكم لا تُكمل زوايا حقلك في الحصاد. ولقاط حصيدك لا تلتقط. وكرمك لا تعلله، ونشار كرمك لا تلتقط للمسكين والغريب تتركه. أنا الرب إلهكم﴾.

تثنية﴿ إذا حصدت حصيدك في حقلك ونسيت حزمة في الحقل، فلا ترجع لتأخذها، للغريب واليتيم والأرملة تكون، لكي يباركك الرب ألهك في كل عمل يديك. وإذا خبطت زيتونك فلا تُراجع الأغصان وراءك، للغريب واليتيم والأرملة يكون. إذا قطعت كرمك فلا تُعلله وراءك، للغريب واليتيم والأرملة يكون.﴾.

ويحرص اليهود على الصدقة والقيام بالتصدق، ليس لأنها واجب ديني عليهم فقط، بل لأنهم أحق من غيرهم بالقيام بها، فهم أبناء الله، والأمة المختارة من بين الأمم، وهذا ما أكده الموحي (2007 :95) بقوله:

اليهود يرون، أن الصدقة الصادرة منهم، تجعلهم أرفع شأناً وأعظم قدراً، فهي مقبولة منهم لأنهم أبناء الله، وأحباؤه، وشعبه المختار، كما يرون –قديماً- أن من يتصدق من غير اليهود، لا يتصدق بنية خالصة لوجهه الكريم وإنما يفعل ذلك كبرياء.

ولو نظرنا، إلى عدد المناسبات والأعياد الدينية اليهودية، في العام الواحد، وهي كثيرة، لتأكد لنا، بأنهم كثيرا ما يتعرضون لنفحات الخير في حياتهم، حيث تشكل هذه المناسبات والأعياد، فرصة سانحة لهم للتصدق وعمل الخير.

الفصل الخامس
المناسبات والأعياد الدينية
(الجزء الأول)

تحفل حياة بني إسرائيل، بالعديد من المناسبات والأعياد الدينية، وقد تأسست هذه المناسبات والأعياد، منذ أن خرج بهم سيدنا موسى من مصر، استجابة لأمر ربه، القاضي بالتوجه إلى الأرض المقدسة. ولم تنشأ هذه المناسبات والأعياد دفعة واحدة، بل أتت بالتدريج، ووفقاً لمقتضيات الإرادة الإلهية.

وتتميز هذه المناسبات والأعياد، بنوع من الأصالة والتعدد والتنوع؛ فمن حيث الأصالة، نجدها ترجع إلى الفترة التاريخية، التي كان سيدنا موسى حاضراً بين ظهرانيهم، وسطرتها التوراة. أما فيما يتعلق بالتعدد والتنوع، فإن مناسباتهم وأعيادهم الدينية، نتجت عن تاريخهم الطويل، الحافل بظهور الأنبياء فيهم، وبتعرضهم للمحن والمعاناة. وهذا ما نجده حاضراً في الأدب المتعلق بهذا الموضوع، فقد ذكر قاموس الكتاب المقدس (2005: 435) أن أعيادهم وأيامهم المقدسة، كانت قليلة قبل السبي والشتات، وانحصرت في السبوت والأهلة، ثم في أربعة أعياد كبيرة، وصوم واحد. والأعياد هي عيد الفصح، وعيد الأسابيع، وعيد الأبواق، وعيد المظال، أما بعد السبي، فقد أضيفت أعياد أخرى كثيرة منها: عيد البوريم، وعيد التدشين. ويذهب المسيري (2005: 80) في تقسيم الأعياد الدينية لبني إسرائيل، نفس المذهب، وهي عنده تقسم إلى قسمين: الأول، الأعياد التي نزلت قبل التهجير، وجاء ذكرها في التوراة. الثاني، الأعياد التي تم إضافتها بعد العودة من السبي البابلي.

وتختلف المناسبات والأعياد الدينية، من حيث ترتيبها في الظهور، ومن حيث أهميتها التعبدية، وسيتم الحديث عنها هنا، من حيث أهميتها التعبدية، لا من حيث ترتيبها في الظهور، وهذه المناسبات والأعياد هي: السبت، عيد الفصح، عيد الأسابيع، عيد المظال، عيد الثامن الختامي، عيد رأس السنة، عيد الغفران، عيد القمر الجديد. ثم عيد النصيب (البوريم)، عيد التدشين (حانوخة)، عيد لاج بعومير، عيد التاسع من آف، عيد الخامس عشر من آف، عيد رأس السنة للأشجار.

يعتبر يوم السبت، من أهم المناسبات الدينية، عند بني إسرائيل عامة، وعند اليهود على وجه التحديد، ويكفي لإبراز أهميته، أنه قد ذُكر تحديداً في الوصايا العشر. ليس هذا فحسب، بل إن الارتباط الوثيق بين اليهود والسبت، معلوم لكل الناس على اختلاف أعمارهم ومللهم ونحلهم وأعراقهم وجنسياتهم. فالسبت من أبرز العلامات الدالة على اليهود واليهودية، "وتؤكد أسفار موسى الخمسة، في غير موضع، ضرورة الحفاظ على شعائر السبت، كعهد دائم بين الإله وجماعة يسرائيل" (المسيري 2005: 51). ويحتفل اليهود به ويحفظونه، لما له

من دلالات عظيمة في حياتهم وتاريخهم، ومن بين دلالات السبت عندهم، أنه يوم استراحة الرب، بعد أن خلق السماوات والأرض. وهو أيضاً، ذكرى الحرية والانعتاق من جبروت فرعون، وخروجهم من مصر.

ونظراً، لأهمية السبت هذه لدى اليهود، فإن المهتم أو الباحث يجد أن الأدب اليهودي، قد تحدث عنه بشكل مستفيض، وأضفى عليه صبغة، قد يعتبرها البعض نوعاً من المبالغات؛ كأن يقال بأنه معجزة، وأنه هو الذي حافظ على الوجود اليهودي عبر التاريخ. لذا فسوف نبدأ الحديث عنه. أما الأعياد، فسوف يتم تسليط الضوء، على أعياد قبل السبي البابلي. أما أعياد بعد السبي، فسوف يتم الإشارة إليها، دون العناء في ذكر تفاصيلها.

السبت

لم يشر الأدب، إلى أنه كانت لبني إسرائيل، قبل بعثة سيدنا موسى عليه السلام، أية أعياد أو مناسبات سنوية أو شهرية أو أسبوعية يحتفلون بها، أو يحفظونها في أجيالهم، وبدأت المناسبات والأعياد تتكشف بعد بعثة سيدنا موسى، والسبت هو إحدى أهم المناسبات الإسرائيلية، التي تجددت أهميتها وقدسيتها بعد البعثة، أما قبل ذلك، فلم يكن السبت سوى إحدى أيام الأسبوع، ولا نعلم له أصلاً (Schauss 2005 :3)، ولا نعلم أن هناك أمة من الأمم قد احتفت به، أو منحته أهمية ما، أو جعلت فيه مناسبة لها (Epstein 1970 : 12). ومع ذلك، فهذا لا يعني أن السبت لم يكن معلوماً، بل إنه قديم قدم الإنسان نفسه على الأرض، وهناك من يعيده إلى قبل ذلك بكثير، حيث يرى، بأن أول ذكر له كان في الجنة(Alexander 2005 :122).

ولما كان هناك من الكتاب والمهتمين، من دأب على التشكيك والطعن، في كثير مما ورد في التوراة، وأعاده إلى الحضارات الكبيرة، في المنطقة؛ كالحضارة البابلية، فإن السبت، سبت بني إسرائيل، قد ناله شيء من هذا الإنكار، فهناك من يعتقد، بأنه بدأ في بابل، متخذاً من التماثل القائم بين الكلمتين: البابلية (شباتيم) والعبرية (شبات)، مصدراً ومنطلقاً لنسبة السبت الإسرائيلي إلى الحضارة البابلية. وهذا القول أو الزعم غير دقيق، وذلك لأن معنى (شباتيم) في الحضارة البابلية، هو يوم اكتمال القمر، ويدل على يوم عدم الحظ، وليس لليهود أية علاقة به، وليس هناك أي دليل على أن السبت اليهودي على علاقة، من أي نوع، باكتمال القمر (Schauss 2005 :4).

والحديث عن السبت بصفته العامة، كأحد أيام الأسبوع، دون أن يحمل دلالة ما، هو عند اليهود كما هو عند الأمم الأخرى، ليس سوى احد أيام الأسبوع. والحديث عن السبت العام والسبت اليهودي، بدلالته الخاصة، قد أدى إلى انقسام العلماء إلى طائفتين: ترى الطائفة

الأولى، بأن السبت عند اليهود، هو احد أيام الشهر، وهذا لا خلاف عليه، كما سبق ذكره. أما الطائفة الثانية، فتؤكد بأن السبت اليهودي، قد تحدد موقعه بين أيام الأسبوع، منذ البداية؛ منذ أيام موسى، بأنه اليوم السابع، وأنه يـــوم راحة، وهو بهذا التحديـــد يهودي، وحتى علماء الطائفة الأولى، يوافقون على أن يوم السبت المعلوم لدينا، هو في الأساس من وضع اليهود (Schauss 2005 : 4). ليس هذا فحسب، بل إن كلمة سبت اليهودية، من الاتساع بحيث تشير، إلى كل مناسبة مقدسة، تتطلب الامتناع عن العمل (Paterson 2009 : 120)، والامتناع عن العمل، هنا، يدل على الإقرار (إقرار اليهود)، بعدم سيطرة الإنسان على الأشياء (Becher 2005 : 98).

إذن، فالسبت بدلالته المقدسة تلك، لم يبدأ إلا مع سيدنا موسى. وترشدنا قدسية السبت، إلى أن الحديث عنه، ينبغي أن يبدأ من رحلة موسى المقدسة، وخروجه من مصر، وتحديداً، منذ تسلمه اللوحين والتوراه، من ربه. وكما هو معلوم، فإن أول شيء تسلمه موسى عليه السلام من ربه، هو اللوحين الحجريين، وفيهما الوصايا العشر، التي تعد حجر الزاوية في الاعتقاد اليهودي. وأتى ذكر السبت، ولأول مرة، في هذه الوصايا، ﴿ولم يُذكر سواه من بين كل المناسبات (Epstein 1970 : 12)، ونص وصية السبت فيها هو: أذكر يوم السبت لتقدسه﴾. ولا يعد الأمر الوارد بتقديس السبت أمراً شاقاً، بمقتضاه سيكلف بنو إسرائيل بأعباء فوق طاقتهم، بل إنه منحة إلهية، فقد أخبر الرب موسى، في جبل سيناء، بأنه سيمنح إسرائيل الوصايا العشر وقدس الأقداس هدية، ولكنه سيهديهم ما هو أثمن من كل ذلك، ألا وهو السبت (Epstein 1970 : 15).

وتعد التوراه، المصدر الرئيسي، الذي حفل بذكر السبت، فجاء ذكره فيها في لفظين هما: السبت واليوم السابع. ولما كان سفر التكوين، أول الأسفار، فقد أتى أول ذكر للسبت فيه، وذلك في ثلاث آيات من الإصحاح الثاني (2 : 1-3) ونص الآيات هو:

> ﴿(1) فأُكملت السماوات والأرض وكل جندها. (2) وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل. فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل. (3) وبارك الله اليوم السابع وقدسه، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً.﴾

وتكرر ذكر السبت أيضاً في مواضع كثيرة في التوراة، وخاصة في سفر الخروج. الذي يروي قصة خروج بني إسرائيل من مصر، وهي معلومة للجميع. فبينما هم في البرية كثر تذمرهم، وما كان تذمرهم في كثير، فقد كانوا يتذمرون لرغبتهم في ملئ بطونهم، فأكرمهم الرب بالمن والسلوى. وهنا، بدأ حديث التوراة عن السبت، الذي أتى ذكره في آيات عدة، في هذا السفر (16 : 23 و25 و26 و29 و31 : 17-16 و 35 : 1-3)، وذُكر أيضاً، في سفر اللاويين، وتحديداً في ثلاث آيات (23 : 1-3) ونص هذه الآيات هو:

وفي سفر الخروج (16: 22 و 25):

﴿"(22) ثم كان في اليوم السادس أنهم التقطوا خبزاً مضاعفاً، عُمرين للواحد. فجاء كل رؤساء الجماعة وأخبروا موسى. فقال لهم: هذا ما قال الرب: غداً عطلة، سبت مقدس للرب. اخبزوا ما تخبزون واطبخوا ما تطبخون. وكل ما فضل ضعوه عنكم ليحفظ إلى الغد».﴾ ﴿فقال موسى: «كلوه اليوم، لأن للرب اليوم سبتاً. اليوم لا تجدونه في الحقل. ستة أيام تلتقطونه، وأما اليوم السابع ففيه سبت، لا يوجد فيه».﴾

﴿انظروا ! إن الرب أعطاكم السبت، لذلك هو يعطيكم في اليوم السادس خبز يومين. اجلسوا كل واحد في مكانه، لا يخرج أحد من مكانه في اليوم السابع».﴾

﴿ فيحفظ بنو إسرائيل السبت ليصنعوا السبت في أجيالهم عهداً أبدياً. هو بيني وبين بني إسرائيل علامة إلى الأبد. لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض، وفي اليوم السابع استراح وتنفس».﴾

﴿وجمع موسى كل جماعة بني إسرائيل وقال لهم: «هذه هي الكلمات التي أمر الرب أن تُصنع: ستة أيام يُعمل عمل، وأما اليوم السابع ففيه يكون لكم سبت عطلة مقدس للرب. كل من يعمل فيه عملاً يقتل. لا تشعلوا ناراً في جميع مساكنكم يوم السبت».﴾

﴿وكلم الرب موسى قائلاً: «كلم بني إسرائيل وقل لهم: مواسم الرب التي فيها تُنادون محافل مقدسة. هذه هي مواسمي: ستة أيام تعمل عمل، وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلة محفل مقدس. عملاً ما لا تعملوا، إنه سبت للرب في جميع مساكنكم.﴾

ولم يكن لبني إسرائيل الخيار، في تقديس يوم السبت وحفظه، فقد جاء أمر الرب بذلك، كما بينته الآيات السابقة. وعليه، فقد اكتسب السبت قدسيته، من أمر الرب به، ومن دلالاته وصفاته، وما يؤديه من وظائف كثيرة، وأبرز هذه الصفات، أنه هدية الرب لبني إسرائيل، وذكرى للميثاق بين الرب وبني إسرائيل (Bloch 1989: 108)، وأنه ملكة الأعياد (Epstein 1970: 13)، وأنه يوم روحي (Schauss 2005: 11). ومع التطور والتغير، الذي شهدته الديانة اليهودية، عبر تاريخها الطويل، فقد اكتسب السبت أسماءً أخرى، غير التي ذُكرت سابقاً، وذلك باقترانه ببعض المناسبات والأعياد، فإذا جاء قبل المناسبة، سُمي باسم يختلف، عما إذا أتى بعد المناسبة، وهذا التعدد والتغير في الموقع، يوحي بأن هناك أكثر من سبت

واحد، وذلك على النحو التالي:

- إذا أتى قبل عيد الفصح، سُمي السبت الكبير.
- إذا أتى قبل التاسع من آف، سُمي هازون (Hazon).
- إذا أتى بعد التاسع من آف، سُمي نهامو (Nahamo).
- إذا أتى قبل رأس الشهر (قبل القمر الجديد)، سُمي السبت المبارك.
- إذا وقع بين رأس السنة ويوم كيبور (الغفران)، سُمي السبت العائد.
- إذا أتى قبل بوريم (عيد الأنوار)، سُمي سبت التذكر (Epstein 1970 ،19).

وعلى الرغم من كل سمات وصفات ودلالات السبت، وعلى الرغم، من أوامر الرب الصريحة والمباشرة لبني إسرائيل بحفظه وتقديسه، إلا أن الشاهد يدل على أن جلهم لم يحفظه ولم يقدسه، بالشكل الذي أوصى به الرب. ويمكن القول، أن مستوى حفظهم وتقديسهم له قد تفاوت، ولم يكن في مستوى واحد من الالتزام، وتلعب درجة الإيمان والاستقامة، دوراً بارزاً في الامتثال والالتزام، بأوامر الرب، فمن كان إيمانه بربه قوياً أعطى حق ربه في حفظه وتقديسه، ومن ضعف إيمانه، تساهل أو امتنع عن حفظه وتقديسه.

والمقصود بحفظ السبت وتقديسه، هو تكريسه للعبادة والدراسة الدينية فقط، والامتناع عن القيام بأي نشاط، يؤكد سلطة وسيطرة الإنسان على الأشياء، فهو اليوم، الذي باركه الرب وجعله مقدساً، وأمر بني إسرائيل بتقديسه، والحفاظ على شعائره. فيوم السبت يوم مكرس للعبادة فقط، ويحرم على اليهودي فيه، أن يقوم بأي عمل يشغله عن ذكر الإله، وإذا ما دعته الضرورة إلى الخروج من بيته، فلا يحمل معه أي شيء، سوى التوراة أو كتاب الصلوات (المسيري 2005، 51). وهناك، من الطوائف اليهودية، من تشدد في الحفاظ على شعائر السبت، وجعل مجرد الخروج من البيت محرما. ولا يجوز العمل، أي كان شكله ونوعه، في هذا اليوم، فكل ما يدل على ممارسة الإنسان لسلطته على الطبيعة محرم، "ولم يكن عند اليهود خطيئة، تفوق التفريط في شعائر السبت، إلا عبادة الأوثان. ولهذا، فإن عقوبة خرق شعائر السبت، الإعدام رجماً "(المسيري 2005، 51)، وأول مظاهر خرق شعائر السبت هو القيام بأي نشاط يستدل منه على العمل، وإن كان مجرد إشعال نار، كما ورد في الآية الثالثة في الإصحاح الخامس والثلاثين، من سفر الخروج.

ولم تتحدث التوراة كثيراً، عن الأعمال المحرم القيام بها، في يوم السبت، وهذا أمر طبيعي، فمهمة سيدنا موسى، تعريف بني إسرائيل كل أمور دينهم، ومن بعده الأنبياء وكذلك الكهنة والحكماء من بني إسرائيل. كما لم تحدد التوراة بدقة، أي أنواع الأعمال محرمة، وهناك بعض التلميحات فقط، ولكن الصورة الواضحة لم ترد، فقد جاء في التلمود: "إن تشريعات السبت واهنة كالشعرة في التوراة المكتوبة، ولكنها عظيمة عظمة الجبال في التوراة الشفوية". وتخبرنا التوراة، أنه قبل الشروع في بناء خيمة الاجتماع، قام موسى بجمع بني

إسرائيل، وكرر على مسامعهم وصية السبت. وإذا أردنا أن نعرف الأعمال المحرمة، فما علينا إلا النظر إلى كيفية بناء الخيمة، ونتعض من ذلك، وهذا ما فعلته التوراة الشفوية، فقد علمتنا، أن هناك 39 نوعاً من أعمال السبت المحرمة، وهذه الأعمال هي:

- كل الأعمال الخشبية.
- كل الأعمال المعدنية.
- كل أعمال النسيج والحياكة.
- كل الأعمال الجلدية.
- كل النشاطات المساعدة لإنجاز البناء؛ كالنقل والطهي، وكذلك الأعمال الكتابية.

وتفصيل الأعمال التسعة والثلاثين المحرمة، هو على النحو التالي:

× الحمل.	× الأشغال.	× الإطفاء.	× الإتمام.	× الكتابة.
× المسح.	× الطبخ.	× الغسيل.	× الخياطة.	× التمزيق.
× الحياكة.	× الفك.	× التشكيل.	× الفلاحة.	× الزراعة.
× الجني.	× الحصاد.	× درس الحنطة.	× الذري.	× الاختيار.
× النخل والغربلة.		× الطحن.	× العجن.	× المشط.
× الغزل.	× الصبغ.	× ربط السلسلة.	× التغليف.	× النسيج.
× الإحلال.	× البناء.	× الهدم.	× الصيد.	× القنص.
× الذبح.	× السلخ.	× الدباغة.	× التنعيم.	

× وضع العلامات أو الإشارات (Miller 2011: 22-28).

ويحفل التلمود بتفصيل كل نوع من الأعمال السابقة، بحيث لا يترك شاردة ولا واردة إلا وأتى بها، حتى يبقى المرء في مأمن، ولا يقدم على عمل فيه مخالفة لأوامر ربه.

لقد شملت القائمة السابقة، كل أنواع الأعمال أو الأنشطة، التي عادةً ما يقوم بها الإنسان في حياته اليومية، والتي لا يمكنه الامتناع عن أدائها، مما يجعل الالتزام بها، أو حفظها كشعيرة مقدسة، من الأمور الشديدة الصعوبة، الأمر الذي يؤدي في نهاية المطاف، إلى أن تتوقف الحركة في هذا اليوم، في كل مكان أو تجمع لليهود. هذه الصعوبة، تثير الكثير من التساؤلات في ذهن المرء؛ هل التزم بنو إسرائيل وحفظوا السبت دون أي إخلال بالفعل ؟ ، ماذا عن الطوارئ والكوارث والحروب ؟ ألا يوجد هناك أي نوع من الاستثناء ؟، ألا تزال مسألة الحفاظ على السبت، في التجمعات اليهودية في العالم عامة، وفي إسرائيل خاصة، سارية المفعول كما كانت في الماضي، أم طرأ عليها نوع من التعديل أو التخفيف ؟. والإجابة عن هذه الأسئلة، بالطبع، تكمن في جهود الكهنة والحاخامات، الذين قاموا بتفسير النصوص التوراتية، وجعلوها تستجيب

لظروف الواقع، وبما لا يتعارض مع التشريع، وذلك بما ضمنوه في التوراة الشفهية (التلمود).

وموقف بني إسرائيل من حفظ السبت، واضح وبين ومدون في التوراة، ويمكن القول، بأن موقفهم من السبت كان متذبذباً؛ فحيناً يتمسكون به ويحفظونه إلى درجة المغالاة، وأحياناً أخرى، ينسونه أو يتناسونه تماماً (وفقاً لطبيعة الطائفة)، وغالباً ما تتحكم الظروف بمواقفهم تلك. فعندما تشددوا في حفظ السبت، أخرجوه عن مضمونه وهدفه الروحي، وارتكبوا الفواحش، فبعث الرب الأنبياء ليعظوهم وليردوهم إلى الطريق القويم. ومن مآسي تشددهم في حفظ السبت، ومغالاتهم في حفظه، أنهم كانوا لا يردون عن أنفسهم العدوان فيه، فهلك منهم قوم كثير. فنتج عن مثل تلك الظروف أو المواقف، ظهور تفسيرات كثيرة للنصوص التوراتية، تبطل كثيراً من ضيق الأفق، في فهم الأوامر الإلهية، وتبين كيفية حفظها.

ولم يحظ السبت بالأهمية والوظيفة الثابتة على مر الزمن، فقد أكسبته الظروف التاريخية، التي مر بها بنو إسرائيل، دلالات مختلفة وأهمية متفاوتة، وخاصة في فترة السبي البابلي، الذي يعد معلماً بارزاً في تاريخهم القديم والحديث على السواء. فلم يكن للسبت الدلالة والدور الأكثر والأبرز، أو حتى المساوي للمناسبات الأخرى، التي كانت تفوقه من حيث الأهمية والاحتفاء. وقد يقول قائل: أن السبت كان يحظى، إبان المملكتين الإسرائيليتين (إسرائيل ويهوذا)، بكثير من الاهتمام، بحيث أنه كان يخصص من الحرس الملكي، في يوم السبت، الثلثين للعمل في المعبد، لتنظيم الحشد، وخدمة المعبد، بينما كان عدد الحراس في الأيام الأخرى، لا يزيد على الثلث (Schauss 2005: 6). هذا صحيح، ولكنه لم يكن يمثل أمراً مركزياً، في حياة بني إسرائيل، مقارنة بباقي المناسبات (الفصح، والأسابيع، والعشة) آنذاك، إذ لم يكن قادراً على أن يلعب دوراً كبيراً ومؤثراً، في يهوذا أو إسرائيل، كما لعبه في السبي، على الرغم من استمرار وبقاء هذه الأعياد الثلاثة، إذ كان يحصل على دلالاتها لنفسه (Schauss 2005: 7). ويمكن إعزاء غياب الدور المركزي للسبت، إبان الدولة المستقلة، إلى انعدام حاجة بني إسرائيل، لإبراز هويتهم أمام الغير، وتميزهم عليهم، كما كانت حاجتهم إلى ذلك أثناء سبيهم.

وبسبي بني إسرائيل وتشردهم، انقلب وضعهم من حالة الاستقلال إلى التبعية، ومن حالة القوة إلى حالة الضعف، فلم يكن أمامهم، سوى إظهار ما يميزهم في غربتهم وشتاتهم، عمن حولهم من السكان الأصليين، فكان السبت هو الحصن والعلامة الفارقة، التي رأوا أن يحيوها، لتكون علامة مميزة لهم. وعليه فقد حصل السبت، ابتداءً من السبي البابلي، على دلالة جديدة ومحتوى روحياً أعمق (Schauss 2005: 6)، فأولوه كل عنايتهم ورعايتهم، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك، فقرنوه بحياتهم، الأمر الذي دفع الحاخامات، إلى اعتبار هذا الولاء، ضمان بعدم اختفائه، هو وشعيرة الختان، اللتان تميزا الشعب اليهودي (Bloch 1989: 108).

وبهذه الروح الوقادة، استمر بنو إسرائيل في شتاتهم، يقدسون السبت ويحفظونه،

باعتباره علامة تدل عليهم، وتميزهم عن غيرهم، وحرصوا عليه كل الحرص، إلى درجة أنه أصبح يمثل مؤسسة يهودية بارزة. وظهرت إلى جانبه مؤسسة أخرى، لا تقل أهمية عنه في الوجدان اليهودي، ألا وهو السيناجوج، فأصبح السبت والسيناجوج كعملة واحدة، يكمل الواحد منهما الآخر (Schauss 2005 ؛ 10).

ولا يعني حفظ بنو إسرائيل للسبت في شتاتهم، أن ذلك الحفظ، قد شكل لهم ثقافة دينية قوية، استمرت فيهم أينما وجدوا، وإن كان هذا الأمر يصدق على الكثير منهم، ويتبين ذلك بوضوح تام، عند عودتهم من سبيهم إلى أورشليم، حيث عادوا إلى غيهم، وعدم الاكتراث بهذا اليوم الجليل، وأبرز دليل على ذلك، ما ورد في سفر نحميا (13 ؛ 15-22)، ونص بعض هذه الآيات هو:

> ﴿(15) في تلك الأيام رأيت في يهوذا قوماً يدوسون معاصر في السبت، ويأتون بحزم ويُحمِّلون حميراً، وأيضاً يدخلون أورشليم في يوم السبت بخمرٍ وعنبٍ وتين وكل ما يُحمل، فأشهدت عليهم يوم بيعهم الطعام، (16) والصوريون الساكنون بها كانوا يأتون بسمك وكل بضاعة، ويبيعون في السبت لبني يهوذا وفي أورشليم. (17) فخاصمت عظماء يهوذا وقلت لهم: «ما هذا الأمر القبيح الذي تعملونه وتدنسون السبت ؟ (18) ألم يفعل آباؤكم هكذا فجلب إلهنا علينا كل هذا الشر، وعلى هذه المدينة ؟ وأنتم تريدون غضباً على إسرائيل إذ تُدنسون السبت».﴾ ، هكذا حتى آخر الآيات.

وسواء حظي السبت بالحفظ والتقديس من قبل كل اليهود، أم اقتصر حفظه على بعض طوائفهم (التقليديون خاصة)، وخاصة بعد الأحداث التاريخية -فترة العصر الحديث في أوروبا- فإن السبت، استمر علامة تُميزهم بين الشعوب، التي حلوا ضيوفاً عليها، وأُدخلت عليه كثير من التعديلات، وفقاً للانقسام الطائفي، الذي ظهر بينهم. حينها، حفظت الطوائف وقدست السبت، كل طائفة بطريقتها، تقليديةً كانت أم ليبرالية. وشكل حضوره الأسبوعي فرصة عظيمة، لتجديد الإيمان والأمل، فأصبح بمثابة حجر الزاوية، لتطور اليهودية كلها (Bloch 1989 ؛ 108). وأي ما كانت درجة التزامهم الديني، فإنهم، دون استثناء، يستقبلونه ويودعونه، استقبالاً وتوديعاً، مفعم بالبهجة والمحبة والشوق والجلال، الذي يليق به.

الاحتفاء بالسبت

تبدأ مظاهر الاحتفاء بالسبت بالاستقبال، وتنتهي بالتوديع. ولكل مرحلة من مراحل السبت الثلاث، مراسيماً وطقوساً، تؤدى بكل دقة واحترام. فقد جرت العادة، في استقبال السبت قديماً، في أورشليم، وقبل وجود المعبد الثاني، أن الكاهن كان يقف في أعلى برج، وينفخ

في الشوفار (البوق)، كإشارة على بدء السبت، وترك كل الأعمال (Epstein 1970، 16). وبلغ السبت مكانة عظيمة، في القرنين الأولين للحقبة التاريخية العامة، فترة التناعيم، ومع ذلك، فلم تكن صلاة مساء الجمعة العامة (المعروفة حالياً)، موجودة ضمن طقوسه. هذا الجزء الأكثر روعة من صلاة السبت، تكون مؤخراً، في فترة الأمورايم. ولم يصل إلى ذروته المعهودة، إلا في فترة متأخرة جداً، من العصر الحديث (Schauss 2005، 14).

وتمثل الاحتفاء بالسبت، في العصور الوسطى، في ناحيتين: في الناحية الأولى، تم تحديد شخص بعينه، يدعى المنادي (beadle)، ومهمته هي إعلان قدوم السبت، وإيقاظ أعضاء الجالية اليهودية، لأداء صلاة صبح السبت. وتتمثل الناحية الثانية، في خروج الناس إلى خارج المدينة لاستقبال السبت (Epstein 1970، 10). ومع نهاية القرن السادس عشر، ضمن التأثير القبالي، كانت هناك تحية خاصة تُسمى تحية السبت، التي تقوم أساساً، على ترديد الأناشيد والأشعار، بمناسبة قدوم السبت، ويبدأ القيام بها من بعد ظهر يوم الجمعة (Schauss 2005، 19). وتحيي إسرائيل، أيامنا هذه، عملية النفخ بالبوق، لإعلان قدوم السبت (Epstein 1970، 16).

أما المراسيم الخاصة بيوم السبت، والتي تبدأ من مساء يوم الجمعة، فلها نكهتها الخاصة بها، وتتعلق أساساً بالأسرة: من حيث كيفية احتفائها به، ودور كل من الأم والأب في إحياء طقوسه ومراسيمه فقد جرت العادة، أن تخصص لهذا اليوم ثلاث وجبات احتفالية، تبدأ من بعد ظهر يوم الجمعة، وهي إلزامية (Frojimovis and Komoroczy 1999، 181). وتقوم ربة البيت، في هذا اليوم، بدور كبير وبارز؛ فتجهز مائدة عشاء السبت. وقبل تجهيز مائدة السبت، عليها أن تتأكد من توفر العناصر التالية:

- الشموع: شمعتان طويلتان، مع شمعدان بحمالتين.
- القدح المقدس: قدح مع صحن صغير، لحفظ النبيذ المتسرب.
- البهارات: وتتكون من: القرنفل، وقرفة، وبرد قوس طازج، وإكليل الجبل (نبات عطري)، وزعتر بري مجفف، يُعطي رائحة زكية.
- علبة البهارات: أي علبة تؤدي الغرض، شريطة أن تكون حسنة الشكل، ولها غطاء.
- غطاء المائدة: قطعة من القماش، ويحبذ أن يكون لونها أبيض.
- أرغفة الخبز: يجب تجهيز رغيفين من خبز القمح (challah).
- غطاء الرغيفين: قطعة قماش لتغطية الرغيفين.
- الشراب: زجاجة نبيذ أو عصير تفاح، ويحبذ أن يكون النبيذ أحمر.
- صحن كبير: يستخدم هذا الصحن لوضع الرغيفين فيه.
- أدوات غسل الأيدي: يجب توفير آنية خاصة لغسل الأيدي (Banin 1992، 9و51 Miller 2011،).

- وبعد تجهيز متطلبات مائدة السبت، تقوم ربة البيت بإعدادها، بطريقتها الخاصة، وذلك لأنه لا توجد قواعد محددة لإعدادها (Miller 2011، 50). والشائع، ان المائدة تُعد على النحو التالي:

تُفرش الطاولة بالقماش الأبيض، ويتم وضع التالي عليها:

- أقداح الشراب على الطاولة، لكل فرد في الأسرة قدح.
- رغيفي الخبز في الصحن، ويتم تغطيتهما بقطعة قماش.
- زجاجة النبيذ أو عصير التفاح.
- الشمعدان ذو الحمالتين، لحمل الشمعتين.
- الورد (Miller 2011، 51).

والصورة رقم (7) التالية، تبين محتويات مائدة السبت.

صورة رقم (7)

تبين الصورة محتويات مائدة عشاء يوم السبت

وتسير مراسيم الاحتفال بالسبت، ابتداءً باستقباله، وانتهاءً بتوديعه، وفقاً لخطوات واضحة ومحددة بدقة، في التراث اليهودي. يبدأ الاحتفال بالسبت، من بعد ظهر يوم الجمعة، حتى غروب يوم السبت، وتتم مراسيم الاحتفال، على النحو التالي:

أولاً.. إشعال الشمع

تقوم ربة البيت بإشعال شمعتين قبل الغروب بوقت قصير، لا يتجاوز العشرين دقيقة. وعند فراغها من إشعال الشمعتين، تقوم بتحريك يديها فوقهما، ثم تضع يديها على عينيها وتردد البركات الخاصة بإشعال (Frojimovis and Komoroczy 1999، 180)

الشموع، وهي:

تباركت أنت يا ألله. إلهنا ملك العالم. الذي قدسنا بوصاياه، وأمر ربنا بإشعال الشموع في السبت (آمين).

وبعد الانتهاء من تلاوة البركات، ترفع يديها من على عينيها، وتنظر إلى الشموع، وتكمل وصية إشعال الشموع.

ثانياً.. الجلوس على المائدة

إن أول شيء يتم عمله، عند الجلوس على مائدة السبت، مساء الجمعة، هو ترديد أغنية: السلام عليكم (Shalom Aleichem)، وفيها تحية لرسل الرب، الذين يرافقون كل يهودي في يوم السبت (Miller 2011: 51).

ثالثاً.. بركة الأطفال

بعد أغنية السلام عليكم، يقوم الأب بمباركة الأبناء، واضعاً يديه على رؤوسهم المنحنية، ويتلو الصلاة للصبي: أسأل الرب أن يجعلك كإفرايم ومنسي. وللبنت: يتلو أسأل الرب أن يجعلك كسارة ورفقة وراحيل وليئة (Epstein 1970: 13).

ثم يقوم أفراد العائلة، بعد ذلك، بتأدية الصلاة؛ ويحبذ تأديتها في المعبد، ويمكن أن تؤدى في المنزل، ويستغرق أداء الصلاة من 45 إلى 55 دقيقة. ويمكن وصف مراسيم وطقوس الصلاة في المعبد، وخاصة لدى يهود الشرق، كما صورها الموحي (2007: 87-88) من خلال مشاهداته، على النحو التالي:

- يقف إمام الصلاة (شيليح هصبور) في منصة مرتفعة نسبياً، والمصلون جالسون على أريكتين متقابلتين أو أكثر.
- يبدأ الإمام بتمجيد الله ومدحه، ويقرأ دعاء (ألهنا وإله آبائنا إبراهيم وإسحق ويعقوب، الطارق القوي، الذي إحسانه على العالم، إن الشعب المختار ...).
- ثم ينزل من المنصة برفقة مصلي آخر، لإخراج التوراة من محلها المحفوظة فيه. في أثناء ذلك، يقرأ شيئاً من التوراة (سماع يا إسرائيل الله ربنا الله واحد إن ربنا واحد. إلهنا هو ربنا. مقدس هو).
- يحمل التوراة ويضعها داخل (الفلك) أو (الصندوق). ويتجه ومن برفقته إلى المنصة، مع نغمة ترتيل، ويقول: (أعلن عظمة الله ولتعظيم مجده سوية يا إلهي إن ما لديك من العظمة والقدرة والمجد ما لديك هو النصر والجلال في جميع السموات والأرض).
- عند جلب التوراة، يقف الجميع إجلالاً لها وبخشوع، وترفع إلى أعلى وتقرأ بعض الأدعية، ويفضل أن يكون القارئ من نسل (لاوي)، وأن يكون حسن الصوت، ويقول:

(تبارك الله مصدر كل التبريكات تبارك الله مصدر كل البركة الخالد. تباركت يا ألله ملك الكون الذي اختارنا من بين كل الأمم، وأعطانا التوراة، فبوركت يا ألله معطي التوراة).

- ثم يتم رفع التوراة إلى أعلى، ويقول: (هذه هي التوراة التي وضعها موسى أمام إسرائيل. هذه هي التوراة التي أعطاها الله بواسطة موسى) (التثنية 5-4-6).
- ثم تفتح لفات التوراة، وتوضع في وسط المنصة، ويقوم شخص ثالث، بالوقوف إلى جانب الإمام، للتأشير على آيات التوراة، التي يقرؤها الإمام.
- ثم تعاد لفات التوراة داخل العلبتين، بالهيئة نفسها، التي جلبت بها، ويقولون: (تباركت عظمة الله العليا؛ عظمته عالية فوق السماء والأرض وعلم شعبه وعافا المخلصين، بني إسرائيل الذين الأقرب إليه).

وعند العودة من المعبد إلى المنزل، يفلح كل من أعطى السبت حقه، من الاحتفاء والتكريم، بمباركة الرب له، ومن تجاهل السبت ولم يحتف به، ولم يعطه حقه من التكريم، فقد باء بالخسران، وهناك أسطورة قديمة توضح مكانة الأسرة، التي تحتفي بالسبت، ومكانة الأسرة التي لم تحتف به، وذلك في قصة الملكين، الذين يتبعان المصلين، عند خروجهما من المعبد، وفحوى القصة على النحو التالي:

تحكي القصة القديمة، أن هناك ملكان يطيران مع كل شخص، عند خروجه من المعبد، متجهاً إلى بيته، مساء يوم الجمعة: الملاك الطيب بملابس بيضاء، وبابتسامة لطيفة ووجهه وضاء، والملاك الخبيث بملامح مناقضة للملاك الطيب. عندما يصل الناس إلى منازلهم، يسرع الملكان لإلقاء نظرة على ا لمنزل، فإذا كان المنزل غير نظيف، والشموع غير مضاءة، والمائدة غير معدة، لاستقبال ملكة السبت، يصفق الملاك الخبيث بمرح، ويصرخ قائلاً: لتكن كل سبوت هذه العائلة كهذا السبت، ويكررها ثلاثاً، ويردد الملاك الطيب باستياء «آمين»، والعكس 1970: 14) .(Epstein

رابعاً.. قدح النبيذ

يقوم رب الأسرة، بأخذ قدح النبيذ أو العصير، على ألا يكون ممتلئاً، وبينما هو ممسك بالقدح يتلو البركات التالية:

> "وهناك مساء وهناك صباح في اليوم السادس (الجمعة) لقد اكتملت السماوات والأرض وما فيهن. وفي اليوم السابع أنهى الرب عمله الذي أتمه وأتقنه واستراح في اليوم السابع من كل عمله الذي سواه وبارك الرب اليوم السابع وقدسه. لأنه استراح فيه من كل عمله الذي خلقه وسواه تباركت أنت الرب، إلهنا ملك العالم

الذي خلق فاكهة النبيذ تباركت أنت الرب، إلهنا ملك العالم.
الذي طهرنا بوصاياه، وسُرَّ بنا. لقد منحتنا بحب ورحمة سبتك
المقدس ميراث لذكرى الخلق. إن السبت هو أول أيامنا المقدسة،
وتذكار خروجنا من مصر. حقاً، لقد اخترتنا وجعلتنا مقدسين
بين العالمين. لقد منحتنا بحب ورحمة سبتك المقدس. تباركت أنت
الذي قدس السبت (آمين)".

وتلاوة التقديس، تتلا مرتان في يوم السبت: مرة مساء الجمعة، قبل العشاء، ومرة قبل الغداء، بعد ظهر السبت، وكل اليهود –رجالاً ونساءً- ملزمون بسماعها (Miller 2011: 60).

خامساً.. غسل اليدين

يقوم كل أفراد الأسرة، ورب الأسرة على وجه التحديد، بغسل الأيدي؛ وذلك، بأن يأخذ رب الأسرة قدحاً من الماء، ويصبه ثلاث مرات على اليد اليمنى، ثم ثلاث مرات على اليد اليسرى، وقبل تنشيف اليدين، يقوم بترديد البركات التالية:

"تباركت أنت الرب، إلهنا ملك العالم. الذي طهرنا بوصاياه، وأمرنا
بغسل اليدين".

سادساً.. إزاحة الغطاء من على الرغيفين

ومباشرة بعد غسل اليدين، وقبل تناول الطعام، يقوم رب الأسرة، برفع الغطاء عن الرغيفين، ويرفعهما وهو يتلو البركات التالية:

"تباركت أنت الرب، إلهنا ملك العالم. الذي أخرج الخبز من
الأرض (آمين).

وبعد ذلك، يتم تقسيم الرغيفين إلى قطع صغيرة، وتمرر القطع حول مائدة الطعام، حتى يتمكن كل واحد من الموجودين، من الحصول على قطعة منها، وحينها يمكن تناول وجبة العشاء.

ويجب التنويه إلى أن الشمعتان، يجب أن تستمرا في الاشتعال، حتى تنتهيان تماماً، دون تدخل من أحد، وذلك، لأن إطفاءهما من قبل أي شخص محرم (Frojimovis 1999: 180 and Komoroczy).

سابعاً.. صلوات يوم السبت

والجزء المتمم لطقوس السبت هو أداء الصلوات، والتي تبدأ بصلاة الصبح، وتنتهي بصلاة المساء. وتؤدى صلاة صبح السبت كباقي أيام الأسبوع، والاختلاف وارد بين الطوائف اليهودية، فيما يتم في هذه الصلاة؛ سواء من حيث حذف أو إضافة أو تطويل في الترانيم،

والقراءة من التوراة، أو اختصار في الصلاة الرئيسية (الأميدا). أما الصلاة المضافة في صلاة صبح السبت، فتبدأ بتلاوة صامتة للصلاة الأساسية (الأميدا)، ثم تتبعها تلاوة عامة، ثم تتم القراءة من كتاب العدد عن الأضحيات، التي جرت العادة، على تقديمها في المعبد في أورشليم. ثم يأتي الابتهال إلى الله، بأن يكون راض عن يوم الراحة، وأن يكون لطيفاً بشعب إسرائيل، وأن يديم الصلوات في معبده.

وتقام صلاة بعد ظهر يوم السبت، الساعة العاشرة، ثم يتم قراءة القسم الأول، من الجزء الأسبوعي من التوراة. وتسير الصلاة الرئيسية على نفس النمط، الذي تسير عليه صلوات السبت الرئيسية. أما صلاة مساء السبت، فلا تختلف عن صلاة مساء أيام الأسبوع.

ثامناً.. مراسيم وداع السبت

وكما استقبل السبت، بالتهليل والترحاب والفرحة الغامرة، يودع على أمل الاحتفاء به الأسبوع التالي. ويتميز وداع السبت، بشكر الأسرة للرب، على هديته العظيمة، وتذكر نعمة الرب على عباده، وذلك من خلال الصلوات، التي يقوم الأب والأم بتلاوتها، ضمن طقوس الوداع المعتادة. ففي مساء السبت، وعند بزوغ ثلاثة نجوم في السماء، تبدأ مراسيم الهفدلا؛ حيث تقوم الأم بوداع السبت بترديد أجمل الصلوات، مبتدئةً بـ"إله إبراهيم وإسحق ويعقوب». في هذه الصلوات، تشكر الأم الرب على هديته العظيمة، وتدعو للعائلة بالصحة والسعادة ولكل شعب إسرائيل. أما الأب فيأتي بصندوق صغير من البهارات العطرية، وشمعة مراسيم الهفدلا، التي تستخدم خاصة في هذه المناسبة، فتوقد الشمعة، وكل أفراد الأسرة ينظرون إليها بهدوء، فيقوم الأب بترديد البركات على كل من النبيذ والبهارات والضوء، قائلاً:

"بوركت أنت يا رب ملك العالم، الذي أوجد التمييز بين النور والظلمة، وبين المقدس والعادي، وبين السبت وأيام الأسبوع،

ثم يأخذ رشفة من النبيذ، ويضع شعلة الشمعة في النبيذ المتبقي، فتنطفئ الشمعة.

وحتى تتضح دلالة تلاوة البركات، على الضوء والبهارات، كان لا بد من ذكر، أن البركات تتلى على الضوء لتذكر بأن أول شيء خلقه الرب، هو النور، وبأن البهارات قد حلت محل البخور المحترق، الذي كان يتم حرقه في الأعياد القديمة (Epstein 1970: 18). وبهذا يُختتم السبت، وتختتم هذه المناسبة الأسبوعية المقدسة.

عيد الفصح (14 - 21 نيسان / مارس - أبريل)

إن الأعياد الرئيسية، ومنها عيد الفصح، وعيد الفطير، قد فُرضت على بني إسرائيل، في حياة سيدنا موسى، في برية سينا، فالفصح فُرض في السنة الثانية، من خروجهم من مصر، ويتضح ذلك، مما ورد في سفري العدد (9: 14-1 و 28: 25-16) و اللاويين (23: 1-8)، ونص الآيات التي تحدثت عن العيدين هو:

﴿(1) وكلم الرب موسى في برية سيناء، في السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر في الشهر الأول قائلاً: (2) «وليعمل بنو إسرائيل الفصح في وقته. (3) في اليوم الرابع عشر من هذا الشهر بين العشائين تعملون في وقته. حسب كل فرائضه وكل أحكامه تعملونه».... (11) في الشهر الثاني، في اليوم الرابع عشر بين العشائين يعملونه. على فطير ومُرار يأكلونه﴾ و ﴿(16) وفي الشهر الأول، في اليوم الرابع عشر من الشهر فصح للرب. (17) وفي اليوم الخامس عشر من هذا الشهر عيد. سبعة أيام يُؤكل فطير. (18) في اليوم الأول محفل مقدس. عملاً ما من الشغل لا تعملوا... (25) وفي اليوم السابع يكون لكم محفل مقدس. عملاً ما من الشغل لا تعملوا.﴾

﴿(4) وهذه مواسم الرب، المحافل المقدسة التي تنادون بها في أوقاتها. (5) في الشهر الأول، في الرابع عشر من الشهر، بين العشائين فصح للرب. (6) وفي اليوم الخامس عشر من هذا الشهر عيد الفطير للرب. سبعة أيام تأكلون فطيراً. (8) وسبعة أيام تقربون وقوداً للرب.﴾

والتاريخ هو الوعاء الفريد، لأخبار وأحوال الأمم والشعوب. وقد عمل الإنسان على تدوين معظم إن لم يكن كل جوانب حياته، بشتى الطرق والوسائل؛ نحتاً وحفراً ورسماً وكتابة. وقد ساهمت التطورات العلمية الاركيولوجية والانثربولوجية على توسيع وزيادة فهمنا ومعرفتنا للكثير مما تركه الأقدمون. ومع ذلك، فإننا كثيراً ما نقع فريسةً للتأويل والتفسير المتعارض، أو المتناقض أحياناً، للحقيقة التاريخية الواحدة. ولا يمكن اعتبار هذا الأمر عيباً، في فهم المفكرين والعلماء للحقيقة التاريخية، بل إن الاختلاف في تأويل الحقيقة، يدفع بالباحث الراغب والجاد، إلى المزيد من البحث والاستقصاء، والعمل على استجلاء الحقيقة، ما أمكنه إلى ذلك سبيلا. والفصح، على سبيل المثال، وعلى الرغم من ارتباطه الوثيق، تاريخياً،

ببني إسرائيل، وبخروجهم من مصر، إلا أن Schauss (2005 ؛39) قد أبرز خمس قضايا حول الفصح،تكاد للوهلة الأولى أن تبعد الدقه عن ما حفل به الأدب اليهودي عنه، وتتمثل هذه القضايا، في قدم الفصح (قبل الخروج)، الجهل بمعنى الفصح، والجهل بمراسيم الفصح، والجهل بسبب التخلص من كل ما هو مخمر، وأن عيد الفصح كان في الأصل عيدين، امتزجا في عيد واحد. وسوف نناقش هذه القضايا، مبينين مدى دقتها.

القضية الأول: يعتقد Schauss بأن الفصح، كاحتفال الربيع، قديم جداً، وكان اليهود يقيمونه قبل الخروج من مصر بوقت طويل. ويؤكد المسيري (2005 ؛ 86) ما ذهب إليه Schauss، بقدم عيد الفصح، بقوله: "وهناك إشارة في سفر الخروج (23 / 15) تذكر أن خروج جماعة يسرائيل من مصر، تزامن مع هذا العيد(عيد الربيع)". وهذا الكلام غير دقيق، ونأخذ لتفنيده قول Schauss نفسه، في صفحة (43)، حيث يقول: "فالفصح هو الأقدم، وجلبه اليهود معهم من الصحراء". كما أن نص الآية (23 / 15) في سفر الخروج هو:

﴿(15) تحفظ عيد الفطير تأكل فطيراً سبعة أيام كما أمرتك في وقت شهر أبيب، لأنه فيه خرجت من مصر، ولا يظهروا أمامي فارغين﴾

والآية، كما هو واضح من نصها، لا تتطابق على الإطلاق مع ما ذكره المسيري،وSchauss.

إذن، كيف يستقيم ما جاء في قدم الفصح، مع ما جاء في قاموس الكتاب المقدس (2005 ؛ 679)، من أن الفصح إسم عبري معناه «عبور»، ومع ما جاء في سفر الخروج (12 ؛ 5 - 14)، المؤكد لما ذُكر في قاموس الكتاب المقدس. أضف إلى ذلك، فإن الأدب يؤكد علاقة الفصح بخروج بني إسرائيل من مصر، من نواحي عدة ؛ فهو (الفصح) يحدد البداية الحقيقية للعهد بين الرب وشعب إسرائيل، وأن المظهر الأكثر بروزاً فيه، يدور حول الطعام 2006 ؛231) (Strassfeld، وكلها تتعلق بالخروج.

القضية الثانية : الجهل بالفصح من حيث المعنى؛ إننا لا نستطيع التأكيد، من أننا على ثقة من معنى كلمة فصح (Schauss 2005 ؛ 40)، فقد يكون ما قاله Schauss دقيقاً، وذلك لأن القواميس العبرية، لا تعطي معنى للفصح، سوى إنه عيد، وهذا عينه ما ورد في النص التوراتي، فقد أطلق الرب على الفصح؛ من حيث تحديد الشاة المذبوحة ونوعها وطريقة أكلها، بقوله : ﴿هو فصح للرب ﴾ بمعنى عيد للرب، وهذا المعنى يؤكد النص التوراتي (18-23) وهو:

﴿(18) لا تذبح على خمير دم ذبيحتي، ولا يبت شحم عيدي إلى الغد.﴾.

وعليه، فالفصح عيد إسرائيلي النشأة والمعنى، ويتمتع بالتقديس والمهابة، ويرمز إلى ذكرى تاريخية عظيمة لبني إسرائيل، ذكرى خلاصهم وانعتاقهم من فرعون، وآل فرعون، ولم يكن قط، بالقدم الذي طرحه Schauss.

القضية الثالثة، تتمثل في قول Schauss، بالجهل بمراسيم الفصح، وذلك بقوله:

> ولسنا على ثقة أيضاً، من تفاصيل المراسيم والطقوس، المرافقة للاحتفال بالفصح، وما نعلمه فعلاً، هو أن الاحتفال كان يقام في المساء، وأن الصباح هو إيذان بانتهاء الاحتفال. كما نعلم أن المراسيم لم تكن مقيدة بمعبد أو كهانة، بل كان احتفال عائلي يقيمه رب الأسرة (2005: 40).

ونحن لا نعتقد، أن هناك جهل بمراسيم وطقوس الاحتفال بعيد الفصح، وذلك لأنها حُددت بكل تفاصيلها، بنص توراتي مقدس.

القضية الرابعة: الجهل بسبب التخلص من كل ما هو مخمر، يقول (Schauss (2005: 41: "قبل بداية حصاد الشعير، يتخلص اليهود من كل شيء محمر، ونحن لا نعلم علماً يقينياً، حتى الآن، ما أصل استبعاد كل المخمر، والاقتصار على أكل العيش غير المخمر، ويحتمل أن يكون كوقاية ضد سنة غير مثمرة". ويمكن إزالة اللبس الذي طرحه Schauss، بنص الآية (15-23) من سفر الخروج، وهو:

> ﴿(15) تحفظ عيد الفطير. تأكل فطيراً سبعة أيام كما أمرتك في وقت شهر أبيب، لأنه فيه خرجت من مصر. ولا يظهروا أمامي فارغين﴾.

إذن، فأكل بني إسرائيل للفطير، في هذه المناسبة، هو استجابة للأمر الإلهي، وليس له علاقة من قريب أو بعيد بالخرافات، كما علله هو، واعتبره وقاية ضد سنة غير مثمرة.

القضية الخامسة: إن عيد الفصح امتزاج لعيدين، هما الفصح والفطير، يقول (Schauss (2005: 43:

> يجب أن نعي بأن الفصح وعيد الفطير، كانا في الأساس، مناسبتين منفصلتين، ويتم الاحتفال بهما في نفس الوقت، فالفصح هو الأقدم، وجلبه اليهود معهم من الصحراء. أما عيد الفطير فقد تم تأسيسه لاحقاً، عند استقرار اليهود في فلسطين، وأصبحوا فلاحين. وهناك فارق آخر يميزهما عن بعضهما، وهو أن عيد الفطير يقام بتجمع أفراد الحي في مكان مقدس، بينما يتم الاحتفال بالفصح في المنزل، كاحتفال عائلي.

وكما أيد المسيري Schauss سابقاً، فهو يؤيده هنا أيضاً، إذ يقول:

> أن عيد الفصح نتاج امتزاج عيدين قديمين: أولهما عيد أبيب (الربيع) أو الإخضرار ... وكانت تصاحبه طقوس صاخبة، احتفالاً بالخصوبة. وكان المحتفلون يقدمون أول أبكار الأرض إلى المعبد (خروج 23/ 19). أما العيد الأخير، فهو عيد التسوت

(الخبز غير المخمر) ... وهناك إشارة في سفر الخروج (23 / 15) تذكر أن خروج جماعة يسرائيل من مصر، تزامن مع هذا العيد (2005: 86).

وما يمكن إقراره هنا، هو أن هذا العيد (الفصح) مناسبتين دُمجتا في مناسبة واحدة، أما أنه امتزاج لعيدين قديمين، فهذا ما لا يمكن الوثوق به. وتفنيد هذا الرأي ليس بالعسير، فكل من المفكرين والمهتمين يقدم رأياً مخالفاً للآخر، فمثلاً؛ في حين يقول Schauss:

الفصح هو الأقدم، وجلبه اليهود معهم من الصحراء. أما عيد الفطير فقد تم تأسيسه لاحقاً عند استقرار اليهود في فلسطين وأصبحوا فلاحين. يقول المسيري: أما العيد الأخير، فهو عيد التسوت (الخبز غير المخمر) ... وهناك إشارة في سفر الخروج (23 / 15) تذكر أن خروج جماعة يسرائيل من مصر تزامن مع هذا العيد.

فالأول يرى، بأن عيد الفطير تأسس بعد استقرار اليهود في فلسطين، كيف يكون ذلك، وقد ورد ذكره في سفر الخروج، وسفر الخروج من أسفار موسى الخمسة، هذا من ناحية. ومن ناحية ثانية، أن عيد الفطير لم يذكر في أي سفر آخر، غير أسفار موسى، فكيف تم تأسيسه مؤخراً ؟. ومن ناحية أخرى، يذكر المسيري، بأن عيد الفطير تزامن مع خروج بني إسرائيل من مصر، مستشهداً على ذلك بالآية (23: 15)، في حين أن هذه الآية لا تشير، من قريب أو من بعيد، إلى ما أشار إليه المسيري، فنصها، كما ذُكر سابقاً، يدل على أنه فرض لاحقاً، ولكن ليس بفترة زمنية طويلة، كما يقترح Schauss، وليس بالتزامن مع خروجهم من مصر، كما يقترح المسيري، فما تزامن مع خروجهم هو الفصح. وبعد بيان الخلافات القائمة، حول الفصح والفطير، فإن تفاصيل أخرى ستتضح، وبجلاء، في السطور القليلة التالية.

يبدأ عيد الفصح في الرابع عشر من شهر نيسان، وهو عيد فرضه الرب على بني إسرائيل، فريضة أبدية في أجيالهم، يذكرونها ويذكرون بها أولادهم، وقد ورد ذكر هذا العيد وسببه، وما ينبغي على بني إسرائيل القيام به فيه، في سفر الخروج، في اثني عشر آية (12: 5 - 14)، ونصها:

﴿(5) تكون لكم شاة صحيحة ذكر ابن سنة، تأخذونه من الخرفان أو من الماعز. (2) ويكون عندكم تحت الحفظ، إلى اليوم الرابع عشر من هذا الشهر. ثم يذبحه كل جمهور جماعة إسرائيل في العشية، (7) ويأخذون من الدم ويجعلونه على القائمتين والعتبة العليا في البيوت التي يأكلونه فيها. (8) ويأكلون اللحم تلك الليلة مشوياً بالنار مع فطير. على أعشاب مرة يأكلونه. (9)

لا تأكلوا منه نيئاً أو طبيخاً مطبوخاً بالماء، بل مشوياً بالنار. رأسه مع أكارعه وجوفه. (10) ولا تُبقوا منه إلى الصباح. والباقي منه إلى الصباح، تحرقونه بالنار. (11) وهكذا تأكلونه: أحقاؤكم مشدودة، وأحذيتكم في أرجلكم، وعصيكم في أيديكم. وتأكلونه بعجلة. هو فصح للرب. (12) فإني أجتاز في أرض مصر هذه الليلة، وأضرب كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم. وأصنع أحكاماً بكل آلهة المصريين. أنا الرب. (13) ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها، فأرى الدم وأعبر عنكم، فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر. (14) ويكون لكم هذا اليوم تذكاراً فتعيدونه عيداً للرب. في أجيالكم تعيدونه فريضة أبدية.﴾

وتتابع آيات السفر (15 - 16)، بيان ما الذي عليهم القيام به، وعقوبة من يخالف أوامر الرب، وذلك على النحو التالي:

- تحريم أكل أي شيء مخمر مدة سبعة أيام، لا يأكلون إلا فطيراً، ومن أكل مخمراً يقتل.
- يومان عطلة عن العمل: اليوم الأول واليوم السابع (محفل مقدس).

وحدد الرب فرائض الفصح؛ أي من يصنع الفصح، ومن يأكل منه، وما يؤكل وأين يؤكل، وذلك على النحو التالي:

- الغريب لا يأكل منه.
- النزيل والأجير لا يأكلان منه.
- العبد المشترى يختن، ثم يأكل.
- يؤكل في بيت واحد ولا يخرج منه شيء.
- لا يُكسر أي عظم منه.
- لا يصنع الفصح إلا مختون (خر 12: 43 - 48).

وتكرر ذكر الفصح في أسفار وآيات عديدة، مثل سفر اللاويين (23: 5 - 8) وسفر العدد (9: 2-3) وسفر التثنية (16: 1 - 8)، وغيرها من الأسفار. كما جاء في سفر لاويين (23: 8) قول الرب:

﴿(8) وسبعة أيام تقربون وقوداً للرب. في اليوم السابع يكون محفل مقدس. عملاً ما من الشغل لا تعملوا».﴾

وتشير الآية السابقة، إلى أن اليوم السابع محفل مقدس، أي يوم عطلة، لا ينبغي أن يعمل فيها بنو إسرائيل، وبهذا، يكون لهم يومين عطلة: اليوم الأولى واليوم السابع.

وإلى جانب كون الفصح عيد، فإنه من بين الأعياد الثلاثة، التي تعد مناسبات حج

رئيسية، فقد جاء في سفر الخروج (23: 14-17) ما نصه

﴿(14) ثلاث مرات تعيد لي في السنة. (15) تحفظ عيد الفطير. تأكل فطيراً سبعة أيام كما أمرتك في وقت شهر أبيب، لأنه فيه خرجت من مصر. ولا يظهروا أمامي فارغين. (16) وعيد الحصاد أبكار غلاتك التي تزرع في الحقل. وعيد الجمع. في نهاية السنة عندما تجمع غلاتك من الحقل. (17) ثلاث مرات في السنة يظهر جميع ذكورك أمام السيد الرب.﴾.

في هذه المناسبة (الفصح)، كما في العيدين الآخرين، يذهب الناس إلى المعبد، في أورشليم، لتقديم أوضحياتهم، وهذا ما أشارت إليه الآية السابقة، حيث كان بنو إسرائيل يقومون بتقديم القرابين، طيلة الأيام السبعة. وكانوا يقدمون، في كل يوم من أيام الفصح، بالإضافة إلى الذبائح العادية، ثورين وتيساً، وسبعة خراف محرقة، وتيس ذبيحة خطيئة للتكفير.

ويعتبر عيد الفصح، أول أعياد بني إسرائيل، ويتزامن مع موسم حصاد الشعير. ليس هذا فحسب، بل إنه يأتي كل عام، يوم أن يكون البدر في تمامه (قاموس الكتاب المقدس 2005: 527). ويمتد عيد الفصح، كما جاء في الآيات، مدة أسبوع كامل؛ ابتداءً من مساء الرابع عشر، من شهر أبيب (نيسان)، وحتى الواحد والعشرين منه، عند غروب الشمس 2010: 24-25) (Grimley. يتم الاحتفاء به، بذبح الخروف بعد ظهر يوم الثالث عشر، ويسمى هذا اليوم بـ «يوم الاستعداد». ولعيد الفصح خاصية يتفرد بها، دون غيره من الأعياد، وهي أن الصلاة فيه تؤدى في المنزل. ونلاحظ أن الآيات، التي تم ذكرها سابقاً، تشير في سياقها إلى عدد من المواضيع، أو قل الرموز، التي لها دلالتها الخاصة؛ ومنها الدم، والأعشاب المرة، والفطير، فالدم المسفوك يشير إلى التكفير، والأعشاب المرة، ترمز إلى مرارة العبودية في مصر، والفطير يرمز إلى الطهارة وإلى الإخلاص والحق (قاموس الكتاب المقدس 2005: 679).

بالإضافة إلى الدلالات السابقة، فإن لعيد الفصح دلالة أخرى تضاف إلى دلالة الخلاص الأول من فرعون، والتي تم استشعارها وجدانياً، في فترة لاحقة في فلسطين، أثناء الوجود الروماني. في هذه الفترة العصيبة من تاريخهم،

أصبح الفصح، بعد القهر الروماني لليهود، وظهور فكرة المسيح المخلص بينهم، يمثل الاحتفال بالخلاص الثاني والأول على السواء، يحتفل به اليهود في كل جزء من العالم، حيث يتواجدون. لقد كانت قلوبهم تخفق بشدة في مطلع الفصح، آملين أن تكون ليلته هي ليلة الخلاص من الرومان (Schauss 2005: 47).

ولم تكن هذه المناسبة لتؤخذ باللامبالاة أو التساهل، بل لقد كانت فريضة أبدية، في أجيال بني إسرائيل، ومن لم يحفظها، أو يؤديها ويؤدي فرائضها كما أمر الرب، فإن تلك النفس تقتل، أي أن عقوبة مخالفة فرائض الفصح هي الموت. وكما هو حال كثير من الشعائر

والعبادات، فقد لعب الزمان لعبته، في حفظها والتمسك بها، وأدائها بالشكل، الذي أمر الرب به، وخاصة بعد أن تعددت الفرق والمذاهب، وظهرت حركات التأثر بالتطور والحرية والعلمانية، فلم تعد هذه المناسبة قائمة، بالشكل الذي كانت عليه قديماً؛ فقد تغيرت طبيعتها، وطريقة أدائها، وأُدخلت عليها أمور، لم تكن قط، جزءاً منها، فعلى سبيل المثال:

1. كانوا يأكلون الفصح في القديم وقوفاً، وأصبحوا يأكلونه وهم متكئون.
2. لا يأكلون، أيامنا هذه، الخروف المضحى به بعجلة، كما كان يفعل أسلافهم، عدا السامريين.
3. أضافوا على الفريضة:
   - أربع كؤوس خمر، يديرها رأس العائلة، بالتتابع ممزوجة بالماء.
   - ترنيم المزمور (113 و 118).

تقديم وعاء من الأثمار، ممزوجة بالخل، لتذكيرهم بالطين، الذي استعمله آباؤهم أثناء العبودية في مصر (قاموس الكتاب المقدس 2005: 679 وSchauss 2005: 47).

ومن بين التغيرات، التي طرأت على هذه المناسبة، حالياً، الاختلاف بين الجماعات اليهودية، في مراسيم إقامتها عامة، والاختلاف في مراسيم إقامتها، بين من يسكن في إسرائيل، ومن يسكن خارجها؛ ويؤكد هذا الاختلاف المسيري (2005: 86) بقوله:

> يبدأ عيد الفصح في الخامس عشر من شهر نيسان، ويستمر سبعة أيام في إسرائيل (وعند اليهود الإصلاحيين)، وثمانية أيام عند اليهود المقيمين خارج فلسطين. ويحرم العمل في اليومين الأول والأخير، (وفي اليومين الأولين واليومين الأخيرين) خارج فلسطين. وتقام الاحتفالات طوال الأيام السبعة. أما الأيام الأربعة الوسطى، فيلتزم فيها بتبادل خبز الفطير، دون أن يقترن ذلك بطقوس احتفالية كبرى.

وأبرز شيء تحتوي عليه مراسيم هذه المناسبة الدينية، سواءً في الماضي أو الحاضر، هو تكرار سرد قصة الخروج من مصر، حيث كانوا عبيداً أذلاء، فحررهم وأعتقهم الرب بنفسه، دون أي نوع من الوساطة، فهم شعبه، وهي تذكار لهم في أجيالهم، ولا يليق بأي منهم، أن يتململ أو يتضايق من تكرار سماعها. ولهذا العيد طقوساً احتفالية كثيرة، منها:

1. يبدأ العيد بليلة التفتيش عن الخميرة، أو أي شيء مخمر، وإبعاده عن البيت تماماً.
2. يتم قراءة القيدوش في البداية، ويحمد اليهودي الإله، على أنه أعطى جماعة يسرائيل أعيادها.
3. تغسل الأيدي فيما يشبه الوضوء.
4. تجهز مائدة الفصح المكونة من:
   - حزمة من النباتات المرة كالخس أو الشيكوريا أو الكرفس (مارور).
   - كأس من الماء المالح أو المخلوط بالخل (رمز الحياة القاسية التي عاشوها في مصر،

ورمز دموع جماعة يسرائيل) أو المأكولات الكريهة على النفس (مثل تلك التي أكلها أسلافهم أثناء الفرار في الصحراء).

- شيء من الفاكهة المهروسة، أو المدقوقة في الهون، والمنقوعة في النبيذ (رمز الملاط، الذي كانوا يستخدمونه في البناء في مصر).
- ذراع خروف مشوي (تذكرة بالعجل الذي كان يضحى به).
- بيضة مسلوقة (تذكرة بقربان العيد).
- ثلاثة أرغفة من خبز الفطير (ترمز إلى كل من الكهنة واللاويين وجماعة يسرائيل).
- أربعة أقداح من النبيذ، يشربها أعضاء الأسرة (وترمز إلى وعد الإله لليهود بتخليصهم وقيامه بإنقاذهم من مصر بنفسه دون وساطة).
- قدح خامس، يُترك دون أن يمسه أحد، لأنه كأس النبي إيليا، الذي سينزل من السماء، قبل قدوم الماشيح المخلص.
- ويضاف، أيامنا هذه، قدح سادس، وتصحبه صلاة شكر للإله، على قيام دولة إسرائيل.

5. توضع أمام مائدة الفصح، أريكة يضطجع عليها رئيس العائلة، ويقص على أفراد أسرته قصة الخروج.
6. أخيراً، يتبادل أعضاء الأسرة، التهنئة بهذا العيد، بقولهم : «نلتقي العام القادم في أورشليم» (المسيري 2005: 87-86).

عيد الأسابيع – شفوعوت (7-6 سيفان 10-9 يوليه)

عيد الأسابيع، هو العيد الثاني بعد عيد الفصح، ويُعرف بمسميات عدة، منها: عيد بكور الفواكه، عيد إعطاء توراتنا، عيد الحصاد، عيد الخمسين، عيد العنصرة، وعيد الخطاب (Bank 2005: 168 و لا 23 وSchauss 2005: 88 والمقريزي 1997: 140)، ويعد العلامة أو الفاصل، الذي يضع حداً للانتقال، من موسم حصاد الشعير، إلى موسم حصاد الذرة، بل إنه يحدد نهاية حصاد الحبوب (Schauss 2005 :86).

وتذكر التوراة، في أكثر من سفر، بأن عيد الأسابيع، يأتي بعد سبعة أسابيع، من اليوم الثاني لعيد الفصح، ومن هنا أتت تسميته (المسيري 2005: 89)، وهي التسمية المتداولة له، والأكثر شيوعاً من التسميات الأخرى. ويحل موعده، في أبها وأجمل فصول السنة 2005: 86) (Schauss. ووردت فترة السبعة الأسابيع، المشار إليها، في آيتين في سفر لاويين (23: 15 – 16) ونصهما:

﴿(15) ثم تحسبون لكم من غد السبت من يوم أيامكم بحزمة

الترديد سبعة أسابيع تكون كاملة. (16) إلى غد السبت السابع، تحسبون خمسين يوماً».

وتمثل هذه الفترة، الفاصل الزمني الواقع بين خروج الإسرائيليين من مصر، وعدم تسلمهم للتوراة (Bank 2005 ؛168). ولو عدنا إلى عيد الفصح، لتبين لنا، أن هناك آيات كثيرة، تحدد بدقة متناهية، موعد الفصح ومدته ونهايته، ولكن عيد الأسابيع، هو المناسبة اليهودية، التي تفتقر لتحديد يوم لإقامتها، والتوراة لم تحدد في أي يوم من أيام الشهر، يجب أن يقام، وكل ما ذكرته هو أن يحتفل به، بعد خمسين يوماً، من تقدمة العومير 2005؛ 87) (Schauss. صحيح أن التوراة لم تحدد يوماً بعينه، موعداً لهذا العيد، ولكن لا يعني هذا، عدم القدرة على تحديد هذا اليوم، خاصة وأن التوراة قد حددته بعد خمسين يوماً. وما يجعل ملاحظة Schauss دقيقة، هو الخلاف، الذي حدث بين حكماء اليهود أنفسهم، في تحديد يوم العيد، فقد تركز الخلاف بين الصدوقيين والفريسيين، حول تفسير كلمة سبت، التي يتحدد على ضوئها موعد العيد؛ فالصدوقيون يرون، بأن تقدمة العومير تكون، في أول أحد من عيد الفصح، وعليه، يأتي عيد الأسابيع في الأحد السابع بعد الفصح. أما الفريسيون فلهم تفسير آخر، فهم يرون، بأن تقدمة العومير تكون، في اليوم السادس عشر من شهر نيسان، وعليه، فعيد الأسابيع يأتي في اليوم السادس من شهر سيفان، وأصبح هذا هو الشائع بين اليهود الأرثوذوكس، حتى يومنا هذا (Schauss 2005 ؛88-87 وGrimley 2010 ؛ 27).

أضف إلى ذلك، فإن عدم تساوي الشهور العبرية (مرة 29، ومرة 30) قديماً، سبب مشكلة أخرى، في تحديد موعد العيد، فليس بالضرورة، أن يأتي العيد في كل عام، في اليوم السادس من شهر سيفان، فإنه يمكن أن يأتي في الخامس أو السادس أو السابع من شهر سيفان. أما اليوم، وبعد أن تم تثبيت التقويم اليهودي، فلم تعد هذه المشكلة قائمة، وأصبح العيد (شفوعوت) يأتي على الدوام، في موعده، في السادس من سيفان في فلسطين، وفي السابع من سيفان خارجها (Forta 1995 ؛ 25). فيفرح الإسرائيليون لقدومه، ويحتفون به كثيراً، لأنه يوم مقدس، اتسم بإخراج جزءٍ من حصادهم للرب، ويمثل وعد آخر للرب، لهم وللبشرية أجمع، فهو مناسبة احتفالية مزدوجة: فهو احتفال حصاد القمح، تقدمة القمح من الحصاد الجديد، ويعتبر أيضاً، مناسبة للعهد بين الرب والبشر؛ عندما وعد الرب، بألا يهلك الأرض بفيضان آخر، وهي رواية غير مؤكدة (Schauss 2005 ؛ 89-88).

وكما كان حال الخلاف، حول موعد العيد، فكذلك هو الحال، في سبب الاحتفال بعيد الأسابيع. ويشير الأدب إلى وجود خلاف بين الكتاب، حول سبب الاحتفال بعيد الأسابيع، ويمكن تقسيم الخلاف بين الكتاب، إلى ثلاث وجهات نظر: وجهة النظر الأولى ذات بعدين، البعد الأول، فيه الربط المباشر، بين الاحتفال بالعيد، وتذكر يوم إعطاء التوراة، و الوصايا العشر، في جبل سيناء، ويمثلها (Peterson 2009 ؛ 24)و Forta 1995 ؛ 25)والموحي

(2007 ،119)، والمسيري (2005، 89)، على سبيل المثال لا الحصر. والبعد الثاني، فيه الربط غير المباشر، بين العيد، وتذكر ما تم في سيناء، وفيه يذكر المقريزي (1997، 140) بأن عيد الأسابيع ذكرى لليوم الذي كلم الله تعالى فيه بني إسرائيل، من طور سيناء. وجهة النظر الثانية،تنكر هذا النوع من العلاقة،ف (Schauss 2005، 87)يقول: ليس هناك، أي ذكر في التوراة لعيد الأسابيع، من حيث ارتباطه بإعطاء التوراة. أما وجهة النظر الثالثة، فيقف أصحابها بين وجهتي النظر المؤيدة والمنكرة، فيؤكدون العلاقة بين العيد، وتسلم التوراة والوصايا، وينفونها في نفس الوقت، فعلى سبيل المثال؛ ففي الوقت الذي ينفي فيه253) Strassfeld (2006،، بأن عيد الأسابيع مؤشر على إعطاء التوراة في سيناء، حيث يرى، بأن النصوص التوراتية لم تشر قط، إلى محتواه التاريخي، وإنما وصفته، بأنه عيد زراعي، نجده يعود في صفحة (274)، ليؤكد بأن أعياد الحج الثلاثة، ومنها الأسابيع، مرتبطة بالتاريخ اليهودي، فالأسابيع مرتبط بالوحي في سيناء. وإجمالاً، يمكن القول، أن عيد الأسابيع، حتى وإن لم تذكر التوراة، علاقته المباشرة بتسلم التوراة، أو الوصايا العشر في جبل سيناء، فإنه لا شك، مؤشر دال على رحلة بني إسرائيل من مصر، ومكوثهم في سيناء. وما ينبغي ذكره هنا، هو أن هذا العيد، كغيره من الأعياد الرئيسية، قد حددت التوراة كيفية الاحتفاء به، المراسيم التي ينبغي القيام بها خلاله.

مراسيم عيد الأسابيع

عند الحديث عن مراسيم عيد الأسابيع، ينبغي الأخذ بالاعتبار، أن ما يصدق على الأعياد السابقة، من حيث تأثير الظروف الموضوعية على مجريات المراسيم، يصدق على هذا العيد. وعليه، فهناك المراسيم، التي حددها الرب في عُلاه، في التوراة، وما قضت به التقاليد، والمراسيم، بعد أن طرأ عليها نوع من التعديل. وقبل إيراد النص التوراتي للمراسيم، التي يجب على بني إسرائيل القيام بها، لا بد من التأكيد على أن عيد الأسابيع، كغيره من الأعياد، يبدأ من ليلة العيد. وليلة العيد هي ليلة استقبال، ولها طقوسها ومراسيمها الخاصة، وفقاً للتقاليد، فاليهود في هذه الليلة، يقومون بممارسة المراسيم المعتادة، في منازلهم:

- إشعال الشموع، وترديد البركات.
- تلاوة البركات (Kiddush) على النبيذ أو العنب أو عصير العنب.

تلاوة البركات على رغيفي الخبز، وذلك قبل تناول وجبة العيد (Bank 2005، 169).

كما جرت العادة، أن تُزين البيوت والمعابد بالزهور، والأعشاب، وأغصان الأشجار. وتجميل المنازل بالخضرة، له دلالة ثلاثية خاصة؛ فأوراق الشجر تذكر بجبل سيناء، الذي كانت تكسوه الخضرة. والأعشاب تذكر بعثور ابنة فرعون على سيدنا موسى، بين القصب في النيل. وجاء في المشناة (روش هاشنا 1، 12)، أن الرب في عيد الأسابيع، يحاسب الأشجار

وثمارها، فيقرر ما إذا كان العام سيكون وافراً أم شحيحا، وكانت نتيجة هذه المحاسبة، في العصور القديمة، تؤثر على نوعية المحاصيل، التي يتم تقديمها للمعبد. لذا، فإن تزيين المعابد في عيد الأسابيع بالأعشاب والشجيرات، يذكرنا بالدعاء حتى تكثر الفاكهة، ويحصل مقدمو بكور الفاكهة على شرف تقديمها (المسيري 2005: 89 و Bank 2005: 169 و2008: 30 Isaacs).

أما مراسيم عيد الأسابيع، وفقاً للنص التوراتي، فقد ورد في أكثر من سفر من أسفار التوراة، ما يجب على بني إسرائيل القيام به، في احتفالاتهم به. فجاء في سفر لاويين (23: 15 – 21) ما نصه:

﴿(15) ثم تحسبون لكم من غد السبت من يوم أيامكم بحزمة الترديد سبعة أسابيع تكون كاملة. (16) إلى غد السبت السابع، تحسبون خمسين يوماً، ثم تقربون تقدمة جديدة للرب. (17) من مساكنكم تأتون بخبز ترديد، رغيفين عشرين يكونان من دقيق، ويخبزان خميراً باكورة للرب. (18) وتقربون مع الخبز سبعة خراف صحيحة حولية، وثوراً واحداً ابن بقر، وكبشين محرقة للرب مع تقدمتها وسكيبها وقود رائحة سرور للرب. (19) وتعملون تيساً واحداً من المعز ذبيحة خطيئة، وخروفين حوليين ذبيحة سلامة. (20) فيرددها الكاهن مع خبز الباكورة ترديداً أمام الرب مع الخروفين، فتكون للكاهن قدساً للرب. (21) وتنادون في ذلك اليوم عينه محفلاً مقدساً يكون لكم، عملاً ما من الشغل لا تعملوا. فريضة دهرية في جميع مساكنكم في أجيالكم﴾.

وذكر سفر العدد (28: 26)، ما ورد في آيات سفر اللاويين، السابقة الذكر، وأضاف بعض التفاصيل، لما يقدم مع الذبائح، من دقيق ملتوت بزيت. أما سفر التثنية (16: 9 - 12) فقد ذكر هذه المناسبة، وأضاف عليها، بأن يصطحب رب الأسرة أبناءه وبناته وعبيده وإماءه، ليحتفل بها ويفرح، هو والغريب واليتيم والأرملة أمام الرب.

كانت تلك، هي مراسيم عيد الأسابيع، وفقاً للنص التوراتي (المكتوب)، ولا نجد فيها أي أمر آخر، يحث على قراءة نصوص خاصة من التوراة، أو تلاوة بركات، أو ما شابه ذلك من أمور العبادة. ومن المعروف أن الدين لا يقتصر على النص المقدس، بل يضاف إليه، نفحات النبي المرسل (موسى)، والأنبياء الذين أتوا بعده، والحكماء والفقهاء، وما حل من إضافات (التقليد) تُضفي على العيد البهجة والسرور، وتزيد من طقوس التعبد.

إذن، المعبد هو جوهر الاحتفال بهذه المناسبة، فلا تقدم الأضاحي إلا فيه، فهو مركز العبادة والتجمع والاستمتاع بأجواء العيد. ومعبد أورشليم، هو من كانت تقدم فيه الأضاحي،

وفيه وفي حرمه يتجمع بنو إسرائيل لقضاء أيامهم ولياليهم. ولكن بعد انقسام الدولة الموحدة، واتساع رقعة المملكتين، تكونت المعابد المحلية، وخاصة في الأيام المبكرة من المملكة اليهودية، فكان تقديم الأضاحي والاحتفال يتم في المعبد المحلي، ولكن بعد ذلك، عندما أُلغيت الأماكن المقدسة، أصبح تقديم الأضاحي فقط، في المعبد في أورشليم (Schauss 2005 : 87).

وبهزيمة البابليين ليهوذا عام 586 ق.م، وتدميرهم للمعبد الأول، وسبيهم لليهود ونفيهم إلى بابل، كان من الصعب على كل اليهود، الذهاب من بابل إلى أورشليم، للاحتفال وتقديم الأضاحي في المعبد، فاقتصر الأمر على أولئك، الذين يستطيعون السفر من بابل إلى أورشليم، وهم كثير. أما الجاليات، التي كان معظم سكانها لا يستطيعون الذهاب، فقد كانوا يرسلون ممثلين عنهم (الخياط 2005 : 83 وBank 2005 : 168)واستمر الوضع على ما هو عليه، من التمثيل الكلي أو الجزئي لسكان الشتات، في الوفاء بمراسيم عيد الأسابيع، وعاد إلى أوجه بعد العودة من السبي، حتى تدمير المعبد الثاني، على يد القائد الروماني طيطس عام 70 للميلاد. وبالتدمير الثاني للمعبد، لم يعد باستطاعة الحجاج الوفاء بهدف عيد الأسابيع، وذلك لأن جوهر العيد تحول من الأهمية الثنائية: الزراعية والروحية، إلى التركيز على المظاهر الروحية (الخياط 2005 : 122 وStrassfeld 2006 :253)، المتمثلة في الرابطة بين العيد وبين الوحي في سيناء، والتي أصبحت المحتوى الرئيسي له.

وتعززت عدم قدرة اليهود، على الوفاء بمراسيم عيد الأسابيع، تماماً، بعد الشتات الأعظم لهم من فلسطين، على يد القائد الروماني هادريان عام 132م، فتغيرت بذلك مراسيم العيد، واختفت منه مظاهر الأضاحي والتقدمات، واقتصر الأمر على النواحي الرمزية، التي تعتبر تعويضية، حتى يتسنى لهم إعادة بناء المعبد. وظهرت في العصر الحديث (القرن السادس عشر) عادة البقاء في حالة يقظة، معظم إن لم يكن طول الليل، وهي بالعبرية (تكون ليل شفوعوت)، وذلك لدراسة التوراة. وهذه العادة قائمة على أسطورة مفادها أن كثيراً من بني إسرائيل، في الليلة السابقة على إعطاء التوراة، غلبهم النعاس فناموا، وكان من المتوقع، من فرط لهفتهم وتوقعهم، لحدوث أعظم حدث إنساني في التاريخ، ألا يناموا (الخياط 2005 : 132 Bank 2005 :170 وIsaacs 2008 : 30).

كما يجتمع الأفراد في عيد الأسابيع، باستمرار، في السيناجوج لدراسة التوراة، في فترة الصباح. وتتضمن قراءة التوراة الصباحية، الوحي في جبل سيناء، وإعطاء الوصايا العشر (خر 19 : 1-20 و30)، والجزء الخاص بالوصايا العشر، يقرأ بترتيل خاص. وهناك خلاف بين الطوائف، في نوع ما يتم قراءته؛ هل يتم التركيز على تلاوة القصائد الدينية، التي تبين ارتباط اليهود بالتوراة، أم على تلك، التي تُعدد الوصايا الـ613، وصلاة التذكر. وتقرأ الجالية في عيد الأسابيع أيضاً من سفر راعوث، القصة الملهمة للمرأة الموآبية، التي مات زوجها اليهودي ووالده، واختارت اعتناق اليهودية طواعية، لتبقى مع أم زوجها. وترد في سفر راعوث إشارة

إلى الشعير والقمح، ولذلك يقوم أعضاء مزارع الكيبوتس والموشاف في إسرائيل، بأخذ باكورة إنتاجهم، ويقدمونه للصندوق القومي اليهودي (المسيري 2005: 90 و 2005:170- 171 Bank).

وتقضي التقاليد، بأن تؤكل على الأقل، وجبة واحدة من منتجات الألبان، خلال عيد الأسابيع. وهناك ثلاثة أسباب أو تفاسير لهذه العادة، وهي:

- لتذكر وعد الله لهم، بأن يسكنهم الأرض، التي تفيض لبناً وعسلا.
- أنهم عندما تسلموا التوراة (وفيها قوانين الطعام)، لم يكن لديهم بعد، مواعين منفصلة للحم ومكونات الجبن، ولهذا، كان عليهم الاستمرار، في أكل الوجبات المكونة من مشتقات الألبان، حتى يصبح لديهم أواني مناسبة.

وتفسير آخر أكثر رمزية، وهو:

أن اليهود يأكلون منتجات الألبان لأنهم من البراءة كالمواليد الجدد الذين يتغذون على الحليب فقط (Bank 2005: 169).

وأخيراً، ينبغي الإشارة إلى أن عيد الأسابيع، ليس كغيره من الأعياد، ليس بالعيد الطويل، كما تبين، فمدته تختلف باختلاف الموطن، وباختلاف الطائفة الدينية في فلسطين: فالأرثوذوكس والمحافظون يحتفلون به في فلسطين مدة يومين، في حين يحتفل به الإصلاحيون يوماً واحداً (Schauss 2005: 86)، إلا أن يرى (Bank 2005 :169) بأن الاحتفال به في فلسطين أيضاً يوماً واحداً، و يستمر الاحتفال به لدى يهود الشتات التقليديين يومين كاملين. وباستعراض مراسيم الاحتفال بعيد الأسابيع، ينتهي الحديث عنه، وننتقل للحديث عن الاحتفال الشهري، يوم طلوع القمر الجديد.

عيد المظال – سوكوت (15-22 تشري - أكتوبر)

كلنا يعلم، أن بني إسرائيل استوطنوا مصر، ومكثوا فيها فترة طويلة من الزمن. وبعد أن بعث الله فيهم موسى عليه السلام، وأراد لهم الخلاص من فرعون وملأه، أمر موسى بالخروج بهم، في اتجاه الأرض المقدسة. وبينما هم في الطريق إلى الأرض المقدسة، شهدوا وعاشوا أحداثاً عظاماً، ومرت بهم محن جسيمة، وأبرز ما شهدوا وعاشوا من أحداث، وقوف موسى، عليه السلام، بين يدي ربه، وتلقيه من ربه الألواح، وفي نسختها الوصايا العشر. وكان ما كان من عصيان بني إسرائيل، لربهم ولنبيه موسى، وأبرز جوانب عصيانهم وتمردهم، اتخاذهم العجل إلاهاً، ومخالفة السبت، ورفضهم القتال لدخول الأرض المقدسة. والقصة المعروفة عن رفضهم القتال ودخول الأرض المقدسة، تتمثل في أن العيون (رجل من كل سبط)، التي بثها سيدنا موسى

-ومن بينهم يشوع بن نون، وكالب بن يفنة- لمعرفة حالة استعداد الكنعانيين. عادوا، وأخبروا موسى وهارون، بأن القوم جبارين وعمالقة ولا قدرة لنا عليهم، عدا يشوع وكالب اللذان خالفا قول الجواسيس، وأعلنا استعدادهما لهزيمتهم. ولما كان خبر الجواسيس قد انتشر بين جماعة إسرائيل، فما كان منهم إلا رفض القتال. فكانت نتيجة هذا العصيان، أن غضب الله عليهم، وجعلهم يتيهون في الصحراء أربعين سنة، عقاباً لهم على موقفهم هذا، وجاء ذكر هذه الواقعة في سفر العدد (13: 1-33 و14: 1-45). والأربعين سنة هنا، تقابل المدة الزمنية التي قضاها جواسيس موسى في مهمتهم، لمعرفة أحوال الأعداء (عد 14: 34)، كل يوم بسنة.

وعلى الرغم من غضب الله عليهم، إلا أن رحمته كانت أكبر وأعظم من خطاياهم، فاستجاب لدعاء موسى فغفر لهم، إلا الجواسيس منهم. ونظراً لإقامتهم الطويلة في الصحراء، ونظراً للأمر الإلهي، بعدم استقرارهم فيها، كان من الطبيعي وهم في طريقهم إلى أرض الميعاد، أن يتخذوا لهم مساكن غير دائمة، تتسم بالبساطة والخفة، فبنوا لهم سوكوتاً (مظال بالعبرية) مساكن لهم، وكانت موادها الأولية، مما توفر حولهم من النباتات والأعشاب والجلود. ثم جاء أمر الرب لهم، بأن يتخذوا من المظال عيداً لهم، في أجيالهم، وذلك كما ورد في سفر اللاويين (23: 33-34 و 42-43):

﴿(33) وكلم الرب موسى قائلاً: (34) «كلم بني إسرائيل قائلاً: في اليوم الخامس عشر من هذا الشهر السابع عيد المظال سبعة أيام للرب﴾.

﴿ (42) في مظال تسكنون سبعة أيام. كل الوطنيين في إسرائيل يسكنون في المظال، (43) لكي تعلم أجيالكم أني في مظال أسكنت بني إسرائيل لما أخرجتهم من أرض مصر. أنا الرب إلهكم».﴾.

وقبل الحديث عن عيد المظال، لا بد من الإشارة، إلى أن تفسير التوراة اتخذ أو سار، في الغالب الأعم، على منهجين: الأول، التفسير الحرفي للنص التوراتي، ويمثله الصدوقيون. الثاني، التفسير الرمزي، ويمثله الفريسيون. وانعكست هذه المنهجية، على كثير من القضايا الخلافية بين الفريقين. وعيد المظال هو إحدى القضايا، التي شملها الخلاف المنهجي في التفسير، فقد فسر البعض كلمة مظال، تفسيراً مباشراً بمعنى مظال، وهناك من الحاخامات، من لم يقنع بالتفسير المباشر لكلمة مظال، الذي أقره الحاخام عقيبا، فالحاخام أليعازر يقترح، أن المقصود بالمظلة، هو غمام مهيب أحاط به الرب شعب إسرائيل، ليحميهم في تيههم في الصحراء (Klein1992: 167والمقريزي 1997: 95)، والسحاب هذا، هو السبب في الخلاف، الذي نشأ بين المفسرين (Bank 2005: 123).

ولا نجد لعيد المظال تعريف واضح ومحدد (Stalper 2003: 137)، وما نعلمه، هو أنه يسمى بأكثر من تسمية واحدة؛ فيسمى عيد الظلة أو العشة أو السقيفة، أو «عيد السلام»، أو

«عيد البهجة»، أو عيد الجمع، أو عيد التكريس (تكريس سيدنا سليمان للمعبد)، أو عيد الأمم (المسيري 2005: 83 و Klein 1992: 157 وقاموس الكتاب المقدس 2005: 587 و46 Grimley 2010:)، والأسماء الثلاثة الأساسية للعيد (عيد الجمع، وعيد التكريس، وعيد الأمم)، هي مؤشرات للحقائق الدينية، التي يعمل العيد على منحها (Klein 1992: 167). وهو عيد ديني، ذو دلالات طبيعية وتاريخية واجتماعية. وكان يعد، في العهد التوراتي، أهم الأعياد، وكان يشار إليه ببساطة على أنه العيد (Bank 2005: 122). وأهميته تكمن فيما يمثله ويدل عليه، فهو يمثل نهاية الزمان، أو وصول التاريخ إلى أوج اكتماله (Stalper 2003: 137). وكما هو معلوم، أن بني إسرائيل على موعد مع الخلاص العظيم، الذي سيتحقق، وفقاً للنبوءة، في نهاية الزمان، فهو يدل إذاً، على ذلك اليوم، يوم التلاحم الكلي بين الإله وشعبه المختار(Ulfgard 1998: 4). وحدد الرب تسميته وسببه، وبدايته ونهايته، وطقوسه ومراسيمه، في عدة آيات في سفر اللاويين، من كتابه، الذي أوحى به إلى سيدنا موسى عليه السلام. فجاءت التسمية في سفر اللاويين، في الآيتين (23: 33-34)، السابق ذكرهما.

وكما هو واضح من نص الآية (34)، فقد حدد الرب موعد بداية العيد، في الخامس عشر من الشهر الإسرائيلي السابع (تشري)، وتحديداً عند اكتمال القمر، في ليلة الخامس عشر (Goodman 1997: 65)، والتي عادة ما تصادف، إما أواخر سبتمبر، أو أوائل أكتوبر (Ganeri 2003: 14)، وموعده في التقويم الشمسي، يتغير من عام إلى عام، ولكنه على الدوام يأتي في فصل الخريف (Miller 2010: 4). "وعدة أيام الظلة، إلى آخر اليوم الثاني والعشرين تمام سبعة أيام" (المقريزي 1979: 95)، ولم يدخل المقريزي يومي المحفل المقدس؛ قبل بدء العيد بيوم وبعد العيد بيوم، واكتفى بذكر أيام العيد السبع. والرقم سبعة (أيام الأسبوع) يحدد عملية اكتمال الخلق، والسبت يوم راحة، وعيد المظال (سبعة أيام عيد)، ويدل على اكتمال واقتراب الخلاص (Stalper 2003: 139) لشعب إسرائيل، فإن لم يتحقق هذا، فيمكن أن يكون مؤشر على الخلاص الفردي. ونظراً، لما يتمتع به هذا العيد، من أهمية لبني إسرائيل، فإن الاحتفال به من الواجبات الدينية ، التي ترقى إلى مستوى فرض العين، فعلى كل فرد مكلف في شعب إسرائيل، أن يبني لنفسه ظله (Klein 1992: 161)، وورد الأمر الإلهي بذلك،في الآيتين السابق ذكرهما، في سفر اللاويين (23: 42 - 43).

ومنح الرب بني إسرائيل، في هذا العيد، يومين تكونا لهم محفل مقدس (عطلة)، لا يعملون فيها أي نوع من الأعمال، خارج نطاق ما حدد الرب القيام به، وهما اليوم الأول واليوم الثامن من أيام العيد، وجاء ذكر ذلك في سفر اللاويين (23: 35-36) ونص الآيتين هو:

﴿(35) في اليوم الأول محفل مقدس عملاً ما من الشغل لا تعملوا.
(36) سبعة أيام تقربون وقوداً للرب. في اليوم الثامن يكون لكم محفل مقدس تقربون وقوداً للرب. إنه اعتكاف. كل عمل شغل لا

تعملوا﴾

وبهذا، يمكن القول، بأن فترة الاحتفاء بالعيد، هي تسعة أيام: اليوم الأول (محفل مقدس)، وسبعة أيام عيد للرب: للسكن في المظال، ولتقديم القرابين والتقدمات والسكائب، واليوم التاسع (محفل مقدس). ويعتبر هذا العيد (المظال)، "آخر الأعياد السنوية الكبرى، التي كان يطلب فيها، من كل رجل في بني إسرائيل، أن يظهر أمام الرب في الهيكل" (قاموس الكتاب المقدس 2005: 587).

وظل بنو إسرائيل يحتفلون بعيد المظال، طوال الفترة، التي أمضوها في الصحراء، وكذلك، بعد دخولهم الأرض المقدسة. ولم يحدث قط، خلال الفترة السابقة على المعبد الثاني، أن أضيف إليه أو أُنقص منه يوماً واحداً. وعلى الرغم، من وضوح الآيات المقدسة، في أسفار التوراة، التي جاء فيها ذكر عيد المظال؛ من حيث طبيعته ومدته، التي حُددت بتسعة أيام، إلا أن هناك من يرى، بأنه قد تم إضافة أيام أخرى، إلى مدة العيد الأساسية (تسعة أيام)، ويورد شواهد على ذلك، وإن كانت غير دقيقة، فيرى أنه قد تم، في فترة المعبد الثاني، إضافة يوم آخر إلى هذه المناسبة، فأصبح عدة الأيام المحتفل بها ثمانية أيام (قاموس الكتاب المقدس 2005: 587)، ولو تأملنا ما ذُكر، لتبين لنا، أنه لا توجد أية إضافة إلى أيام العيد، فلا تزال تسعة أيام، كما حددتها الآيات المقدسة.

وكما بينا سابقاً، أن بني إسرائيل كانوا يقيمون في فترة التيه، في مظال، وكانت مظالهم تلك، بدون مواصفات أو مقاييس معينة، ولم تكن محكومة بوصايا أو صلوات أو مراسيم، وما أن فرض الرب عليهم فترة زمنية معينة للإقامة فيها، حتى امتثلوا لذلك، وأقاموها واحتفوا بمناسبتها، وفقاً لوصايا الرب. ومن وقتئذ، أصبحوا يقضون الأيام السبعة لهذه المناسبة في المظال، يأكلون ويشربون وينامون. واستمر هذا التقليد، حتى وفاة يشوع بن نون، ثم انقطع، ولم يعد الشعب يقيمه، حتى عادوا من السبي. وبعد أن أفهمهم عزرا ما أوصت به الشريعة، في مثل هذا اليوم، سمعوا وأطاعوا، ويتضح ذلك جلياً، من خلال الآيات المقدسة، في سفر نحميا (8: 13-18)، ونصها:

﴿(13) وفي اليوم الثاني اجتمع رؤوس آباء جميع الشعب والكهنة واللاويون إلى عزرا الكاتب ليفهمهم كلام الشريعة. (14) فوجدوا مكتوباً في الشريعة التي أمر بها الرب عن يد موسى أن بني إسرائيل يسكنون في مظال في العيد في الشهر السابع. (15) وأن يسمعوا وينادوا في كل مدنهم وفي أورشليم قائلين: «أخرجوا إلى الجبل وأتوا بأغصان زيتون وأغصان زيتون بري وأغصان آس وأغصان نخل وأغصان أشجار غبياء لعمل مظال، كما هو مكتوب». (16) فخرج الشعب وجلبوا وعملوا لأنفسهم مظال، كل واحد

على سطحه، وفي دورهم، ودور بيت الله، وفي ساحة باب الماء، وفي ساحة باب أفرايم. (17) وعملوا كل الجماعة الراجعين من السبي مظال، وسكنوا في المظال، لأنه لم يعمل بنو إسرائيل هكذا من أيام يشوع بن نون إلى ذلك اليوم، وكان فرح عظيم جداً».

ولم يشر الأدب، إلى أن بني إسرائيل توانوا، عن إقامة هذه المناسبة، في يوم من الأيام، حتى يومنا هذا، فهم، أينما كانوا، يقومون ببناء مظال لهم، بجانب مساكنهم، ويسقفونها بسعف النخل الأخضر، وأغصان الزيتون، ونحوها من الأشجار، التي لا يتناثر ورقها على الأرض (المقريزي 1997: 95)، أنظر الصورة التالية، رقم (8)

صورة رقم (8)

تمثل الصورة نموذجاً للعشش التي يبنيها اليهود احتفالاً بعيد الظلة

ويحرص بنو اسرائيل على أن يكون بناء المظلة، وفقاً لما أوصى به الرب في بنائها، ويقيمون فيها كل الأنشطة والفعاليات الموصى بها، وما ألفوه من عادات، والتي كانت نتيجة فعل الزمن، وهو ما يسمى بمراسيم وطقوس هذا العيد.

مراسيم وطقوس عيد المظال

يتم الاحتفال بعيد المظال، وفقاً للأوامر الإلهية، ثم بما تم إضافته إليه، نتيجة لما حدث من تطورات. وحتى يتم الاحتفال بهذا العيد، فإن بني إسرائيل يقومون ببناء مظالهم، قبل حلوله عليهم، وجرت العادة، أن يدق أول مسمار أو وتد لتثبيت المظلة، مع نهاية يوم الكفارة (Epstein 1969: 30). وبناء المظال هذه، ليس متروكاً لرغبات الأفراد أو الأهواء، أو لتأثير الفقر والثراء، أو المكانة الاجتماعية للأفراد، بل إنها، كما بينا، محددة بمواصفات

ومقاييس دقيقة جداً؛ فمن حيث مادة البناء: يجب عدم استخدام المواد المعدنية والبلاستيكية والزجاجية، وأن تكون من المواد العضوية، التي تنمو على الأرض، وأن تكون قد تم اقتلاعها من الأرض، ولم تعد مغروسة فيها (Bank 2005: 224). أما من حيث حجم وسعة المظلة، فهو على النحو التالي:

- يجب أن تكون المظلة على شكل مربع: بحيث يكون كل من الطول والعرض ست وعشرين بوصة على الأقل.
- يجب ألا يقل ارتفاع المظلة عن ثلاثة أقدام.
- يجب ألا يزيد ارتفاع حوائط المظلة، عن ثلاثين قدماً.
- يجب أن تبنى في الهواء الطلق، وليس تحت شجر.
- يجب أن يكون غطاؤها مما ينبت في الأرض، من فروع الشجر أوالنباتات.
- يجب أن يسمح سخاخ Sekhakh (الغطاء) المظلة برؤية السماء، على ألا يترك فيه فراغاً، بمقدار يصل إلى اثني عشر بوصة.
- يجب ألا يكون الغطاء، من الحشائش والأعشاب السريعة الجفاف، حتى لا يتساقط، وألا تكون ذات رائحة كريهة.
- يجب ألا تكون المظلة على شكل مخروطي.

يمكن تزيينها من الداخل، بكل أنواع الأعشاب الخضراء والزهور والفاكهة؛ كالتفاح، وعناقيد العنب، والذرة الهندية، والرمان، وعادة ما يقوم بتزيين المظلة الأم والأولاد (1969: 30 Epsteinو Bank 2005: 125 وKlein 1992: 160-161).

ولا ينبغي أن تغطى المظلة، في حالة هطول الأمطار، لأن ذلك يفسد شرعيتها. وللمظلة وظائف كثيرة، فإلى جانب، أنها تذكر اليهود بمعاناتهم في الصحراء، فإنها تزودهم بنفحة إيمانية بربهم، وخاصة في أوقات المحن، وتعزز فيهم الإيمان، بأن كل ما يمتلكونه، بما في ذلك المسكن الذي يسكنونه، هو هبة من الرب (Klein 1992: 157 وBank 2005: 123).

وقبل أن نستعرض معاً، مراسيم وطقوس هذه المناسبة، ينبغي التنويه، إلى أن اليهود يستقبلونها، بإيقاد الشموع في ليلة الخامس عشر (ليلة العيد). وتسير المراسيم والطقوس على النحو التالي:

اليوم الأول: الخامس عشر من تشري: محفل مقدس (عطلة)، لا يقومون بأي عمل من الأعمال. في هذا اليوم، يقوم بنو إسرائيل (اليهود) بجمع أربعة أنواع من فروع الشجر، وهي محددة في سفر لاويين (23: 40):

> ﴿(40) وتأخذون لأنفسكم في اليوم الأول ثمر أشجار بَهِجَة وسعف النخل وأغصان أشجار غبياء وصفصاف الوادي، وتفرحون أمام الرب إلهكم سبعة أيام.﴾.

وتُعرف هذه الأنواع بين اليهود بـ: الإتروج (etrog)، اللولاف (lulav)، وآرافوت (aravot)، وهداسيم. وعلى الرغم، من أن نص أنواع فروع الشجر هذه، قد حددها الرب لسيدنا موسى، إلا أن الكتاب المقدس (2005: 587) يذكر، بأنها من بين المراسيم الفخمة، التي أُدخلت فيما بعد، على التي أوصى بها الناموس. وكان يتم استخدام أنواع الشجر هذه، ابتداءً من اليوم الأول للعيد، وحتى اليوم الأخير.

ووفقاً للتقليد اليهودي، فإن الأنواع الأربعة من فروع الأشجار، ترمز إلى أربعة أنواع من اليهود، على النحو التالي:

- الإتروج: يتميز بالطعم والرائحة، ويرمز لأولئك، الذين يمتلكون الحكمة والأعمال الصالحة.
- اللولاف: له طعم وليس له رائحة، يرمز لأولئك، الذين يمتلكون الحكمة، وليس لهم أعمال صالحة.
- الأرافوت: له رائحة وليس له طعم، يرمز لأولئك، الذين لديهم أعمال صالحة، ولكنهم يفتقرون للحكمة.

الهداسيم: لا طعم له ولا رائحة، يرمز لأولئك، الذين يفتقرون للحكمة والأعمال الصالحة. وهناك تصنيف آخر، يعتقده بعض اليهود، للأنواع الأربعة من الأشجار، يتمثل في: اللولاف يرمز إلى العمود الفقري، والإتروج يرمز إلى القلب، والأرافوت يرمز إلى الشفايف، والهداسيم يرمز إلى العيون، وكلها مجتمعة ترمز إلى شكل الإنسان، الذي يرمز إلى وحدة الشعب اليهودي (Bank2005: 126-127 وEpstein1969: 30-31). وأي ما كانت الدلالات أو المقابلات لهذه العناصر الأربعة، فإن موسى بن ميمون، قد فهم أنها تعني، وببساطة شديدة، شكر الله على نعمه، وأنها دلاله على عطاء الأرض (Jacobs 1984: 108).

الأيام السبع: من السادس عشر وحتى الثاني والعشرين من تشري يتم فيها احياء المظال من خلال:

1. السكن في المظال:

إن بناء المظال في ذكرى هذا العيد، ليست لمجرد الترويح عن النفس، بإقامة الاحتفالات طوال اليوم، ثم يعود الناس كل إلى منزله، عندما يحل المساء، بل إن سكناها من الواجبات الدينية الملزمة، فجوهر وصية وعادة المظال هو السكن فيها (Bank 2005: 123)، وذلك ابتداءً من يوم السادس عشر من شهر تشري. وهناك أوامر صريحة، بكيفية بناء الظلة، وإلزامية بناؤها على كل يهودي مكلف، كما بينا ذلك سابقاً. وقد جرت العادة، أن يشارك كل أفراد العائلة في بنائها (Epstein 1969: 30). وإلى جانب المظال الخاصة بكل أسرة، كانت، في العصور الوسطى، تُبنى مظلة عامة، بجانب السيناجوح (المعبد)، حتى يستخدمها كل المصلين (Klein 1992: 162).

والسكن في المظلة محكوم بوصايا دينية، على اليهودي القيام بها، أثناء سكنه فيها، ومن هذه الوصايا، وصية الضيافة، ووصية أكل الطعام، وتلاوة الصلوات المرتبطة بها، وذلك على النحو التالي:

وصية الضيافة: للوفاء بهذه الوصية، يقوم اليهود، وفقاً لعادة أوشبيزين (Ushpizin)، بدعوة سبعة ضيوف توراتيين رمزيين، إلى المظلة كل يوم، والضيوف السبعة يقبلوا كل من إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وداود. وحديثاً، بدأ بعض اليهود في توسيع هذه الدعوة، لتشمل شخصيات نسائية توراتية كسارة وراحيل ورفقة ولية ومريم وأبيجيل وإستار (Bank 2005 ؛123).

وصية أكل الطعام: تؤكد وصية الطعام، ضرورة تناول الطعام بداخل المظال، وهناك تأكيد، على أن يتم تناول الطعام في اليوم الأولى، بداخل المظال، حتى وإن كانت الأجواء ممطرة، إلا المضطر، فليس عليه حرج. وأيامنا هذه، أصبحت وصية الطعام، هي الوظيفة الرئيسية للعيد. وهناك نوع بعينه من الطعام هو الذي يؤكل بداخل المظال؛ كأي طعام مصنوع من القمح والشوفان والعنب والنبيذ. كما أن هناك بركات، يجب أن تتلى قبل الجلوس في المظال، وعند غسل اليدين قبل الطعام، وقبل تناول الطعام فيها، وعند شرب النبيذ (123-124 Bank 2005)؛. وينبغي أن نعلم أن المظلة تُعامل بكل التوقير والاحترام من قبل اليهود، فعلى الرغم من تناول الطعام بداخلها إلا أن غسل الأواني والأطباق لا يتم بداخلها على الإطلاق (Epstein 1969؛ 30).

2. تقديم القرابين:

يبدأ تقديم القرابين والتقدمات والسكائب من السادس عشر من شهر تشري، ولمدة سبعة أيام. فق اقتضت الأوامر الإلهية، في هذا العيد (المظال)، أن على بني إسرائيل تقريب وقود للرب؛ محرقات وذبائح وسكايب، كل يوم من الأيام السبعة، كما حددته الآيات في سفر العدد(29؛ 12-39)، على النحو التالي:

اليوم الأول:

﴿(13) وتقربون محرقة، وقود رائحة سرور للرب: ثلاثة عشر ثوراً أبناء بقر، وكبشين، وأربعة عشر خروفاً حولياً. صحيحة تكون لكم. (14) وتقدمتهن من دقيق ملتوت بزيت: ثلاثة أعشار لكل ثور من الثلاثة عشر ثوراً، وعشران لكل كبش من الكبشين، (15) وعشر واحد لكل خروف من الأربعة عشر خروفاً، (16) وتيساً واحداً من المعز ذبيحة خطيئة، فضلاً عن المحرقة الدائمة وتقدمتها وسكيبها.﴾.

ويستمر تقديم هذه القرابين والتقدمات يومياً بنفس الكمية، عدا الأثوار، فإن

عددها يتناقص بمقدار ثور واحد يومياً. ويمكن لنا، أن نتخيل العدد الهائل، الذي كان يقربه بنو إسرائيل في هذه المناسبة، فقد بلغ عددها سبعين ثوراً، وأربعة عشر كبشاً، وثمانية وتسعين معزاً، وسبعة تيوس، بالإضافة إلى التقدمات والسكائب.

ولم تعد هذه الطقوس المكلفة والمعقدة قائمة أيامنا هذه، وذلك نتيجة تدمير الهيكل، من ناحية. ونظراً لما حدث من "تطورات في مراسيم هذا العيد، إلى الحد الذي لم يعد واجباً على كل يهودي، أن يصنع بنفسه، أو على الأقل يشارك في صناعة الخيمة" (المسيري 2005: 83). وأصبحوا يحتفلون به ببناء المظال بجانب مساكنهم، ويحيون أيامه وفقاً للناموس.

كما كان بنو إسرائيل، في فترة المعبد الثاني، يقومون في اليوم الأول، في وقت ذبيحة الصباح، بحمل سعف النخل، وأغصان الآس والصفصاف المحبوكة، والفاكهة، في أيديهم، ويختلفون إلى الهيكل، ويطوفون حول المذبح مرة واحدة فقط. ويتكرر هذا النشاط يومياً، حتى اليوم السابع، الذي يطوفون فيه حول المذبح سبع مرات.

وهناك عادة أخرى، أُدخلت في فترة المعبد الثاني، وتتمثل في إحياء ذكرى جلب الماء، وإنارة منارتين في دار النساء. وقصة جلب الماء، هي من بين ما تم إضافته، إلى الاحتفال بهذه المناسبة، كالطواف حول الهيكل، وجاء تأكيد ذلك من قبل Epstein (1969: 31)وفي قاموس الكتاب المقدس (2005: 587)، بما نصه:

> وكانت عادة أخرى، ولعلها كانت شائعة في أيام المسيح، وهي أنه في مدة العيد، كل يوم، عند الذبيحة الصباحية والذبيحة المسائية، كان كاهن يملأ وعاءً ذهبياً ماء، من بركة سلوام، ويحمله إلى الهيكل، حيث كان يُستقبل بهتاف البوق وكلمات أشعياء (12: 3) "... فتستقون مياهاً بفرح من ينابيع الخلاص»، وفي اليوم الختامي، تتكرر عادة جلب الماء، حيث... يذهب كاهن بإبريق من ذهب إلى بركة سلوام، ويغترف به ثلاث مرات من الماء، ثم يعود بالإبريق المليء في موكب عظيم إلى الهيكل مجتازاً باب الماء، ثم يصب الماء في وعاء فضي على جانب المذبح الغربي وسط الترنيم : «احمدوا الرب فإنه صالح، وأن إلى الأبد رحمته".

عيد المظال والسيناجوج

وعلى الرغم، من أن عيد المظال، هو مناسبة تقام خارج المعبد، إلا أن للمعبد أهمية بالغة في هذه المناسبة، وذلك لما يتم فيه من صلوات، واحتفاء بالتوراة. فقد استمرت المراسيم، السابقة الذكر- والتي لا تتعلق بمعبد أورشليم- في بني إسرائيل عبر تاريخهم، ففي كل يوم من أيام العيد السبع، يتم فتح التابوت في السيناجوج، بعد الصلاة المضافة، ثم تبدأ مراسيم

الإنشاد، من قبل الكانتور (المنشد) والحاخام، ثم الذين يمسكون باللولاف المكون من أربعة عناصر أساسية: الإتروج (من فصيلة الليمون، ويزرع في إسرائيل)، واللولاف، (فرع نخيل حاف)، وغصنين من الآرافوت (شجر الصفصاف)، وثلاثة أغصان من هداسيم (نبات الآس: وهو نبات عطري). ويتم ربط غصون اللولاف والأرافوت والهداسيم في حزمة واحدة، وبطريقة معينة وبترتيب معين، ويطلق عليها مجتمعة اللولاف (Goodman 1997: 63). ويأتي استخدام حزمة اللولاف هذه، مرتين في الصلاة العامة (في السيناجوج). وأثناء مزمور الحمد، يقوم المصلون بهز حزمة اللولاف، والإيماء بها في كل الاتجاهات، وخلال دعاء الهوشنا العظيم (الإنقاذ)، الذي ينشده الكانتور، يقوم المصلون بالإمساك باللولاف والإتروج وهزها، والإيماء بها في الاتجاهات الأربعة، كرمز لوجود الرب في كل مكان. وفي اليوم السابع، يقوم الجمع بالدوران سبع مرات حول منصة التوراة (بدلاً من المذبح القديم)، ولهذا، يُعرف اليوم الأخير بالهوشنا العظيم (Epstein 1969: 31 و Bank 2005: 127 وKlein 1992: 156).

وهناك رأي آخر، يتعلق بالدوران حول منصة التوراة، مفاده:

> أنه في اليوم السابع من أيام عيد المظال يتم الدوران حول السيناجوج (بدلاً من منصة التوراة) سبع مرات بدلاً من مرة واحدة، مع ترديد صلوات الهوشنا. ومع نهاية الدوران، يتم أخذ غصن طري من شجر الصفصاف، ويضرب به على كرسي، وهي عادة قديمة، قُصد بها، الرمز للتخلص من آخر ذنب. وينظر للهوشنا، على أنها آخر يوم، من فترة الأعياد العظيمة (Strassfeld 2006: 280).

وللأطفال حظ وافر في يوم الهوشنا، فهي تجسيد لمعنى عظيم لديهم، إذ فيها يتم إعطائهم أغصان اللولاف، حتى يصنعوا لأنفسهم منها خواتم وأساور وأقواس. كما أن أهمية يوم الهوشنا بالنسبة لهم، يتمثل في توقعهم لحدوث أمر عظيم في منتصف ليلته، فقد قيل أن السماء تفتح أبوابها في هذه الليلة، وكل ما يطلبه المرء ساعتها، يتحقق على الفور.

ويتخلل مراسيم الأيام السبعة، أيام العيد النصفية، وهي الأيام الأربعة التالية لليومين الأولين من العيد، والتي تُسمى Hol Ho-Mo'ed. يتم في هذه الأيام الأربع، تلاوة صلاة هلليل والهوشنوت، وذلك بعد صلاة الأميدا (البركات الثماني عشر) لكل صباح، ويسير الموكب بالإتروج واللولاف. وإذا ما صادف أن جاء السبت في إحدى هذه الأيام الأربع، فإنه يجب قراءة سفر كوهليت، قبل قراءة جزء التوراة (Epstein 1969: 31 و2005: 127 Bank). اليوم الأخير: محفل مقدس (عطلة)، لا يقومون فيه بأي عمل من الأعمال.

علمنا كيف حددت الآيات المقدسة أيام عيد المظال، ومع ذلك، فإن هناك خلاف حول اليوم الأخير، هل هو أحد الأيام السبعة لتقديم القرابين، أم أنه يوم آخر مضاف إليها؟، فقد

جاء في قاموس الكتاب المقدس (2005: 587) "ويضاف إلى الموسم يوم، ثامن وكان محفلاً مقدساً. وتناظروا لمعرفة ما إذا كان اليوم المشار إليه، في يو 7: 37 هو السابع أو الثامن من العيد". وهذه المسألة لم تحسم. وعليه، فما يطمئن إليه القلب، واهتداءً بنص الآيات، فإن اليوم الأخيرهو اليوم الثامن، من أيام العيد السبع، التي يتم تقديم القرابين فيها، وهو اليوم التاسع من إجمالي عدد أيام المناسبة كلها، ويتضح ذلك، وبجلاء، من نص الآية الأخيرة، التي وردت في سفر العدد (29: 35)، بعد أن استكملت الآيات ذكر القرابين في سبعة أيام، ونص الآية هو: ﴿(35) وفي اليوم الثامن: يكون لكم اعتكاف، عملاً ما من الشغل لا تعملوا﴾. وإلى جانب أن هذا اليوم عطلة، كيوم الخامس عشر، إلا أن الرب فرض فيه تقديم القرابين: ثوراً، وكبشاً، وسبعة خراف، وتقدمتهن وسكائبهن، وتيساً، إضافة إلى المحرقة الدائمة، وتقدمتها وسكائبها، مما يجعله يوماً مميزاً، لأن هذه القرابين مع التقدمات والسكائب، لا تكون إلا في عيد. ومع ذلك، فليس هناك أية إشارة، في التوراة؛ بالتصريح أو بالتلميح، تشير إلى أن هذا اليوم منفصل أو مستقل عن عيد المظال. وفيما يتعلق بالاحتفاء به، فقد يختلف باختلاف موطن الإقامة، فيحتفل به في إسرائيل مدة ثمانية أيام، وخارجها تسعة أيام (Paterson 2009: 24).

وتمتد أهمية وجلال هذه المناسبة، لتضم إليها مناسبتين، ارتبطتا بها ارتباطاً كبيراً، وهما: الشميني عتسيريت -وهو اليوم المكرس للجزء الروحي لأيام الاحتفال، وللعلاقة القائمة بين اليهود وإلاههم- وسمحات توراه. ويأتيان في اليوم السابع واليوم الثامن، من عيد المظال، أي يومي الثاني والعشرين والثالث والعشرين من شهر تشري.

عيدا الشميني عتسيريت والسمحات توراه
(الجزء الثاني)

إن هناك حديث طويل حول هذين العيدين، وخلاصة ما ورد في هذا الحديث الطويل، هو أن اليومين الأخيرين، من إجمالي أيام عيد المظال (الثامن والتاسع)، يمثلان عيدي شميني عتسيريت (يوم الثامن الختامي) وسمحات توراه. وحقيقة الأمر، هي أن هذين العيدين لا يمثلان اليومين الأخيرين لعيد المظال، بل إنهما عيدان منفصلان تماماً عنه، ولكنهما أُدمجا فيه. وعلى الرغم، من عدم وجود نص توراتي بهما، إلا أنهما أُعتبرا عيدان، وخاصة الشميني عتسيريت.

وتكمن طبيعة الشميني عتسيريت، كما جاء في الأدب، في أنه يعبر عن الوجدان اليهودي، المتطلع للعيش في عالم ملؤه السلام والوئام، إنه يمثل عصر جديد، عصر العيش الحقيقي في عالم الخلاص، إنه التطلع للمستقبل (Stolper 2003: 139)، إنه، تاريخياً، عيد لا يرتبط بأي عيد، مهما كانت قدسيته وجلاله. وكان موعده يأتي في موسم الجفاف، بعد سبعة أسابيع من عيد المظال، حيث كان الإسرائيليون يقومون فيه، بتقديم الأضاحي في أورشليم، لصالح شعب

إسرائيل، الشعب، الذي كان في الأساس من الفلاحين، الذين يعيشون في أرض جرداء. ورحمة من الرب بهم وتخفيفاً عليهم، فقد جاء في الميدراش، أنه بدلاً من جعل الشعب يسافر إلى أورشليم، في موسم الأمطار، فإن الرب سمح، بأن يتم حفظ خاتمة عيد المظال، كيوم ختامي، عندما يكون الطقس أكثر ملاءمة، حتى يتمكن الحجاج إلى أورشليم في عيد المظال، البقاء في حضرة الرب في المدينة، لمدة يوم إضافي (Bank 2005: 128 وEisenberg 2008: 239).

وتأكيداً على استقلالية الشميني عتسيريت، عن عيد المظال، فقد كانت مسألة استقلاليته هذه، من بين المواضيع، التي دار حولها نقاش وجدال طويل، بين الحكماء والحاخامات، وانتهى بهم النقاش، إلى أنه عيد مستقل وقائم بذاته، وعدد التلمود ست علامات، تؤكد انفصاله واستقلاليته، عن عيد المظال، وهذه العلامات هي:

- التداول المختلف للكهنة في خدمة المعبد.
- تلاوة صلاة شيحيانو.
- عدم وجود إلزام للسكن في المظلة، أو أخذ الفروع الأربعة للأغصان.
- تسمية اليوم بالشميني عتسيريت بدلاً من المظال.
- منظومة مختلفة من الأضاحي.
- قراءة اللاويون لمزمور خاص (Eisenberg 2008: 239).

وهناك بعدان للشميني عتسيريت: الأول، أن الشميني عتسيريت يترجم على أنه تتويج لليوم الثامن. البعد الثاني، يتمثل في أنه حالة التأني، فاليوم، في الحقيقة، يمثل الامتناع عن إكمال أيام عيد المظال. والهدف من هذا التمديد هو إيصال فترة عيد المظال إلى حالة الكمال، واليوم الثامن الختامي مكرس لتحقيق هذا الهدف (Bank 2005: 127-128). ولو عدنا إلى جذر كلمة عتسيريت (ezeret)، لوجدنا منطقية البعد الثاني للشميني عتسيريت، فجذرها يعني «التأني» (Eisenberg 2008: 239).

ومن الطبيعي أن تكون للشميني عتسيريت، باعتباره عيداً، طقوساً ومراسيماً خاصة به، ولكن طالما أن هذه الطقوس والمراسيم، تقام لكل من المناسبتين (الشميني عتسيريت وسمحات توراه) معاً، فإن الحديث عنها سوف يتم لاحقاً، عند الحديث عن مراسيم سمحات توراه.

وكان هدف اليوم الثامن الختامي، هو الإبطاء أو تأخير انتهاء عيد المظال، أو إطالة فترته، وذلك بغرض اكتمال التوراة، فكان يوم سمحات توراة، اليوم الذي يمثل هذا الاكتمال. وكما هو معلوم، فإن سمحات توراة يأتي بعد اليوم الثامن الختامي مباشرة. وكان الفلاحون، من بني إسرائيل، يقومون فيه، بتلاوة صلوات خاصة به تسمى جِشم (Geshem)، تتلى أثناء الصلاة المضافة، وهي صلاة الاستسقاء، لطلب الأمطار، مع أن المسيري يذكر، بأنه لا يُعرف سبباً للاحتفال به (Bank 2005: 128 و المسيري 2005: 90 وStrassfeld 2006: 281)، ولا تزال هذه الصلاة تشكل جزءً من طقوس اليوم الثامن الختامي، وكذلك تلاوة صلاة، تذكر

الأحبة وقراءة كوهليت (Isaacs 2006: 70). وكان يُشار لهذا اليوم، في الفترة التلمودية، باعتباره اليوم الثاني للشميني عتسيريت، ولا تزال تسميته، حتى اليوم، الشميني عتسيريت، في كل من الصلوات وتلاوة القيدوش (Bank 2005: 129 وEisenberg 2008: 402).

ويبدو أن تأثير البعد الزمني، قد فعل فعله، في تحديد تسمية سمحات توراة، فقد "سمي هذا العيد بعدة تسميات، إلى أن استقر اسمه، على ما هو عليه. ففي فترة التلمود، كان يسمى «آخر أيام العيد»، وعلى أيام الفقهاء (جاءونيم)، كان يسمى «يوم الكتاب» و«يوم النهاية». ولم يسمَّ «سمحات توراة» إلا في آخر أيام هؤلاء الفقهاء" (المسيري 2005: 90). ومع أن هذا العيد، كما هو واضح من قول المسيري، قديم جداً، فإن هناك من يرى، بأنه ظل بدون ملمح، حتى العصور الوسطى، عندما شاع تقليد قراءة كل التوراة، خلال عام واحد. وللاحتفاء باكتمال الدورة، ظهر عيد جديد أُطلق عليه سمحات توراة (Strassgeld 2006: 281). ومن الطبيعي، عدم الوثوق بهذا الرأي، لسبب بسيط للغاية، وهو أن قراءة التوراة، على مدى عام كامل قديم، إذ يرجع إلى زمن عزرا الكاتب، وليس إلى العصور الوسطى، وكذلك هو الحال، في مراسيم الانتهاء من قراءة التوراة.

ومراسيم سمحات توراة، كما هو واضح من التسمية، يتعلق بالتوراة، ومع ذلك، فإن الاحتفاء بها يبدأ من يوم الثامن الختامي، فهما أيام عيد تُعلَّم بإيقاد الشموع، وتحريم العمل (Strassgeld 2006: 282)، ثم تبدأ مراسيم سمحات توراة الفعلية، من عشية اليوم الثاني في المعبد، وذلك بقراءة الفصلين الأخيرين من سفر التثنية (33-34)، كمؤشر لاكتمال دورة قراءة التوراة. ومع ذلك، فقد جرت العادة مؤخراً، فتح مطوية أخرى، يُقرأ منها الفصل الأول، من سفر التكوين مباشرة، حتى يتبين بأن قراءة التوراة عملية دائمة ومستمرة، وذلك لإسكات الشيطان ومنعه من القول، بأن اليهود يحتفلون فقط، لأنهم أخيراً أنهوا قراءة التوراة، وأنهم لا يرغبون بقراءتها مجدداً (Paterson 2009: 24)، وأنه لا وجود لشيء اسمه البداية والنهاية، ولا زمن معين يبتعد فيه اليهود عن قراءة التوراة. ويطلق على شرف قراءة الآيات الأخيرة للتوراة بـ"حنان توراة" (عريس التوراة)، ويطلق على شرف قراءة التكوين «حنان برشت» (عريس التكوين) (المسيري 2005: 90 وBank 2005: 129). وإلى جانب التصوير العرائسي، لشرف قراءة التوراة، فإن هناك، دلالة رمزية غاية في الروعة والجمال، وذات بعد فلسفي عميق، في قراءة الجزء الأخير، من سفر التثنية، والجزء الأول من سفر التكوين، وهي أن الحرف الأخير من سفر التثنية، والحرف الأول من سفر التكوين، يكونان كلمة «قلب» بالعبرية، فكما هو موقع القلب من الإنسان، فكذلك يكون موقع التوراة من العالم (Eisenberg 2008: 142).

وبعد الانتهاء من التلاوة، يتم استخراج مطويات الشريعة من التابوت، وعيون الجميع شاخصة إليه، ويمنح بعض الأفراد شرف حملها. ويسير موكب المطويات على شكل دائرة في

السيناجوج، مع الترنيم ببعض الآيات (Strassgeld 2006: 282)، وحول السيناجوج سبع مرات، حتى يحظى كل عضو بشرف حمل التوراة، وأثناء مرور مطويات التوراة، يقوم كل عضو بتقبيلها (Bank 2005: 30). وتسمى كل دورة باسم أحد الآباء، وهم: إبراهيم، وإسحق، ويعقوب، وموسى، وهارون، ويوسف، وداود (المسيري 2005: 90).

ويتكرر نفس المشهد لليوم السابق، فتقوم الجالية أثناء صلاة الصبح، بالطواف سبع مرات. وبعد الطواف سبع مرات، يتم استخراج ثلاث مطويات من التابوت، لقراءتها وفقاً لموقعها من المراسيم، على النحو التالي:

المطوية الأول، يقوم القارئ بالتغني، بعدد من الآيات، من سفر التثنية (33: 26-1)، ونص الآية الأولى منها هو: ﴿(1) وهذه هي البركة التي بارك بها موسى، رجل الله، بني إسرائيل قبل موته﴾، حتى يتمكن الرجال البالغين (عند الأرثوذوكس)، من تلاوة البركات على التوراة. ثم يُدعى الأطفال للتلاوة، ويُفرد الطاليت، حتى يكون كالمظلة على رؤوسهم، بينما يُرددون البركات بصحبة أحد الراشدين.

المطوية الثانية، القراءة من سفر التكوين، التي تم ذكرها سابقاً، ويُكنى من نال شرف القراءة بالعريس.

المطوية الثالثة، تحتوي على طقوس الأضاحي، ويتم قراءتها من سفر العدد (29: 35-39)، ونص الآية الأولى منها هو: ﴿(35) وفي اليوم الثامن: يكون لكم اعتكاف، عملاً ما من الشغل لا تعملوا﴾. وينتهي هذا اليوم الواعد بخلاص بني إسرائيل، مع قدوم المسيح المنتظر.

عيد رأس السنة - روش ها شنة (عيد الأبواق) (1 تشري)

صحيح إن الحديث عن الأحاسيس والانفعالات، التي يعيشها الإنسان، في غمرة أحداث هامة أو عزيزة عليه، من المسائل الصعبة والمعقدة، فهي تقوم في الأساس، على عملية الاستبطان، وقد ناقش علماء النفس هذه المسألة مناقشة مستفيضة، وبينوا مدى تعقيدها وصعوبتها. فإذا كان هذا فيما يتعلق بالإنسان أثناء حياته، فمن الطبيعي، أن يكون الحديث عن حالات الانفعالات والأحاسيس، لأقوام قد تركوا الحياة، منذ مئات السنين، ليس صعباً فحسب، بل يكاد أن يكون في حكم المستحيل. والأحداث التي تؤدي إلى أحاسيس وانفعالات، مبهجة ومريحة للإنسان، لاشك تدفع الإنسان إلى التعلق بها وتذكرها، خاصة، إذا ما علمنا، أن الإنسان بطبعه يميل لما يسر ويبهج، ويبتعد ما أمكن، عن كل ما يسبب له الضيق والامتعاض.

ولما كانت الطبيعة هي المعلم الأول، فلا شك أن لياليها، بطولها وقصرها، وبما تتضمنه من نجوم وكواكب، ومولد وغياب للقمر. وتغير مظهر الأرض عبر الأيام؛ بين جفاف وأمطار،

واكتساء الأرض بالخضرة والنضارة، أو سيادة الألوان الكئيبة والكالحة. وتغير الطقس بين الحرارة والبرودة والاعتدال، وشدة الرياح والعواصف والفيضانات. لا شك، أن كل ذلك، قد دفع بالإنسان إلى الاطمئنان والشعور بالراحة، من ناحية، ودفعه إلى الخوف والوجل وعدم الاطمئنان، من ناحية أخرى. فإذا كانت هذه العوامل الطبيعية، قد دفعته لابتداع الآلهة، كما يقول بعض الأنثروبولوجيين، فكيف لا تجعله يتذكر أياماً وأحداثاً بعينها، يترقب قدومها ليحتفي ويحتفل بها.

ويزودنا التاريخ بنماذج احتفالية، لأعياد ومناسبات الشعوب والأمم، ابتدعها الإنسان، وابتدع معها أسباباً للاحتفاء بها، وطرقاً خاصة مختلفة ومتنوعة للاحتفال بها وبذكراها، منها ما يتماشى مع طبيعة الأشياء، ومنها ما لا يتماشى مع طبيعة الأشياء؛ كالسحر والتنجيم وكل صنوف الشعوذة. وما أوصت به الديانات من مناسبات وأعياد، وما يتبعها من أضاحي وقرابين وتقدمات، لم تكن قط، غير مألوفة لديه، لذا فإن الوفاء بها، لم يكن عليه شاقاً أو محيراً أو مربكا. ومع ذلك، فإذا كنا نعلم ما أوصت به الديانات من أعياد ومناسبات، فإننا لا نعلم يقيناً، متى وكيف بدأ الإنسان أعياده ومناسباته واحتفالاته. ومولد القمر، والمواسم الزراعية، وتكاثر الثروات المائية، ورأس السنة، هي من بين المحطات الاحتفالية للإنسان، عبر تاريخه الطويل، وأبرز ما أوصت به ديانة سيدنا موسى عليه السلام، هو الاحتفاء باليوم الأول واليوم العاشر من شهر تشري، اللذان أُعطيا تسميات أخرى، فيما بعد، كالعام الجديد، أو رأس السنة. كما اعتبرت العشرة أيام، من اليوم الأول إلى اليوم العاشر، أياماً مقدسة، فما مناسبة هذا العيد، وما مدته، وكيف يتم الاحتفاء به.

قبل الحديث عن رأس السنة وأيام الخشية ويوم كيبور، لا بد من الإشارة، إلى أن التوراة كلها، لم تتضمن أية إشارة إلى رأس السنة (Schauss 2005: 113)، وإن كان (Isaacs 2004: 8) يذكر، بأن رأس السنة لم يذكر، سوى مرة واحدة في التوراة. وبمراجعة التوراة، لم نعثر على هذه المرة، التي أشار إليها Isaacs، وكلما جاء فيها، هو أنه أول يوم من الشهر السابع. والتسميات التي أوردتها التوراة، وكما وردت في النصوص المقدسة، هي:

في سفر لاويين (23: 23-25):

﴿(23) وكلم الرب موسى قائلاً: (24) «كلم بني إسرائيل قائلاً: في الشهر السابع؛ في أول الشهر يكون لكم عطلة، تذكار هتاف البوق، محفل مقدس. (25) عملاً ما من الشغل لا تعملوا، لكن تقربون وقوداً للرب». ﴾

وفي سفر العدد (29: 1) ما نصه:

﴿(1) «وفي الشهر السابع، في الأول من الشهر، يكون لكم محفل مقدس. عملاً ما من الشغل لا تعملوا. يوم هتاف بوق يكون لكم.﴾

إذن، فالتسميات، التي وردت في النصوص المقدسة هي: أول الشهر السابع، وهتاف البوق، ويوم التذكر، ويوم التذكر هي إشارة إلى استعداد إبراهيم عليه السلام، للتضحية بولده الوحيد، إسحق، لإظهار طاعته لله (Bank 2005 :112-113).

واختيار الشهر السابع رأساً للسنة، أو للعام الجديد، كان نتيجة استيعاب حقيقي، من قبل علماء التلمود لقدسيته، ففيه، وفقاً للمشناة، خلق الله العالم، وإن كانت هناك رواية أخرى، تقول بأن خلق العالم تم في نيسان (المسيري 2005: 83). ويذكر Grimley (2010: 32)، في رد على تساؤل طرحه، مفاده: كيف تقرر أن يكون أول تشري، هو اليوم الأول للسنة، بأن الكلمات الأولى لسفر التكوين (بيريشت)، وتعني في البدء، عندما تُقرأ بالعكس، يصبح ألف ب تشري، أو «الأول من تشري». كما أن هناك لحظات تاريخية، غاية في الأهمية، في تاريخ الشعب اليهودي، تتزامن مع رأس السنة، ومنها:

- اليوم الذي خُلق فيه آدم.
- عيد ميلاد كل من إبراهيم، وإسحق، ويعقوب.
- يوم خروج يوسف من السجن.

يوم مقابلة موسى لفرعون، ليطلب منه الموافقة بالخروج من مصر (Epstein 1970: 21).

أما التسمية الجديدة (رأس السنة)، فقد تم استحداثها في فترة متأخرة جداً، وذلك خلال الفترة التلمودية (الخمسة القرون الأولى للميلاد)، ومع ذلك، فالعيد نفسه أُسس في القرن الرابع قبل الميلاد، بعد السبي البابلي، وذلك عندما عاد بعض اليهود إلى أورشليم، لتأسيس المعبد الثاني (Bank 2005: 113). كما يُسمى رأس السنة بتسميات مختلفة، لها دلالتها في التراث اليهودي، ومن بين هذه التسميات: يوم الحساب، ويوم تتويج الملك، ويوم البعث، ووقت أزمة يعقوب، ويوم فتح البوابات (بوابات السماء)، ويوم الخفية؛ لأنه العيد الوحيد، الذي يأتي في بداية الشهر، عندما يكون القمر لا يزال محتجباً (Grimley 2010: 42-33 وIsaacs 2004: 9).

وللسنة في التقويم اليهودي، أكثر من بداية، أو أكثر من رأس، ولكل منها نظام يحكمه ويحدده، فهناك: نظام للسنة المدنية، وآخر للسنة المقدسة. فالسنة المدنية أو الهلالية، تبدأ بهلال تشرين الأول، وجروا عليها في الأشغال المدنية والزراعية فقط... أما السنة المقدسة فهو هلال نيسان، لأنهم خرجوا من مصر، في 15 من هذا الشهر، واستخدموا هذا التقويم في حساب أعيادهم (قاموس الكتاب المقدس 2005: 526-527).

وفي حين يذكر الكتاب المقدس رأسين للسنة فقط، فإن المشناة والأدبيات تذكر أربعة رؤوس للسنة وهي:

1. أول نيسان: لتحديد الأعياد وحكم الملوك (وهو التقويم الديني)، ويأتي فيه عيد الفصح، ويبدأ فيه عد تقويم الشهور، ويذكر التلمود، أن أول نيسان هو أيضاً، رأس السنة لشراء

القرابين بالشيقل، التي يتم جمعها في آذار.

2. أول أيلول: لدفع عشور الماشية، التي تؤدى كنوع من الصدقة.
3. أول تشري: لحساب السنة السبتية، وسنة اليوبيل، والعام المدني (وهو التقويم المدني).
4. أول أو منتصف شفاط: رأس السنة للأشجار، باعتبار أنه، في ذلك اليوم، تسقط أكبر كمية من الأمطار حسبما ورد في التلمود (Bank 2005: 111 والمسيري 2005: 82).

وأي ما كانت رؤوس السنة، فإن اليهود لا يجدون صعوبة، في تعيين رأس السنة، الذي يريدونه؛ فإن كان الأمر يتعلق بعيد رأس السنة، فإن هذا العيد، يبدأ في الشهر السابع (تشري)، من كل عام، أما إن كان يتعلق بذكر شهور السنة، وليس عيد رأس السنة، فإنه يبدأ بشهر نيسان، وهو عندهم رأس الشهور (المسيري 2005: 78)، وهو العيد الوحيد، الذي يكثر فيه الحديث، عن أمور بعيدة نوعاً ما، عن الحديث في العيد نفسه، وما ينبغي أن يقام فيه.

ويعتبر عيد رأس السنة، من الأعياد المفضلة لدى اليهود، لأنه يوم الاعتراف، والتوبة، والصلاة، طلباً للمغفرة من الخطايا، التي ارتكبت بحق قوانين وميثاق الرب (Paterson 2009: 23). ونظراً لأهميته هذه لدى اليهود، فإنهم لا ينتظرون مقدمه في الأول من تشري فحسب، بل إنهم يحسنون استقباله، ويذكرون أنفسهم ولمدة شهر كامل، بأنه على الأبواب.

وشهر أيلول هو الشهر السابق على شهر تشري، وهو آخر شهر في السنة اليهودية، ومع نهايته يبدأ العام الجديد، الذي ينتظره اليهود بشوق ولهفة عظيمين. لذا، فهم يجعلونه شهر استقبال للعام الجديد، ويذكر Strassfeld (2006: 206)و(2010 33-42) Grimleyبأن نفخ البوق يتم في نهاية صلاة صبح كل يوم، من أيامه، إعلاناً بمقدم الأعياد العظيمة، ما عدا يوم الثلاثين منه، اليوم السابق لرأس السنة، والتوقف عن النفخ هو تنبيه للناس، بأن رأس السنة على الأبواب. كما يتم إنشاد المزمور (72) في صلاتي المساء والصباح. وتُقام صلاة المعذرة، في منتصف ليل يوم السبت، السابق لعيد رأس السنة.

ومن ضمن مراسيم استقبال رأس السنة، تقوم الأسرة اليهودية، بتهيئة الجو العائلي تهيئة كاملة -بغض النظر عن اتجاه الطائفة؛ أرثوذوكسية أو إصلاحية- وذلك بتجهيز كل مستلزمات الاحتفال به، إذ ينبغي الحرص على أن تكون الأشياء التالية، في متناول اليد، عند قدوم رأس السنة:

- شمعدان العيد والشموع.
- النبيذ وإناء صب النبيذ على المائدة.
- رغيفان مدوران (challahs).
- غطاء الأرغفة.
- سكين خبز العيد.
- شرائح أو قطع التفاح.

- علبة أو صحن العسل.
- الورود.

وفي مساء اليوم السابق لرأس السنة، تقوم الأسرة بإيقاد شمعتين، كعادة استقبال له. وتقوم الأم بتلاوة بركتين خاصتين، ثم يقوم الأب كذلك، بتلاوة بركات القيدوش، وبركات خاصة على النبيذ، أو على عصير العنب. ويضاف الموتزي (motzi) على رغيفي الشالاه، اللذان عُملا خصيصاً لرأس السنة (Bank 114-113).

وعندما يقترب شهر أيلول من النهاية، فهناك صلاة خاصة بالتسامح، تقام مساء السبت السابق لرأس السنة، وذلك عندما يقوم المصلون، بتلاوة عددٍ من الصلوات الهامة. ومع منتصف الليل، يقوم المصلون بمراجعة صفات الله الثلاث عشر، وهي مراسيم تعد كل فرد لقدوم الأيام المقدسة، وعلى رأسها رأس السنة ويوم كيبور. وكما كان لاستقبال رأس السنة مراسيم خاصة، فإن ليوم كيبور مراسيمه الخاصة.

مراسيم رأس السنة

يعتبر عيد رأس السنة، من الأعياد، التي لها صبغة دينية، فهو يوم راحة وعبادة؛ يقضي فيه اليهود معظم أوقاتهم، بالتضرع والابتهال إلى الله، يطلبون الرحمة والمغفرة، ويعملون جهدهم، في أن يكون عامهم المقبل، أكثر طهراً ونقاءً، من عامهم السابق. ونظراً لتغير مراسيم وطقوس الأعياد، فإننا سنعرض المراسيم، التي أوصت بها التوراة أولاً، ثم ما طرأ عليها من تعديل.

فقديماً، كانت مناسبة رأس السنة، تحتوي على محرقات وتقدمات للرب، أمر بها بني إسرائيل في كل من سفر لاويين، وسفر العدد، فقد جاء في سفر العدد (29: 2-6) ما نصه:

> ﴿(2) وتعملون محرقة لرائحة سرور للرب: ثوراً واحداً ابن بقر، وكبشاً واحداً، وسبعة خراف حولية صحيحة. (3) وتقدمتهن من دقيق ملتوت بزبيب: ثلاثة أعشار للثور، وعشرين للكبش، (4) وعشراً واحداً لكل خروف من السبعة الخراف. (5) وتيساً واحداً من المعز ذبيحة خطيئة للتكفير عنكم، (6) فضلاً عن محرقة الشهر وتقدمتها والمحرقة الدائمة وتقدمتها مع سكائبهن كعادتهن رائحة سرور وقوداً للرب.﴾

ولم يُطلب منهم، أي نوع آخر من الأنشطة، خلاف ذلك. ونظراً، لارتباط المراسيم السابقة بالمعبد، فإن من المنطقي أن تختفي باختفائه، وتحل محلها مراسيم أخرى، وهذا ما حدث بالفعل. ولم يبق من المراسيم القديمة، سوى النفخ بالبوق (الشوفار).

وقبل الحديث عن ما يتم من مراسيم، في وقتنا المعاصر، بمناسبة عيد رأس السنة،

لا بد من الإشارة، إلى أن عيد رأس السنة، يرتبط ارتباطاً كبيراً، بيوم الغفران، العاشر من شهر تشري. ليس هذا فحسب، بل إن الأيام العشر: ابتداءً برأس السنة، وانتهاءً بيوم كيبور، تحظى بنفس الأهمية، التي لرأس السنة وليوم كيبور. ففي حين أن هناك، من يعتبر رأس السنة إيذاناً بابتداء فترة أيام الخشية (Bank 2005: 111)، أي أنه يوم قائم بذاته، ومبشر بأيام خشية تالية له، فإن هناك من يعده أول أيام التكفير العشر، التي تنتهي بأقدس أيام اليهود على الإطلاق، أي يوم الغفران (يوم كيبور) (المسيري 2005: 83). ويمكن اعتبار كلا الرأيين مقبولاً، ودالاً على ما للأيام العشر كلها، من أهمية وقداسة، فالعيدين كالهلالين يبرزان أهمية الأيام العشر، وذلك لما في العيدين (رأس السنة ويوم كيبور)، من ترابط وتكامل قويين، فهما يشتركان في ثلاثة كتب إلهية، يتم البت في اثنين منها في رأس السنة، ويؤجل البت في الثالث إلى يوم كيبور، وهذا ما أشار إليه Hammer (2005: 17)بقوله:

> يذكر الحاخام يوحانان، من علماء القرن الثاني للميلاد، في تعليمه بأن هناك ثلاثة كتب تُفتح في رأس السنة: واحد للمتقين الخلص، وواحد للأشرار الخلص، وواحد لأولئك الذين يقفون بينهما. وأن الكتابين الأولين يختمان في رأس السنة، ويُعلق الأخير حتى يوم كيبور. «فإذا عملوا خيراً كُتبوا في كتاب الحياة، وإذا لم يعملوا خيراً، كُتبوا في كتاب الموت».

كما أن هذين العيدين، يشتركان في صفة واحدة تجمع بينهما، فهما لا يعرفان البهجة، إنهما من أيام الحداد (Schauss 2005: 112).

ويبدأ الاحتفال الفعلي بعيد رأس السنة، في وقتنا الراهن، مع بداية الصلوات اليومية، أي في وقت مبكر من صلاة الصبح، وينتهي مع صلاة بعد الظهر. فتقوم الجالية بأمرين: الأمر الأول، أداء ثلاث صلوات رئيسية، تتصدر صلاة الجماعة، في رأس السنة، وهذه الصلوات هي:

- أفينو مالكينو (Avinu Malkeinu) (صلاة التضرع أو الابتهال).
- صلاة أنيتانه توكف (Unetaneh Tokef).
- صلاة الأميدا المضافة، ويتم خلال الأميدا المضافة النفخ بالبوق. وهذه الصلوات، تتلى في وقت مبكر في الصباح، وتستمر حتى الجزء المبكر، من صلاة بعد الظهر.

الأمر الثاني، تقوم الجماعة بقراءة جزء من التوراة:

- في اليوم الأول، يتم قراءة الجزء المتعلق بميلاد إسحق عليه السلام.
- في اليوم الثاني، يتم قراءة الجزء المتعلق بتذكر إلغاء التضحية بإسحق (Bank 2005: 115).

وفي حين يذكر Bank (2005: 114)، بأن النفخ بالبوق في يوم رأس السنة يكون مئة نفخة، فإن المسيري (2005: 83) يذكر، بأنهم "ينفخون فيه، بثلاثة أصوات مختلفة،

لكل صوت منها دلالته الخاصة". والاختلاف بين الكتاب والمهتمين في المناسبات اليهودية كثيرة، وأحياناً ما يكون هناك اتفاق. ويدخل في هذا الباب، الاختلاف حول مدة الاحتفال بعيد رأس السنة، ويبدو أن الاختلاف قائم على أساس، الموقع الجغرافي، والانتماء الطائفي. فمن الناحية الجغرافية، يحدد المسيري (2005: 82) مدة الاحتفال بصفة عامة فيقول: "يُحتفل به لمدة يومين. وقد ورد في المشناة أربعة أيام أخرى، باعتبارها «رأس السنة»"، ثم يخصص المنطقة الجغرافية، فيقول (ص 83): "بأن رأس السنة اليهودية، هو العيد الوحيد، الذي يحتفل به في إسرائيل، لمدة يومين على التوالي". ومن الناحية الطائفية، يقول (111: 2005) بأن معظم اليهود الإصلاحيين، وكذلك اليهود، الذين يعيشون في إسرائيل، يحتفلون "برأس السنة ليوم واحد، بينما تحتفل به الطوائف الأخرى، لمدة يومين". ويحل (112 Schauss (2005: الخلاف القائم، جغرافياً وطائفياً، وبشكل أكثر عمومية وتحديداً حول مدة الاحتفال بهذا العيد، حيث يرى بأن اليهود الأرثوذكس في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك فلسطين، يحتفلون برأس السنة لمدة يومين وهما اليومين الأولين من الشهر اليهودي تشري. أما اليهود الإصلاحيين، فيحتفلون به لمدة يوم واحد.

ومن الطبيعي في عيد رأس السنة، أن يتبادل الأفراد التهاني والتبريكات، وذلك من خلال التواصل المباشر أو غير المباشر، كإرسال بطاقات التهنئة، أو الاتصال التلفوني. وأبرز بل وأحب التهاني عند اليهود بهذه المناسبة هي قولهم لبعضهم البعض: «فليكتب اسمك هذا العام في سجل الحياة السعيدة» (المسيري 2005: 83 وBank 2005: 112).

وأشهر نشاط يُقام بعد ظهر أول يوم عيد رأس السنة، هو التشليح (البراءة أو التبرئة). والطقوس المستخدمة فيه، هي السير إلى تجمع للمياه، وتلاوة صلوات محددة، ثم يقوم كل فرد، بإفراغ الماء الذي في دلوه، أو القذف بكسرات من الخبز في الماء، وهي مراسيم ترمز إلى البراءة من الذنوب. وإذا ما صادف مقدم عيد رأس السنة، في يوم السبت، فإن مراسيم التشليخ تؤجل إلى اليوم الثاني. وكما هي العادة، فإن السبت مقدم على أية مناسبة أخرى في العام. وكثير من اليهود يقومون بزيارة موتاهم أو أحبتهم خلال هذا الموسم (114 Bank, 2005).

ولارتباط عيد رأس السنة بتطلع اليهود لكل ما يتمنونه، ويأملون ويرغبون في تحقيقه، فإن كثيراً ما ترتبط الأماني والأحلام، بتفسيرات أسطورية أكثر منها واقعية. فقد أبرز Isaacs (2004: 2-3) دلالات لما يحدث يوم رأس السنة، وحكايات تحمل فألاً أو بشارةً برأس السنة، وهي:

1. عادة أكل أطعمة رمزية في رأس السنة، موثقة في التلمود، فقد جاء، بأن الفأل له دلالة، فكل فرد ينبغي أن يعود نفسه، أن يأكل في بداية السنة: يقطين، وكراث، وشمندر (بنجر)، وتمر. وقدم راشي، أحد علماء القرون الوسطى، للرمزية في هذه الأطعمة، بطريقتين:

فبعضها ينمو وينضج مبكراً وبسرعة، وهذا يعطي مؤشراً على زيادة القدرات، بينما البعض الآخر حلو الطعم، وهذا مؤشر على حلاوة السنة.

2. إذا كان طقس أول يوم السنة ساخناً، فإن كل السنة ستكون ساخنة، وإذا كان بارداً، ستكون كل السنة باردة.
3. هناك عادة مقبولة، وهي عدم النوم أثناء نهار يوم رأس السنة، فإذا نام الإنسان بداية السنة، فإن ملاكه الحارس سوف ينام.
4. إذا أراد الإنسان أن يتأكد، ما إذا كان سيعيش طوال السنة أم لا، فعليه، خلال الأيام العشر، بين رأس السنة ويوم كيبور، أن يشعل قنديلاً في بيت عديم التهوية، فإذا استمر النور مشتعلاً، فيتأكد بأنه سيعيش طوال العام.
5. وهناك السلام ذو الخمس درجات الذي يحمل رقم 130، وجبل سيناء، حيث تسلم موسى التوراة من ربه، تحمل قيمة 130، والدرجات الخمس لها دلالة على الصلوات المنزلة
6. يأتي رأس السنة في تشري، وله علامة كفتي الميزان، وهذا رمز، على أن أعمال اليهودي ستوزن، ويحاكم في كتاب الحياة السماوي، في العام الجديد.

والعبارة الأخيرة، تحمل أكبر دلالة، على أن عيد رأس السنة، وإن كان عيداً مستقلاً بذاته، إلا أنه أحد أيام الخشية العشر، وأنه بداية فترة التكفير، التي يُحتفل بها، بغرض محاسبة النفس وتجسيد التسامح.

أيام الخشية

يعيش الإنسان عامة، حالتين نفسيتين وأخلاقيتين متناقضتين: حالة الكمال والرفعة، وحالة الضعة والدونية. ويتميز الإنسان بطبيعة خاصة، قادرة على التمييز، بين الكمال وكل ما يشتمل عليه، والضعة وكل ما ينتمي إليها، وقادرة على اختيار إما الكمال أو الضعة. والإنسان عامة، والمتدين على وجه الخصوص، يحمل في جنباته نفس، تهفو للرفعة وكمال السلوك، وتدعوه للورع والتقوى وعمل الخير، ويعيش في واقع يدعوه، في كثير مما فيه، إلى الضعة والانحطاط، والخروج على ما تآلف عليه الناس وارتضوه في حياتهم. ونظراً لطبيعة الإنسان (الثنائية)، فإنه عُرضة للزلل وارتكاب المعصية، سواءً في حق ربه، أو في حق أخيه الإنسان. ويمكن له تصحيح ما اقترفه من أخطاء، بالعودة إلى ضميره الحي ونفسه الوقادة، أو العودة إلى الله (في حالة التدين)، وتسمى بالعبرية تشوفا (tesuvah). والعودة إلى الله، تبدأ بعملية الفحص الدقيق، لكل ما عمله، وبالرغبة الصادقة والنية المخلصة للتوبة والتكفير عن خطاياه. وتُعرف فترة العشرة أيام الأولى، من شهر تشري، بأيام التوبة (Yamim Norim) (Bank، 2005: 110)، أو الخشية.

والأخطاء المرتكبة على نوعين: النوع الأول، يكون في حق الله. النوع الثاني، وفي حق

الإنسان. فما أُرتكب في حق الله، فإن الله يغفره إن شاء، أما ما ارتكب في حق الإنسان فلا يغفره (Steinberg 2007 : 77). وبناءً على ذلك، يقوم اليهود، خلال أيام الخشية، بطلب العفو والمسامحة ممن أساءوا إليهم، حتى لا يأتي يوم الغفران، وأخطاؤهم ومعاصيهم ما زالت عالقة فيهم، ولم يتخففوا منها. فمن تخفف من ذنوبه ومعاصيه، أفلح وحيي حياة سعيدة في عامه المقبل، ومن أصر على حمل ذنوبه، ولم يتخفف منها، كُتب عليه الشقاء والحرمان. ووفقاً للتقليد اليهودي، فإن هناك كتاب، يسمى سفر هاحييم (Defer Ha-Chayyim)، كتاب الحياة، يدون الله في هذا الكتاب، مصائر عباده للعام المقبل. يفتح الله كتاب الحياة في رأس السنة، ويغلقه في نهاية يوم الغفران (يوم كيبور)، وخلال أيام الخشية، يقوم بكتابة أسماء أولئك، الذين سيتمتعون بحياة سعيدة، وأولئك المحرومين، وأولئك الذين سيحيون، وأولئك الذين سيموتون في السنة التالية.

وبالإضافة إلى التوبة والعودة إلى الله، خلال أيام الخشية العشر، فإن هناك ممارسات دينية يقوم بها اليهود، تتمثل بالصوم وقراءة التوراة. ففي اليوم الثالث، يشارك اليهود الملتزمون بالصيام الصغير. وهذا الصوم مؤشر على عملية اغتيال أخر حاكم ليهوذا، بعد تدمير المعبد الأول. والسبت الذي يأتي خلال أيام التوبة العشرة يسمى شبات شوفاه (سبت العودة إلى الله). هنا يتم قراءة الهافتوراة (القراءة من سفر الأنبياء)، وكذلك يتم إجراء مراسيم طويلة من أسفار الأنبياء، هوشع، وميخا، ويوئيل (Bank 2005 : 110-111). ومن خلال استعراض عيد رأس السنة وأيام الخشية، يتضح بأنها عبارة عن تهيئة المؤمنين لليوم العظيم، يوم كيبور (يوم الغفران)، فهو اليوم الفارق في دورة حياة اليهود السنوية، فـ"الكل سيحاكم في رأس السنة، والحكم سيصدر في يوم كيبور" (Hammer 2005 : 16)، ومن هنا أتت أهمية هذا اليوم.

عيد الغفران - يوم كيبور (10 تشري)

إن أبشع ما ارتكبه بعض بني إسرائيل، بعد أن من الله عليهم، وأخرجهم من مصر، هو اتخاذهم العجل إلاهاً، مع علمهم، بأن كل أشكال الوثنية والشرك محرم. وكانت العقوبة، التي نُفذت فيمن أشرك منهم، وقام بعبادة العجل، هي الموت، وحظي من بقى منهم بمغفرة الله. وقد لامست هذه الخطيئة أرواحهم ووجدانهم على مر العصور. ونظراً لعظمة هذا الحدث، فقد جعله الله تذكاراً لهم، يتذكرون فيه يوم التكفير عن الخطيئة الكبرى (عبادة الأوثان)، ويكون خالداً في أجيالهم، فقد أمر الرب، في سفر اللاويين (23 : 26-32) بأن يكون لهم يوماً للتكفير عن خطاياهم، وحدد اليوم وطبيعته، وما يجب عليهم القيام به فيه، وعقوبة من يخالف، ونص الأمر الإلهي هو:

﴿(26) وكلم الرب موسى قائلاً: (27) «أما العاشر من هذا الشهر

السابع، فهو يوم الكفارة، محفلاً مقدساً يكون لكم. تذللون نفوسكم وتقربون وقوداً للرب. (28) عملاً ما لا تعملوا في هذا اليوم عينه، لأنه يوم كفارة للتكفير عنكم أمام الرب إلهكم. (29) إن كل نفس لا تتذلل في هذا اليوم عينه تقطع من شعبها. (30) وكل نفس تعمل عملاً ما في هذا اليوم عينه أُبيد تلك النفس من شعبها. (31) عملاً ما لا تعملوا. فريضة دهرية في أجيالكم في جميع مساكنكم. (32) إنه سبت عطلة لكم، فتذللون نفوسكم. في تاسع الشهر عند المساء. من المساء إلى المساء تسبتون سبتكم»﴾

وتكرر الأمر الإلهي بتذليل النفس (الصيام)، والامتناع عن العمل، في الآية السابعة، من سفر العدد (29: 7)، ونصها:

﴿«وفي عاشر هذا الشهر السابع، يكون لكم محفل مقدس، وتذللون أنفسكم. عملاً ما لا تعملوا﴾

وإلى جانب الخطيئة الكبرى، التي ارتكبت قديماً، هناك خطايا كثيرة ترتكب على المستويين الفردي والجماعي (المجتمع) على الدوام، لذا، فإنهم يكفرون عن ذلك، باحتفال سنوي مقدس، يطلبون فيه الرحمة والمغفرة من الرب. وأبرز ما يقال عن هذا اليوم، إنه يوم صوم من أجل الذنوب، التي ارتكبت على المستويين الفردي والجماعي، خلال العام الماضي. وهو يوم جليل، تتم فيه محاسبة النفس، والبحث عن الأخطاء. والصوم فيه واجب على كل بني إسرائيل ذكوراً وإناثاً، فصيام الذكور يبدأ من سن ثلاثة عشرة سنة، وصيام الإناث يبدأ من سن اثني عشرة سنة.

ويعرف المسيري (2005: 83) عيد الغفران بقوله:

«يوم الغفران» ترجمة للاسم العبري «يوم كيبور». وكلمة «كيبور» من أصل بابلي ومعناها «يطهر». والترجمة الحرفية للعبارة العبرية «يوم الكفارة» ... فهو أهم الأيام المقدسة عند اليهود، على الإطلاق، ويقع في العاشر من شهر تشري (فهو، إذن، اليوم الأخير من أيام التكفير العشرة، التي تبدأ بعيد رأس السنة، وتنتهي بيوم الغفران".

وكما أن هذا اليوم هو يوم صوم، فإنه قد اعتبر على أنه عيد (المسيري 2005: 84)، ويؤكد المقريزي (1997: 141) طبيعة يوم الغفران بقوله:

إنه الصوم الكبير لديهم .. وعقوبة من لا يصومه عندهم القتل. وقد جعل الربانيون مدته خمساً وعشرين ساعة؛ يبدأ قبل غروب شمس التاسع من شهر تشري، وينتهي بعد ساعة من غروبها في

> اليوم الثاني. وقد تشدد السامرة في صيام ذلك اليوم، حتى إنهم لم يستثنوا من ذلك الأطفال الرضع ... ويعتقد اليهود، أن هذا الصوم هو تمام الأربعين الثالثة، التي صامها موسى عليه السلام، وأن الله يغفر لهم فيها جميع ذنوبهم سوى الزنا بالمحصنة، وظلم الرجل لأخيه، وإنكار ربوبية الله تعالى.

ولهذه المناسبة تسميات عدة منها: عيد الكيبور، أو عيد الكفارة، أو عيد الغفران، أو عيد صوماريا، وأحياناً يُشار إليه، باعتباره سبت السبوت (المقريزي 1997: 141 و115 Bank 2005:). ويعتبر أهم يوم لدى اليهود، وإن كان المسيري (2005: 83) لا يرى ذلك. وأهمية هذه المناسبة، تكمن في أمرين اثنين، وهما: الأول، أنها قد أُفردت لمحاسبة وتأنيب النفس. والثاني، وبمقتضى التقليد اليهودي، "أن الرب يكتب مصير كل إنسان في عامه المقبل في الكتاب -في اللوح المحفوظ- في يوم رأس السنة، ويُنتظر حتى يوم الغفران، ليكون ما كُتب نافذاً" (Bank: 2005). ولا ينبغي أن نصبغ حكم الله على العاصي، بصبغة إنسانية تفتقر للرحمة، وتتصف بالحدية والانتقام، فالله غفور، وهو أعلم بخفايا العباد، حتى وإن تقررت العقوبة، فإنها ليست نهائية، ولكنها تأديبية، لا تتجاوز مدتها العام الواحد، إلا في حالة الاستمرار في المعصية. وهذا هو الفارق في طبيعة رأس السنة، وطبيعة يوم كيبور؛ فبينما يكون التركيز في عيد رأس السنة، على المسؤولية الإنسانية، والمحاسبة الإلهية، فإن التركيز في يوم كيبور، يكون على المعصية الإنسانية، والمغفرة الإلهية (Hammer 2005: 22).

وكانت البداية الفعلية ليوم كيبور، وفقاً للتراث الحاخامي، في جبل سيناء، حيث حدث أول يوم كيبور عندما تسلم سيدنا موسى الوصايا العشر، في جبل سيناء. وعند عودته إلى سفح الجبل، وجد أن بني إسرائيل قد اتخذوا العجل إلاهاً، فقام، من شدة الغضب، بكسر لوحي الوصايا العشر الأصليين، اللذين تسلمهما من ربه. وعندما صعد الجبل للمرة الثانية، صام بنو إسرائيل من شروق الشمس حتى غروبها، داعين الرب ومتضرعين إليه طلباً للعفو والمغفرة. وفي العاشر من شهر تشري، عاد موسى ومعه الوصايا العشر البديلة، ووجد أن العبرانيين، قد ندموا على ما اقترفوه من إثم، وتابوا توبة صادقة، فبشرهم بمغفرة الله لهم Bank 2005: 117) والمسيري 2005: 84).

ومن حينها كتب الله عليهم حفظ هذا اليوم، وأمرهم بتخليده في أجيالهم، وجاء الأمر الإلهي بذلك، في سبع آيات في سفر اللاويين (23: 26-32)، وآية واحدة في سفر العدد (29: 7)، التي سبق ذكرها. وعليه، فقد اجتهدوا، ما أمكنهم ذلك، في حفظ هذا اليوم، وحرصوا على حسن استقباله، وإقامة مراسيمه وطقوسه.

مراسيم يوم كيبور

ينبغي قبل أي حديث، عن مراسيم يوم كيبور، أن نعيد قراءة الآيات الخمس، التي وردت في سفر لاويين (16: 33-29)، حتى يتم استيعابها جيداً، وتتضح من خلالها طبيعة مراسيم يوم كيبور، ونص هذه الآيات هو:

﴿(29) «ويكون لكم فريضة دهرية، إنكم في الشهر السابع في عاشر الشهر تذللون نفوسكم، وكل عمل لا تعملون: الوطني والغريب النازل في وسطكم. (30) لأنه في هذا اليوم يكفر عنكم لتطهيركم. من جميع خطاياكم أمام الرب تَطهرون. (31) سبت عطلة هو لكم، وتذللون نفوسكم فريضة دهرية. (32) ويكفر الكاهن الذي يمسحه، والذي يملأ يده للكهانة عوضاً عن أبيه. يلبس ثياب الكتان، الثياب المقدسة، (33) ويكفر عن مقدس القدس، وعن خيمة الاجتماع والمذبح يكفر. وعن الكهنة وكل شعب الجماعة يكفر.﴾

وكما قرأنا، فإن الحديث كله موجه، لما يجب على الكاهن عمله. ومن يعود إلى مطلع الإصحاح السادس عشر، سيجد تأكيد لما ذكرته الآيات الخمس السابقة، وهذا كله يعني أن يوم كيبور هو في الأساس مؤسسة كهنوتية، لأن شعائر يوم كيبور كلها، يمارسها الكاهن في المعبد، وحضور العامة غير مطلوب (Hammer 2005: 6-7). وسوف تتضح الطبيعة الاحتفالية لهذا اليوم، عندما نتقدم بالحديث عنها.

تشهد هذه المناسبة، مراسيماً وطقوساً احتفالية مختلفة، تبدأ مراسيم الاستقبال، من بعد ظهر اليوم التاسع، من شهر تشري، وتنتهي مراسيم العيد مع غروب شمس اليوم التالي،. ومراسيم وطقوس هذا اليوم، تختلف من حيث طبيعتها ومحتواها، باختلاف الزمان، فما كان يتم في الماضي، يختلف عنه في الحاضر. وسوف نتحدث عما كان يتم في الماضي من مراسم، وكذلك ما يقوم به اليهود أيامنا هذه.

كانت مراسيم يوم كيبور في الماضي، الفترة التوراتية، تبدأ قبل مقدم يوم كيبور بسبعة أيام، حيث كان يقوم الكاهن الأعظم باعتزال الناس، والخلوة في غرفتة الخاصة، في المعبد، يعكف، خلالها، هو وبعض الحكماء، على مراجعة كل المراسيم والطقوس، الخاصة بالمناسبة. وكان على الكاهن أن يخضع لعملية التطهر، التي تتم من خلال الرش عليه بماء طاهر، كأن يكون ماء نبع، مخلوط برماد البقرة الحمراء، وبهذا فقط يتم التطهر. ومع ذلك، وعلى الرغم من وضوح الآيات، فإن هناك من يرى بأن اليهود قديماً، وقبل السبي البابلي، لم يكونوا يحتفلون بعيد رأس السنة، أو بيوم كيبور. في تلك الأيام، لم يكن الاحتفال سوى بيوم واحد في نفس يوم

كيبور وهو الاحتفال بيوم جمع الفاكهـــة والعنب، ولم يحدث تقسيم احتفـال الخريف إلى ثلاثة مناسبات: رأس السنة، ويوم كيبور، وعيد المظال إلا في السبي البابلي. (2005: 113 Schauss). وهذا القول يتناقض أساساً مع نص الآيات، التي سمح الرب فيها للكاهن الأعظم –وأول كاهن أعظم في تاريخ بني إسرائيل هو هارون عليه السلام- بدخول قدس الأقداس (42 Grimley 2010:)، وأمر فيها الرب بني إسرائيل بحفظ يوم كيبور والتذلل فيه.

وحدث بعد فترة السبي تقريباً، أن أُدخلت مراسيم استقبال أخرى ليوم كيبور، كتلاوة (الاعتراف)، أثناء صلاة بعد الظهر، في اليوم السابق على العيد. وارتداء الملابس البيضاء، التي ترمز للطهر والنقاء، والتي يستمر ارتداؤها خلال صلوات يوم كيبور أيضا، وعادة الكبَّاروت (الكفارات)، التي كانت تقام بعد ظهر اليوم السابق ليوم كيبور؛ حيث يتم أخذ دجاجة حية، ويهوى بها حول الرأس، بينما تتلى صلاة خاصة، ثم تُذبح الدجاجة وتُوزع على الفقراء، أو تُجمع لهم تبرعات. وهذه العادة، مع أنها غير شائعة، إلا أنها لا تزال ممارسة، حتى يومنا هذا، بين كثير من اليهود (Bank 2005: 118 والمسيري 2005: 84).

أما فيما يتعلق بمراسيم يوم كيبور في الماضي، فقد كانت في جلها، تقع على عاتق الكاهن. فالكاهن الأعظم، هو محور الممارسات والطقوس الدينية، في الديانة اليهودية. لذا فقد وُكل بأعباء دينية كبيرة وكثيرة، وهي في الأعياد والمناسبات الدينية، أكبر منها في الأيام العادية. وعليه في مناسبة يوم الغفران (يوم كيبور)، أن يؤدي أدواراً كثيرة مطلوبة منه، حتى يتم الاحتفال بهذه المناسبة، على الوجه الأمثل. وما يقوم به في هذه المناسبة، هو تغيير جلبابه خمس مرات، ويتطهر خمس مرات طهوراً طقسياً، ويغسل يديه وقدميه عشر مرات، ويقدم سبع محرقات (وأضاحيات) وتقدمتهن وسكائبهن، إلى جانب الأُضحيات الدائمة، ويدخل إلى قدس الأقداس ثلاث مرات. ونفصل ما يقوم به الكاهن الأعظم من طقوس وممارسات في هذه المناسبة، ابتداءً من صباح يوم الغفران حتى المساء (التوراة ، والمسيري 2005: 84 و قاموس الكتاب المقدس 2005: 782)، على النحو التالي: يتجمع المصلون لصلاة الصبح، قبل موعدها المحدد بفترة وجيزة، ويقضون هذه الفترة، قبل القيام للصلاة، بالدعاء للرب وطلب العفو والمغفرة، ثم تقام الصلاة. وعلى الكاهن الأعظم، أن يقدم تقدمة الصباح المعتادة. وخلال اليوم بطوله، حتى غروب الشمس، يقوم الكاهن الأعظم بالأدوار التالية:

أ. تقدمة الثور للخطيئة الشخصية

يجب على الكاهن الأعظم، كي يؤدي تقدمة الخطيئة الشخصية، أن ينزع زينته الرسمية، المتمثلة في جلبابه الذهبي، ويغسل يديه وقدميه، ويأخذ الحمام الطقسي، وذلك بأن يغمر جسمه كله في حمام التطهر (المكيفا) الموجود في فناء المعبد، ثم يرتدي، بعد ذلك، جلباب بسيط مصنوع من الكتان، أبيض اللون، ثم يغسل يديه وقدميه مرة ثانية.

ثم يقوم الكاهن الأعظم، بعد ذلك، بإجراء مراسيم الغفران، فينحني على الثور، ويقر عن نفسه شخصياً، وعن أهل بيته، بالأخطاء التي ارتكبوها، وينادي بصوت عال، بالاسم الأعظم للرب. هنا، وعندما يطلق الكاهن الأعظم صيحته، بالاسم الأعظم للرب، يخر الجميع إلى الأرض سجدا. ثم يقوم الكاهن الأعظم بذبح الثور، ويجعل دمه يُصب في آنية، كي يقوم بنضحه فيما بعد.

ب. نضح الدم في قدس الأقداس

لقد أصبح دم الثور معداً لنضحه على قدس الأقداس، وعلى الكاهن الأعظم، قبل ذلك، أن يُبارك قدس الأقداس، وذلك بأن يدخل إلى المذبح، ويأخذ مغرفة لغرف النار المعدة لإشعال البخور، ويأخذ ملئ يده بخوراً، ويضعه في المبخرة، استعداداً لتقديمه في قدس الأقداس. يدخل الكاهن الأعظم، بعد ذلك، بالبخور إلى قدس الأقداس ويضع المبخرة هناك، ويتركها حتى يغطى دخان البخور، ذو الرائحة الطيبة، عرش النعمة (الغطاء) الموجود فوق لوحي الناموس، ثم يغادر. بعد ذلك، يعود ومعه آنية دم الثور، ويدخل إلى قدس الأقداس، وينضح الدم بأُصبعه ثمان مرات أمام التابوت.

جـ. تقدمة تيس الخطيئة للرب عن الكهنة

إن تقدمة تيس الخطيئة للرب عن الكهنة، لا يتم بطريقة مباشرة، كما هو الحال في ثور الخطيئة، بل يجب أن يكون هناك تيسين اثنين، يتم اختيار أحدهما للرب، والآخر للشعب، وذلك بإجراء القرعة بينهما، والقرعة هي التي تحدد، أي التيسين للرب، وأيهما يكون للشعب. فيذهب الكاهن الأعظم، إلى البوابة الشرقية للمعبد، وهناك يقوم بإجراء القرعة، لاختيار أحد التيسين: الأول للرب، والثاني للشعب. وبعد معرفة التيس المخصص للشعب، يقوم الكاهن الأعظم، بربط شريط أحمر على قرون التيس المخصص للشعب.

يأخذ الكاهن الأعظم تيس الخطيئة المفرز للرب، وهو في الجهة الشرقية للمعبد، ويضع يده على التيس، ويرفع صوته معترفاً ومقراً، بالذنوب والخطايا نيابة عن الكهنة، حينها يسجد الناس. ثم يقوم الكاهن بذبح التيس، ويستقبل دمه في آنية، استعداداً لنضحه في القدس، وليس في قدس الأقداس، كما فعل في المرة السابقة، عند حفظ دم الثور.

يدخل الكاهن الأعظم القدس، ومعه آنيتي الدم الخاصة بالثور والتيس. وعند وقوفه في القدس، في الجهة المقابلة للستارة، يأخذ أولاً دم الثور من المنصة، وينضحه بأُصبعه ثمان مرات، في اتجاه الستارة. ثم يأخذ، بعد ذلك، آنية دم التيس، وينضحه ثمان مرات، وبنفس الطريقة.

د. تلطيخ مذبح البخور الذهبي بالدم

رأينا في مراسيم نضح الدم السابقة، على كل من قدس الأقداس والقدس، بأن نضح دم الثور ودم التيس تتمان بصورة منفردة، أما فيما يتعلق بالمذبح الذهبي، فإن دم الثور ودم التيس يخلطان معاً، ثم تستأنف المراسيم. فبعد خلط الدمين (دم الثور ودم التيس) معاً، يقوم الكاهن بخطوتين: في الخطوة الأولى، يقوم بتلطيخ الأركان الأربعة للمذبح، مبتدءاً بالركن الجنوبي الشرقي. وفي الخطوة الثانية، يقوم بنضح الدم ثمان مرات، على المذبح كله.

هـ. تيس الشعب

يغادر الكاهن موقع المذبح، ويتجه إلى الجانب الشرقي للفناء الإسرائيلي، ويضع يده على التيس، ويعترف بخطايا كل شعب إسرائيل، وفي هذه اللحظة يسجد الناس. وفي الوقت الذي يعترف الكاهن بالخطأ الجماعي، يعترف كل من في فناء المعبد بخطيئته الفردية، ثم يطلق الكاهن التيس إلى البرية. وزيادةً في الحرص، وحتى لا يرجع التيس، يتم أخذه ويُرمى به من على قمة عالية، خارج أورشليم. وفي هذه الأثناء، يقوم الكاهن الأعظم بنزع أحشاء الثور، ويشد جسمي تيس (الرب) والثور معاً، ويُحملان إلى المرمدة (وهو المكان المعد للرماد)، حيث يتم حرقهما فيها. ولا يتم الحرق، حتى يتم التأكد، من أن التيس قد بلغ الصحراء، ولن يتمكن من العودة، أو قد تم رميه من المكان العالي. وبعد التأكد من نهاية التيس، يقوم الكاهن الأعظم، بالذهاب إلى الفناء المخصص للنساء، وهناك يقوم بقرأة أجزاء من التوراة، خاصة بيوم الغفران.

و. تغيير الجلباب أو القفطان للمرة الثانية

في هذه المرحلة، يقوم الكاهن الأعظم بغسل يديه ورجليه، وينزع جلبابه البسيط المصنوع من الكتان، ويتطهر طقسياً، وذلك بغمر جسمه كله في الحمام الطقسي (المكيفا)، ثم يرتدي جلبابه أو قفطانه الذهبي، وينتهي من هذه المراسيم، بأن يغسل يديه وقدميه مرة ثانية.

ز. تقدمة الكباش

يقوم الكاهن الأعظم بتقديم كبشين تقدمة المحرقة، ويقتضي منه ذلك، أن يذهب إلى الجهة الشمالية من المذبح الخارجي، ويذبح كبشين هناك، ويتلقى دمهما في آنية. ثم يقوم بحمل الآنية إلى المذبح الخارجي، ويطرطش الدم، الذي في الآنية، على زاويتي المذبح الشمالية الشرقية، والجنوبية الغربية. ثم يقوم بفصل الكبشين عن بعضهما، ويحرق أجزاءهما في المذبح الخارجي. كما يقوم بوضع أحشاء كل من التيس والثور على المذبح الخارجي ويحرقها.

ح. تغيير الجلباب للمرة الثالثة

يقوم الكاهن الأعظم للمرة الثالثة، بغسل يديه وقدميه، وبنزع جلبابه الذهبي، ويغطس في الحمام الطقسي (المكيفا)، ويلبس الجلباب المصنوع من الكتان، ويغسل يديه وقدميه مرة أخرى. ثم يذهب إلى قدس الأقداس، ويخرج المبخرة ومغرفة الجمر، اللتان تركهما فيه.

ط. تغيير الجلباب للمرة الرابعة

يقوم الكاهن الأعظم بنزع جلبابه الكتاني، ويرتدي الجلباب الذهبي، وعليه أن يتبع نفس الطقوس السابقة الذكر.

ي. تقدمة المساء المعتادة

هذه التقدمة، هي التقدمة الأخيرة، التي يقدمها الكاهن الأعظم، في فترة بعد ظهر يوم الغفران، وهو بزيه الرسمي (الجلباب الذهبي) إذ عليه، أن يغسل يديه وقدميه للمرة الأخيرة، وتعتبر هذه التقدمة، إيذاناً بانتهاء هذا اليوم.

كانت تلك هي الطقوس والمراسيم، التي كان يتم أداؤها في الماضي، عندما كان المعبد قائما، أما بعد تدميره، فإن كل ما كان يقام، من طقوس ومراسيم تتعلق به، لم تعد تقام أو تمارس، وقد عُوض عنها، كما يقول الحاخام يوحانان لابنه جاشوا، بممارسات الود والطيبة (Hammer 2005: 18). ولكن تلك الطقوس والمراسيم القديمة لم تختف تماماً، لأن الأنبياء والكهنة والحكماء من بني إسرائيل، قد عوضوا عنها بطقوس ومراسيم تقوم مقامها. والطقوس والمراسيم البديلة، ظلت قائمة في التجمعات اليهودية، حتى يومنا هذا. ومن الطبيعي، أن تكون قد اكتسبت طابعاً مغايراً نوعاً ما، وإن كانت لا تزال تحتفظ بطابعها وطبيعتها الأولى، ويتبين ذلك، من خلال الطقوس والمراسيم الممارسة في التجمعات اليهودية المعاصرة، وذلك على النحو التالي:

تتسم الطقوس الدينية ليوم كيبور، بأنها مطولة جداً، وقد خُصص لها كتاب صلاة خاص، يُسمى محزور (Machzor) (Bank2005: 119). يتجمع المصلون في عشية يوم الغفران، أي يوم التاسع من الشهر السابع، من بعد صلاة بعد الظهر في المعبد. والغرض من تجمعهم المبكر هذا، هو إحياء ذكرى الإفودا؛ وهي الطقوس والمراسيم، التي كان يقيمها الكاهن الأعظم، في المعبد في أورشليم، والجزء الرئيسي في طقوس الإفودا، هو القراءة من سفر لاويين، وخاصة الآية ثلاثين من الإصحاح السادس عشر، ويكثر المصلون من الدعاء وطلب المغفرة، ويسجدون للرب في خشوع.

وتستمر الطقوس حتى قبل الغروب، حينها تكون خزانة التوراة مفتوحة، فيتقدم

إليها اثنان من المصلين، ليأخذا منها مطويتين، من لفائف التوراة، ثم يعودان ويجلسان في المكان المخصص لهما، على جانبي المنشد. ثم يقوم الثلاثة بالقراءة. وبعد الفراغ من القراءة، يعلن المنشد صلاة كل النذور، وهي اسم الصلاة التي تبدأ بها، وتؤدى هذه الصلاة بطريقة مغناة تعصف بالقلوب (Bank 2005: 119)، وتتلى هذه الصلاة باللغة الآرامية، وليس بالعبرية.

تبدأ تلاوة صلاة كل النذور، قبل غروب الشمس، وتستمر لتلحق بصلاة العشاء، التي تتضمن مراسيم طلب المغفرة. هنا، وفي صلاة كل النذور، يرتدي الرجال المتزوجون القفطان الأبيض والطاليت، والطاليت يلبس في صلاة العشاء فقط، في هذه المناسبة. ونص صلاة النذور هو:

> إننا نعلن وعلناً بأننا نتبرأ من كل النذور التي يحتمل أن ننذرها، وكل الأيمان الشخصية التي سنقسمها بين يوم الغفران هذا ويوم الغفران القادم، فاجعلها ملغية، ولا تجعلها ثابتة ومؤكدة، اجعل نذورنا وأيماننا كأن لم تكن. وفي الختام يردد الحضور ثلاث مرات: «نأمل أن المغفرة لكل شعب إسرائيل بما في ذلك الأغراب الذين يعيشون بينهم، لأن كل الناس خطّاءون".

وهذا الدعاء ينكره بعض علماء يهود الشرق، وخاصة العرب، وهذا ما أكده المسيري (2005: 66) بقوله:

> وقد بدأت ممارسة هذه العادة، منذ القرن الثامن، لكن مصدرها وأصلها غير معروفين. وقد عارضها بعض فقهاء العراق من اليهود، في القرن التاسع، وأكدوا أنها عادة لا تمارس في بلادهم. ومع ذلك، أصبح دعاء كل النذور، الدعاء المفضل لدى اليهود، واكتسب قدسية خاصة.

ثم يتم بعد ذلك، إعادة لفائف التوراة إلى مكانها، وتبدأ مراسيم الليلة بالعبادة والاستغفار. وجرت العادة، بعد صلاة كل المواثيق، أن تقام صلاة المغرب، بأميدا خاصة للاعتراف. وتؤدى صلاة المغرب، بمرافقة النغمات المخصصة ليوم كيبور. وبعد المغرب، يحين وقت الذهاب إلى المنزل، حيث يتم الاستعداد ليوم كله صلاة وصيام. (Bank 2005: 119)

وفي صباح اليوم التالي، يبدأ التجمع للصلاة، وصلاة الصبح في هذا العيد، لا تختلف عن صلاة الصبح في باقي الأعياد، عدا بعض القصائد التي يتم تلاوتها، وتتضمن أميدا صلاة الصبح الاعتراف. وتقوم الجماعة بقراءة جزء التوراة، ثم قراءة هافتوراه (القراءة من سفر الأنبياء، الذي يختم جزء التوراة الأسبوعي) من سفر إشعياء (57: 14 و58: 14)، وهي قطعة ناقدة لأولئك، الذين صاموا دون فهم حقيقي لليوم. كما أن هناك صلاة خاصة للذكرى، تُسمى يزكر (Yzkor)، وتتلى لأولئك الذين فقدوا أقاربهم (Bank 2005: 119). ويتبع

صلاة الصبح، أداء الصلاة المضافة في وقتها، ثم يتبع ذلك صلاة بعد الظهر. يتخلل صلاة بعد الظهر قراءة نصوص من كتاب يونس. وأخيراً تأتي صلاة الختام (صلاة نيلاه Neilah)- ترمز إلى إغلاق بوابات السماء - صلاة ختام يوم كيبور، التي تبدأ قبل غروب الشمس بوقت قصير، وتستمر ساعة كاملة، وأثناء الصلاة يظل التابوت مفتوحاً، ويجب أن يؤديها المصلون وقوفاً. وبعد الانتهاء من مراسيم الصلاة عند الغروب، يتم النفخ في البوق، وبهذا ينتهي يوم الغفران (المسيري 2005: 84 و Bank2005: 120). وهناك تحية عادةً ما يرددها اليهود في الختام وهي: "إلى اللقاء العام المقبل في أورشليم" (الخياط 2005). وبعد الانتهاء من أداء الصلوات في المعبد، يتوجه اليهود إلى منازلهم لتناول وجبة الإفطار، وعلى عكس يوم السبت وبقية المناسبات، ينبغي عدم إيقاد الشموع قبل وجبة الإفطار (الصوم)، لأن إيقاد الشموع يرمز لبداية يوم كيبور، وتناول وجبة العشاء بعد إيقاد الشموع، يفسد وصية الصيام (Bank 2005: 118).

أخيراً، لا بد من الإشارة إلى أمرين: الأول، أن هذه المناسبة تتطلب من اليهود إضافة إلى الصيام، الامتناع عن الغسل والاستحمام، واستخدام الكريمات والزيوت، والعلاقات الجنسية، و ارتداء الأحذية الجلدية. الأمر الثاني، أن هناك اختلافات في إحياء هذه المناسبة، بين الطوائف اليهودية المعاصرة، إلا أن هذه الاختلافات، لا تُخرج المناسبة عن طبيعتها وغايتها. وفي إسرائيل المعاصرة، نجد أن الاحتفال بهذه المناسبة، يفوق أي احتفال آخر، فكل شيء فيها يتوقف عن العمل، لمدة لا تقل عن أربع وعشرين ساعة: المطاعم، والملاهي والمحلات التجارية، والمكاتب، والمصانع والمعامل والورش، وحتى الإذاعة والتلفزيون، وحتى المطارات (Bank2005: 116 والمسيري 2005: 84).

عيد القمر الجديد (رأس الشهر)

عيد القمر الجديد، هو آخر أعياد القسم الأول، من الأعياد الدينية اليهودية. وهذه المناسبة تشبه مناسبة يوم السبت، من حيث تكرارها المتقارب. والاحتفال بيوم رأس الشهر، وما يتم فيه من مراسيم وطقوس، ليس بدعة ابتدعها اليهود، وإنما هي تنفيذ للأوامر الإلهية، فقد ورد ذكر رأس الشهر، في أكثر من موضع في التوراة، واستمر اليهود يحفظونه عبر التاريخ. وسوف يتم في السطور القليلة التالية، بيان مكانة هذه المناسبة، وكل ما يتعلق بها من مراسيم وطقوس، سواءً في الماضي أو الحاضر.

وقد وردت آيات كثيرة في التوراة، تتحدث عن هذه المناسبة (القمر الجديد)، من حيث طبيعتها و سببها ووقتها، وما ينبغي على بني إسرائيل القيام به، للاحتفاء بها. وتتحدد طبيعة هذه المناسبة، من خلال خلق الله للنور والظلام، فنجد أن التوراة تبين لنا، كيفية خلق الله لليل

والنهار، والشمس والقمر، ليكونا معلماً زمنياً لسيدنا موسى عليه السلام وأُمته، فقد جاء في سفر التكوين (1: 14-16) ما نصه:

﴿وقال الله: «لتكن أنوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل، وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين. وتكون أنواراً في جلد السماء لتنير على الأرض». وكان كذلك. فعمل الله النورين العظيمين: النور الأكبر لحكم النهار، والنور الأصغر لحكم الليل، والنجوم.﴾

وحتى لا يضل بنو إسرائيل ولا يتيهون، زمنياً، عند خروجهم من مصر، أرض عبوديتهم، فقد قضت مشيئة الرب، ببيان موعد أول الشهور لسيدنا موسى، ليتمكنوا بعدها من تحديد أيامهم، فجاء في سفر الخروج (12: 1-2):

﴿وكلم الرب موسى وهارون في أرض مصر قائلاً: «وهذا الشهر يكون لكم رأس الشهور. هو لكم أول شهور السنة.﴾

أما الواجبات المفروضة على بني إسرائيل، في هذا اليوم، فقد تحددت في ست آيات، في الإصحاحين العاشر والثامن والعشرين، من سفر العدد، وذلك على النحو التالي:

جاء في الإصحاح (28: 11 - 15) ما نصه:

﴿(11) وفي رؤوس شهوركم تقربون محرقة للرب: ثورين ابني بقر، وكبشاً واحداً، وسبعة خراف حولية صحيحة، (12) وثلاثة أعشار من دقيق ملتوت بزيت تقدمة لكل ثور. وعُشرين من دقيق ملتوت بزيت تقدمة للكبش الواحد. (13) وعُشراً واحداً من دقيق ملتوت بزيت تقدمة لكل خروف. مُحرقة رائحة سرور وقوداً للرب. (14) وسكائبهن تكون نصف الهين للثور، وثلث الهين للكبش، وربع الهين للخروف من خمر. هذه محرقة كل شهر من أشهر السنة. (15) وتيساً واحداً من المعز ذبيحة خطية للرب. فضلاً عن المحرقة الدائمة يُقرب مع سكيبه.﴾

كما جاء في الإصحاح (10: 10) ما نصه:

﴿ وفي يوم فرحكم، وفي أعيادكم ورؤوس شهوركم، تضربون بالأبواق على مُحرقاتكم وذبائح سلامتكم، فتكون لكم تذكاراً أمام إلهكم. أنا الرب إلهكم﴾.

وإلى جانب النصوص التوراتية السابقة، التي بينت طبيعة رأس الشهر، والواجبات المفروضة فيه، هناك المراسيم والطقوس، التي كان بنو إسرائيل يقومون بها، وفقاً لتفسيرهم للنصوص التوراتية، ولما أشار به الأنبياء، وعلى رأسهم سيدنا موسى، عليه السلام. وكذلك كيفية تحديد بداية الشهر، وكيفية الإعلان عنه، وغير ذلك من المراسيم والطقوس.

وقد اعتمد بنوا إسرائيل، في تحديد بداية الشهر، وهو المرتبط أساساً برؤية القمر، على طريقتين: الأولى، الشهادة: بأن يأتي رجلان يشهدان، بأنهما شهدا هلال الشهر. الثانية، الإعلان عن بداية الشهر بإشعال النيران: فبعد التأكد من دقة شهادة الشاهدين، يتم إشعال النيران على قمم الجبال، فيكون ذلك بمثابة إعلان للجميع، على دخول الشهر الجديد. واستمر ذلك الوضع فترة طويلة من الزمن، حتى تم إنشاء السنهدرين (المحكمة العليا)، فأصبح هو الجهة الشرعية لإعلان بداية الشهر. ولم تتغير الآلية التي كانت متبعة قبل إنشائه، بل ظلت كما هي، وذلك بأن يأتي شاهدان، ويشهدا على أنهما رأيا الهلال، وبعد فحص الشهادة، يقوم السنهدرين بإشعال النار على قمة الجبل، إيذاناً ببداية الشهر الجديد.

ولكن مع نهاية فترة المعبد الثاني، حدثت مغالطات كثيرة، فقد كان السامريون يشعلون النار على قمم الجبال، في غير أوقات رأس الشهر، بغرض مضايقة بني إسرائيل وإرباكهم (المقريزي 1997: 93)، فتم تعديل هذه الطريقة، واعتماد طريقة أخرى. تمثلت هذه الطريقة، بإرسال أحد الأفراد، من أورشليم إلى باقي المدن، لإعلامهم ببداية الشهر. واستمر استخدام هذه الطريقة، حتى نهاية السنهدرين، في القرن الرابع الميلادي.

أضف إلى المضايقات والتشويش المتعمد، لإرباك القوم وتضليلهم، عن معرفة البداية الفعلية للشهر، فإن الانقسامات السياسية والطائفية لبني إسرائيل، قد أضافت بعداً جديداً، يضاف إلى الصعوبات، التي كانوا يواجهونها؛ فقد كان لكل طائفة تقويماً خاصاً بها، تعتمده في تحديد أيام أعيادها ومناسباتها الدينية، فمن الناحية السياسية

> ظهرت تقاويم مختلفة. وثمة إشارة في سفر الملوك الأول (12: 32 – 33) إلى أن يربعام ملك المملكة الشمالية، اتبع تقويماً مغايراً، للتقويم المتبع في المملكة الجنوبية ... وكان للصدوقيين تقويمهم الخاص بهم، كما أن للقرائين تقويمهم أيضاً، حتى الوقت الحالي (المسيري 2005: 78).

ومن الناحية الطائفية يقول المقريزي (1997: 93):

> وهم في عمل الأشهر مفترقون فرقتين: إحداهما: «الربانية» واستعمالهم إياها على وجه الحساب بمسير الشمس والقمر الوسط، سواءً رئي الهلال، أم لم ير، فإن الشهر عندهم مدة مفروضة تمضي من لدن الاجتماع الكائن بين الشمس والقمر في كل شهر.

أدى كل ذلك، إلى ضرورة إيجاد تقويم، لا نقول أكثر موضوعية، ولكن أكثر دقة، من مجرد الاعتماد على الرؤية المباشرة للقمر، في تحديد أوائل الشهور، مع الإبقاء على الرؤية المباشرة، وليس الاستغناء عنها كلياً. فكان أن

> التجئوا إلى أصحاب التعاليم في ذلك الزمان؛ ليأمنوا بما يتلقونه

> من حسابهم مكايد الأعداء، واعتلّوا لجواز العمل بالحساب، ونيابته عن العمل بالرؤية بعلل ذكروها .. فعمل أصحاب الحساب لهم الأدوار، وعلموهم استخراج الاجتماعات، ورؤية الهلال (المقريزي 1997: 93).

ويرجع الفضل، في تحديد أوائل الشهور فلكياً، إلى الكاهن هلليل الثاني، رئيس السنهدرين الثاني، الذي ابتدع تقويماً ثابتاً، يقوم على الحسابات الفلكية. وهناك رأي آخر، يرجع المقريزي فيه لأليعازر بن فروخ، مؤدى هذا الرأي، هو أنهم خافوا ألا تكون الرؤية المباشرة للهلال، ممكنة في الشتات، فلجئوا إلى الحسابات وجعلوها ملزمة، يرجعون إليها أينما كانوا. ولأي ما كان الفضل، فباعتماد التقويم الفلكي، تمكن اليهود من متابعة حياتهم الروحية، دون أي نوع من الاضطراب.

مراسيم وطقوس الاحتفال بعيد القمر الجديد

ينبغي قي بداية هذا الجزء، الإشارة إلى أن التقويم العبري يقوم، كما رأينا سابقاً، على الدورة القمرية، وهذا يعني، في الأساس أن تعداد أيام الأشهر تكون بين تسع وعشرين وثلاثين يوماً. هذا الاختلاف في عدد أيام الشهر، ينعكس بدوره على مدة الاحتفال بمناسبة القمر الجديد؛ فإن كان الشهر تسعاً وعشرين يوماً، كانت مدة الاحتفال يوماً واحداً، أما إن كان عدد أيام الشهر ثلاثين يوماً، فإن الاحتفال به يدوم مدة يومين (يوم الثلاثين من الشهر القديم واليوم الأول من الشهر الجديد).

وفيما يتعلق بإحياء هذه المناسبة، فإن هناك ثلاث فترات زمنية أساسية، في حياة بني إسرائيل، تمتد من قبل بناء المعبد، وحتى فترة تدمير المعبد الثاني: الفترة الأولى، قبل بناء المعبد. والفترة الثانية، بعد بناء المعبد. والفترة الثالثة، بعد تدمير المعبد. والفترة الأخيرة هي أطول الفترات التاريخية الثلاث، وأكثرها تأثراً بالتجديد، وذلك لأسباب كثيرة سياسية وتاريخية ودينية. وتعتبر الفترتان الأولى والثانية أكثر تشابهاً، من حيث إحياء هذه المناسبة والاحتفال بها. فقد كان الجزء الرئيسي فيها، هو تقديم الأضاحي والتقدمات، وإقامة المراسيم والطقوس؛ كتقديم وجبة العيد، والنفخ بالبوق، والصلاة المضافة، وتقديس القمر، وتحديداً كانت المراسيم تُجرى على النحو التالي:

1. إشعال شمعة لمدة أربعة وعشرين ساعة.
2. تقديم رغيفين معجونين بالبيض، يتخذان إما شكل دائري أو هلالي، حتى يتماثلان مع القمر أو الهلال.
3. أكل الفاكهة.
4. تلاوة بعض المزامير الخاصة بالمناسبة أثناء الطعام.

وبتدمير المعبد الثاني اختفت معظم الطقوس، وعلى رأسها الأضاحي والتقدمات، لأنها كانت مرتبطة ارتباطاً عضوياً به. وحتى بعد إقامة المعابد، في كل بقاع الأرض، التي انتهى إليها أمر بني إسرائيل، فإن ما كان يُعمل به أثناء وجود المعبد، لم يكن ليقام بعد تدميره. واكتفى بنو إسرائيل، بإحياء أخف المراسيم والطقوس، للاحتفاء بالمناسبة، واعتبروها يوماً عائلياً، واتخذت هذه المناسبة، ولا تزال الشكل التالي:

1. مع وجود تقويم ثابت، إلا أن الإعلان عن الشهر يتم في المعبد.
2. يتم الإعلان عن الشهر في الصلاة الرئيسية (الأميدا).
3. يعتبر يوم السبت، وقبل رؤية الهلال، يوماً مناسباً للإعلان.
4. ينهض الناس وقوفاً عند إعلان بداية الشهر، وذلك لتذكر الإعلان الأساسي في أورشليم.
5. يُردد الجميع، أثناء الإعلان، اسم الشهر بصوت عال، ويدعون الرب بأن يكون شهر خير وبركة.
6. لا يُحتفل بالشهر الجديد مباشرة، في يومه الأول، وإنما بين اليوم الثالث والعاشر من الشهر، حتى يمكن رؤية القمر.
7. يتلى مزمور (148: 1 - 6)، في رأس الشهر بعد النظر إلى القمر، ونصه هو:

   ﴿هَلِّلُويا. سبحوا من السماوات. سبحوه في الأعالي. سبحوه يا جميع ملائكته. سبحوه يا كل جنوده، سبحيه يا أيتها الشمس والقمر. سبحيه يا جميع كواكب النور....﴾.
8. يُحتفل بالشهر الجديد خارج المنزل.
9. الاحتفال بالشهر يتخذ الشكل التالي:
   - في صلاة المساء: تضاف صلاة إلى (الإفودا).
   - يضاف جزء من الصلاة الرئيسية (الأميدا أو الشمونه عشره).
   - في صلاة الصبح: يتم تكرار الصلاة المضافة سابقاً.
   - تلاوة إما كل أو نصف المزامير (113 - 118)، ومطلعها:

     ﴿هَلِّلُويا. سبحوا يا عبيد الرب. سبحوا اسم الرب. ليكن اسم الرب مباركاً من الآن وإلى الأبد. من مشرق الشمس إلى مغربها اسم الرب مُسَبَّح. الرب عال فوق الأمم. فوق السماوات مجده ....﴾.
   - يتم قراءة الخمسة عشر آية، من الإصحاح الثامن والعشرين، من سفر العدد.
   - يتم إقامة الصلاة المضافة، لإحياء التقدمات الأصلية، التي كانت تقدم في المعبد.
   - يُنزع التفلين (الأقفاص) في رأس الشهر، في الصلاة المضافة.
   - وبعد انتهاء مراسيم الصلاة، يقوم الكثير بتلاوة المزمور (104).
10. لا يُعلن عن رأس شهر تشري، لأنه رأس السنة.

11. لا يصوم عامة اليهود في هذا اليوم، أما القباليون فيصومون.
12. المرأة، هي الوحيدة، التي تمتنع عن العمل.

مراسيم المعبد

وحتى تتبين وبجلاء تام، المراسيم التي تقام في السيناجوج (المعبد)، بمناسبة رأس الشهر، كان لا بد من ذكرها، ولو بإشارة موجزة، وذلك حتى تكتمل الصورة لدى القارئ. تبدأ المراسيم بتلاوة المزمور (148: 1-6)، ويتبع ذلك تلاوة بعض البركات، ومطلعها: "بوركت أنت يا إلهنا، ملك العالم، من بكلماته خلق السماوات، وبنَفَسه خلق كل ما تحتويه السماوات، وتنتهي تباركت أنت، يا من جدد الشهور". ويتبع تلاوة هذه البركات، تلاوة بركة واحدة وخمسة ابتهالات، وكل منها يتلى ثلاث مرات؛ ويتميز الابتهال الأول، عن باقي الابتهالات، بأن تلاوته لا تكون، إلا والناس واقفون على أصابع أقدامهم. والأمر المشترك بين الابتهالات كلها، هو أنها تسأل الرب الخالق العظيم، الحماية من الأعداء، وإنزال الخوف والهلع عليهم. والابتهال الأخيرفيه تقرير بأن داود (عليه السلام) ملك إسرائيل حي وباقي.

وبعد تلاوة هذه البركات والابتهالات، على كل فرد من المحتفلين بهذه المناسبة، إلقاء السلام على ثلاثة أفراد قائلاً: «السلام عليكم». ثم يُتلى نشيد الإنشاد (2: 8-9)، ونصه:

﴿ صوت حبيبي هو ذا آت طافراً على الجبال، قافزاً على التلال.
حبيبي هو شبيه بالظبي أو بغُفر الأيائل. هو ذا واقف خلف وراء
حائطنا، يتطلع من الكُوَى، يوصوص من الشبابيك.﴾.

ويعقب ذلك، تلاوة المزمورين (121 و150)، وابتهال تقديس القمر، ومطلعه: (لتكن إرادتك، سيدي، ربي ورب آبائي، من أكمل القمر... آمين). ثم تلاوة المزمور (67)، وابتهال تمجيد وحمد الخالق. وبهذا تختتم مراسيم المعبد. وبانتهاء هذه المناسبة، ينتهي الحديث عن أعياد القسم الأول، ويبدأ الحديث عن أعياد القسم الثاني.

أعياد القسم الثاني

تتألف أعياد القسم الثاني، من خمسة أعياد، وهي: 1) عيد البوريم (النصيب)، 2) عيد حنوخا (التدشين)، 3) عيد لاج باعومر، 4) عيد التاسع من آف، 5) عيد رأس السنة للأشجار. وقبل الحديث عن هذه المناسبات أو الأعياد، كان لا بد من الحديث عن عيد من أهم الأعياد والمناسبات الدينية اليهودية، ألا وهو عيد الانتهاء من تلاوة التوراة، أو كما يطلق عليه «بهجت التوراة». فالتوراة (أسفار موسى)، الكتاب الإلهي المنزل على بني إسرائيل، له من القدسية والجلال ما هو أهل له، وقد عامله بنو إسرائيل على ذلك النحو. فهو دليلهم ومصدر

هدايتهم، والنور الذي يهتدون به في ظلمات هذا العالم. وعليه، فهم يتلونه على الدوام، وقد جرت العادة، أن يخصص له يوماً في العام، يتم فيه الاحتفال بالانتهاء من تلاوته، ويقيمون لذلك حفلاً بهيجا.

ويعتبر يوم الانتهاء من تلاوة التوراة، من كل عام، يوم عطلة، يحتفل به اليهود للدلالة على الانتهاء من تلاوة التوراة، وإعادة تلاوتها مرة أخرى. ويأتي هذا العيد مباشرة بعد اليوم الثامن الختامي، الذي سبق ذكره. وقد ظهر في القرن التاسع أو العاشر الميلادي، في العراق،

> ويحتفل به داخل المعبد، بأن تحمل لفائف الشريعة، ثم يتم الطواف بها سبع مرات (أما الأولاد، فيحملون الأعلام الصغيرة، ويسيرون أمام الكبار). ويسمى كل طواف باسم أحد الآباء، وهم على التوالي: إبراهيم، وإسحق، ويعقوب، وموسى، وهارون، ويوسف، وداود. ويُقرأ في هذا الاحتفال، آخر سفر من أسفار موسى الخمسة. والمصلي الذي يقوم بالقراءة، يطلق عليه اسم «عريس التوراة». ثم يُدعى مصلي آخر، ويسمى «عريس سفر التكوين» ليبدأ الدورة السنوية لقراءة أسفار موسى الخمسة، مرة أخرى. ويسمى القارئ باسم «العريس» لأن التوراة عروس جماعة يسرائيل، وكل قراءة جديدة، هي بمثابة حفل عرس متجدد (المسيري 2005 : 90).

أما وقد انتهينا من ذكر ما كان لزاماً علينا ذكره، فنبدأ في السطور القليلة التالية، العرض المختصر لأعياد القسم الثاني، وذلك على النحو التالي:

عيد البوريم (النصيب أو القرعة - 14 آذار)

ذكرنا في أكثر من موضع، وفي أكثر من مناسبة، أثناء حديثنا في هذه الدراسة، أن بني إسرائيل، وعبر تاريخهم الطويل، قد مروا بأيام مجد وازدهار وأفراح، ورأوا بأم أعينهم معجزات إلهية كثيرة، كما ذاقوا كثيراً من الويلات والمحن، من قبل أن يخرجوا من مصر، وبعد خروجهم منها، وحتى عهد قريب. وطبيعة حياتهم هذه، قد جعلت لهم مناسبات وذكريات كثيرة، مثلت معالم بارزة في حياتهم، وتذكاراً لما مروا به، من أفراح وأتراح عبر تاريخهم، فإن كانت مناسبات وذكريات سعيدة، احتفلوا بها ابتهاجاً، وجعلوها أعياداً لتذكرها، وإن كانت قاسية على النفس ومؤلمة، أحيوها أيضاً، ولكن ليعبروا فيها عن أحزانهم.

وعيد البوريم أو القرعة، هو أحدى المناسبات التاريخية، التي تحقق لهم فيها، النجاة

من فناء وموت محقق. وقصة هذه المناسبة تكمن في أن هامان الوزير الفارسي، كان قد دبر مؤامرة مخيفة، للقضاء على بني إسرائيل، في كل مدن فارس، انتقاماً منهم، لعدم سجود مردخاي (عم إستير) له. فما كان من إستير، وهي الملكة (زوجة الملك الفارسي)، إلا أن جندت نفسها، للتخاطب مع الملك بهذا الشأن. فلما وقفت أمامه "تستعطفه، لإلغاء قرارات هامان (حسب الرواية التوراتية) وكان قد تقرر بالقرعة (أي النصيب)، أن يكون يوم الذبح في الثالث عشر من أذار "(المسيري 2005: 85). وفي الثالث عشر من شهر آذار، وقبل ذهابها إلى الملك، صامت هي وكل بني إسرائيل المتواجدين في شوشن القصر، تقرباً إلى الرب لمساعدتها في مسعاها. وبالفعل، وبعد لقائها بالملك، أبطل الملك ما كان قد اُتخذ من قرار، بإجراء القرعة لذبح بني إسرائيل. لذا، فهذا اليوم يعتبر من الأيام الخالدة، في التاريخ اليهودي، ولا عجب أن يتخذ هذا العيد صبغة دينية أو وطنية، أو هما معا. ومع ذلك، فإن

> قصة البوريم قد تكون وقد لا تكون حقيقية، فهناك من العلماء من يعتقد بأنها منقولة من عيد وثني، يقام خلال الاحتفال البابلي بعيد رأس السنة. وكان هذا العيد مناسبة مفعمة بالرقص واللهو الصاخب، ولم يستطع كثير من اليهود منع أنفسهم من الانضمام والمشاركة في هذا المرح. وقد أدركوا بأن أي امتناع عن المشاركة لا جدوى منه، فما كان من الحاخامات، إلا أن أضافوا عليه نكهة يهودية، وأعادوا كتابته كأسطورة إستير-مردخاي-هامان (Bank 2005: 144).

ومع ذلك، فمسألة البوريم لا شك حادثة واقعة، مهما كانت الآراء، التي تدعوا إلى التشكيك فيها.

ونظراً لما قامت به إستير من دور في إنقاذ بني قومها (بني إسرائيل)، فقد ضُمت قصتها إلى أسفار التوراة، سفر إستير. وقد ورد في هذا السفر، أن اليهود اجتمعوا، بعد أن تحقق لهم النصر، وفرحوا وشربوا، فجعل مردخاي هذه المناسبة عيداً لكل اليهود، في كل بقاع مملكة فارس، وأوصاهم أن يجعلوها عيداً سنوياً لهم، يحتفل بها صغيرهم وكبيرهم على السواء. فأصبحت هذه المناسبة عيداً سنوياً، محكوم بمراسيم خاصة لإحيائه. ومراسيم هذا العيد تتخذ الشكل التالي:

- صيام يوم الثالث عشر من أذار.
- يقرأ أحد اليهود الراشدين سفر إستير مرتين: مرة في ليلة العيد، والأخرى يوم العيد، في السيناجوج، وعندما يُقرأ اسم هامان، يتم إحداث ضجيج وقرقعة قوية.
- على الجميع، بما في ذلك النساء والأطفال، الاستماع إلى القارئ.
- هناك صلاة خاصة، تتلى في هذه المناسبة، وهي: خاصة بالمعجزات، وتتخلل هذه

الصلوات الصلاة الرئيسية (الشمونة عسريه)، في المساء والصباح وبعد الظهر. كما يتم تلاوتها بعد الوجبات.

- تبادل الهدايا (طعام).
- الإكثار من الصدقات، وخاصة في السبت، الذي يسبق شهر آذار، والذي يسمى بسبت شكليم (سبت المال).
- يتم في صلاة هذا السبت، تلاوة خاصة لجزء مضاف في التوراة، يتعلق بالصدقة، وكذلك تلاوة خاصة للهافتورة، من سفر الملوك الثاني (11: 17 و12: 17) الخاص بجمع التبرعات لترميم المعبد.
- تناول وجبة العيد.
- غالباً ما يرتدي اليهود ملابس تنكرية، تمثل إحدى شخصيات قصة بوريم (المسيري 2005: 85 وBank 2005: 145 وStrassfeld 2006: 293).

ولأن هذا العيد من الأعياد الفرعية، فإن صيامه ليس طويلاً، إذ يبدأ من الفجر وحتى المساء، وليس هناك وقف للأعمال. وهناك عادات قديمة وحديثة، تمارس في هذه المناسبة، فقد كان اليهود يقومون بعمل تمثال لهامان وينصبونه، وبعد أن يتم نصبه يقوم اليهود، كباراً وصغاراً، بإحراقه، إلا أن هذه العادة، لم تعد موجودة أو ممارسة. "ومن العادات الأخرى، تناول فطيرة خاصة يدعونها "أذن هامان"" (المسيري 2005: 85).

يحيا الإنسان عامة، و اليهودي خاصة، حياة رتيبة مفعمة بالجدية والصرامة، ومتحملاً كل هموم كسب العيش وأعباء الحياة. وإلى جانب هذا الوجه العابس للحياة، يتطلع أو يتوق الإنسان إلى اختلاس فترات عبثية، ينسى فيها أو تنسيه بعضاً من همومه، أو تخرجه من قالب الجدية والصرامة، الذي يغلف حياته، إلى جو يعيده إلى طفولته، أو يمنحه شيئاً من الانبساط والسعادة. إنه بحاجة إلى كسر كل الأشكال والقوالب الاجتماعية الجامدة، التي كثيراً ما تحرمه متعة العيش بحرية، بعيداً عن القيود الشكلية للحياة، وحتى يُحقق أو يتحقق له ذلك، ابتدع الحفلات التنكرية. وعيد البوريم، لليهودي، هو الاستراحة الزمنية السنوية، التي يتخلص فيها من كل أشكال الجدية، التي يكابدها طوال العام. وعليه، فالاحتفال بالبوريم يقتضي أن يشرب المرء حتى لا يعرف الفرق بين موردخاي وهامان. لقد فُهم البوريم فهماً جيداً، بأنه وقت السخافة والحماقة. البوريم هو يوم الاستراحة من الجدية، إنه يوم المرح والانطلاق. وتصل سخرية الأفراد واستهزاؤهم، إلى التوراة ذاتها، حتى لا يعد هناك شيء مقدس (Strassfeld 2006: 294). وإحياء هذه المناسبة لا يزال قائماً، حتى يومنا هذا، فنجد اليهود يقيمون الحفلات التنكرية، وترديد أغاني خاصة بالمناسبة.

عيد حنوخا (عيد الأنوار – 25 كيسلو)

لا تختلف طبيعة هذه المناسبة، عن طبيعة المناسبة السابقة الذكر، فهي مناسبة تحقق فيها الانتصار لبني إسرائيل، على أعدائهم اليونانيين. وجوهر حنوخا ديني بحت، إذ مثل أول شكل ثوري منظم عبر التاريخ، عُمل لغرض محدد بعينة، وهو الحرية الدينية (Bank 2005 ،138)، وإن كان يقوم على رفض الهيلينستية، الذي يعبر عن موقف اجتماعي وسياسي في آن واحد. وهو عيد سنوي يُحتفل به ثمانية أيام متتالية، تبدأ في الخامس والعشرين من الشهر الثالث (كيسلو)، والذي يصادف الخامس والعشرين من شهر ديسمبر (Paterson 2009 ،24).

يتضمن التلمود، في جانبه القصصي، روايات كثيرة لا حصر لها، ومن بين قصصه ورواياته قصة سيدنا آدم عليه السلام، عندما رأى بأن النهار يتناقص بالتدريج، فاعتقد بأنه ارتكب ذنباً، وأنه قد حُكم عليه بالموت، ولهذا قام بصيام ثمانية أيام. ثم رأى النهار يتزايد بالتدريج، فقال بأن هذا هو مسار العالم، فجعل ثمانية أيام احتفال (Paterson 2009 ،24). ومع أن هذه القصة، من بين قصص كثيرة، قُصد منها، تثبيت الإيمان في النفوس، إلا أن علاقتها بعيد حنوخا معدومة، وإن كنا نبحث عن جذور بعيدة في التاريخ للمناسبات اليهودية، إلا أن هذه ليست منها، فجذور هذه المناسبة أتت في فترة متأخرة بكثير،

> والجذور الفعلية لهذه المناسبة تعود أساساً، إلى بداية فترة السيطرة اليونانية (336 ق.م)، الاسكندر الأعظم، التي غطت مساحة واسعة، كان من بينها إسرائيل، وإلى فترة حكم السلوقيين التي بدأت عام 199 ق.م، وعبثت بكل مقدسات بني إسرائيل؛ فأصدرت مراسيم عديدة (أنتيخوس الثالث)، مُنع بموجبها بني إسرائيل من ممارسة ديانتهم، ومن خالف عوقب بالإعدام. وخلفه في حكم يهوذا عام 167 ق.م، أخاه أنتيخوس الرابع، الذي كان أكثر قسوة وعدوانية تجاه بني إسرائيل. اتخذ إجراءات أشد من سابقه، حيث أجبر بني إسرائيل على اعتناق الممارسات الإغريقية، ونهب ممتلكات المعبد، وقام بتدنيس المعبد، عندما قام بوضع مذبح «زيوس» كبير آلهة اليونان، الذي سماه اليهود (رجس الخراب) مكان مذبح الإله «يهوه» (الخياط 2005، والمسيري 2005، وعرابي 2004، 236 و Bank 2005،).

عملت كل هذه الظروف على إثارة حفيظة بني إسرائيل، ودفعتهم إلى مواجهة هذا

الصلف والطغيان.

تزعمت حملة المواجهة ضد المملكة السلوقية، الأسرة الحشمونية بقيادة متانياس، القائد الديني للأسرة الحشمونية. وبدأت المواجهة المكابية السلوقية، عندما رفض متانياس التقريب في المعبد الإغريقي الوثني، وعمل على قتل يهودي مُتَهَلين، حاول التقريب في المعبد الوثني، ونشبت الحرب بين الطرفين. وتمكن متانياس وأبناؤه الخمسة، الذين عُرفوا فيما بعد بالمكابيين، تطهير الهيكل خلال ثلاث سنوات من (عرابي 2004: 236) وأعادوا الشعائر اليهودية إليه. وكلمة المكابيين تعني باللغة العبرية «الرجال الأقوياء كقوة المطارق» (Bank 2005: 136).

وعلى الرغم، من ارتباط عيد حنوخا بالمكابيين، القلة التي انتصرت على الكثرة السلوقية، وعلى الرغم من طبيعة الحرب التي نشأت بين المكابيين والسلوقيين، باعتبارها حرب الحرية الدينية الأولى في التاريخ، إلا أن هناك رأي، يجعل منها مجرد حرب أهلية، بين اليهود أنفسهم. ويورد هذا الرأي (Strassfeld (2006: 285، عندما ذكر، بأن قصة انتصار المكابيين على الجيش السوري، كانت موضع تساؤل العلماء المعاصرين، الذين يرون بأن القصة ليست حرب المكابيين ضد جيش الملك أنتيخوس السوري، وإنما هي صراع أو حرب أهلية بين اليهود أنفسهم؛ بين اليهود الهلنستيين واليهود المتمسكين بالتقاليد، فاستعان المتهلنستين بالملك ضد التقليديين. وفي اعتقادي، وفقاً لمجريات الأحداث التاريخية، فإني أستبعد هذا الرأي، فالحرب هي بالفعل بين بني إسرائيل والجيش السلوقي.

وبعد انتصار المكابيين واستعادتهم للمعبد، أرادوا القيام بمراسيم تكريسه، التي تتطلب إشعال شمعدان المعبد،

> ويقال أن يهودا المكابي، حينما دخل الهيكل، وجد أن الزيت الطاهر، الذي يحمل ختم الكاهن الأعظم، لا يكفي إلا يوماً واحداً (وكان من الضروري أن تمر ثمانية أيام، قبل إعداد زيت جديد، كما تقضي التوراة). فحدثت المعجزة، واستمر الزيت في الاحتراق مدة ثمانية أيام، بدلاً من يوم واحد (المسيري 2005: 84).

ويرى Bank (2005: 137) أنه من الطريف أن هذه الرواية –رواية استمرار اشتعال الزيت لمدة ثمانية أيام- لم تذكر أصلاً في سفر المكابيين، ولكنها دُونت في التلمود. كما ينقسم اليهود، فيما يتعلق بالظاهرة نفسها، إلى فريقين: فهناك من يعتقد، أن معجزة الزيت هذه، عمل إلهي صرف، وهناك آخرون، يرون بأنها مجرد أسطورة لطيفة.

ويسمى عيد حنوخا بعيد التدشين، نسبة إلى تمكن المكابيين، من إعادة ممارسة الشعائر فيه، بعد سلبها منهم. كما يطلق عليه عيد الأنوار، نسبة إلى إيقاد الأنوار فيه مدة ثمانية أيام، والمؤرخ اليهودي يوسيفوس، هو أول من أطلق عليه «عيد الأنوار» (137

(Bank 2005:. ويحتفل به بنو إسرائيل سنوياً، في الخامس والعشرين من شهر كيسلو، وفقاً للتقويم العبري، وذلك لتكريس ذكرى المعبد المقدس في أورشليم.

مراسيم إحياء حنوخا

عيد حنوخا من الأعياد الصغيرة أو الفرعية، التي لا يتم فيها الامتناع عن العمل، بل تسير الأمور فيها بصورة طبيعية. ويتم الاحتفال بهذه المناسبة، بإشعال الشموع مدة ثمانية أيام على التوالي. ولهذا، نجد أن يهود اليوم في العالم كله، يعودون إلى منازلهم في وقت مبكر، حتى يتمكنوا من إشعال الشموع في وقتها. وقد صُمم لهذه المناسبة شمعدان (مينورا) خاص، يتكون من تسعة أفرع (المسيري 2005: 84).

وهناك مراسيم خاصة، ينبغي أن تُتبع في عملية إشعالها. وحتى يمكننا تصور سير المراسيم، لا بد من تصور الشمعدان أولاً. ويصف لنا Bank (2005: 138) الشمعدان بقوله: وشمعدان حنوخا يسمى أيضاً حنوكيا، وله ثمان قواعد شموع بمسافات متساوية، وكلها في صف واحد، بالإضافة إلى قاعدة شمعة تاسعة، بمستوى أعلى من القواعد الأخرى (Bank 2005: 138وStrassfeld 2006: 286)، أنظر الشكل رقم (5).

الشكل رقم (5).

شمعدان حنوخا

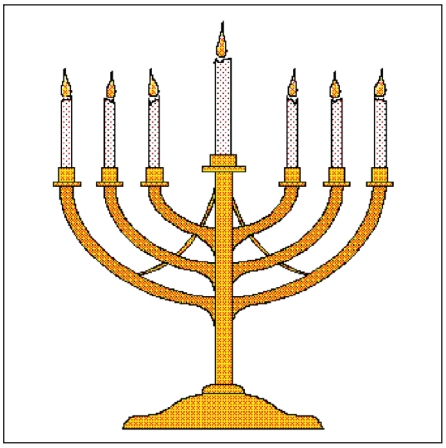

وفيما يتعلق بالطريقة، التي يجب أن تشعل بها الشموع، فقد انقسم التراث اليهودي إلى مدرستين: مدرسة هلليل، ومدرسة شماي: فمدرسة هلليل، ترى بأن تُشعل الشموع الثمان في الليلة الأولى، ثم تنقص كل ليلة شمعة واحدة، بالتدريج. بينما ترى مدرسة شماي، بأن تسير المراسيم بإشعال شمعة واحدة كل ليلة، حتى تنتهي الأيام الثمان، ورأي مدرسة شماي هو المعمول به.

وعليه، ووفقاً لمدرسة شاماي، فقد أصبح إحياء هذه المناسبة، يتم بإشعال شمعة واحدة، في الليلة الأولى، ثم تشعل في اليوم الثاني، الشمعة الأولى والثانية، وفي الليلة الثالثة تضاف إليهما الشمعة الثالثة، وهكذا حتى اليوم الثامن (Fowter 1997 : 47-48). ويتم إشعال الشموع، ومنذ اليوم الأول، بأن تُشعل الشمعة الرئيسية، ويُطلق عليها «الشموش» أو الحارس أو الخادم، وبها يتم إشعال الشموع الثمان. وتتميز شمعة الإيقاد عن باقي الشموع، بأنها ثقيلة وأكثر طولاً من المعتاد (Bloch 1980 : 275). ووضع الشموع على الشمعدان، يجب أن يسير من اليمين إلى اليسار. ويؤكد Bloch (1980 : 272) بأن استخدام شمعة الإيقاد ليس قديماً، بمعنى أنه لا يعود للفترة المكابية، التي يتعلق بها العيد، وإنما بدأ في القرون الوسطى. وعند إيقاد الشموع، هناك بركات يتم تلاوتها، والبركات المتعارف عليها، تبدأ بـ" بوركت أنت سيدنا، إلهنا، ملك العالم» وتنتهي بـ « وأمرنا أن نشعل الأضواء". وينبغي أن تترك الشموع مضاءة، حتى تنطفئ من تلقاء نفسها.

وإشعال الشموع، وفقاً للتقليد اليهودي، يجب أن يتم في كل بيت. وهناك من يرى بأنه لا يُكتفى بشمعة واحدة في البيت، بل ينبغي أن تشعل شمعة لكل واحد في المنزل كل ليلة، ورأي آخر، يرى بأن تتغير عدد الشموع الموقدة بين اليوم والآخر. وتقضي المراسيم بأن توضع الشموع إما في النافذة أو على عتبة الباب، حتى تطل على الشارع، ويتذكر من يراها المناسبة. وفي حين يرى Bank (2005 : 138) بأن أي نوع آخر من الشمعدان (بما في ذلك الكهربائي) غير شرعي لهذا العيد، فإن Bloch (1980 : 275) يذكر، بأنه في الوقت الحاضر، قد تم استخدام الشموع الكهربائية، حتى صارت الأكثر استخداماً، وذلك لأنها تُرى بشكل جيد، من مسافات بعيدة.

ولابد هنا من الإشارة، إلى أن وجود عادة متبعة، في هذه المناسبة، تتلخص في أكل مشتقات الألبان، وخاصة الجبنة. وقصة أكل الجبنة تعود إلى حكاية طريفة، مفادها أن أحد القادة الأشوريين، وهو هولوفرنس، كان يتربص ببني إسرائيل ليفتك بهم، فتطوعت إحدى النساء، وتدعى يهوديت للنيل منه، فذهبت إليه، وأطعمته جبناً وشيئاً معه، وبعد أن فقد وعيه جزت رأسه، وخلصت شعبها منه. ويروي التراث اليهودي قصصاً كثيرة، حول هذه الأرملة ونسبها الشريف، باعتبارها ابنة الكاهن الأعظم يوحانان.

ويحظى عيد حنوخا، باهتمام كبير من قبل اليهود، في كل أنحاء العالم، وخاصةً في إسرائيل، فهو عيد فرح وابتهاج للصغار والكبار على السواء، وقد كُتبت لإحيائه العديد من الأغاني، حتى يتم ترديدها. وصُممت له، كذلك، ألعاب مختلفة للتسلية، لكل من الكبار والصغار. ويحظى الأطفال فيها بعناية خاصة، وفي نواحٍ كثيرة، وخاصة إعطاءهم العيدية (Bank 2005 : 140). وفي إسرائيل يستمتع الأطفال في هذا العيد بإجازة طويلة، فالمدارس تعطل مدة ثمانية أيام.

عيد لاج باعومر

إن معرفة وفهم المقصود بالعومر، أساسي لفهم المناسبة، فالمقصود بعومر هو حزمة الشعير، التي تُقدم للكاهن في أول يوم من الحصاد، كتقدمة وهدية للرب (2005: 41 Schauss والمسيري 2005: 91 وGoodman 1997: 295)، أو أنه الفترة الزمنية الفاصلة بين الفصح وعيد الأسابيع (Strassfeld 2006: 244). وأصدق تحديد للعومر والمقصود به، ورد في سفر اللاويين (23: 9-11 و15-16)، ونص الآيات هو:

﴿(9) وكلم الرب موسى قائلاً: (10) كلم بني إسرائيل وقل لهم: متى جئتم إلى الأرض التي أنا أُعطيكم وحصدتم حصيدها، تأتون بحزمة أول حصيدكم إلى الكاهن. (11) فيردد الحزمة أمام الرب للرضا عنكم. في غد السبت يرددها الكاهن.﴾ و﴿ (15) «ثم تحسبون لكم من غد السبت من يوم إتيانكم بحزمة الترديد سبعة أسابيع تكون كاملة. (16) إلى غد السبت السابع تحسبون خمسين يوماً، ثم تُقربون تقدمة جديدة للرب.﴾

إذن، يتبين من سياق الآية، أن عومر هو المقياس العددي، الذي أوصى به الرب بني إسرائيل، بأن يعدوا سبعة أسابيع؛ ابتداءً من نهاية موسم الشعير، وحتى موسم القمح -والشعير والقمح تقدمتان كانتا تقدمان في المعبد في أورشليم- أو من نهاية الفصح، وحتى قبل يوم واحد من عيد الأسابيع. ومعنى كلمة (لاج) بالعبرية، هي اليوم الثالث والثلاثين من عومر، وبهذا يصبح لاج باعومر عيد الثالث والثلاثين (Strassfeld 2006: 250)، وهو أصغر الأعياد اليهودية، ويأتي في الثامن عشر من شهر آيار، ويسمى لاج باعومر أحياناً بعيد العلماء (Scharfstein 1999: 113). ولم يصبح عومر عيداً، إلا بعد تدمير المعبد الثاني (Kozodoy 1997: 156)

وإذا كان هناك ذكر للعومر في التوراة، باعتباره القياس العددي لتقديم حزمة الشعير، كما تبين سابقاً، فإن لاج باعومر لا وجود لأي ذكر له فيها (Goodman 1997: 296). وفيما يتعلق بأصل لاج باعومر فإنه غامض (المسيري 2005: 91) وغير معروف على وجه اليقين، ومن المحتمل أن يكون عيد وثني قديم، يتضمن اعتقادات خرافية 1997: 296) (Goodman. ومع ذلك، فقد أصبح يوم الثالث والثلاثين، أو الثامن عشر من آيار، أحد الأيام السعيدة، في التقليد اليهودي، وذلك لارتباطه بأحداث سعيدة، أعقبت فترات مليئة بالمآسي والأحزان.

وعليه، فهناك أكثر من سبب لوجود عيد لاج باعومر في حياة بني إسرائيل: فالسبب

الأول، كما يذكر Strassfeld (2006: 249) و Goodman (1997: 296) يعود في الأساس، إلى فاجعة أصابة عدد كبير من تلامذة الكاهن عقيبا بالطاعون، الذي بدأ مع الفصح، وانتهى في الثامن عشر من آيار، فكان مناسبة مفرحة، أو يعود إلى الأحداث المريرة، التي حدثت لليهود عبر التاريخ. والسبب الثاني، أنه اليوم، الذي حدث فيه طوفان نوح. والسبب الثالث، أنه اليوم، الذي أُنزل فيه المن من السماء. السبب الرابع، يعود إلى العصور الوسطى، حيث اعتبر هذا اليوم، يوم وفاة الحاخام بار يوحاي (المسيري 2005: 91)، الذي قيل أنه ولد في لاج باعومر وتوفي فيه، وإنه أوصى طلبته، بألا يقيموا الحداد عليه، وأن يجعلوا ذكرى وفاته يوم عيد (Goodman 1997: 296). أما السبب الخامس، فيعود بالتحديد للأحداث المريرة، التي حدثت لليهود عبر التاريخ، فكما سبق وذكرنا، أن بني إسرائيل عاشوا فترات قمع أجنبية متعددة، على يد البابليين والفرس واليونان والرومان. فقاوم اليهود كل أنواع الصلف الأجنبي، الذي انتهك مقدساتهم، واستباح دماءهم. وكانت أول ثورة بقيادة الأسرة الحشمونية (المكابيين)، ثم تبعها ثورتان ضد الرومان، الأولى عام 66-70م بقيادة الغيورين، والثاني عام 132-135م، بقيادة باركخوبا.

والثورة الأخيرة (132-135م) هي التي تهمنا في هذا الجزء. لأنها تمثل شكل القهر والاضطهاد الديني لليهود، على يد الرومان في ظل سياسة الحاكم هادريان، الذي عمل على إلغاء الختان بين اليهود، وجعل عقوبة قراءة التوراة الإعدام، وبنى في أورشليم معبداً للآلهة الرومانية، وحاول محو الثقافة اليهودية، وذلك من خلال بناء مراكز ثقافية رومانية، وإغلاق المدارس الدينية اليهودية. لم يتقبل اليهود سياسة هادريان هذه، وقاموا بثورتهم الثانية ضد الرومان، بقيادة العالم المحارب سيمون باركخوبا (ابن النجم)، الذي حظي بتأييد ودعم من الحاخام عقيبا، الذي أطلق على باركخوبا لقب الماشيح المخلص. وحقق اليهود انتصارات عديدة في البداية، ولكن انتهت الحروب لصالح الرومان، الذين أسروا الآلاف من اليهود، وباعوهم عبيدا (Scharfstein 1999: 113-114 والمسيري 2004: 424 وعرابي2005: 242 - 243 وGoodman 1997: 296). لذا، فقد اعتبر لاج باعومر، نهاية الذكريات الحزينة.

ولما كانت فترة عومر مكرسة لتذكر موت تلاميذ الحاخام عقيبا، والأحداث التاريخية المريرة، فهي، إذاً، أيام حداد. ووفقاً لمقتضيات الحزن والحداد، فإن معظم مظاهر البهجة، خلال فترة العومر، قد تم منعها، وهذا ما أكده Kozody (1997: 155) بقوله:

إن عد التسعة والأربعين يوماً هي أيام توتر وقلق، فخلال هذه الفترة تنعدم الفعاليات المرحة، فلا زواج ولا أعياد، ولكن اليوم الثالث والثلاثين من عومر، والتي يطلق عليها لاج باعومر هي الاستثناء، فقد أصبحت مؤخراً أيام سعادة واحتفال. وعليه، فقد تم، في هذه الفترة، منع كل ما يشير للبهجة، ومن بين ما لا يجب القيام به، التالي:

- حلاقة الرأس والذقن.
- الاستماع لآلات موسيقية حية.
- عقد النكاح.
- إقامة الحفلات.

ويقوم اليهود خلال فترة عومر، بقراءة موضوع (أخلاق الآباء)، وكذلك خمسة فصول من المشناة؛ يتكون كل فصل من تعاليم أخلاقية مختصرة، ويتم قراءتها في ستة أسابيع، في صلاة بعد الظهر، من كل سبت، كما تم إضافة الفصل السادس إلى كتاب الصلاة. وتعد قراءة أخلاق الآباء، نوعاً من الإعداد الروحي، للقاء عيد الأسابيع 2006 :250) Strassfeld).

وما إن يحل يوم لاج باعومر، حتى يتم إنهاء فترة الحداد، ويعود الناس إلى الاستمتاع بحياتهم، فهو عيد الزواج والأفراح، والرقص والغناء، والألعاب الرياضية، وقص الشعر، والخروج من البيوت إلى الحدائق العامة، وخاصة في إسرائيل (المسيري2005: 91 و Scharfstein 1999: 113وStrassfeld 2006: 250). وجرت العادة أن الطفل، الذي بلغ سن الثالثة عشـــرة من العمر، لا يُقص شعره قبل لاج باعومر، فيعمد كثير من اليهود، وخاصة الأرثوذوكس، إلى تأجيل قص شعر أولادهم، حتى هذا اليوم1997: 158 Kozody.

ولما كان عيد لاج باعومر، قائم على رواية نضال الشعب اليهودي، من أجل الحرية ضد قوى القهر والظلام (Scharfstein 1999: 113)، فإن الوفاء لأبطال النضال، الذين قضوا في سبيل الحرية، واجب وسلوك أخلاقي رفيع، لذا، فإن من عادة الإسرائيليين- زيارة ضريح الحاخام سيمون باركخوبا- قرب مدينة صفد. وفي هذه المناسبة، يصبح الطريق إلى المبنى، الذي بني على الضريح شديد الازدحام، ويتم إشعال آلاف من الشموع والقناديل، ويقوم الناس بالرقص والغناء. وأخيراً، وفي منتصف الليل، يتم إشعال شعلة كبيرة، ويقوم الجميع؛ رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً، بإلقاء المطرزات الجميلة والمناديل وغيرها في الشعلة، مما يجعل لهبها يتزايد بشدة. ومع الفجر ينتهي الاحتفال بهذه المناسبة، ويتم الاستماع لرواية لاج باعومر (Scharfstein 1999: 113-116).

ولا زال الاحتفال بهذه المناسبة، قائماً في إسرائيل، حتى يومنا هذا. فيتم في هذا اليوم، منح الأطفال إجازة من مدارسهم (Kozody 1997: 158)، حتى يتمكنوا من الاستمتاع بهذا اليوم. كما تتجمع أعداد كثيرة من اليهود، عند الحائط الغربي، في مدينة أورشليم القديمة، وهو ما تبقى من المعبد الثاني بعد تدميره، حيث يصلي المتجمعون آملين أن تكون القوة في هذا اليوم لإسرائيل، حتى تتصدى للأعداء، الذين يريدون تدميرها 129) Goodman 1997:).

عيد التاسع من آف، يوم حداد

يوم التاسع من آف، من الأيام التي تذكر اليهود، بكثير من المآسي والأحزان، التي خبروها خلال تاريخهم الطويل، فهو مقترن بتلك المآسي والأحزان والمصائب، التي حلت بهم (Goodman، 1997 : 296)، وهو (التاسع من آف) المحطة الرئيسية أو الشاهد على حدوث تلك الكوارث. ومن غرائب الأقدار، أن الكوارث والأحداث المؤلمة، كانت تحدث إما في التاسع من آف، وإما قبله بيوم أو يومين، أو بعده بيوم أو يومين. لذا، فقد اعتبرت العشر الأيام الأولى من هذا الشهر، بالفعل، أيام كوارث وأحزان. وعليه، فإن التاسع من آف، في اليهودية، يأتي على رأس شهور الصيام، بل إنها تجعل صيامه في المرتبة الثانية، بعد يوم كيبور، ويحل موعده في أحد شهور الصيف (شهر آف)، وهو الشهر الخامس في السنة اليهوديـــة، ويقابل شهري يوليو / أغسطس (Scharfstein 1999 : 113 وGoodman 1997 : 231).

وينبغي أن نعلم، بأن هذه المناسبة لم تكن قائمة، قبل تدمير المعبد الثاني، بل أتت بعد تدميره. ففي القديم، وأثناء فترة المعبد الأول، كان يتم الاحتفال بالأيام الأربعة الخاصة بالصيام كأيام عطلة؛ حيث كان الناس يأكلون ويشربون ويستمتعون، حتى في يوم التاسع من آف نفسه ( ). ومن الكوارث التي تعرض لها اليهود في هذا اليوم، التالي:

- **تدمير المعبد الأول، على يد نبوخذ نصر.**
- **تدمير المعبد الثاني، على يد القائد الروماني طيطس.**
- **هزيمة باركخوبا.**
- **تحطيم موسى (عليه السلام) للوحي الوصايا العشر الأصليين.**

اغتيال الحاكم جِداليا (Gedalia)، الذي عينه نبوخذ نصر على يهود فلسطين، فأمر نبوخذ نصر بالانتقام من اليهود (Scharfstein 1999 : 126-129 وGoodman 1997 : 231).

وكما أشرنا سابقاً، فإن المناسبات، التي تثير ذكريات مؤلمة لبني إسرائيل (اليهود)، يكون الصيام فيها من الأمور الواجبة على الجميع. ومدة صيام هذه المناسبة، يستمر مدة خمس وعشرين ساعة، من غروب الشمس، حتى غوربها اليوم التالي (Bank 2005 : 173)، ولا يصبح صيام المرء صحيحاً إلا بعد عقد النية بالصيام. وفي نهاية يوم الثامن من آف، يجب على المرء أن يأكل الوجبة الأخيرة، وعليه أن يحرص على ألا تحتوي على نوعين من الأكل، سواءً كان مطبوخاً أو غير مطبوخ، حتى وإن كانا من نفس الصنف. ومن المستحب أن يأكل البيض المغلي والخبز ومنتجات الألبان أو فاكهة، ويتم الأكل على الأرض، أو على الأقل على مقاعد قصيرة، ودون أن يخلع نعليه. وهناك من يتبع العادة، بكل دقة، فيأكل قطعة من الخبز مغمسة بشيء من الرماد. ويرى الأرثوذكس، أن صيام هذا اليوم يجب أن يستمر، حتى موعد إعادة بناء المعبد، حينها فقط، يسقط واجب الصيام، لأنه سيكون بداية الفرحة.

وعلى الرغم من أن هذه المناسبة، والاحتفاء بها، قد خف بريقها فترة طويلة من الزمن،

تعود، تقريباً، إلى القرن الثالث الميلادي، إلا أن ذلك البريق قد عاد من جديد، فيهود اليوم يحيون ذكرى هذه المناسبة، في كل أرض يتواجدون عليها. ولما كانت هذه المناسبة، مناسبة صوم وحداد، فإن كثيرمن اليهود، والمتقون منهم على وجه التحديد، ينصرفون عن كل ما يؤدي إلى البهجة، أو يشعر المرء بالراحة -كأن يضع تحت رأسه مخدة ناعمة- ويميلون فيها إلى التواضع في كل شيء. أضف إلى ذلك، فإن إسرائيل، واحتفاءً بهذه المناسبة، تعمل على إغلاق أبواب كثير من المطاعم وأماكن التسلية، في مساء يوم التاسع من آف، واليوم الذي يليه، ومن يخالف ذلك، يعاقب بالغرامة المالية.

وتحفل هذه المناسبة، بإقامة عدد من المراسيم والطقوس والعادات، وفيها أمور كثرة، تدخل ضمن قائمة الممنوعات أو المحرمات، وذلك على النحو التالي:

- يُقرأ كتاب الرائي، في المعبد اليهودي، بعد صلاة المساء.
- تُقرأ المراثي أثناء صلاة الصبح أو بعدها، وتتناول كوارث التاريخ اليهودي، في ضوء شموع خافتة.
- يقوم اليهود بزيارة المدافن في ذلك اليوم، ويصلون من أجل عودة كافة يسرائيل إلى فلسطين.
- لا يشترك ثلاثة أفراد في أكل الوجبة النهائية، إذا فعلوا ذلك، يجب ألا يتلوا صلاة المائدة معاً.
- جرت العادة، أن يكون الجلوس على الأرض، أو على مجلس قصير، قريب من الأرض، وخاصة عند تناول الطعام (علامة الحداد).
- يُلبس التفلين خلال صلاة بعد الظهر فقط.
- يتم تقديم صلاة بعد ظهر اليوم الثامن عن وقتها المحدد، ليتاح للناس فرصة تناول الوجبة الأخيرة.

أما ما يحرم القيام به فهو:

- قراءة التوراة، لأن ذلك يخالف النص الوارد في المزمور (19 : 9)، ونصه:

﴿خوف الرب نقي ثابت إلى الأبد. أحكام الرب حق عادلة كلها﴾

عدا تلك الأجزاء المقتصرة على ذكر تدمير المعبد، أو تلك المتعلقة بالحداد.

- الاستحمام.
- الأكل والشرب.
- الضحك والتجمل.
- لبس النعال المصنوع من الجلد.
- العلاقات الجنسية.
- العمل (حتى الظهيرة على الأقل).
- التجول في الأماكن العامة والأسواق.
- لا يُحَيي المصلون بعضهم البعض، ولا يسألون عن الصحة في ذلك اليوم.

ويزيد الأرثوذكس على ذلك في الأيام الثمانية الأولى:

- الزواج.
- الحلاقة.

أكل اللحم. (المسيري 2005: 90 و Bank 2005: 173).

العاشر من شفاط

العاشر من شفاط، في اليهودية، هو يوم صيام بسيط (من الفجر وحتى غروب الشمس)، وموعده يكون بعد سبع أو ثمان أيام، بعد مناسبة الحانوخا، وهذا الاضطراب في الموعد، يعود أساساً إلى رؤية رأس الشهر، ومدة الاحتفال بهذا العيد يوم أو يومين.

وتروي الآيات (25: 1-25) من سفر الملوك الثاني، قصة الملك صدقيا ملك يهوذا، الذي أغضب الرب بفعاله، كما فعل يهوياقيم، فسلط عليه الرب من يذله. فكان ذله على يد ملك بابل نبوخذ نصر، الذي أتى بجيش كبير، في العاشر من الشهر العاشر (شفاط)، في السنة التاسعة من حكم صدقيا، واحتل أورشليم. وبعد عام تم قتل الملك صدقيا وأبنائه. كما تروي الآيات أحداثاً مؤلمة كثيرةً، أدت في مجملها إلى الصيام. ويمكن القول، أن الصيام في هذا الشهر، قد ذُكر ولأول مرة في سفر زكريا (8: 19)، فيما نصه:

﴿وهكذا قال رب الجنود: إن صوم الشهر الرابع وصوم الخامس وصوم السابع وصوم العاشر يكون لبيت يهوذا ابتهاجاً وفرحاً وأعياداً طيبة. فأحبوا الحق والسلام﴾

ولا يزال الاحتفال به قائما حتى يومنا هذا.

عيد رأس السنة للأشجار

تتزعم الساحة الدينية القديمة لبني إسرائيل، مدرستان دينيتان، هما: مدرسة الكاهن شاماي، ومدرسة الكاهن هلليل، وآراء هاتان المدرستان تؤخذ بعين الاعتبار، في كثير من القضايا الدينية. وهناك من العلماء أو الحكماء أو الفقهاء، من يغلب رؤى إحدى هاتين المدرستين على الأخرى، في بعض القضايا الدينية، التي كانت تناقش قديماً. ولم يقتصر التراث العبري على هاتين المدرستين عبر التاريخ الطويل، بل ظهرت مدارس دينية أخرى، كان لها الأثر البالغ والتأثير الفاعل، على الفقه الديني اليهودي. وفيما يتعلق بعيد رأس السنة للأشجار، فقد كان للمدرستين القديمتين، رأي في الموعد، الذي يجب أن يُحتفل فيه بهذه المناسبة؛ فمدرسة شاماي ترى أن الاحتفال يكون في السادس عشر من شهر شفاط (التاريخ الدقيق هو الخامس عشر وليس السادس عشر)، ومدرسة هلليل ترى، أن يكون

الاحتفال في الأول من نفس الشهر (المسيري 2005، 91)، إلا أن الكهنة قد أخذوا برأي مدرسة هلليل، واعتمدوا الخامس عشر من شهر شفاط لبدء الاحتفال.

والاحتفال بهذا العيد قائم عبر التاريخ، حتى يومنا هذا. وقد اعتاد بنو إسرائيل فيه على أكل الفواكه المجففة، مثل التين والتمر والعنب واللوز والجوز والزيتون (Bank 2005، 175)، وهناك روايات قديمة، تؤكد هذه العادة وتحث عليها. ولم تغفل الدولة الإسرائيلية عن هذه المناسبة، بل إنها أعطتها صبغة قومية، "وأصبح هذا العيد في إسرائيل العيد القومي للشجرة، حيث يقوم أطفال المدارس بغرس الأشجار" (المسيري 2005، 91).

وإلى جانب الأعياد والمناسبات، التي تم عرضها، هناك مناسبات أخرى، يخبرها اليهود خلال حياتهم الخاصة، ابتداءً من الولادة وحتى الوفاة. ولكل مناسبة منها مراسيمها وطقوسها الخاصة بها، الأمر الذي يجعل حياة اليهودي مفعمة بالروح الدينية والوجدانية، كما سيتضح من خلال ما ورد في الفصل التالي.